

مفتاح السعيا
في شرح نهج الغيلا

لمؤلفه
محمد تقى النقوى القاينى



www.haydarya.com

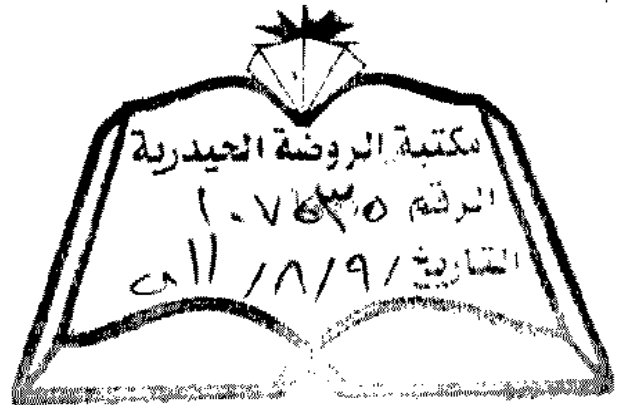
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

المجلد الثالث

لِمُؤَلِّفِهِ سَيِّدِ مُحَمَّدِ تَقِيِّ النُّقُويِّ

قائِم
انتشارات قائم



نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی طالب علیه السلام] تألیف محمد تقی نقوی
القائنی - تهران: قائنی، ۱۳۸۳.

ج

(دوره) : 7 - 5 - 94687 - 964 - SET - ISBN

(ج ۳) : 1 - 8 - 94687 - 964 - ISBN

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

عربی:

کتابنامه.

۱. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه - نقد
و تفسیر. ۲. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - کلمات قصار.
۳. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه‌ها. الف. علی بن
ابی طالب علیه السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان:
نهج البلاغه. شرح.

۲۹۷/۹۵۱۵

BP۳۸/۰۲/۵۷

۱۳۸۳

۳۴۵۷۱-۸۳م

کتابخانه ملی ایران

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه - مجلد الثالث

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی

الکمية: ۵۰۰

الطبعة: الثاني

تاريخ الطبع: ۱۳۸۶ ش. - ۱۴۲۸ ق.

تنسيق الصفحات: نشرقائنی - ۸۸۳۱۵۱۰۸ - ۴۴۴۹۵۹۲۷

ليتوغرافي: نوین

المطبعة: زینق

انتشارات: قائنی

تهران: شارع جنت آباد، هاتف: ۴۴۴۹۵۹۲۷-۸۸۳۱۵۱۰۸

جميع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی

شابک: ۱ - ۸ - ۹۴۶۸۷ - ۹۶۴ - ISBN : 964 - 94687 - 8 - 1

شابک دوره: ۷ - ۵ - ۹۴۶۸۷ - ۹۶۴ - ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7

﴿وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ﴾ (٤)

□ قوله ﷺ: بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ العُلْيَاءَ، وَ بِنَا أَنْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ، وَقِرْسَمَعُ لَمْ يَفْقَهُ الوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبَاةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟ رَبَطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الخَفَقَانُ، مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ المُغْتَرِبِينَ، سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقَ النِّيَّةِ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سُنَنِ الحَقِّ فِي جَوَادِ المَضَلَّةِ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تَمِيهُونَ. الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ العَجْمَاءَ ذَاتَ البَيَانِ، غَرَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَّكْتُ فِي الحَقِّ مُذَارِيئَتُهُ، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الجُهَالِ وَدَوَلِ الضَّلَالِ، الْيَوْمَ تَوَافَقْنَا عَلَى سَبِيلِ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَمَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ انْتَهَى...

◀ اللّغة

(الظُّلْمَاءُ) بفتح الظاء و سكون اللام مع الالف الممدودة كصحراء ذهاب النور أوّل الليل يقال ليلة ظلماء - شديدة الظلام. (تَسَنَّمْتُمْ) اي ركبتم سنامها و سنام كل شيء اعلاه. (العُلْيَاءُ) بضم العين وفتحها و سكون اللام ممدوداً على وزن فعلاء كل مكان مشرف خلاف السفلى و العُلْيَاءُ ايضاً رأس الجبل و السَّمَاءُ. (السَّرَارِ) بفتح السين اليوم او الليلة الذي يُستتر فيه القمر آخر الشهر. (وَقِر) من الوقر) ماضى مجهول و معناه الثقل في السمع. (يفقهه) مضارع من الفقه و هو الفهم. (الوَاعِيَةَ) الصارخة. (النَّبَاةُ) الصوت الخفى او هو صوت الكلاب

(السِّمَة) العلامة. (تُمْتَهُونَ) ما هَتَّ البِئْرَ خَرَجَ ماؤها. (عُزِبَ) بالغين المعجمة اي غاب. (اوجسَ) هَجَسَ و اهَسَّ. (الظُّلْمَاءُ) العَطَشُ.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: **بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ العُلْيَاءِ، وَبِنَا أَنْفَجَرْتُمُ عَنِ السَّرَارِ...**

و الكلام يقع في مقاصد ثلاثة:

المقصد الاول: في شرح قوله ﷺ **بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ...**

الباء في قوله ﷺ (بِنَا) لِلْسَّبَبِيَّةِ و المقصود بكلمة (ناء) هو محمد ﷺ و آله و الغرض انكم كُنْتُمْ قَبْلَ البِعْثَةِ فِي ظُلُمَاتِ الجَهْلِ و الغَوَايَةِ مِنْهُمْ كَوْنُ و لَوْلَا بَعْثَةُ ﷺ و هِدَايَتُنَا لَكُمْ بَعْدَ الرِّسُولِ لَكُنْتُمْ الْآنَ كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ ذَالِكِ و التَّعْبِيرُ مِنْهُ ﷺ بِالْاِهْتِدَاءِ دُونَ الْهِدَايَةِ حَيْثُ قَالَ اهْتَدَيْتُمْ و لَمْ يَقُلْ هُدَيْتُمْ لِلْاِشَارَةِ اِلَى اَنْ الْهِدَايَةَ بِسَبَبِ الرِّسُولِ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانَتْ بِاخْتِيَارِ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ اِكْرَاهٍ و اضْطِرَارٍ فَاِنَّ التَّاءَ لِلطَّلَبِ اَوْ لِلقَبُولِ و لَا يُمْكِنُ طَلَبُ الْهِدَايَةِ اَوْ قَبُولِهَا مِنْ دُونِ اخْتِيَارٍ.

قال الراغب في مفرداته، الأهداء يَخْتَصُّ بِمَا يَتَحَرَّاهُ الْاِنْسَانُ عَلَى طَرِيقِ

الْاِخْتِيَارِ اِمَّا فِي الْاُمُورِ الدِّينِيَّةِ اَوْ الْاُخْرَوِيَّةِ

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ (١)

و: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢)

و: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَايْتِمِنْ بِغَمَّتِي عَلَيْكُمْ وَاَعْلَمُكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٣)

و: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدُوا﴾ (٤)

و: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدُوا﴾ (٥)

ثم قال و يقال المُهْتَدَى لِمَنْ يَقْتَدَى بِعَالَمٍ

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١)

تنبيهها أنهم لا يعلمون بأنفسهم ولا يقتدون بعالم و امثال ذلك من الايات.
اما قوله في الظلماء فقالوا ان المقصود منها ظلمة الشرك و النفاق و الجهل و
هذا المعنى و ان لم يكن به بأس الا انه لقائل ان يقول فلاي شىء لم يُعْبَرُ عليه
بالظلمة او الظلمات و عَبَّرَ بِالظُّلْمَاءِ، اذ من الممكن ان يقول بنا اهتديتم في
الظلمات مع انه كان احسن في سياق العبارة بناء على المعنى الذى ذكره و
لعل الوجه فيه هو ان الظلماء غير الظلمات بحسب موارد الاستعمال و ان كانت
مشاركة لها في اصل المعنى العام و هو عَدَمُ النُّورِ و ذلك لان الظلماء كما نقلنا
عن اهل اللغة ذهاب النور اول الليل و الظلمة ذهاب النور مُطلقاً سواء كان في
اول الليل ام لم يكن فعليه تكون الظلمات اعم من الظلماء.

فقوله عليه: في الظلماء اشارة الى ان اهتداء الناس بهم لم يكن في الظلمة
المُطلقة بل في ظلمة كانت عقيب النور فان الارض لم يكن خالية من
نور الحجة قط و لا تكون خالية الى يوم القيمة فاهتداء الناس بمحمد و آله لم
يكن في الظلمة بمعنى عَدَمِ النُّورِ المطلق اذ هويانا في وجود الحجة قبله عليه
بل كان الاهتداء به في الظلمة التى كانت عقيب نور عيسى ابن مريم عليه و نُعْبِرُ
عنها بزمان الفترة فان الانبياء عليهم السلام كلهم انوار في عالم الملك و
الملكوت.

فشبهه عليه دوران الجاهلية اعنى الفترة الواقعة بين ذهاب نور وجود عيسى و
طلوع نور محمد عليه بالظلماء ووجه الشبه معلوم فان النور ظاهر بالذات
و مظهر للغير و الظلمة عكسه اذ هي عَدَمُ النُّورِ و الظلماء عَدَمُ النُّورِ بعد النور بلا
مهلة و بناء على ما ثبت و تحققت من عَدَمِ خُلُوقِ الارض عن حجة ظاهرة و باطنة
فبعد عيسى ابن مريم عليه ضعف نور شريعته بسبب اتباع الناس عن الشهوات

والاميال حتى كأنه صار في معرض الأفول كما ان نور الشمس بعد مضي اليوم يأفل فظهر نور الرسول ﷺ بلامهله واهتدى بنوره من اهتدى.

وفي المقام دقيقة اخرى لا بأس بذكرها و هي ايضا مما استنبطتها كما ان سابقتها ايضا كذلك ولا اقول انهما مراده ﷺ قطعاً ولكني فهمت من هذه العبارة ما فهمت ولست أدري أصبت أم اخطأت.

وهي ان نقول غرضه ﷺ بكلمة (نا) في قوله بنا، هو آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم اعنى هو نفسه و ولديه الحسن و الحسين و الائمة من ولد الحسين عليهم السلام و المخاطب بهذا الكلام في قوله (اهتديتم) و ان كان في ظاهر الأمر الحاضرون السامعون لكلامه ﷺ الا انه في الواقع جميع المسلمين الى يوم القيمة فالمقصود انكم ايها المسلمون بنا اي بال الرسول اهتديتم في الظلماء اي الظلمة الواقعة بعد موت الرسول فان نور وجوده صلى الله عليه وآله وسلم لما اقل ظاهراً كان هو ﷺ قائماً في مقامه و بعده الحسن و بعده الحسين الى آخر الائمة فلولا انوار وجودات المعصومين بعد الرسول لم يمكن لأحد الأهداء و بعبارة اخرى لم يكن نور الرسول في اهتداء الناس به كافياً مع قطع النظر عن اوصيائه فكانه ﷺ قال بنا اهتديتم في الظلما اي بنا اهتديتم بعد نور الرسول و الله اعلم بحقائق الامور.

وعلى اي التقادير فلاشك في ان الاهتداء وقع للناس بهم مع الرسول او بعد الرسول و هذا الكلام منه ﷺ صدر في مقام المنة على الناس و ان كل ما وصلوا اليه او يصلوا اليه بعد ذلك في الدنيا و الاخرة فانما هو ببركة وجودهم و هدايتهم و ارشادهم فيجب على الناس معرفتهم و طاعتهم والاحتراز عن مخالفتهم و معصيتهم فان معرفتهم و ولايتهم توجب الفلاح و النجاة كما ان الاعراض عنهم يوجب الهلاك في الدارين فقد تحقق ان الاهتداء بهم، وقد دلت عليه روايات.

روى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن الفضيل قال سئلت ابا عبد الله

عليه السلام عن قوله تعالى و لكل قوم هادٍ فقال ﷺ كل امام هادٍ للقرن الذي هو فيهم، انتهى...

و روى فيه ايضا عن بريد العجلي عن ابي جعفر ﷺ عن «انما انت مُنذِرٌ و لكل قوم هادٍ»^(١) فقال رسول الله انا المُنذر و لكل زمان مينا هادٍ يهديهم الى ما جاء به النبي ﷺ ثم الهداة من بعده ﷺ على ثم الاوصياء واحد بعد واحد، انتهى...

و روى فيه ايضا عن ابي بصير قال قلت لابي عبد الله انما انت مُنذر و لكل قوم هادٍ فقال ﷺ رسول الله انا المُنذر و على الهادي الخبر... و فيه ايضا عن ابي خالد الكابلي قال سئلت ابا جعفر ﷺ عن قول الله تعالى: «فَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا»^(٢) فقال ﷺ يا ابا خالد النور و الله الاثمة ﷺ الخبر... و الاخبار في هذا الباب كثيرة من شاء الاطلاع عليها فعليه بالكافي و البحار و غيرهما.

المقصد الثاني: في شرح قوله ﷺ وَتَسَنَّمْتُمُ الْعُلِيَاءَ،...

و هذه ايضا استعارة كسابقتها فانه ﷺ شبه الحكومة و الامارة او مُطلق المقامات الدنيوية بجبل اوناقة له اعلى و اسفل و هم اي المسلمون قد ركبوا اعلاها اي سنامها في الناقة او استوطنوا رأس الجبل و اعلاه و بالجملة اشارة الى علو مقامهم و ارتفاع مكانهم في الدنيا ببركة آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم و هدايتهم و ارشادهم.

توضيح ذلك انه لا شك عند من له ادنى بصيرة بالتواريخ و السير ان العرب قبل الاسلام لم يكن لهم حظ لا ونصيب من المقامات و الدرجات العاليه بل كانوا قوماً منحنطين منغمرين في العادات السيئة الرذيلة و الصفات الرذيلة البهيمية شغلهم السرقة و الغارة و همهم الاكل و الشهوة شاربون للخمر، و قاتلون للنفس جبارون متكبرون عن الحق و العدل معرضون اكلون

لِلسُّحْتِ وَالْحَرَامِ مِنْ جِهَةِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِيهِمْ وَاهْتَدَوْا بِهِ وَاسْتَضَانُوا بِنُورِ مَعْرِفَتِهِ أَنْقَذَهُمُ اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِ نُورَ الْإِيمَانِ وَالْمَتَابَعَةِ لِمَا قَرَّرَهُ لَهُمْ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ غَى الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ إِلَى عِزِّ الشَّرَفِ وَالْهُدَايَةِ فَصَارُوا فِي الدُّنْيَا كَالْمِشَارِ إِلَيْهِمْ بِأَلْبَانِ وَأَسْتَوَطَنُوا فِي الْأَمَكْنَةِ الْعَالِيَةِ وَانْتَفَعُوا مِنَ الْمَوَاهِبِ الْكَثِيرَةِ وَالنِّعَمِ الْفَاخِرَةِ فَالْأَرْتِقَاءُ مِنْ حَضِيضِ النَّاسُوتِ إِلَى أَوْجِ الْمَلَكُوتِ وَمِنَ الذِّلَّةِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ إِلَى الْعِزَّةِ مِنْ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ وَالْمَرَاتِبِ لِلْإِنْسَانِ.

المقصد الثالث: في شرح قوله ﷺ: «وَبِنَا أَنْفَجَرْتُمْ عَنِ الشَّرَارِ...»

وهذا أيضا كاخويه يدل على عظيم النعمة والمقصود أنه بسبب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أخرجتم عن الأستتار والخفاء ولولاهم لكنتم أبدأ في ظلمة الجهل والضلالة وزوايا الخمول والفرق بين هذه الجملة والجملة السابقتين هو أن الجملة الأولى قد دلت على أن الاهتداء وقع لهم بسبب آل محمد والثانية على أن الوصول إلى الدرجات العالية والمقامات البارزة الفاخرة في الدنيا والآخرة حصل بهم، والثالثة على أن الخروج عن الغيب المستور إلى الكشف والظهور ومن القوة إلى الفعل كان بأرشادهم وهدايتهم وفيما ذكره عليه السلام اتمام النعمة وكما لها قال الله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^(١).

و نحن ايضا نتكلم فيها على وجه أبسط وأكمل توضيحاً للمرام وتشريحاً للمقام فنقول.

اعلم: أن الإنسان مُنقسم إلى سرّ وعلنّ وروح وبدن ولكل منهما منافع وملائمات وآلام ولذات ومهلكات ومُنجيات ثم إن البدن مادّي فان الروح مجرد باقٍ فان اتّصف بمحاسن الصفات كان في البهجة والسعادة أبدأ، وان اتّصف برذائلها كان في العذاب والشقاوة مخلداً.

والتحقيق ان السعادة للإنسان لا تحصل الا بتكميل الروح والبدن معاً فان
الإنسان كما يحتاج في صحة جسمه الى الغذاء والهواء والنوم وامثالها يحتاج
في صحة رُوحه الى الاجتناب عن الاخلاق الرذيلة واتصافها بالملكات
الفاضلة والصفات الحسنة واصولها اربعة - الحكمة - والعفة - والشجاعة
والعدالة.

فصحة الروح وكما لها ليست الا بوجود هذه الاصول التي تكون مبدأ لسائر
الفضائل من الصدق والرحم والسخاوة والحلم والصبر وغيرها.
كما ان صحة الجسم كما له انما هي بالغذاء السالم والهوى المطبوع
والاستراحة الكاملة والاستفادة من قواه البدنية ولنشرح الان على سبيل
الأجمال السعادات الروحية والبدنية فنقول.
أما اصول الفضائل في الروح فاربعة كما ذكرناه.

الحكمة: و هي معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية و
الموجودات ان لم تكن بقدرتنا من حيث الوجود فالعلم المتعلق بها هو
الحكمة النظرية و ان كان وجودها بقدرتنا و اختيارنا فالعلم المتعلق بها هو
الحكمة العملية.

العفة: و هي انقياد القوة الشهوية للعاقلة فيما تأمرها به و تنهاها عنه حتى
تكتسب الحرية و تتخلص عن أسر العبودية الشيطانية.

الشجاعة: و هي اطاعة القوة الغضبية للعاقلة في الأقدام على الأمور الهائلة
و عدم اضطرابها بالخوض في ما يقتضه رأيها حتى يكون فعلها ممدوحاً و
صبرها محموداً.

العدالة: و هي انقياد العقل العملي للقوة العاقلة و تبعيته لها في جميع
تصرفاته او ضبطه الغضب و الشهوة تحت اشارة العقل و الشرع او سياسة
قوتى الغضب و الشهوة و حملها على مقتضى الحكمة و ضبطها في الأسترسال
و الانقباض على حسب مقتضاه فالعدالة على الأول تكون أمراً بسيطاً و على

الثاني تحتمل البساطة و التركيب و اما اسباب الفراغ و اللذة ليلبدن و ان لم يمكن حصرها لاختلاف الطبايع و الامزجة فيها الا انه يمكن يقال بان اصولها ثلاثة : المال - والامنية - وصحة الجسم فعلى هذا تصير مجموع الفضائل الروحية و البدنية في دار الدنيا سبعة و ان شئت قلت ثمانية بزيادة المقام و الرئاسة على قول بعض.

اذا عرفت هذا فقد علمت ان تحصيل هذه الجهات التي بها تكمل سعادة الدنيا و الاخرة لا يمكن الا في ظل الدين و النواميس الالهية و دونه خرط القناه. اما القوى الاربعة و الفضائل الاصلية الروحية من الحكمة و العفة، و الشجاعة و العدالة فمعلومة فان الروح ليست من سنخ الموجودات العنصرية بل هي جوهر مجرد من سنخ الملكوتيين فبلوغها الى حد الكمال و الغاية القصوى لا يتيسر الا لمن واطب على العمل بالاحكام الشرعية بفعل الواجبات و ترك المحرمات و الاجتناب من رذائل الاخلاق و مفاستها و الاتصاف بمحاسن الاخلاق و هو الغرض الاصلى من الدين و الشريعة و العلة الغائية لبعثة الانبياء و انزال الكتب السماوية و اما الجهات الثلاثة او الاربعة الموجبة لفراغ الجسم و البدن فهي ايضا كذلك ان حصلت من الدين فان الدين متضمن كاملاً لها و من المعلوم ان المال و الامنية و صحة الجسم و المقام اذا لم تحصل من طريق الشرع و الدين فليست من الفراغ بشيء فان المال الحاصل من غير طريق الشرع و زراً و وبال على صاحبه في الدنيا و الاخرة و كذا الباقي و ملخص الكلام هو ان الفراغ للبدن لا يحصل بمجرد وجود الجهات بل حصوله يتوقف على وجوده المنبعث عن الدين و الايمان، فحاصل الكلام هو ان الانسان لا يمكن له الوصول الى سعادة الدارين الا بالدين و العمل بأحكامه.

ولا شك ان الدين بما هو لا يقدر على اصلاح الناس ما لم يكن له مبيّن و مفسّر اذ هو ليس الا مجموع الاحكام المقررة من قبل الله تعالى لارشاد الناس بسبب النبي و بعد النبي بسبب الوصي فينتج ان تحصيل الكمال على ما

ينبغي موقوف على وجود النبي والوصي ولذلك قال ﷺ بنا اهتديتم الى قوله بنا انفجرتم عن السرار.

□ قوله ﷺ: وَقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعِي التَّبَاةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟

ثم قال ﷺ: وَقِرَ سَمْعٌ الى آخره والمقصود ان السمع الذي لا يفهم الواعية اي الصارخه فهو ثقيل مريض وكيف يُرَاعِي الصَّوْتِ الخفى من اصمته الصَّيْحَةُ وذلك لان السمع الصحيح وطيفته السماع والاستماع فاذا لم يقدر على الاستماع فهو ثقيل وكذلك ضبط الصوت الخفى وحفظه من وظائف السمع الصحيح لا السمع الذي اصمته الصَّيْحَةُ فانه لا يقدر عليه وهو واضح. قال الله تبارك وتعالى وفي آذاننا وقرء - وقال وفي آذانهم وقرأ، وقال ايضاً ولهم آذان لا يسمعون بها فكلامه ﷺ مُقْتَبَسٌ من كلام الله تعالى حيث وصف الله سبحانه آذانهم بالوقر وهو الثقل - وهو كناية عن عدم اعتنائهم بما سمعوا من كلام الله وكلام رسوله فكأنهم لم يسمعوا به فكذلك الأمر في المقام لان الإنسان اذا سمع بشئٍ فيه خيرٌه وصلاحه فلا بد له من العمل بمقتضاه والا فهو ومن لم يسمع به على حدٍ سواء.

ولما كان ﷺ ارشدهم الى ما هو صلاحهم فيه ولم يقبلوا منه فذمهم عليه ووبخهم ولا مَهَم وقال فيهم ما قال و اشار ﷺ الى عدم لياقتهم وقابليتهم للوصول الى المدارج العالية الانسانية اذ لم يفرقوا بينه وبين من قبله من الخلفاء بل كانوا بالنسبة الى الماضين اسلم واطوع منه ﷺ وذلك هو الخسران المبين.

□ قوله ﷺ: رُبَطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ...-

اشار ﷺ بذلك الى ان القلب الخائف المضطرب متصل بالله و مربوط اليه لا غيره من القلوب فان الخوف من خشية الله من علائم العبودية فالقلوب الخائفة الوجلة التي لاتزال تخفق من خشية الله والاشفاق من عذابه لا يمكن

لها الثبات الا بالاطمينان والسكينة قال الله تعالى ﴿الْأَبْيَضُ الْوَيْسُ الَّذِي تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ﴾ (١)

و غرضه ﷺ من هذا الكلام في هذا المقام هو ان العبد مالم يتصل بحبل محبته
بالله ولم يخل بيت قلبه من غيره فلا يخاف منه حق الخوف فلا يعباء باوامره
ونواهيه فكيف يتوقع منه الاطاعة والانقياد لأولياء الله وسفرائه، لان اطاعة
الولى واجب لأطاعة الله فشرط الانقياد للإمام العبودية وهى مفقوده فى
أكثر الناس كما قال الله تعالى فى حقهم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِى الشَّاكِرُونَ﴾ وكأنه ﷺ
ذمهم بذلك الكلام ودعاهم حتى يصلحهم الله تعالى ان كانوا لذلك اهلاً.
□ قوله ﷺ: مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِبِينَ،
اشاربه ﷺ الى انه كان يعلم عاقبة امرهم ونكثهم لبيعتهم وانصافهم بحلية
المغتربين ولأجل ذلك كان ﷺ يقول حين بيعتهم له من نكث فأنما ينكث
على نفسه وهو دليل على علمه بحالهم وعاقبة امرهم من أول الأمر و ايضاً
مُشعراً بان الخطبة اوردها ﷺ بعد منصرفه من البصرة و الفراغ من وقعة الجمل
كما هو المشهور.

قال الشارح المعتزلى قال على ﷺ للزبير يوم بؤيع (بايعه) انى لخائف ان
تغدر بى فتتك بيعتى قال لا تخافن فان ذلك لا يكون أبداً منى فقال على ﷺ
فلى الله عليك بذلك راع وكفيل قال نعم الله لك على بذلك راع وكفيل.
ثم قال بعد كلام منه - وجال الزبير وطلحة الى على بعد البيعة له بأيام فقال له
يا امير المؤمنين قد رأيت ما كفافيه من الجفوة فى ولاية عثمان كلها وعلمت ان
راى عثمان كان فى بنى امية وقد ولاك الله الخلافة من بعده فاولنا بعض
أعمالك فقال لهما رضىا بقسم الله لكما حتى ارى رأتى وأعلمائى لأشرك فى
امانتى إلا من أرضى بدينه وامانته من اصحابى ومن قد عرفت دخيله فانصرفا
عنه وقد دخلهما اليأس فاستأذناه فى العمرة فقال ﷺ ما العمرة تريدان فحلفا له

بالله بالخلافِ عليه ولانكث بيعته يريدان ، مارأيهما غير العُمرة فاعيد البيعة لى ثانياً فاعادهاها بأشد ما يكون من الأيمان والمواثيق فأذنَ لهما فلما خرجا من عنده قال ﷺ لِمَنْ كان حاضراً عنده والله لا ترونها الا فى فِتْنَةٍ يُقتلان فيها قالوا يا امير المؤمنين فمُبرِّدَهما عليك قال ﷺ ليقضى الله امرأ كان مفعولاً فلما خرجا الى مكة لم يلقيا احداً الا وقالوا له ليس لعلّى فى اعناقنا بيعة وانما بايعناه مُكرهين فبلغَ علياً قولهما فقال ابعدَهما الله واغرب دارهما أما والله لقد علمتُ انهما سَيقتلان انفسهما اخبثَ مَقْتَلٍ ويأتيان من وِردا عليه بأشامِ يومِ والله ما العُمرة يريدان ولقد اتيانى بوجهى فاجرين ورجعا بوجهى غادرين ناكثين والله لا يلقىانى بعد اليوم الا فى كَثيبَةٍ خَشْناءٍ يقتلان انفسها فبعدَ لهما وسُحقاً، انتهى.

اقول: وهذا الذى ذكره المورخون أدل دليل على انه ﷺ كان عالماً بعاقبة امرهم ولذلك اردف كلامه ﷺ هذا بقوله واتوسمكم بحلية المغترين فان التوسم من الوسمة وهى العلامة ولذلك سُمى الاسم اسماً لأشتقاقه من الوسمة على احد القولين وهى العلامة.

و اما التوسم منه ﷺ بكونهم من المغترين ففيه وجوه من الاشارة.

احدها: انه روى فى الاثران علياً ﷺ بعد ما بويع له كتب كتاباً الى معاوية ابن ابى سفيان و طلب منه البيعة و الدخول فيما دخل فيه المهاجر و الأنصار فاجابه معاوية بما لا حاجة لنا فى ذكره فعلاً وسيأتى فى موضعه و كتب معه اى مع رجلٍ من بنى عَبَسَ غير ما كتبه الى عليّ ﷺ كتاباً الى الزبير وفيه بعد التسمية ما هذا لفظه لعبدالله الزبير امير المؤمنين من معاوية ابن ابى سفيان سلام عليك - اما بعد فانى قد بايعتُ لك اهل الشام فأجابوا واستوثقوا الحلف فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك لهما ابن ابيطالب فانه لاشيىء بعد هذين المصيرين وقد بايعت لطلحة ابن عبيدالله من بعدك فأظهر الطلب بدم عثمان وأدعوا الناس الى ذلك وليكن منكما الجدو التشمير أظهر كما لله وخذل مناويكما فلما

وصل هذا الكتاب الى زبير سرّبه واعلم به طلحة واقراه اياه فلم يشكافي
النصح لهما من قبل معاوية واجمعا عند ذلك على خلاف علي انتهى.
اقول: ويظهر من ذلك وجه كونهما من المغترين فان معاوية،
قد غرهما بذلك واوقعهما في العذاب.

وثانيها: ان نقول باغترارهما من عند انفسهما فانهما ممن يرى نفسه أهلاً
للخلافة ولأجل ذلك خرّجا عليه عليه السلام.

وثالثها: ان عبدالله ابن الزبير قد غرّأباه وطلحة وعائشة وسيأتي منافي
شرح وقعة الجمل ما يدل عليه وعلى اي التقادير لاشك في كونهما ومن
معهما من المغترين.

ان قلت - كون الزبير وطلحة من المغترين لا يدل على كون من معهما ايضاً
كذلك وكلامه عليه السلام يدل على ان من كان حاضراً عنده بعد فتح البصرة من
المغترين وهذا لا يربط له باغترار الزبير وطلحة وقد قتلا وبعبارة اخرى لو كان
غرضه من المغترين ما ذكرت من الزبير وطلحة لكان ينبغي له ان يقول
واتوسمهما لا اتوسمكم بصيغة الجمع وكاف الخطاب ومن المعلوم ان
المخاطب لا بد من ان يكون حاضراً حقيقتاً او حكماً وحيث ليس فليس.

قلت - اما اولاً فانّ الجمع لا ينافي الاثنان بل الاثنان اقل الجمع كما ثبت في
محلّه.

واما ثانياً: فانهما وان لم يحضرا حين التكلّم والتخاطب حقيقتاً الا انهما كانا
حاضرين حكماً وهو يكفي في التخاطب.

واما ثالثاً: فانّ المخاطبين لهذا الكلام وان كانوا كثيرين حاضرين ناكثين
لبيعته الا انه لاشك في كونهم تابعين لهما مغترين باغترارهما ففي الحقيقة
يرجع الدّم اليهما وان آيبت الاعن توجه الدّم في الخطاب الى الحاضرين و
توبيخهم عليهم السلام اياهم على ما فعلوا من النكث فلامشاحة فيه والمقصود انه عليه السلام
قد علم بذلك يوم البيعة وهو المطلوب وغرضنا من ذكر الزبير وطلحة هو هذا
او الله اعلم.

□ قوله ﷺ: سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ...

شَبَّهَ ﷺ الدِّينَ بِشَيْءٍ مَوْجُودٍ فِي الْخَارِجِ لَهُ جِسْمٌ تَعْلِيمِيٌّ ذُو أبعادٍ ثَلَاثَةٍ مِنَ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ وَالْعُمُقِ وَاتَّبَتَ لَهُ جِلْبَابًا فَإِنَّ الْجِلْبَابَ مِنْ لَوَازِمِ الْجِسْمِ اسْتِعَارَةٌ وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الاسْتِعَارَاتِ ثُمَّ افاد ﷺ أَنَّ الْحَائِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَفْرَادِ الْمُخَاطَبِينَ هُوَ ذَلِكَ الْجِلْبَابُ فَكَانَهُمْ لَمْ يَرَوْهُ حَقَّ الرُّؤْيَى لِوُجُودِ هَذَا السَّتْرِ فِيهِ لَطَائِفٌ.

الاولى: الإِشْعَارُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِمُتَدَيِّنِينَ وَأَقْعًا وَأَنَّمَا كَانُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الظَّاهِرِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَّا قُلٌّ لِمَ تَتُومِنُونَ لَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (١).

وذلك لأنهم لو كانوا مؤمنين واقعاً لما سترهم عنه ﷺ جِلْبَابُ الدِّينِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مَرَاتِ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الرَّائِي وَالْمَرْتِي لَا يَكُونُ سِتْرًا أَبَدًا وَالْأَلَمَا تَحَقَّقَتِ الرُّؤْيَى وَهُوَ خِلَافُ الْفَرْضِ وَمِفَادِ الْحَدِيثِ.

وكذلك ماورد في الآثار من أن المؤمنين اخوة او قوله ﷺ المؤمن اخ المؤمن وامثال ذلك مما يدل على عدم وجود الستر بين المؤمن وأخيه وحيث أثبت ﷺ بينهم ونفسه جِلْبَابُ الدِّينِ فيستكشف منه عدم ايمانهم.

الثانية: ان يكون المراد من هذا الكلام ذنبه ﷺ عنهم بعد الفتح والغلبة بعدم اجهازه على جريحهم وعدم اتباعه ﷺ مُدْبِرِهِمْ وَعَدَمَ تَعَرُّضِهِ لِمَا نَهَى وَسَبَى نِسَائِهِمْ وَامْتِثَالَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا بِمُسْتَحَقِّينَ لَهَا إِلَّا أَنَّ الدِّينَ صَارَ مَا نَعَالَهُ ﷺ عَلَى ارْتِكَابِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَلَوْ لَا دِينَهُ وَتَعَبُّدَهُ ﷺ بِأَحْكَامِهِ لَفَعَلَهُ.

الثالثة: الإشارة إلى أنه بشر و انسان كسائر افراد الانسان الا أنه يمتاز عنهم بصفات وكمالات لم تكن لغيره فهو كان مشاركاً لهم في البشرية ممتازاً عنهم في الأنسانية بتعبده ﷺ لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعَدَمَ تَعَبُّدِهِمْ بِهِ فَلَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَرْقًا إِلَّا بِالذِّينِ فَإِنَّ السَّتْرَ يُسَمَّى بِهِ لِأَنَّهُ يَفْرُقُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ

الرابعة: انه بسبب تديته وتعبده بالاحكام وتقرُّبه الى الله تعالى بسبب عبوديته له كانه كان محجوباً عن أعينهم مستوراً منهم فهم لم يروه ومازاه انما هو صورته البشرية لاحقيقته الملكوتية وبدلك على هذا قوله ﷺ فيه مخاطباً لعمر بن الخطاب لم يعرف علياً الا الله وانا ولم يعرفني الا الله وعلي فهدا الحديث مشعربان حقيقته الملكوتية و صورته الحقيقته كانت مستورة عن أعين الخفافيش لعدم قدرتهم على الاستضاءة بنور الشمس.

الخامسه: ان يكون كلامه هذا اشارة الى انه لولا جلباب الدين الذي اوجب ستره عنهم لكان ﷺ في مرئي ومنظر لهم كسائر الخلفاء الماضين موافقاً لهم في كل ما يفعلون مجيباً لهم فيما يسئلون وفي هذه الصورة لم يكن خلاف بينه وبين الناس ولا نكث لبيعته من الناكثين ولا ظلم من القاسطين ولا خروج عن طاعته من المارقين ضرورة ان الخلاف والتشاجر بينه ﷺ وبين الناس الذي صار منشاء لمخالفته ﷺ لما طلبوا منه واجرائه العدل المطلق بمصداق ﴿ان اكرمكم عند الله اتقنكم﴾ (١).

فلو اجاب ﷺ بكل ما سئلوه واعطاهم كل ما طلبوه منه كما هو سيرة الماضين معهم لم يكن مخالف في البين ففي الحقيقه علة الخلاف وسبب طغيان الناس عليه ﷺ انما هي عدله كما مر من الزبير و طلحة وغيرهما حتى انه ﷺ لو ابقى معاويه على الحكومه لم يخالفه ابداً كما اشار اليه غيره ابن شعبه في معاوية وهذا واضح ولذلك قال ﷺ لولا التقي لكنت ادهى الناس او ادهى العرب. واما قوله ﷺ وبصرتيكم صدق النية....

فكانه جواب عن سنوال مقدر و هو انه يمكن ان يقال له ﷺ لو كان بينك وبينهم جلباب الدين سايراً فلزم ذلك عدم معرفة كل واحد من الطرفين الاخر لوجود الستر بينهما فاذا لم تكن المعرفة محققه من ذلك الطرف قضاء لحكم الساتر فاليكن هذا المعنى ثابتاً لهذا الطرف ايضاً بمقتضى المقابلة فان ستره ﷺ

عَنهم جِلْبَابُ الدِّينِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَسْتَرَهُمْ عَنْهُ وَلا زَمَهُ عَدَمُ مَعْرِفَتِهِ أَيْضاً بِحَالِهِمْ فَكَيْفَ يَصِحُّ مِنْهُ أَلْذَمُ وَاللُّومُ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمَا فِرْعَانُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمَذْمُومِ وَالْمَلُومِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ عِنْدَ مَنْ لَهُ إِذْنَى بِصِيرَةٍ بِالْحَقَائِقِ.

فاجاب عليه السلام بأنه نعيم حُكْمِ الْمُقَابَلَةِ يَقْتَضِي هَذَا إِلا أَنْ مَعْرِفَتِي بِحَالِهِمْ وَبصيرتِي فِي أُمُورِهِمْ لِأَجْلِ صِدْقِ نِيَّتِي وَفِرَاسَتِي وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ عليه السلام اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ. فَالْمُؤْمِنُ بِسَبَبِ رِبْطِهِ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَارْتِبَاظِهِ إِلَى الْمَبْدَأِ يَعْرِفُ الْأَشْيَاءَ بِحَقَائِقِهَا وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ إِذْ مَعْرِفَتُهُ الْأَشْيَاءَ مُسَبَّبٌ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَلَى هَذَا أَنْدَفَعَ الْأَشْكَالَ بِحِذَافِيرِهِ.

□ قَوْلُهُ عليه السلام: أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سُنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ...

لِمَا بَيْنَ عليه السلام وَجَهٍ نِفَاقِهِمْ وَنَكَثِهِمْ لِبَيْعَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِمْ لِمَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ وَأَنَّهُ مَسْتُورٌ عَنْهُمْ بِجِلْبَابِ الدِّينِ قَالَ عليه السلام أَقَمْتُ لَكُمْ إِلَى آخِرِهِ وَحَاصِلُ مَا أَفَادَهُ عليه السلام فِي الْمَقَامِ الْأَشْعَارِيَّانِ الْبَهْجَةِ وَالسَّعَادَةِ أَنَّمَا تَحْصُلُ بِاقتنائِهِمْ أَثَرَهُ كَمَا أَنَّ التَّكْبَةَ وَالشَّقَاوَةَ فِي تَرْكِ الْمُتَابَعَةِ مِنْهُمْ كَيْفَ وَهُوَ كَانَ أَعْلَمَ النَّاسَ بِالْقُرْآنِ وَمَحْكَمَاتِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَمُجْمَلِهِ وَمُبَيَّنِهِ وَعَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ وَمُطْلَقِهِ وَمُقَيَّدِهِ.

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَفِيهِ أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ وَعَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ مَسْتُورٌ مَرخَاةٌ وَعَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ وَلا تَعْرَجُوا فَالصِّرَاطُ هُوَ الْأَسْلَامُ وَالسُّتُورُ حُدُودُ اللَّهِ وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ وَذَلِكَ الدَّاعِي هُوَ الْقُرْآنُ...

فَلَمَّا كَانَ عَلَى عليه السلام هُوَ الْوَاقِفُ عَلَى اسْرَارِ الْكِتَابِ إِذْ هُوَ حَقِيقَتُهُ وَوَلِيُّهُ وَكِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ وَالنَّقْطَةُ تَحْتَ الْبَاءِ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ فِي «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْضِينَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ»^(١) وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَوَامِعِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى اسْرَارِهِ وَ

غوامضه العالم باصول الدين وفروعه فلا جرم كان هو الناطق بالكتاب، والداعى به كما هو حقه الواقف على رأس سبيل الله و المقيم عليه ولما كان سبيل الله وصراط المستقيم فى غاية الوضوح والبيان له بل هما عينه وكان ظاهراً مالها من المقدمات والحدود مستجلباً لمزال الاقدام فيها من الشكوك، والشبهات كان بحسب قوته المدبرة المعنوية لهذا العالم بعد رسول الله ﷺ هو الواقف على تلك الابواب المفتحة التى هى موارد الهلكة و ابواب جهنم وجواد المضله.

وانما عبر ﷺ باقمت ولم يقل قمت فيكم على سنن الحق، للدلالة على طريق الحق باقامة الاحكام على ماهى عليه لا القيام فقط ولذلك ورد فى زياراتهم اشهد انك قد اقممت الصلوة واتيت الزكوة ومن المعلوم ان اقامة الصلوه غير القيام بها.

فشأن الامام اقامة الناس على طريق العدل وهى تستلزم القيام به اولاً بالنسبة اليه ﷺ لان معطى الشىء لا يكون فاقداله فلا احتياج الى ذكره فانه يكون مفروغاً عنه.

وانما قال ﷺ فى جواد المضلة لان اقامة على سنن الحق فى الطريق الواضح من قبيل تحصيل الحاصل وهو مما يعلمه كل احد فان وجوب الصلوة والصوم والحج وحسن العدل وقبح الظلم والكذب والخيانة وامثال ذلك مما لا يخفى على الناس فائى احتياج فى هذه الامور الى الامام بعد النبى ﷺ بعد كونها معلوماً لهم على الفرض وانما الحاجة اليه فى الاحكام المتشابهات والمشكلات التى لاتنال ايدى الناس اليها فقله ﷺ فى جواد المضلة اشارة الى انه ﷺ اقامهم على سنن الحق فى مزال الاقدام لان الحوادث والبدع الواقعة فى الاسلام بعد النبى ﷺ الى زمان خلافته وحكومته مما تغيرت البلاد والمسلمين بها قد اظلمت نور الدين وانمحت آثار سيد المرسلين، ووقعت الناس فى الشبهات والورطات المهلكة بحيث لم يكن لهم ملجاء و ملاذ و

مَخْلَصٌ وَ نَجَاةٌ إِلَّا بَوْلَايَتِهِ ﷺ وَ ارَائَتِهِ الطَّرِيقَ لَهُمْ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى انْقَاذِهِمْ مِنْهَا
الْأَهْوَى وَ بِذَلِكَ قَالَ ﷺ مَا قَالَ.

قَالَ ﷺ: حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَ تَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ. الْيَوْمَ أَنْطِقُ
لَكُمْ الْعَجَمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ...

بعد ما ذكر ﷺ في الجملة السابقة ما كان شأنه ووظيفته من قبل الله تعالى
وغيره و مقصده من الخلافة و هو امامته اياهم على سنن الحق في جواد
المضله عقبه بقوله حيث تلتقون الى آخره.

و مجمل القول فيه ان الناس كانوا بسبب ما وقع من الخلفاء من الحوادث
كانهم صاروا احيارى لم يعلموا ما صنعوا ولم يكن لهم طريق الى الخلاص
منها فبين ﷺ لهم ان الطريق منحصر باتباعه واقتفاء اثره حين التفاتهم الى
ما كانوا فيه من ظلمات الجهل و تحفرون اي تطلبون ماء الحيوه بالبحث
والفحص من اودية القلوب فلا تجدون بهاء الامه كذا قال الشارع البحراني
اقول: وعليه فالرواية (تلتفتون) كما ضبطها في شرحه، واما على اكثر التنخ من
ضبطها (تلتقون) من الالتقاء فلا يرجع ما ذكره الى محصل كما هو ظاهر.

وعليه فالمعنى اني اقيمكم على سنن الحق في مزال الاقدام، حيث تلتقون
اي حيث يلقي بعضكم بعضاً ويتكلم في الأوضاع ولا يدرى ما يفعل لانه
يجد الملقى كالملقى في كونهما لا يعلمان المخلص والمقر اذا دليل
لهما اولهم على ذلك ثم قال و تحفرون اي تطلبون النجاه لكم.

وعلى كلا المعنيين فالمقصود ان المسلمين لا بد لهم من متابعتهم في الدين
والدنيا ان ارادوا خيراً و صلاحاً و إلا فلا كلام له ﷺ معهم بل يقال لهم ذرهم
في خوضهم يلعبون. واما قوله اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان.

شبه ﷺ الامور الجارية الواقعة في ذلك الزمان بالعجماء اذ ليس لها نطق
مقالتي فكنتي عنها بالعجماء و هو الحيوان الذي لا ينطق ولا يتكلم ثم قال عليه
السلام اليوم انطق لكم العجماء فكأنه ﷺ انطق العجماء اذ عبر بلسان مقاله

عنها ما كانت تقتضيه ويشاهده من نظرائها بعين بصيرته وهو كقولهم سل الأرض من شق انهارك واخرج ثمارك فان لم تُجِبك مقالاً اجابتك إعتباراً وقال بعض اخرفى شرح العبارة، العجماء صفةٌ لمحذوفٍ تقديره الكلمات العجماء واراد بها ما ذكر في هذه الخطبة من الرُموز وشبَّهها بالحيوان اذ لا تُنطق لها في الحقيقة ومع ذلك يستفيد الناظر فيها اعظم الفوائد فهي ذات بيان عند اعتبارها، انتهى .

اقول: ما ذكره لابس به فان الاحتمالات في شرح العبارة كثيرة قل كل يعمل على شاكلته. والذي ظهر لي في معنى هذه العبارة وجوه من الاحتمالات نذكر بعضها.

الاولى: ان العجماء بفتح العين وسكون الجيم على وزن فعلاء مؤنث الأعجم، البهيمه و انما سُميت بها من حيث انها لاتبين عن نفسها بالعبارة بانه الناطق، وهي كناية عن الأفراد التي كانوا كالبهائم من حيث قلة فهمهم ودركهم ووجه تشبيهم بالبهائم معلوم فان البهيمه لعدم تعقلها الامور الكلية ليست بقادر على تشخيص خيرها وشرها ومن كان من افراد الانسان بهذه الصفة فهو بهيمه بهذا المعنى واقعاً وان كان بصورة الانسان. ولما ظهر من الناس بعد الرسول ما ظهر من اقبالهم على غير اهل البيت وانحرافهم واعراضهم عن علي عليه السلام بتبعيتهم لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان مع انهم لم يكونوا بمقام الخلافة اليق منه عليه السلام بل الأمر بالعكس فكانهم كانوا بهائمًا لانساناً فقوله عليه السلام: **الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجْمَاءَ** اشارة الى اليوم الذي وقعت الخلافة في محلها وتصدي لها من يكون اهلاً لها وبذلك اخرج لكم من كان الى الان في زمرة البهائم من جهة قلة فهمه الى كونه ذات البيان وعبارة اخرى اخرج الجهال والحمقاء من حالاتهم السابقة الى الفهم، والكمال ليفهموا انهم كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين فعلى هذاتكون العجماء كناية عن جهلهم بالامور في الماضي والمراد بذات البيان علمهم بحقيقه الأمر و انكشاف الواقع لديهم ففي الكلام استعارتان.

الثانية: ان يكون المراد بالعجماء- من كان من المسلمين لا يقدر على التكلّم بما هو صلاح للمسلمين تقيّة منهم وخوفاً فكانهم كانوا عجماء من هذه الجهة فالمعنى انّ من كان عارفاً بالحقايق وما صدر عن النبي في خلافتي ولم يقدر على افشائها تقيّة اليوم يُظهرها لكم حتّى تعرفوا الحق واهله.

الثالثة: حمل العبارة على ظاهرها من دون كناية واستعارة فيها و هو ان يقال اليوم أنطق لكم الموجودات العجماء التي لا تتكلّم من الحيوانات والجمادات والنباتات بقوة الاعجاز و الكرامة حتّى تعلموا الفرق بيني وبين من كان قبلي فإنّ الأمام المنصوب من قبل الله من كان كذلك و من لم يقدر عليه فكيف كان اماماً و من المعلوم انّ حمل الكلام على ظاهره أولى منه على غيره حتّى الأمكان ولا مانع منه.

□ قوله ﷺ: غَرَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي...

اعلم: انّ الشّراح لكلامه ﷺ قد اطبقوا على كون (غرب) بالغين المعجمة و هو على هذا من الغروب و الغيبة يقال غربت الشمس اي غابت و عليه فالمعنى انه غاب رأى امرؤٍ تخلف عنى اي المتخلف عنى فهو مستورٌ عن الحق فكانه ﷺ ذمّ من تخلف عنه و حكم عليه بالسّفه و عدم اصابة الرأى حال تخلفه عنه قاله ابن ميثم البحرانى وقال فى مقام الاستدلال على هذا المعنى ما هذا لفظه.

و ذلك انّ المتخلف لما فكّر فى ايّ الامور أنفع له ان يكون من متابعيه او المتخلفين عنه ثم رأى انّ التّخلف عنه أوفق له كان ذلك أسوء الأراء، وأقبحها فهو فى الحقيقة كمن أقدم على ذلك بغير رأى يحضره أولاً الرأى الحقّ كان غارياً عنه وهو ذمّ فى معرض التّوبيخ للقوم على طريقة قولهم اياك أعنى واسمعى يا جاره، انتهى.

وانا قول، ما ذكره (قده) وان كان حقاً وقد أتعب نفسه (قده) فى استخراج هذا المعنى الا انّ لنافيه كلام و حاصله انّ ما ذهب اليه انما هو متوقف على قراءة غَرَبٌ، بالغين المعجمة.

وفيه - انّ (غرب) بالغين المُعْجَمَة غيبوبة الشَّمْس قال في المنجد غَرَبَ غَرْباً - ذهب فلان عَنَاتُحَى في سَفَرِهِ تَمَادَى - غُرُوباً الرَّجُلُ بَعْدَ النَّجْمِ غَابَ، وقال الرَّاعِبُ في مفرداته غَرَبَ. الغرب غَيْبُوبَةُ الشَّمْسِ. واذ كان الأمر كذلك لا يستقيم المعنى فإنَّ التَّخَلَّفَ عَنْهُ ﷺ وان كان بعيداً عن الصَّوَابِ الا انه لا يقال للمتخلف غَرَبَ رأيه اى غَابَ وَبُعِدَ و على فرض ان يقال فهو بعيدٌ عن الاذهان والبلاغة.

والسرفيه هوان الغيبة لا تكون إلا بعد الحضور في المقام فإن غروب الشَّمْس بعد طلوعها و لو لم يكن الطلوع لهالم يصدق الغروب عليها وحيث انّ الغرب يقال لغبوبة الشَّمْسِ أوْلاً كما ذهب اليه اهل اللغة فلازمه ان يكون الغرب في كلامه ﷺ ايضاً كذلك فمعنى قوله ﷺ على هذا التقدير يصير هكذا. غرب اى غاب رأى امرء بعد كونه حاضراً و قريباً تَخَلَّفَ عَنِّي و لازمه حضور الرأى وقربه قبل غيبته وبعده وليس الأمر كذلك لانه ﷺ لم يكن بصدديان هذا المعنى وان بعض الحاضرين تَخَلَّفَ عَنْهُ بل بصدد بيان اصل الحكم وان المتخلف حكمه كذا سواء وجد أم لم يوجد.

والحق ان كلمة (غرب) في المقام ليست بالغين المعجمة بل بالعين المهملة والزاء المعجمة بمعنى (بعُد) فإن العاذب المتباعد في طلب الكلاء عن اهله وقال في المنجد عَزَبَ - بَعُدَ - وعلى هذا فالمعنى ان المتخلف عَنِّي بعيد عن الحق لبعد رأيه عن رائي فاذا كان رأيه هو الحق فالمتخلف منه بعيد عنه وهذا المعنى موافق لما ذهب اليه اهل اللغة ويؤيده العقل ايضاً فثبت وتحقق ان رواية عزب اولئ من غرب ولكنى لم أر من ذهب الى ما ذهبنا اليه والله اعلم. ويمكن الاستدلال على ما ذكرناه بقوله تعالى حيث قال: ﴿وَمَا يَعَزِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ (١) وقوله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة اى لا يبعُد وتقریب الاستدلال هوان كلامه مقتبس من القرآن فما ذكرناه اولئ.

□ قوله ﷺ: مَا شَكَّكَتْ فِي الْحَقِّ مُذَارِيَّتُهُ...

فَكَانَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ ﷺ تَعْلِيلَ لِقَوْلِهِ عَزَبَ امْرُؤٌ تَخَلَّفَ عَنِّي. وَتَقْرِيرَهُ أَنَّ الْمُتَخَلِّفَ عَنِّي كَيْفَ لَا يَعْزُبُ رَأْيَهُ عَنِّي وَ مَا شَكَّكَتْ فِي الْحَقِّ مُذَارِيَّتَهُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَشْكُ فِي اللَّهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْأَتْبَاعِ أَذْهُوَ الْهَادِي إِلَيْهِ لَا مُحَالَةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١) وَ تَوْضِيحَ الْمَطْلَبِ يَسْتَدْعِي التَّكَلُّمَ فِيهِ أَجْمَا لِفَتْوَى.

قَدْ مَرَّ مَنَامِرًا أَنَّ وَظِيْفَةَ الْأَمَامِ ارشَادَ النَّاسِ إِلَى الطَّرِيقِ، وَهَدَايَتِهِمْ إِلَى مَا فِيهِ صِلَاحِهِمْ بِالنَّظَرِ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَالْأَمَامُ هُوَ الْهَادِي وَ الْمَأْمُومُ مَهْدِيٌّ بِهِ وَهُوَ التَّابِعُ وَذَلِكَ الْمَتَّبِعُ وَ قَدْ تَقَرَّرَ فِي مَحَلِّهِ أَنَّ الْمَعْطَى لِلشَّيْءِ لَا يَكُونُ فَاقِدًا لَهُ فَالْأَمَامُ الَّذِي يَهْدِي النَّاسَ بِهِ لَا يَكُونُ مَهْدِيًّا بغيرِهِ مِنْ أبنَاءِ نَوْعِهِ وَالتَّسْلُسُ أَوْلَمَثْلُهُ وَالا يَدُورُ وَ لِذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي عَصْرِ وَ زَمَانِ أَمَامِينَ إِلَّا وَاحِدًا هُمَا صَامِتٌ فَالْأَمَامُ أَوِ الرِّسُولُ يَكُونُ مَهْدِيًّا بِاللَّهِ تَعَالَى فَقَطْ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْأَمَامَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَامِلًا فِي الْهَدَايَةِ مُقْرَبًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ أَقْرَبَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَيْهِ وَهَذَا الْمَعْنَى تَنَافَى الشُّكِّ فِي اللَّهِ إِذَا الشَّاكُ يَحْتَاجُ إِلَى الْهَادِي وَالْمُرْشِدِ فَكَيْفَ يَرشُدُ بغيرِهِ وَ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى مِنْ كَانَ شَاكًا فِي اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ فَاقِدُ الْإِيمَانِ أَوْ نَاقِصُهُ وَ هُوَ لَا يَصْلِحُ لِأَنْ يَكُونَ هَادِيًّا بغيرِهِ لِانْقِذَاهُ مِنَ الشُّكِّ فَثَبِتَ وَ تَحَقَّقَ أَنَّ الْأَمَامَ لَا يَكُونُ شَاكًا أَبَدًا وَإِلَى هَذَا إِشَارَةُ ﷺ بِقَوْلِهِ مَا شَكَّكَتْ فِي الْحَقِّ. وَ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مُدْعَاةِ أُمُورٍ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّنْقُلِ. أَمَّا الْعَقْلُ فَمِنْ وَجْهِهِ.

أَحَدُهَا: أَنَّ الشَّاكَ فِي اللَّهِ لَا يَخَافُ مِنْهُ لِعَدَمِ يَقِينِهِ بِوَجُودِهِ عَلَى الْفَرَضِ وَ مَنْ لَمْ يَتَيَقَّنْ بِوَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَخَافُ مِنْهُ فَإِنَّ الْخَوْفَ مِنَ الشَّيْءِ فَرَعُ الْعِلْمِ بِوَجُودِهِ عَقْلًا وَهُوَ ﷺ كَانَ مِنْ أَخْوَفِ الْعِبَادِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَكًّا بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

أما المقدمة الأولى: وهي توقف الخوف على العلم واليقين فلا كلام فيه. وأما الثانية وهي كونه ﷺ من أخوف العباد فيدل عليها أمور. الأمر الأول - أنه ثبت وتَحَقَّق بالتواتر لدى الموافق والمخالف أنه ﷺ كان كثير البكاء في الليل والنهار في عباداته وخلواته بحيث قيل في حقه هو البكاء في المحراب ليلاً، فلولم يكن خائفاً منه فلائى شئى كان باكياً بالبكاء يدل على الخوف وهو المطلوب.

الأمر الثاني: أنه ﷺ لم يظلم احداً وترك الظلم يدل على الخوف من الله تعالى والافالانسان بمقتضى جبلته يدفع كل من زاحمه فى جلب منفعته ويتجاوز الى حقوق الناس وشئونهم وهذا هو الظلم وحيث أنه ﷺ لم يكن كذلك فكان خائفاً وهو المطلوب واذ ثبت هذائبت كونه عليه السلام غير شاك فيه وهو المطلوب.

وثانيها: أنه كان أعبد الله بعد النبي ﷺ ومن كان كذلك فهو على يقين من ربه غير شاك فيه وهو المطلوب. أما المقدمة الأولى فلا كلام فيه لاحيد وأما الثانية فلان العبادة فرع المعرفة والمعرفة بالله لا تكون بدون يقين وعلم بوجوده فلا تجماع الشك فأذن كان ﷺ أعرف به من غيره فينتج أنه كان على يقين من ربه وهو المطلوب.

وثالثها: أنه لو كان على شكٍ لكان مثل سائر الأفراد فى جواز الكذب والخيانة وسائر الصفات المذمومة عليه فان الإنسان ما لم يخف الله حق خوفه كثيراً ما يعبد الشيطان وقد ثبت أنه كان مبرأً عنهما متصفاً باضدادها ومن كان كذلك فلا جرم يكون خائفاً منه ولازم الخوف او ملزومه اليقين فثبت المدعى.

ورابعها: أنه كان معصوماً كما تقرّر فى محله ومعنى العصمة هو الاحتراز و الاجتناب عن كل ذنبٍ صغيره وكبيره والشك فى الله لا يلائم هذا المعنى كيف وهو فى حدّ الشرك بالله الذى هو من اعظم الذنوب والمقدمتان واضحتان فالنتيجة ثابتة.

و خامسها: ان الله تعالى شهيد في كتابه بطهارته عن الرجس ظاهراً و باطناً و من جملة الأرجاس الشك بل هو من أعظمها و اذا ثبت كونه مُطَهراً فهو منزّه عن الشك اذ هو ينافي شهادة الحق فيه بعدم الرجس ظاهراً و باطناً فاما ان نقول بكذب الاية نعوذ بالله منه و اما ان نقول بصدقها فيلزم كونه على يقين وهو المطلوب.

ان قلت - مدعاه عليه السلام هو عدم الشك في كل الاوقات و الاية لا تثبت اكثر من طهارته عليه السلام في وقت من الاوقات اذ هي ساكنة عن عدم الشرك مُطلقاً من اول عمره الى آخره.

قلنا هب ان الاية غير مقيدة بوقت من الاوقات و هو دليل على كونها على اطلاقها و قد ثبت ان الاطلاق ثابت ما لم يدل دليل على التقييد، كما ثبت في علم الاصول.

وسادسها: انه عليه السلام كان اول من اسلم من الرجال و كل من كان كذلك فهو غير شاكي في الله و هو المطلوب. اما المقدمة الاولى فهي مما ثبتت بالتواتر و اما الثانية فلانه لو كان شاكياً في الله فكيف اسلم بمجرد دعوة الرسول اياه.

وسابعها: انه ادعى ذلك في محضر المسلمين و لم يرد عليه احد بل صدقوه و هو دليل على صدق مدعاه و غيرها من الدلائل العقلية و فيما ذكرناه كفاية و اما الادلة النقلية فكثيرة جداً نذكر بعضاً منها. اما الايات.

فمنها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»^(١) و المراد بالصادقين في الاية محمد و علي و اهليته الطاهرين و من كان من الصادقين بشهادة الله تعالى له فهو صادق في كل ما قال و من جملته قوله عليه السلام ما شككت في الحق الى آخره فلا جرم كان صادقاً فيه و الا يلزم كذب الاية و هو المطلوب. اما كون المراد من الصادقين ما ذكرناه فقد روى فيه من طريق العامة سبعة احاديث و من طريق الخاصة عشرة و نحن نذكر بعضاً منها.

روى صدر الأئمة اخطب خوارزم ابوالمؤيد موفق ابن احمد من اعيان العلماء عند العامة في كتاب الفضائل باسناده عن ابن عباس في «يا أيها الذين آمنوا» قال هو عليّ ابن ابي طالب عليه السلام انتهى «غاية المرام، صفحة ٢٤٨»...
و عنه ايضا بسند آخر عن ابن عباس في «يا أيها الذين آمنوا» قال هو عليّ ابن طالب «ص ٢٤٨»...

ابراهيم ابن محمد الحموي من اعيان علماء العامة باسناده عن ابي صالح ابن عباس في هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» ^(١) قال مع عليّ ابن ابي طالب انتهى «ص ٢٤٨»...

ابو نعيم احمد ابن عبدالله ابن اسحق ابن موسى ابن مهران الاصفهاني في كتابه باسناده عن ابن عباس في «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» ^(٢) قال محمد و عليّ عليهما السلام انتهى «ص ٢٤٨»...

ابن شهر آشوب من طريق العامة باسناده عن ابن عمر في هذه الآية قال أمر الصحابة ان يخافوا الله ثم قال وكونوا مع الصادقين يعني محمد و اهل بيته انتهى «ص ٢٤٨» واما طريق الخاصة...

محمد ابن الحسن الصغار باسناده عن احمد ابن محمد قال سئلت الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى قال عليه السلام «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله» الصادقون الأئمة الصديقون بطاعتهم، انتهى «ص ٢٤٨»...

ايضا محمد ابن الحسن الصفار في بصائر الدرجات باسناده عن الباقر عليه السلام عن قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا الآية قال عليه السلام ايا ناعني انتهى «ص ٢٤٨»...

الشيخ الطوسي في اماليه باسناده عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا» قال مع عليّ ابن ابي طالب انتهى «ص ٢٤٨»...

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

ومنها- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١)

وجه الاستدلال هو ان الله تعالى قدامنا بالاعتصام بحبل الله، والحبل هو على فوجب الاعتصام به ومن وجب الاعتصام به في الدين و الدنيا فلا بد من ان يكون على يقين من ربه غير شاك فيه و الا يلزم الاغراء بالجهل منه تعالى و هو كما ترى اما انه الحبل الذي امرنا الله بالاعتصام به فنذكر فيه حديثين من العامة وحديثين من الخاصة.

اما العامة:

الاول : صاحب كتاب المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة باسناده عن سعيد بن جبير عن عبد الله ابن عباس قال كنا عند رسول الله اذ جاء اعرابي فقال يا رسول الله سمعتك تقول اعتصموا بحبل الله فما حبل الله الذي نعتصم به فضرب النبي يده في يد علي وقال تمسكوا بهذا فهو الحبل المتين انتهى «غاية المرام، ص ٢٤٣»...

الثاني : ابن شهر آشوب من طريق العامة عن محمد ابن علي العنبري باسناده عن النبي انه سئل اعرابي عن هذه الاية واعتصموا بحبل الله جميعا فاحذر رسول الله بيد علي وقال يا اعرابي هذا حبل الله فاعتصم به الحديث «ص ٢٤٣»...

واما الخاصة:

الاول : محمد ابن ابراهيم النعماني في كتاب الغيبة باسناده عن علي ابن الحسين عليه السلام قال كان رسول الله ذات يوم جالسا ومعه اصحابه في المسجد فقال يطلع عليكم من هذا الباب رجل من اهل الجنة يسئل عما يعينه فطلع رجل طوال يشبه رجال مصر فسلم على رسول الله فجلس فقال يا رسول الله اتى سمعت الله عز وجل يقول فيما انزل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فما هذا الحبل الذي امرنا بالاعتصام به ولان تفرق عنه

فَطَرَقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُلَيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ هَذَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي مِنْ تَمَسَّكَ بِهِ عَصِمَ بِهِ فِي دُنْيَاهُ وَلَمْ يَضَلَّ فِي آخِرَتِهِ الْحَدِيثُ «ص ٢٤٤»...

الثَّانِي العِيَاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ يَزِيدٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَنِ «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا». قَالَ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ أَنْتَهَى «ص ٢٤٤»...

وَالآيَاتُ فِي هَذِهِ الْمَقَامِ كَثِيرَةٌ جَدًّا وَمِنْ شَاءِ الْإِطْلَاعِ عَلَيْهَا فَعَلِيهِ بَغَايَةُ الْمَرَامِ لِلسَّيِّدِ هَاشِمِ الْبَحْرَانِيِّ (قَدَهُ). وَلِنَذْكُرْ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى اثْبَاتِ الْمَوْضُوعِ.

وَمِنْهَا - قَوْلُهُ ﷺ عَلِيُّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثَمَا دَارَ اللَّهُمَّ أَيْرَ الْحَقِّ مَعَهُ حَيْثَمَا دَارَ... أَمَّا الْحَدِيثُ فَقَدْ تَوَاتَرَ بِهِ النُّقْلُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فَلِحَاجَتِهِ لِنَالِي الْأَسْتِدْلَالِ فِي اثْبَاتِهِ...

وَأَمَّا وَجْهُ الْأَسْتِدْلَالِ عَلَى الْمَدْعَى فَهُوَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ شَهِدَ بِكَوْنِ عَلِيٍّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقِّ مَعَهُ وَمَنْ كَانَ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَهُ كَيْفَ يَشْكُ فِيهِ فَإِنَّ الشُّكَّ بَاطِلٌ وَهُوَ نَقِيضُ الْحَقِّ فَلَوْ كَانَ ﷺ شَاكَ لَزِمَ اجْتِمَاعُ النَّقِيضَيْنِ وَهُوَ مُحَالٌ وَإِنْ كَانَ شَاكًا فَقَطْ دُونَ الْحَقِّ لَزِمَ مِنْهُ كَذِبُ النَّبِيِّ ﷺ بِكَوْنِهِ مَعَ الْحَقِّ دَائِمًا وَهُوَ الْمَطْلُوبُ. وَمِنْهَا - قَوْلُهُ ﷺ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَابُهَا وَهُوَ قَدْ ثَبَّتَ بِالتَّوَاتُرِ. وَجْهُ الْأَسْتِدْلَالِ أَنَّهُ مَدِينَةُ عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا رَيْبَ فِي كَوْنِهِ ﷺ عَلِيٍّ يَقِينٍ مِنْ رَبِّهِ مُبْرَأً عَنِ الشُّكِّ فِيهِ وَالْأَمَّا مَا كَانَ رَسُولًا إِلَى الْخَلْقِ وَهُوَ ظَاهِرٌ فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بَابَ عِلْمِهِ أَيْضًا عَلِيٍّ يَقِينٍ مِنْ رَبِّهِ لِأَنَّهُ ﷺ قَدْ أَمَرَ الْخَلْقَ بِالْإِتْيَانِ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَقَالَ وَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ مِنْ بَابِ عَلِيٍّ أَوْ لِأَنَّ تَوَاتُرَ الْبُيُوتِ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَإِذَا كَانَ ﷺ فِي شَكِّ فَكَيْفَ يَأْمُرُ الرَّسُولُ بِالدَّخُولِ مِنْ بَابِهِ وَالْمَفْرُوضِ أَنَّهُ شَاكٌ.

وَمِنْهَا - حَدِيثُ الْمُؤَاخَاتِ وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ فِيهِ أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

و من المعلوم ان اخا الرسول لا يكون على شكٍ.

ومنها - قوله ﷺ في عليّ - عليّ مني مثل رأسي من بدني و قدروي هذا الحديث كثير من العامة و الخاصة.

ومنها - قوله ﷺ عليّ مني كنفسى طاعته طاعتي و معصيته معصيتي وقد رواه ايضا كثير من العامة و الخاصة.

فمن العامة: موفق ابن احمد و الفقيه المغازلي الشفعي وغيرهما و من الخاصة ابن بابويه في الامالي وغيره في غيره.

وجه الاستدلال بهذين الحديثين ظاهر فان علياً ﷺ في الاول كراسه من بدنه و في الثاني كنفسه و كيف يمكن ان يكون رأس الرسول او نفسه شاكاً في الحق.

ومنها - قوله ﷺ لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً وهو ادل دليل على كونه ﷺ على يقين بحيث ما اعتراه شك أبداً.

ومنها - قوله ﷺ - لم أعبد رباً لم أره - و امثال ذلك من الاحاديث.

□ قوله ﷺ: لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ، أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ وَ دَوْلِ الضَّلَالِ...

اشار ﷺ بقوله تعالى في كتابه حيث قال في قصة قوم لوط: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ

لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ...﴾ (١)

و: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ (٢)

و: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ (٣)

فقال ﷺ: لَمْ يُوجِسْ مُّوسَىٰ الخ والمقصود ان موسى لم يخف من فرعون و امثاله و انما خاف من غلبة الجهال و دؤل الضلال اما غلبة الجهال فلان الجهل داءٌ بلا دواء و اما دؤل الضلال فانها تضلون الناس بأظهارهم البدع و المنكرات

و هذان الأمران اعنى جهل الجهال و حكومة اهل الضلال على المؤمن ثقيل جداً. و هو ﷺ و ان قال فى موسى ﷺ قَدْ عَنَى نَفْسَهُ فَكَأَنَّهُ قَالَ فَمَكَأَنَّ مُوسَى لَمْ يُوجِسْ خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ وَدُورِ الضَّلَالِ فَكَذَلِكَ أَنَا لِأَخَافُ إِلَّا مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ وَدُورِ الضَّلَالِ فَيَقَعُ الْبَحْثُ فِي أَصْلِينَ.

الأصل الأول: غلبة الجهال و توضيح هذا الأصل يتم برسم مقدمة يُعرف فيها معنى الجهل فنقول.

اعلم: انه لاشك عند عامة الناس فى ان الجهل من الصفات الذميمة السيئة القبيحة و كفى فى ذمه الآيات الواردة والأخبار الماثورة واطباق العقلاء بل وغيرهم على قبحه وانه لايرضى احدان يُنسب اليه و قبل ذكر الآيات والاثار وكلمات القوم لا بد لنا من تعريف الجهل و بيان ماهيته والمقصود منه فنقول.

اعلم: ان الجهل أمرٌ عَدَمِيٌّ نقيض العلم فانه عدم العلم لا غير و حيث ان العلم نور ظاهرٌ بالذات و مُظهرٌ للغير فالجهل بحكم النقيض ظلمة بالذات وهو على قسمين بسيطٌ و مُركَّب.

اما الجهل البسيط فهو عدم العلم و المُركَّب منه هو عدم العلم ايضا الا انه ربما يتخيل بانه عالم فاذا جهل الشخص أمراً من الأمور مع اعترافه بجهله يسمى بالجهل البسيط و اذا جهل و لم يعترف بجهله فهو جهل مُركَّب و كلاهما مذمومان الا ان الثانى اقبح من الأول و فى مقابله العلم وهو ايضا ينقسم عندنا بالعلم البسيط و المُركَّب فالعلم البسيط هو العلم بشيىء مع عدم العلم بالعلم و المُركَّب منه هو العلم به مع العلم بانه عالم به.

فالعالم هو الذى أنكشَفَ الواقع لَدَيْهِ و الجاهل على خلافه.

اذا عرفت هذا فقولهُ ﷺ: هذا اشارة الى مذمة الجهل و من انتسب اليه فانه لظلمة جهله خفى عليه الأمور و لا يدري ما يقول و ما يفعل فاذا كان العالم بالحقائق محشوراً معه فكأنه وَقَعَ فى بئرٍ مُظْلَمٍ لا مَخْلَصَ له و لا مَفْرَجَ الا بالموت و ذلك لان شرط المُجالسة السَّخِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ بين الأفراد و اى سِنْخِيَّةٍ بين النور و

الظلمة والحياة والموت فهو لا يقدر على تَنْزَلِ مقامه العلمي بان يصير جاهلاً مثله ولا يقدر ايضاً على تَرْقِي الجاهل حتى يُصَيِّرَهُ عالماً وفيه بلاء عظيم.

فهو ﷺ في مقام الشكاية من أبناء زمانه وأنهم في الجهل بحيث لا يميزون الحق عن الباطل والنور عن الظلمة ومع ذلك ليسوا بصدد الفهم والعلم ولا يذعنون بغير فهمهم ودركهم فهولاء لم يفرقوا بينه وبين الخلفاء الماضين وزعموا أنه أحدهم وهو كذلك فأنك تريبهم اذا كان يأمرهم بشيء فلم يأتروا واذانها هم عنه فلم ينتهوا واليه يشير قوله ﷺ في بعض كلماته لا أمر لمن لا يطاع. وانا اقول ما ذكره ﷺ حق وصدق ولذلك ترى الاسلام حث الناس على تحصيل العلم والاجتناب عن الجهل فانه منشاء الرذائل كلها كما ان العلم ينبوع الفضائل والكمالات والاتصاف بالخيرات.

فعلة شريك المشرك ليست الاجهله وخفاء الحق لديه وعلة الكفر واليفاق والعصيان والتمرد لله ورسوله وكذا السبب في الظلم والكذب والقتل والزنا وامثال ذلك انما هو الجهل بحقائق الأمور.

وكلامه ﷺ في ذم الجهال ناظر الى الجهال بالجهل المركب دون البسيط كما هو اكثر وافر فان الجهل البسيط وان كان مذموماً في حد نفسه الا انه من حيث توقف التعلم عليه فغير مذموم اذ ما لم تعتقد النفس جهلها بالمعارف لم تنتهض لتحصيلها واما الثبات عليه فهو من المهلكات العظيمة ويمكن التخلص منه بوجوه.

الاول: ان يتذكر ما يدل على قبحة ونقصه عقلاً وهو ان يعلم الجاهل انه ليس انساناً في الحقيقة واما يطلق عليه الانسان مجازاً اذ فضل الانسان على سائر الحيوانات انما هو ادراك الكلى المعبر عنه بالعلم لمشاركتها معه في سائر الامور من الجسميه والقوى الغصبيه والشهوية والصوت وغير ذلك فلولا علمه بحقائق الاشياء وخواصها لكان حيواناً بالحقيقة ولذا ترى ان من كان في محل محاورات العلماء وكان جاهلاً باقوالهم لم يكن فرق بينه وبين البهائم بالنسبة اليهم.

ثم انه ائى هلاكي اعظم من الخروج عن حدود الانسانية و الدخول فى حد البهيمه.

الثانى : ان يتذكر ماورد فى الشريعة من الذم عليه مثل قوله ﷺ ستة يدخلون فى النار قبل الحساب لسته وعد منهم اهل الرساتيق بالجهالة. الثالث - ان يتذكر ما يدل على فضيلة العلم عقلاً ونقلاً واذا وقف على جميع ذلك فلا محالة يتيقظ من نوم الغفلة. واما الجهل المركب - وهو خلو النفس عن العلم واذعانها بما هو خلاف الواقع مع اعتقاد كونها عالمة بما هو الحق فصاحبه لا يعلم ولا يعلم انه لا يعلم ولذا سُمى مركباً و هو من اشد الرذائل واصعبها وازالته فى غاية الصعوبة كما هو ظاهر من حال بعض الناس وقد اعترف اطباء النفوس بالعجز عن معالجهته كما اعترف اطباء الأبدان بالعجز عن معالجة بعض الأمراض المزمنة ولذا قال عيسى ﷺ انى لا اعجز عن معالجة الأكمه والأبرص و اعجز عن معالجة الأحمق والسرفيه انه مع قصور النفس بهذا الاعتقاد الفاسد لا يتنبه على نقصانها فلا يتحرك للطلب فيبقى فى الضلالة والردي مادام باقيا فى دار الدنيا. ثم المنشأ له ان كان اعوجاج السليقة فأنفع العلاج فيه تحريص صاحبه على تعلم العلوم الرياضيه من الهندسه والحساب فانهما توجيان الاستقامة للذهن باليقينيات فيتنبه على خلل اعتقاد هافيصير جهلاً بسيطاً فينتهض للطلب وان كان خطأ فى الاستدلال فليوازن استدلاله لاستدلالات اهل التحقيق المشهورين باستقامة القريحة ويعرض ادلة المطلوب على القواعد الميزانيه باحتياط تام واستقصاء بليغ حتى يظهر خطاه وان كان وجود مانع من عصبية او تقليد او غير ذلك فليجتهد فى ازالته انتهى ماقاله بعض علماء الاخلاق فى علاج الجهل بمعنييه البسيط والمركب واما الاخبار فى ذم الجاهل فكثيره.

وقد عرف الرسول ﷺ الجهال بما لامزيد عليه فقال ﷺ فى وصف

الجاهل.

وصفة الجاهل ان يظلم من خالطه. ويتعدى على من هو دونه. ويتناول على من هو فوقه. كلامه بغير تدبر ان تكلم اثم. وان سكنت سنها. وان عرضت له فتنة سارع اليها. وان رأى فضيلةً عرض وابطاء عنها لا يخاف ذنوبه القديمة. ولا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب يتوانى عن البر ويبطيء عنه. غير مكترث لمافاته من ذلك اوضيعة فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حرّم العقل.

روى ان عيسى قام خطيباً فى بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل لا تكلموا بأحكام عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ولا تكافئوا ظالماً فيبطل فضلكم...

روى فى البحار عن محمد ابن سليمان عن ابيه قال قلت لابي عبد الله الصادق (عليه السلام) فلان من عبادته وفضله ودينه كذا وكذا فقال (عليه السلام) كيف عقله فقلت لا ادري فقال ان الثواب على قدر العقل ان رجلاً من بنى اسرائيل كان يعبد الله عزوجل فى جزيرة من جزائر البحر خضراء نزهة كثيرة الشجر طاهرة الماء وان ملكاً من الملائكة قرّبته فقال يارب ارنى ثواب عبدك هذا فراه الله عزوجل فاستقله الملك فأوحى الله عزوجل اليه ان اصحبه فاتاه الملك فى صورة انسى فقال له من انت فقال انا رجل عابد بلغنا مكانك وعبادتك بهذا المكان فجنّت لأعبد الله معك فكان معه يومه ذلك فلما أصبح قال له الملك ان مكانك لنزهة قال ليت لربنا بهيمة فلو كان لربنا جمار لرعيناه فى هذا الموضع فان هذا الحشيش يضيع فقال له الملك وما لربك جمار فقال لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش فأوحى الله عزوجل الى الملك انما اُثيبه على قدر عقله انتهى «بحار الانوار، ج ١، ص ٣٠، ط كمپانى»...

وروى عن ابن عباس انه قال اساس الدين بنى على العقل وفرضت الفرائض على العقل وربنا يعرف بالعقل ويتوسل اليه بالعقل والعقل اقرب من ربه من جميع المجتهدين بغير عقل ولينقل ذرة من بر العاقل افضل من

مفتاح السعادة فى شرح نهج البلاغه

جهد الجاهل الف عام، انتهى «ص ٣٢»...

وقال امير المؤمنين عليه السلام لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالآداب ولا ظهير كالمشاورة وقال عليه السلام أغنى الغناء العقل واكبر الفقر الحمق والروايات في ذمّه لا تحصى وتذكر بعض ما قاله الحكماء فيه.

قال ارسطو تعليم الأحمق ابطال العمر. وقال سقراط من لا يعرف الخير من الشرفا الحقوه بالبهايم.

قال ابن سينا - من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الاخرة فعليه بالعمل.

وقال افلاطون - الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقاً لغيره.

وقال بقراط - من صاحب العلماء وفر ومن صاحب السفها حقر من قل عقله كثر هزل له. الآداب مأل واستعماله كمال.

فقوله عليه السلام: اشارة الى غلبة الجهال في كل عصر وزمان على الانبياء والأوصياء وخوفهم منهم فان الانسان الكامل لا يخاف من القتل والضرب، وامثال ذلك في الله فانها اسباب تقربه الى الحق وانما خوفه من غلبة الجهال فان غلبتهم على الحق يوجب اشاعة المنكرات والقبايح واخفاء الحقائق تحت استار العصبية والعناد.

ولعمري لهُوا عظم المصائب عليه في حياته عليه السلام واي بلاء أعظم من كونه في الجامعة التي لم يفرقوا بينه وبين غيره بل قالوا علي ومعاوية كما قال عليه السلام الدهر انزلني حتى يقال علي ومعاوية.

فلولا جهل الجهال وغلبتهم على الحق لما كان عليه السلام مدة مديدة في زاوية بيته والأمور بيد من ليس لها هل.

بل اقول - ومن اسس السقيفة غير الجهال بعد النبي صلى الله عليه وسلم ومن اخرج منها ابكرثم عمرثم عثمان وهلم جراً غير الجهال فان سلمان واباذرو امثالهما كانا بمعزل عنها، وهكذا الامر حتى وصلت التوبة الى معاوية ابن ابي سفيان فصار معارضاً له رقيباً في امر الخلافة وهل كان سبب هذه الحوادث

الاحمقاء الذين لم يعلموا الحرام من البر.

فلولا وجودهم في عالم الأسلام ومعاضدتهم للباطل لما كان من هؤلاء الأرازل والاوباش الذين سمّوهم بأمير المؤمنين عيّن ولا أثر فاذا احاطت بمعاوية مائة الف او ازيد او اقل فكيف لا يعارض علينا والمفروض انه عبد للشيطان لا دين له ولا ايمان وهكذا في كل زمان الى يوم ظهور صاحب الزمان سلام الله عليه.

واما قوله عليه السلام ودول الضلال - فهو ايضا مما ذكرناه فان دول الضلال توجد من اجتماع الجهال وتقويتهم الباطل ولذلك ترى الايات والروايات وردت في ذم اعانة الظلم والظالم باي نحو كانت ولو بالحب له فان من احب شيئا حشره الله معه.

والسرفيه : هو ان الظالم يصير ظالما بمعاونة الناس له وقبولهم امره ونهيته فلولا اجتماعهم واتفاقهم معه لما كان له وجود في الخارج فكما ان الظالم على نفسه يظلم بسبب الآت بدنه من السمع والبصر واليد والرجل وغيرها كذلك الظالم على الغير يظلم بسبب الات خارجية من الأفراد، والمعاونين.

فدول الضلال عبارة عن ائمة الجور وكل مسلط على الناس بالقهر والغلبة بمدد الجهال في كل عصر وزمان ونتيجة وجودهم اظهار البدع والظلم، وكتمان الحق وافشاء الباطل وكل ما يحكم العقل السليم بقبحه كما ابتلانا اعمالنا بهم في هذا الزمان بغلبة الجهال على اهل الحق فصار المعروف منكرا والمُنكر معروفا وما ربك بظلام للعبيد فنقول ربنا انا ظلمنا انفسنا فتب علينا انك انت التواب الرحيم بحق محمد وآله.

□ قوله عليه السلام: أَلْيَوْمَ تَوَافَقْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،...

والمراد باليوم يوم خلافته وحكومته عليه السلام توافقنا واجتمعنا على سبيل الحق والباطل والمراد بسبيل الحق سبيله وبسبيل الباطل طريق غيره فمن تبع سبيله فهو على الحق ومن خالفه فعلى الباطل. وفيه اشعار بان الانسان فاعل مختار

بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ أَمَّا شَاكِرًا وَ أَمَّا
كَفُورًا﴾ (١)

أَمَّا سَبِيلُهُ سَبِيلَ الْحَقِّ فَلَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَسُوقُهُمْ
إِلَى الْخَيْرَاتِ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَسَبِيلُهُ الْحَقُّ وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا جَرَمَ
سَبِيلُهُ بَاطِلٌ مُحَضُّ وَيُدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ.

أَمَّا الْعَقْلُ: فَلَا نَّ الْحَقُّ يُقَالُ لِلْقَوْلِ الْمَطَابِقِ لِلْمُخْبِرِ عَنْهُ إِذَا طَابَقَ الْقَوْلُ، وَيُقَالُ
حَقٌّ لِلْمَوْجُودِ الْحَاصِلِ بِالْفِعْلِ وَيُقَالُ حَقٌّ لِلْمَوْجُودِ الَّذِي لَا سَبِيلَ لِلْبُطْلَانِ إِلَيْهِ.
فَطَرِيقٌ عَلِيٌّ حَقٌّ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ عَنْهُ إِذَا لَشِكَ فِي كَوْنِهِ مَطَابِقًا لِلْوَاقِعِ وَالْوَاقِعُ
مَطَابِقٌ لَهُ - وَحَقٌّ مِنْ حَيْثُ وَجُودِهِ بِالْفِعْلِ - وَحَقٌّ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْبُطْلَانِ
إِلَيْهِ وَإِضَاحٌ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَتَّضَمَّنُ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ وَحَقٌّ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يُخْبِرُ
عَنِ الْحَقِّ.

أَمَّا النَّقْلُ: فَمَنْ الْعَامَّةُ. مَارَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمَوِيُّ مِنْ أَعْيَانِ
عُلَمَاءِ الْعَامَّةِ بِالسَّنَادِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ.

نَحْنُ جَنْبُ اللَّهِ وَنَحْنُ صَفْوَتُهُ وَنَحْنُ خَيْرَتُهُ وَنَحْنُ صَفْوَتُهُ وَنَحْنُ مَسْتَوْدِعُ
مَوَارِيثِ الْأَنْبِيَاءِ وَنَحْنُ أَمْنَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ وَنَحْنُ أَرْكَانُ الْإِيمَانِ
وَنَحْنُ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَنَحْنُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَنَحْنُ بِنَايَفْتَحِ اللَّهِ
وَبِنَايَخْتَمُ وَنَحْنُ أُمَّةُ الْهُدَى وَنَحْنُ مَصَابِيحُ الدُّجَى وَنَحْنُ مَنَارُ الْهُدَى وَنَحْنُ
السَّابِقُونَ وَنَحْنُ الْآخِرُونَ وَنَحْنُ الْعَلَمُ الْمَرْفُوعُ لِلخَلْقِ مَنْ تَمَسَّكَ بِنَانَجِي
وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنَّا غَرِقَ وَنَحْنُ قَادَةُ الْغُرِّ الْمُحْجَلِينَ وَنَحْنُ خَيْرَةُ اللَّهِ الْحَدِيثِ.

وَرَوَى الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِ ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالَ مُسْلِمُ بْنُ حَيَّانٍ
سَمِعْتُ أَبَا بُرَيْدَةَ يَقُولُ صِرَاطُ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَنْتَهَى.

وَفِي تَفْسِيرِ وَكَيْعِ ابْنِ الْجِرَاحِ عَنِ السُّفْيَانِ الثَّوْرِيِّ عَنِ السَّدِيِّ، عَنْ أَسْبَاطِ
وَمُجَاهِدٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالَ قَوْلُوا مَعَاشِرَ

العباد ارشدنا الى حُبِّ مُحَمَّدٍ واهل بيته، انتهى ومن الخاصة.
 على ابن ابراهيم في تفسيره قال حدَّثني ابي عن حمادو عن ابي عبدالله عليه السلام
 في قوله اهدنا الصراطَ المُستقيم قال هو امير المؤمنين ومعرفة والدليل على
 انه امير المؤمنين من قوله وانه في أم الكتاب لدنياً علي حكيم انتهى...
 ابن بابويه باسناده عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام الصراطُ المُستقيم أئمة
 المؤمنين، انتهى...

محمد بن الحسن الصفار باسناده عن ابي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام
 قال سئلته عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «وان هذا صراطي مُستقيماً فاتبعوه»
 قال عليه السلام هو والله علي هو والله الميزان والصراط، انتهى...

محمد بن يعقوب باسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال أوحى الله الى نبيه
 فاستمسك بالذي اوحى اليك انك على صراط مُستقيم انك على ولاية علي،
 وعلي هو الصراط، انتهى. والروايات التي رويناها رواها في «غاية المرام ص
 ٢٤٦» وقد ذكر غيرها ايضاً فراجع.

واما سبيل الباطل فهو سبيل المخالفين له كائناً من كان وذلك، لان طريقهم
 الى جهنم وسائت مصيراً.

اذا عرفت هذا فاعلم انه بعدما قتل عثمان وبايعوا علياً على ما مر ذكره فقد
 سلك الناس على طريقين احدهما طريق علي وثانيهما سيرة الشيخين وسيرة
 عثمان بعد النبي والى هذا يشير قوله عليه السلام اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل.
 فقد روى ان اول خطبة خطبها عليه السلام بعد بيعة الناس.

حمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله انزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر
 فخذوا بالخير ودعوا لشر الفرائض ادوا الى الله تؤذكم الى الجنة ان الله حرم
 حرمات غير مجهولة وفضل حُرمة المسلم على الحُرْم كلها، وشد بالأخلاق
 والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا
 بالحق لا يحل دم امرئ مسلم الا بما يجب باذنه وأمر العامة والخاصة احدكم

الموت فإنَّ النَّاسَ امامكم وانَّما خَلَفكم السَّاعَةُ تَحْدُوكم تَخَفُّوا تَلَحُّوا فانَّما
يَنْتَظِرُ النَّاسَ بِأَحْرَكِم اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ انَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ
الْبُقَاعِ وَالْبَهَائِمِ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ فاذا ارأيتم الخیر فخذوه واذرأيتم الشر
فدعوه، انتهى.

وانت اذا تأملتُ هذه الخطبة التي خَطَبَ بها في أوَّلِ خلافته لدریت أنَّه عليه السلام
لم يُفارق الحقَّ والحقَّ لم يُفارقه إلاَّ انَّ اكثر النَّاسِ في كلِّ زمانٍ الى الباطل اميل
فانَّ الباطل موافق لمشتهياتهم وغرائزهم الحيوانیة كما انَّ اكثر المُسلمين في
صدر الأسلام كانوا كذلك.

قال بعد اتمام البيعة منهم - اما بعد فاني قد كنت كارهاً لهذه الولاية يعلم الله
في سمواته وفوق عرشه على امة محمد صلى الله عليه وآله وآله حتى اجتمعتم على ذلك
فدخلتُ فيه وذلك اني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ايما و ال ولى امرأتي
من بعدى اقيم يوم القيمة على حدِّ الصراطِ و نَشَرَتِ الملائكة صحيفته فان
نجا فبعد له و ان جار انتقض به الصراط انتفاضة تُزيل ما بين مفاصله، حتى
يكون بين كلِّ عضوٍ وعضوٍ من اعضائه مسيرة مائة عام يخرق به الصراط فأول
ما يلقي به النار أنفه وحرَّ وجهه ولكني لما اجتمعتم عليَّ نظرتُ فلم يسعني
ردكم حيث اجتمعتم اقول ما سمعتم واستغفرُ الله لي ولكم الى ان قال. ثمَّ
التفت عليَّ عن يمينه وعن شماله وهو على المنبر وهو يقول.

الا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا لعقار و فجروا
الأنهار و ركبوا الخيول الفارحة واتخذوا لوصائف الروقه فصار ذلك عليهم
عاراً و شيناراً ان لم يغفر لهم الغفار اذا منعوا ما كانوا فيه و صيروا الى حقوقهم
التي يعلمون يقولون صرفنا ابن ابيطالب و ظلمنا حقوقنا و نستعين بالله
و نستغفره و اما من كان له فضل و سابقه منكم فانما أجره فيه على الله فمن
استجاب لله لرؤله و دخل في ديننا او استقبل قبلتنا و اكل ذبيحتنا فقد
استوجب حقوق الأسلام و حدوده.

فانتم ايها الناس عباد الله المسلمون والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية
وليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى وللمتقين عند الله خير الجزاء وفضل
الثواب لم يعجل الله والدنيا للمتقين جزاءً وما عند الله خير للابرار اذا كان غد
فاغدوا وافان عندنا مالا اجتمع فلا يتخلفن أحد كان في عطاء أولم يكن اذا كان
مسلماً حراً أحضروا رحمكم الله فاجتمعوا من الغدو لم يتخلف عنه أحد
فقسم بينهم ثلاثة دنائير لكل أنسان الشريف والوضيع والأحمروا للأسود و لم
يفضل احداً ولم يتخلف عنه احداً هؤلاء الرهط، طلحة والزبير و عبدالله ابن
عمرو سعيد ابن العاص ومروان ابن الحكم وناس معهم.

فسمع عبيد الله ابن ابي رافع وهو كاتب علي ابن ابيطالب عبدالله ابن الزبير
وهو يقول للزبير و طلحة وسعيد ابن العاص لقد التفت الى زيد ابن ثابت فقلت
له اياك أعني واسمعي يا جاره.

فقال له عبيد الله ياسعيد ابن العاص وعبد الله ابن زبير ان الله يقول في كتابه:
﴿وَكَثَرْتُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(١) قال عبيد الله فاخبرت علياً فقال ﷺ لئن سلفت
لاحمليهم على الطريق قاتل الله ابن العاص لقد علم في كلامي اني ازيده
واصحابه بكلامي والله المستعان.

فقد ظهر مما ذكرناه معنى قوله ﷺ اليوم وافقنا على سبيل الحق والباطل،
فان ما ذكره ﷺ في بدو خلافته وانه يقسم بينهم بالسوية تبع الرسول الله ﷺ
ورفضاً لسنة من خالفه بعده وعدم تفضيله احداً على احداً وان لأفضل لأحد
على أحد إلا بالتقوى كل ذلك مما يدلنا على المقصود فكان أمر المسلمين
يدور بين الاخذ بطريق علي ﷺ وهو الحق والأخذ بطريق من كان قبله وهو
الباطل إلا ان الناس في كل زمان عبيد الدنيا والدين لثق على سنتهم كما قال
الله تعالى وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فكثيراً اتخذوا الباطل وتركوا الحق وهذا
أول الخلاف.

وحيث أنه ﷺ كان عالمًا بهذه الأمور قال مخاطبًا لهم قبل بيعتهم آياه دعوني
 والتمسوا غيري فانا مستقبليون امرأه وجوه والوان لا يقوم له القلوب ولا تثبت
 عليه العقول وان الافاق قد اقامت وان الحجة (المحجّه) قد تنكرت واعلموا اني
 ان اجبتكم ركبت بكم ما علم ولم اصغ الى قول القائل، وعتب العاتب وان
 تركتموني فانا كأجدكم ولعلى اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا لكم
 وزيراً خيراً لكم منى اميراً، انتهى ولا شك ان المخاطبون بهذا الخطاب هم
 الطالبون للبيعة بعد قتل عثمان ولما كان الناس نسوا سيرة النبي واعتادوا بما
 عمل فيهم خلفاء الجور من تفضيل الرؤساء و الاشراف لانتظام امورهم
 واكثرهم انما نعموا على عثمان استبداده بالاموال كانوا يطمعون منه ﷺ ان
 يفضلهم ايضاً في العطاء والتشريف ولدانكث طلحة والزبير في اليوم الثاني من
 بيعته ونعموا عليه التسوية وقالوا اسويت بيننا وبين الاعاجم وكذلك عبد الله
 ابن عمرو وسعيد ابن العاص ومروان واضرابهم ولم يقبلوا ما قسم وهو واضح.
 وذلك لان الناس لا يحتاجون الى امام عادل فان العدل ظلم في مذاق من
 لا عدل له ولما كان الناس من صدر الخليفة الى زماننا هذا ظالمين متجاوزين على
 تفاوت مراتبهم ومقاماتهم فان الظلم لا ينحصر نوعه بفرد خاص بل هو مقول
 بالتشكيك وقلما يوجد انسان لا يتصف به فلا جرم يخالفون العدل والعدالة
 عملاً وان وافقوه لساناً فان اللسان غير القلب والقول غير العمل والظاهر غير
 الباطن والسر غير العلن.

فليس كل ما قرأ الانسان بلسانه واعترف به مما اعتقده بقلبه الا ترى ان
 المسلمين في زماننا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا يظهر من اعمالهم
 الرديّة فان المؤمن اذا اعتقد بشيىء لا يخالفه عملاً.
 ومُلخَص الكلام في هذا المقام ان العدل في كل زمان لم يكن موافقاً
 لغرائزهم الحيوانيه و لذلك صار منشاء الاختلاف بين الامام و المأموم، و
 الرسول و الأمة و هكذا.

فلو كان امير المؤمنين في حياته سلك مسلك القوم لم يخالفه أحد، و لم يسبقه بالخلافة أحد و لم يقتله ابن ملجم في المحراب و لم يُسب في المنابر على رؤوس الأشهاد و لم تُنكث بيعته و لم يَقْسط و لم يَمَرِّق آخرون كما لم يُخالفوا ابى بكر و عمر و حتّى معاوية و يزيد و آل مروان و آل عباس و اما عثمان فأتما نَقَموا عليه لأجل المال و تفضيله آل مروان و آل أمية على سائر الناس لالشدة عدله و فرط خوفه من الله و الافعثمان لم يكن شرّاً من معاوية و يزيد و سائر شياطين الأنس و لم يكن هو أظلم منهم فلم يَمَقتلهم الناس كما قتلوا عثمان مع انهم كانوا متجاهرين بالفسق و الفجور و شرب الخمر و قتل الاخيار من عباد الله.

هذا يزيد ابن معاوية قتل ابن بنت رسول الله ﷺ و فلظة كَبَدَه و سبى نسائه بنات الرسول و ساربهن في البلاد و القرى و الأمصار في المملكة الإسلامية و رؤوسهم على القنائة و المسلمون رأوهذه الفظيعة و لم يُنكرو عليه انكاراً يليق به فلم لم يقتلوه كما قتلوا عثمان.

و هذا عبد الملك ابن مروان فعَل بابن الزبير في الحرم ما فعل في مكة المكرمة و هكذا و لاة الأمر بعده و قبله و لم ينكر عليهم أحد و لم يقتلوه و لم يكن هذا السكوت إلا لموافقتهم الناس في كل ما سئلوه من الدنيا فالدنيا قاتل الاخيار و الأبرار و لذلك و ردعن صاحب الشريعة حبّ الدنيا رأس كل خطيئة.

و على اى تقدير فعلى ﷺ لما كان ميزاناً فارقاً بين الحق و الباطل، و لم يكن له المتابعة لأرائهم و آمالهم الفاسدة لدينه و زهده و ورعه و لما فيه من مخالفة الله و رسوله فوقع في خلافته ما وقع من الاختلاف و هذا امر واضح بشهاد التواريخ و الوجد ان من الموافق و المخالف.

قال الشارح البحرانى (قدّه) في شرح هذه العبارة ما هذا الفظه. نبّه ﷺ به على وجوب الثقة بما عنده اى انكم ان سكتتم الى قولى و وثقتم به كنتم أقرب

الى اليقين و الهدى و ابعده عن الضلال و الردى كما ان الواثق بالماء في اداوته
امن من العطش و خوف الهلاك و بعيد عنها بخلاف من لم يثق بذلك و كنى
بالماء عما اشتمل عليه من العلم بكيفية الهداية الى الله فانه الماء الذى لا ظلماء
معه انتهى.

و قال المعتزلى نظير ذلك و قال الشارح الخوئى - الظاهران المراد به ان
من كان على الحق و اليقين على ذلك و اعتمد على ربه و توكل عليه لايبالى
على ما وقع فيه كما ان من ائتمن بما لم يفزعه عطشه، انتهى.

اقول: لاشك في كون العبارة كناية و استعارة و هذا الذى ذكره هو الظاهر
من العبارة و قريب الى الفهم و لاسيما المبتدئين من الناس.
اما نحن فنقول: اعلم ان لكلمة الماء فى لغة العرب اطلاقا.

احدها: المعنى المصطلح المشهور الذى يعرفه الناس و الحيوان بل النبات
ايضا و هو الجسم البارد اللطيف السيل المركب من الاكسيجين و الايد
روجين على ما حقق فى علم العصر خلافاً للقد ماء من الفلاسفة حيث كان
الماء عندهم من البسائط فان البسائط كانت عندهم اربعة - الماء - و الارض -
و الهواء - و النار، قال السبزواري فى المنظومة:

حيوان إنس معدن و نامى مركب ثم و غير ثم
ثم ان المركبات على قسمين تامة و غير تامة فالتامة هو الأربعة المذكورة
اعنى امهاتها هي الأربعة لافرو عاتها.

و اما المركبات الغير التامة كالعلويات و السموات و يقال لها الآثار العلوية
التي حصلت منها الرعد و البرق و الصاعقة و المطرو و امثالها على تفصيل
ذكره فى محله.

و اما اليوم فلاشك فى ان الماء ليس من الأجسام البسيطة بل هو مركب من
اصلين كما ذكرناه و قالوا ان الاكسيجين فيه ازيد من الايد روجين بثمان مرتبة و
بعبارة اخرى ان ثمانية عشر جزء من الماء النقى تحتوى على غرامين من الايد

روجين و ستة عشر غراماً من الأوكسيجين (هكذا الايد روجين مثلاً ٢- و الأوكسيجين ١٦ جمع ١٨).

و الى هذا المعنى اشار تعالى في كتابه حيث قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾.

و هو الذى عدوه الفقهاء من المُطَهَّرَات و قالو فيه أنه طاهرٌ بذاته مطهر لغيره و قسّموه الى المُطَلَّق و المضاف و غيره من التّقاسيم.

و ثانيها: مَنشأء الحَيَاة و الآثار الخارجية الذى يُعبر عنه فى السِنّة الفلاسفة بالوجود ووجه المناسبة طاهرٌ بذاته مُطَهَّرٌ لغيره و هذا بعينه شأن الوجود فإنه على ما عرّفوه ظاهر بذاته و مُظَهَّرٌ لغيره و الى هذا المعنى حَمَل بعض الفلاسفة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ اى ماء الوجود ضرورة ان الماء العنصرى ليس منشأء الحَيَاة الأشياء كلها اذ كثير من الموجودات السِفلية و تمام العلويات لا تحتاج الى الماء فكيف تكون حياتها به و نستكشف منه ان المراد بالماء فى الاية ليس على ظاهرها و فيه بحث ذكرناه فى موضعه و ذلك لأنهم لم يعلموا انّ الآيَة لا تدلّ على انّ حَيَاة كُلّ شَيْءٍ بالماء بل تدلّ على ان الموجودات المُتَنَصِّفة بالحيات من الماء و اما لاحتياجه له فلا و الحَيَاة غير الوجود و ان شئت قلت كُلّ حَيٍّ موجود و ليس كُلّ موجودٍ حياً فتأمل

و ثالثها: العلم فان العلم ايضا قيل فى تعريفه الظاهر باذات و المُظهر للغير كيف لاوبه قامت السموات و الأرض و هو النور تنوّرت الموجودات به و عليه حُمِل ما فى الاية الشريفة حيث قال ﴿عَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ﴾

ضُرورة أنه ليس هناك ماءً بالمعنى العرفى و هو الجسم السِيَال فالمراد به العلم و يدلّ عليه مارواه فى البحار باسناده عن داوود الرقى قال سئلت ابا عبد الله عليه السلام عزّوجلّ. كان عَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ فَقَالَ عليه السلام ما يقولون قلت يقولون ان العرش كان على الماء و الرّب فوقه فقال كذبوا من زعم هذا افقد صيّر الله محمّولاً و وصفه بصفة المخلوق و لزمه ان الشّيء الذى يحمله أقوى منه قلت

بَيَّن لِي جُعِلت فداك فقال ان الله تعالى حَمَلَ عِلْمَهُ و دِينَهُ عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ ان تَكُونَ اَرْضٌ او سَمَاءٌ او جَرٌّ او اِنْسٌ او شَمْسٌ او قَمَرٌ فَلَمَّا ارَادَ ان يُخْلِقَ الْخَلْقَ نَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ مَنْ رَبُّكُمْ فَاوَّلَ مَنْ نَطَقَ رَسُولَ اللَّهِ و امير المؤمنين و الائمة فقالوا انت ربنا فَحَمَلَهُمُ الْعِلْمَ و الدِّينَ ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ هُوَءَ لَاءِ حَمَلَهُ عِلْمِي و دِينِي و امنائِي فِي خَلْقِي، الْخَبِيرُ بِحَارِ الْاَنْوَارِ ج ١٤ ط كمْپانى ص ٢٢-

اقول: هذه الرواية من العويصات و لسنا بصدد شرحها الآن و الغرض من ذكرها ان الاية ليست على ظاهرها كما يُظنُّ فان المراد بالماء على هذا الحديث هو الرُّسُولُ و الائمة كما قال رسول الله في حديث اخر اول ما خلق الله رُوْحِي و في اخر العقل و على اى تقدير فالمراد بالماء هو العقل او الروح و منها روح الكلية النبوية كما تقرّر في محله.

اذا اعرفت هذه فقد علمت ان مراده ﷺ بالماء ليس معناه العرفى كما تَوْهَّمُوهُ بَلْ اَحَدُ الْمَعْنِيَيْنِ الْاٰخَرَيْنِ و هما الوجودا و العلم و الثانى انسب بسياق العبارة.

و عليه فحاصل المعنى انه من وَثِقَ و اطمأن بنور علمه و خَرَجَ مِنَ الْعِلْمِ الْبَسِيطِ الَّذِى هُوَ الْعِلْمُ فَقَطْ و دَخَلَ فِي عِلْمِ الْمُرَكَّبِ الَّذِى هُوَ الْعِلْمُ بِالْعِلْمِ لَمْ يَظْمَأْ اَبْدًا اى لا يحتاج فيما عِلِمِهِ بِالْعِلْمِ الْمُرَكَّبِ اِلَى تَعَلُّمٍ مِنَ الْغَيْرِ و المقصود الاصلى منها هو ان بعض الافراد من الناس او كثيراً منهم يعلمون انه ﷺ امام بالعلم البسيط دون المركب منه و هو لا يَنْفَعُ بَلِ الَّذِى لا يحتاج الى الغير هو الذى بعد علمه بانه امام كان عالماً بعلمه حتى وصل الى مرتبة اليقين فاذا بَلَغَ اِلَى هَذَا فِي الْمَعْرِفَةِ بِهِ ﷺ لا يحتاج الى احدٍ غيره بل هو يكفيه فى الدنيا و الآخرة و اما اذا اعتقد بانه امام كسائر ائمة الجور فلا.

كيف و هو معدن العلم و يَنْبُوعُ الْمُرُوَّةِ و الْفُتُوَّةِ جَامِعٌ لِلْكَمَالَاتِ الظَّاهِرَةِ و الْبَاطِنَةِ و مصداق من رانى فقد رأى الحق فكل ما قاله ﷺ قال الله و كل ما نهى عنه نهى الله عنه طاعته طاعة الله و معصيته معصية الله مظهر الائم الاكمل

لاسمائه و صفاته وَصَّى رسول الله بعد نبيّه، فَمَنْ عَرَفَهُ بهذه الكيفيّة فكيف
يظمأء بعدُ و لنختم البحث بما قاله صاحب ابن عبادَه (ره) في مدحه

حُبُّ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِيطَالِبٍ هُوَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ
أَنْ كَانَ تَفْضِيلِي لَهُ بَدْعَةً فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى السُّنَّةِ
و قال ايضاً:

أَبَا حَسَنِ لَوْ كَانَ حُجُّكَ مُدْخِلِي جَهَنَّمَ كَانَ الْفَوْزُ عِنْدِي جَحِيمُهَا
وَ كَيْفَ يَخَافُ النَّارَ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَسِيمُهَا
و قال ايضاً:

بِحُبِّ عَلِيٍّ تَزُولُ الشُّكُوكُ وَ مِثْلُهَا رَأَيْتُ مُجِيبًا لَهُ
وَ مِثْلُهَا رَأَيْتُ عَدُوًّا لَهُ فَلا تَعْدِلُوهُ عَلِيٌّ فِعْلُهُ
وَ تَزْكُو النَّفُوسُ وَ تَصْفُو الْبِحَارُ فَثَمَّ الذِّكَاءُ وَ ثَمَّ الْفِيخَارُ
فَفِي أَصْلِهِ نَسَبٌ مُسْتَعَارُ فَحَيْطَانُ دَارِ أَبِيهِ قِصَارُ

روى المجلسي (قده) في المجلد الرابع عشر من كتاب بحار الانوار باسناده

عن مجاهد عن ابن عمر قال بينا أنا مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم في
نخيل المدينة و هو يطيب علياً اذا انتهى الى حائط فاطلع عليه عليٌّ فنظر الى
عليٍّ و هو يعمل في الأرض و قد اغبر فقال ما ألوم الناس في ان يكتيوك ابا
ثراب فلقد رأيت علياً تمغر وجهه و تغير لونه و اشتد ذلك عليه فقال النبي ألا
ارضيك يا علي قال نعم يا رسول الله فاخذ بيده و قال انت أخي و وزيرى و
خليفتى في أهلى، تقضى دينى و تبرء ذمتى من أحببك في حياة منى فقد قضى
له بالجنة، و من أحببك في حياة منك بعدى ختم الله له بالأمن و الأيمان، و آمنه
يوم الفرع الاكبر، الحديث.

اللهم آميناً يوم الفرع الأكبر بحق عليٍّ و اولاده ختامه مسك و فى ذلك
فليتنافس المتنافسون.

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ (٥)

□ (لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَاطَبَهُ الْعَبَّاسُ وَ أَبُو سُوَيْبَانَ
ابْنُ حَرْبٍ فِي أَنْ يُبَا يَعَالَهُ بِالْخِلَافَةِ):
أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ،
وَضَعُوا تَيْجَانَ الْمُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَ رَاحَ، هَذَا مَاءٌ
أَجِنُّ، وَلُقْمَةٌ يَعْصُ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِيُغَيِّرَ وَقْتِ إِيْنَاعِهَا كَالزَّرَاعِ
بِغَيْرِ أَرْضِهِ، فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتُ يَقُولُوا: جَزَعُ
مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتِيَا وَالَّتِي وَاللَّهُ لِأَبْنِ أَبِيطَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ
الطُّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ أُنَدَّ مَجْتُ عَلَى مَكُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِأَضْطَرَّتُمْ
اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطُّوِيِّ الْبَعِيدَةِ.

◁ اللُّغَةُ

(شُقُّوا) أَمْرٌ مِنَ الشَّقِّ وَهُوَ الْخَرْمُ الْوَاقِعُ فِي الشَّيْءِ يُقَالُ شَقَّقْتُهُ بِنَصْفَيْنِ.
(أَمْوَاجُ) جَمْعُ مَوْجٍ. (سُفْنٌ) بَضْمُ السَّيْنِ وَالْفَاءُ جَمْعُ سَفِينَةٍ. (عَرَّجُوا) أَمْرٌ مِنَ
التَّعْرِيجِ مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ وَهُوَ التَّرْكُ. (الْمُنَافَرَةُ) مَصْدَرُ بَابِ الْمَفَاعَلَةِ مِنَ النَّفَرَةِ
وَ الْأَنْضِجَارِ. (ضَعُوا) بَفَتْحِ الضَّادِ، أَمْرٌ مِنْ وَضَعَ يَضَعُ. (تَيْجَانُ) جَمْعُ تَاجٍ وَهُوَ
مَائِصَاغُ اللَّيْلُوكِ مِنَ الذَّهَبِ. (نَهَضَ) فَعْلٌ مَاضٍ مِنَ النَّهْوِضِ وَهُوَ الْقِيَامُ
بِالْأَمْرِ، أَيْ قَامَ. (بِجُنَاحٍ) الْجُنَاحُ، الْمَيْلُ وَيَجِيئُ بِمَعْنَى الْأَيْمِ أَيْضًا، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ
يُقَالُ عَلَى مَا بَيْنَ اسْفَلِ الْعَضُدِ إِلَى الْأَيْطِ وَيَدُ الْإِنْسَانِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ الطَّائِرِ.

(أَوَاسِتْسَلِم) الأَسْتِسْلَام، من التَّسْلِيم وَهُوَ الأَنْقِيَاد. (فَأَرَأَح) مِنَ الرَّاحَةِ أَي فَأَرَأَح نَفْسَهُ. (أَجِن) مَاءٌ أَجِنٌ أَي المَتَّعِيْر طَعْمُهُ وَلَوْنُهُ فَهُوَ مِنْ بَابِ قَعَدَ وَضَرَبَ وَاسْمُ الفَاعِلِ مِنْهُ يَجِيئُ عَلَى أَجِنٍ. (يَعُصُّ) مَضَارِعٌ مِنْ غُصَّ وَالفَصَّةُ الشَّجِي فِي الخَلْقِ. (إِيْنَاعَهَا) الأِيْنَاعُ مَصْدَرٌ بِابِ الأَفْعَالِ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ اليْنَاعِ أَي نُضِجَهَا وَإِدْرَاكُ ثَمَرِهَا. (أَنْدِ مَجْتٌ) الأَنْدِمَاجُ هُوَ الدُّخُولُ يُقَالُ أَنْدَمَجَ الشَّيْءُ إِذَا دَخَلَ فِيهِ وَاسْتَجَحَمَ فِيهِ أَي انْطَوَيْتَ. (مَكْنُونٌ) مَسْتُورٌ. (بُحْتُ) مِنْ بَاخَ بِمَعْنَى ظَهَرَ. (الأَرْشِيَّةُ) جَمْعُ رَشَابِ الكَسْرِ وَالمَدِّ وَهُوَ الخَبَلُ. (الظُّوِي) جَمْعُ طَوِيَّةٍ وَهِيَ البِئْرُ أَي البَعِيْدَةُ العَمِيْقَةُ.

◀ المعنى

(أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ) الحَادِثَةُ فِي الأَسْلَامِ (بُسْفُنِ النَّجَاةِ وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ المُنَافَرَةِ)، وَ سَبِيلِ الأَنْضِجَارِ وَ احْتَرَزُوا عَنِ المُنْفَاخِرَةِ بِفَخْرِ أَحَدٍ مِنْكُمْ عَلَى الأَخْرِ، لِأَنَّ الفَلَاحَ وَ السَّعَادَةَ لِرَجُلَيْنِ رَجُلٌ قَامَ بِالحَقِّ مَعَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ وَ رَجُلٌ سَلَكَ سَبِيلَ الطَّاعَةِ وَالأَنْقِيَادِ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى القِيَامِ هَذَا، أَي القِيَامِ كَالْمَاءِ المَتَّعِيْرِ لَوْنُهُ وَ طَعْمُهُ أَوْ كُتْمَةِ شَجِيَّةٍ فِي الحَلْقِ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ (أَكْلُهَا) لِأَكْلِ فَاِنْ مُجْتَنِي الثَّمَرَةَ) وَالأَخِذُ بِهَا قَبْلَ نُضِجِهَا (كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ) حَيْثُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لَهُ الأَخِذُ بِهَا فَأَنَّهُ لَا يَسْتَ لَهُ أَوْ لَيْسَتْ فَائِدَةٌ فِي نُضِجِهَا إِذَا المَفْرُوضُ أَنَّهَا لَمْ تَنْضَجْ بَعْدُ ثُمَّ قَالَ ﷺ:

(فَإِنْ أَقْلُ) أَي فَاِنْ أَقْلُ فِي أَمْرِ الخِلَافَةِ شَيْئاً (يَقُولُوا حَرَصَ) عَلَيَّ عَلَيْهَا وَإِنْ اسْكُتَ يَقُولُوا جَزَعَ عَلَيَّ مِنَ المَوْتِ، هِيَهَاتَ أَي بَعِيدٌ مِنَ الجَزَعِ وَالجِرْصِ مِنْ كَانَ أَنْسَهُ وَعِلَاقَتَهُ بِالمَوْتِ أَكْثَرَ مِنْ عِلَاقَةِ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ ثُمَّ اضْرَبَ ﷺ عَمَّا قَالَ وَ قَالَ بَلْ أَنْدَ مَجْتٌ الخ. أَي أَنَا وَاجِدٌ مِنَ العِلْمِ مَرْتَبَةً وَمَقَاماً لَوْ أَظْهَرَ تَهَالِكُمْ لِأَضْطَرَبْتُمْ مِنَ الوَحْشَةِ وَالدَّهْشَةِ كَاضْطِرَابِ الجِبَالِ فِي سَيْرِهَا المَطْوِيَّةِ البَعِيْدَةِ.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بَسْفُنِ النَّجَاةِ...

اعلم: أنه شَبَّه في المقام الْفِتْنِ الْحَادِثَةِ فِي صَدْرِ الْأِسْلَامِ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِي السَّقِيفَةِ وَبَيْعَتِهِمْ لِأَبِي بَكْرٍ بِالْخِلَافَةِ بِأَمْوَاجِ الْبَحْرِ وَالْأَسْبَابِ وَالْأَلَاتِ الَّتِي بِهَا يُمْكِنُ الْخُرُوجُ مِنَ الْفِتَنِ بِالسَّفَائِنِ فَكَمَا أَنَّ السَّيْرَ فِي الْبَحْرِ الْمُتَلَاظِمَ بِأَمْوَاجِ الْوَاقِعَةِ فِيهِ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ إِلَّا بِالرُّكُوبِ فِي السَّفِينَةِ كَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ الْخُرُوجُ عَنِ الْفِتَنِ الْحَادِثَةِ فِي بَحْرِ الْأِسْلَامِ إِلَّا بِالسُّفُنِ الْعَقْلِيَّةِ وَسَبَبِ إِيْرَادِهِ هَذِهِ الْخُطْبَةَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَرِّخُونَ هُوَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اشْتَغَلَ بِدَفْنِهِ وَغَسَلَهُ وَسَاطَرَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ كَمَا هُوَ حَقُّهُ وَكَانَ مَعَهُ عُدَّةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَالْمَقْدَادِ وَسُلَيْمَانَ فِي أَنْاسٍ مَعَهُمْ بِسَيْرٍ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ الْعَبَّاسُ وَابُوسُفْيَانُ ابْنُ الْحَرْبِ وَنَفَرٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالُوا أَمْدُ دِيْدَكَ بِنَايَعِكَ وَهَذَا هُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قَالَ فِيهِ ابُوسُفْيَانُ إِنَّ شَيْئًا مَلَأَتْهَا خَيْلًا وَرِجَالًا أَيِ مَلَأَتْ الْمَدِينَةَ مِنْهُمْ

وقال ابن الأثير في الكامل قيل لما اجتمع الناس على بيعته أبي بكر أقبل ابوسفيان و هو يقول أتى لأرى عُجاجة لا يطفئها إلا الدَّمُ يَا آلَ عَبْدِ مَنْفٍ فِيمَ ابُوبَكْرٍ مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَيْنَ الْمُسْتَضْعَفَانِ أَيْنَ الْأَذْلَانَ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ مَا بَالَ هَذَا الْأَمْرُ فِي أَقْلِ حَيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ أَمْدُدْ يَدَكَ ابَايَعُكَ فَوَاللَّهِ لَئِنْ شِئْتَ لِأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْهِ خَيْلًا فَأَبَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ فَتَمَثَّلَ بِشَعْرِ الْمَتَلَمَّسِ:

وَلَنْ يُقِيمَ عَلِيٌّ خَسْفَ يَرَادِيهِ إِلَّا الْأَذْلَانَ غَيْرَ الْحَيِّ وَالْوَتْدَ

هَذَا عَلِيٌّ الْخَسْفَ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يَشْجُ فَلَا يَكِي لَهُ أَحَدٌ

فَزَجَرَهُ عَلِيٌّ فَقَالَ لَهُ وَاللَّهِ مَا أَرَادَتْ بِهَذَا إِلَّا الْفِتْنَةَ وَاللَّهُ أَنْكَ طَالَمَا بَغَيْتَ

لِلْأِسْلَامِ شَرًّا لِأَحَاجَةِ لَنَا فِي نَصِيحَتِكَ ثُمَّ انشَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ:

وَقَالَ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي سَبَبِ انْشَادِهِ هَذِهِ الْخُطْبَةَ نَظِيرَ ذَلِكَ وَهَذَا

الْفُظْهُ:

لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاشْتَغَلَ عَلِيُّ بِغَسَلِهِ وَدَفَنَهُ وَبُوعِ ابِوبَكْرٍ خَلِيٍّ
 الزُّبَيْرِ وَابُوسُفْيَانَ وَجَمَاعَةً مِنَ الْمَهَابِرِ بَعْلِيٍّ وَالْعَبَّاسِ لِأَجَالَةِ الرَّأْيِ وَ
 تَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ يَقْتَضِي الْأَسْتِنْهَاضَ وَالتَّهْيِيجَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ (رَض) قَدْ سَمِعْنَا
 قَوْلَكُمْ فَلَا لِقْلَةَ نَسْتَعِينُ بِكُمْ وَلَا لِقْلَةَ نَتْرِكُ أَرَائِكُمْ فَأْمَهْلُونَا نُرَاجِعُ الْفِكْرَ فَإِنْ لَمْ
 يَكُنْ لِنَا مِنْ الْإِثْمِ مَخْرَجٌ يَضُرُّ بِنَا وَبِهِمُ الْحَقُّ صَرِيرًا الْجَدُّ جَدُّو وَنُبَسِّطُ إِلَى
 الْمُجِدِّ أَكْفًا لَا نَقْبُضُهَا أَوْ نَبْلُغُ الْمَدَى وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى فَلَا لِقْلَةَ فِي الْعَدَدِ وَ لَا
 يَوْهِنُ فِي الْأَيْدِ، وَاللَّهُ لَوْ لَا أَنَّ الْأَسْلَامُ قَبِدَ الْفَتَكِ لَتَدَكَّدَتْ جِنَادِلُ صَخْرٍ نَسْمَعُ
 اصْطِكَكَهَا مِنَ الْمَحَلِّ الْعَلِيِّ فَحَمَلَ عَلِيُّ ﷺ حَبَوْتَهُ وَقَالَ الْأَصْبَرُ جِلْمٌ وَالتَّقْوَى
 دِينَ وَالْحُجَّةَ وَالطَّرِيقَ الْأَصْرَاطَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ شَقُّوا نَخَّ أَنْتَهَى...

وَعَلَى أَيِّ التَّفَادِيرِ لَا شَكَّ وَلَا شُبْهَةَ فِي أَنَّهُ ﷺ خَطَبَ بِهَا بَعْدَ مَقَالَةِ أَبِي
 سُفْيَانَ حَيْثُ قَالَ أَمْدُ دِيْدِكِ نَبَايَعُكَ وَفِي مَا ذَكَرَهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَى قَوْلِهِ
 بِسْفُنِ النَّجَاةِ وَجُوهٍ مِنَ الْمَلَا حَةَ فِي الْكَلَامِ لَا بِأَسْ بِالْأَشَارَةِ إِلَيْهَا.
 أَحَدُهَا: أَنَّهُ ﷺ صَدَّرَ كَلَامَهُ فِيهَا بِقَوْلِهِ أَيُّهَا النَّاسُ الْمَفِيدَ لِلتَّنْبِيهِ وَهُوَ اقْتِبَاسٌ
 مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَيْثُ خَاطَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُسْلِمِينَ أَوْ النَّاسَ فِي كَثِيرٍ
 مِنَ الْمَوَارِدِ بِهَذَا الْكَلَامِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ جَدًّا تَبْلُغُ خَمْسِينَ وَمِائَةً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى يَا
 أَيُّهَا النَّبِيُّ وَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ، وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْآيَاتِ الْمَصْدَرَةِ بِكَلِمَةِ يَا أَيُّهَا.

ثُمَّ قَوْلُهُ ﷺ أَيُّهَا النَّاسُ بِدُونِ كَلِمَةِ الْيَاءِ فِي أَوَّلِهَا الَّتِي تَسْتَعْمَلُ لِلْبَعِيدِ لِلدَّلَالَةِ

على أن المُخاطبين بهذا الكلام كانوا حاضرين مُستمعين لكلامه و لذلك لم يُصدر كلامه بالياء.

و اما القرآن فالأمر فيه بالعكس حيث أن الله تعالى نزلهم منزلة البعيد مع انه أقرب إليهم من جبل الوريد و اما عليّ عليه السلام فلم ينزل القريب منزلة البعيد و لم يقل يا ايها الناس كما قال الله في القرآن لدقيقة و هي أن الله تعالى مع المخلوقين لانه خالقهم و بارئهم و مؤجدهم و ربط العلة بالمعلول قطعاً و ليس فيهم كدُخول شيء إذا الدُخول في الشيء ينافي البساطة من جميع الجهات بل يقتضى الجسميّة و لوازمها من الزمان و المكان و كونه في الجهة و امثال ذلك و حيث انه تعالى مُنزّه من هذه النقصات الأمكانيّة فلا يدخل في الممكنات و لذلك لا ترى في القرآن آية من الآيات المُتصدرة بكلمة (ايها) بدون الياء في أولها، ابن التراب و ربّ الأرباب.

و اما عليّ عليه السلام فالأمر له مع الناس بالعكس فانه عليه السلام كان فيهم لكونه في سلك المُمكنات و لم يكن معهم معية العلة و المعلول، اولم يكن معهم لبيئوته عليه السلام عنهم من حيث المعنى فانه انسان كامل ملكوتي و غيره من الأفراد لم يكونوا بهذه المثابة و على اي حال هو لم يكن معهم، و لذلك قال عليه السلام ايها الناس بدون الياء فافهم ذلك و اغتنمه فان هذه الرشيقة لاتجدها في غير هذا الكتاب و الحمد لله على فضله.

ثم عقب قوله هذا بقوله شقوا و فيه ايضاً اشارة الى ما قاله تبارك، و تعالى حيث قال ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾^(١)

و : ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ﴾^(٢)

و : ﴿وَ انشَقَّتْ السَّمَاءُ﴾^(٣)

و : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(٤)

و : «إِقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ» (١)
و : «الابشَقَّ الانفس - بُعِدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ» (٢)

و امثال ذلك من الايات.

و فى قوله ﷺ: أَمْوَاجُ الْفِتَنِ بَسْفُنِ النَّجَاةِ اشارة الى الحديث النبوى المجمع عليه بين الفريقين - مثل اهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجى و من تخلف عنها غرق او هلك.

و المقصود ان النجاة من الهلكة فى الدنيا و الآخرة منحصرٌ بالتمسك بهذه السفينة و الركوب فيها و التخلف عنها يوجب الغرق و الهلاك فكانه ﷺ اشار اليهم بهذا الكلام الى انه لا يصلح لكم الاتباعى فى جميع الموارد فأتى سفينة النجاة فاسمعوا لى و اطيعونى هو اقرب اليكم و فيه ذمٌ و توبيخٌ عليهم منه ﷺ حيث قالوا ما قالوا فى امر البيعة فالبحت فى قوله ﷺ هذا يدور على اصلين: الأصل الاول كونه و اهل بيته سُفُنِ النَّجَاةِ - الثانى ما استفاد منها عقلاً.

اما الأصل الاول - فقد روت الرّاة من العامة و الخاصة ان الرسول صلى الله عليه و ال و سلم قال فى اهل بيته مثل اهل بيتى الحديث.

اما العامة:

فمنها - وما ذكره ابو الحسن الفقيه المغازلى الشّفى فى كتاب المناقب باسناده عن ابن عباس قال سمعت رسول الله، او قال: قال رسول الله مثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجى و من تأخر عنها هلك انتهى «غاية المرام، ص ٢٢٧»...

و منها - ابن المغازلى ايضا باسناده عن سلمة ابن الأكوع عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ مثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجى انتهى «ص ٢٢٧»...

و منها - ابن المغازلى ايضا باسناده عن ابي ذر قال، قال رسول الله صلى

الله عليه و سلّم مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب منها نجى و من تخلف عنها غرق انتهى «ص ٢٣٧»...

ومنها - ابن المغازلي أيضا باسناده عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلّم مثل أهل بيتي الحديث بعينه «ص ٢٣٧»...

ومنها - ابن المغازلي أيضا باسناده عن زر قال، قال رسول الله ﷺ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجى و من تخلف عنها غرق و من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال انتهى «ص ٢٣٧»...

ومنها - ابراهيم ابن محمد الحموي من اعيان علماء العامة باسناده عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول انما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى و من تخلف عنها غرق الحديث «ص ٢٣٧»...

ومنها - ابراهيم ابن محمد الحموي أيضا باسناده عن سعيد ابن جبير عن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ أو قال قال رسول الله ﷺ لعلي ابن ابي طالب أنا مدينة العلم و الحكمة و انت بابها و لن توتى المدينة الا من قبل الباب و ساق الحديث الى ان قال ﷺ فأزمن لزمك و هلك من فارقك مثلك و مثل الأئمة من وليك بعدى مثل سفينة نوح من ركب فيها نجى و من تخلف عنها غرق و مثلكم مثل النجوم كلما غب نجم طلع الى يوم القيمة انتهى «ص ٢٣٧»...

ومنها ما ذكره أيضا باسناده عن ابي زر و هو أخذ بباب الكعبة و هو يقول ايها الناس من عرفني فقد عرفني او فانا من قد عرفتم و من لا يعرفني فانا ابو زر سمعت رسول الله ﷺ يقول انما مثل أهل بيتي منكم كمثل نوح من دخلها نجى و من تخلف عنها هلك انتهى «ص ٢٣٨»...

ومنها - ما ذكره أيضا قال الواحدى روى الحاكم فى صحيحه باسناده عن المفضل مثله ثم قال قال الواحدى أنظر كيف دعا الخلق الى النسب الى ولائهم و السير تحت لوائهم بضرب مثلهم بسفينة نوح و ساق الحديث بما

قاله الواحدى الى أن قال الواحدى فى آخر الحديث كما ضَرَبَ مَثَلَهُمْ سَفِينَةَ نُوْحٍ قَرَنَهُمْ بِكُتَابِ اللَّهِ فَجَعَلَهُمْ ثَانِي الْكُتَابِ وَ شَفَعَ التَّنْزِيلَ اَنْتَهَى «ص ٢٣٨»...
 اقول: قال مؤلف كتاب غاية المرام وهو السيد الجليل البحرانى (قده) انظر الى ما ذكره العامّة و هُوَ عَيْنُ الصَّوَابِ وَ الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ اعْرَاضِهِمْ عَنْ مِثْلِ سَفِينَةِ نُوْحٍ الَّذِيْنَ ذَكَرُوا فِيهِمْ مَا ذَكَرُوا وَ رَكِبُوا هُوَ اِنَّهُمْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ وَ نَاطَقُوا بِهِ وَ لِلَّهِ دَرَالشَّاءِ حَيْثُ قَالَ:
 لِيَللَّهُ دَرَكٌ يَافَتِي لَوَكُنْتَ تَفَعَّلَ مَا تَقُولُ
 و اما الأحاديث الواردة من طرقنا فهي اكثر من ان تحصى و لا حاجة لنا الى ذكرها و لنذكر شطراً منها تُيمناً و تبرّكاً فى هذا الكتاب.

منها - ابن بابويه فى كتاب النصوص على الأئمة الاثنى عشر باسناده عن ابي سعيد الخدرى قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلوة الأولى ثم اقبل بوجهه الكريم علينا فقال معاشر اصحابى انّ مثل اهل بيتى فيكم كمثال سفينه نوح و باب حطّة فى بنى اسرائيل فتمسكوا بأهل بيتى بعدى و الأئمة الرّاشدين من اهل بيتى فانكم لن تضلّوا ابداً فليل يا رسول الله فكّم الأئمة بعدك قال اثنى عشر من اهل بيتى (او قال من عترتى انتهى «ص ٢٣٩»...)

ومنها - ابن بابويه فى هذا الكتاب باسناده عن ابي ذر قال، قال رسول الله ﷺ الأئمة بعدى اثنى عشر و ساق الحديث الى ان قال ألا انّ مَثَلَهُمْ فِيكُمْ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَى وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ الْحَدِيثُ «ص ٢٣٩»...
 ومنها - الشّيخ فى أماليد باسناده عن ابي ذر عن النّبي ﷺ قال انّما مَثَلُ اهل بيتى فيكم كمثال سفينة نوح من دخلها نجى و من تخلف عنها غرق انتهى «ص ٢٤٠»...

و ذكر فيه روايات اخر من العامّة و الخاصّة من شاء الإطلاع عليها فليراجع اليه و غيره من الكتب الموضوعه لها. و لنختتم الكلام فى بحث السفينة بحديث ذكره فى غاية المرام حول هذا المعنى به يُعلّم وجه تشبيه الرسول اهل بيته بسفينة نوح قال (قده) فائدة جليّة، فى انّ نجاة سفينة نوح كان بالنّبي و

امير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين من طريق العامة قال السيد الأجل
ابوالقاسم على ابن موسى ابن جعفر ابن محمد ابن طاووس العلوى الفاطمى
فى كتاب امان اخطار الأسفار قال رويت عن شيخى محمد ابن النجار متقدم
اهل الحديث بالمدرسة المنصورية و كان يجاريني على مقتضى عقيدته فيما
رواه الناس من الأخبار النبوية من كتابه الذى جعله تذيلاً على تاريخ الخطيب
فقال فى ترجمة الحسن ابن احمد المحدثى ابى محمد العلوى ما هذا الفظه:
حدّث عن القاضى ابى محمد الحسن ابن عبد الرحمن ابن خلاد
الرامهرمزي و ابى عبدالله الغالبى و يكون بكر بن احمد ابن محمد روى عنه ابو
عبدالله الحسينى ابن الحسن ابن زيد الحسينى القصبى ابنا القاضى ابوالفتح
احمد ابن محمد ابن البختيار الواسطى قال: كتبت الى ابى جعفر محمد ابن
الحسن ابن محمد الهمداني قال اخبر السيد ابو عبد الله الحسينى ابن الحسن
زيد الحسنى ابن زيد الحسنى القصبى بقرائتى عليه بجرجان قال حدّثنا
الشريف ابو محمد الحسن ابن العلوى المحدثى ببغداد فى شهر رمضان من
سنة خمس و عشرين و اربعة قال: حدّثنى القاضى ابو محمد الحسن ابن عبد
الرحمن ابن خالد و بكر بن احمد ابن مخلد و ابو عبدالله الغالبى قالو: حدّثنا
محمد ابن هارون المنصورى العباسى قال حدّثنا احمد ابن شاكر، قال حدّثنا
يحيى ابن اكثم القاضى قال حدّثنا المأمون عن عطية العوفى عن ثابت ابن
البنانى عن انس ابن مالك، عن النبى ﷺ .

انه ﷺ قال لما اراد الله عز وجل أن يهلك قوم نوح أوحى الله اليه ان شقّ
الواح الساج فلما شقّها لم يدر ما صنع فهبط جبرائيل فأراه هيئة السفينة و معه
تابوت فيه مائة الف مسمار و تسعة و عشرون الف مسمار فسمر المسمار كلها
فى السفينة الى ان بقيت خمسة مسمار فضرب بيده الى مسمار منها فأشرق
فى يده و اضاء كما يضى الكواكب الدرّى فى أفق السماء فتحيّر من ذلك
نوح ﷺ فقال يا جبرائيل ما هذا المسمار الذى ما رأيت مثله قال هذا باسم خير

الأولين و الآخرين فانطق الله ذالك المسمار بلسان طلقٍ ذلقٍ.

فقال : على اسم خير الأنبياء محمد ابن عبد الله فهبط جبرائيل فقال له يا جبرائيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله؟

قال : هذا اسم خير الأولين و الآخرين محمد ابن عبد الله اسمه في أولها على جانب السفينة الايمن ثم ضرب بيده على مسمارٍ ثانٍ فأشرق و انار، فقال نوح وما هذه المسمار؟ قال مسمار اخيه و ابن عمه على ابن ابيطالب، فأسمره على جانب السفينة اليسار في أولها.

ثم ضرب بيده الى مسمار ثالث فزهر و انار فقال له هذا مسمار فاطمة فأسمره الى جانب مسمار ابيه. ثم ضرب بيده الى مسمارٍ رابعٍ ناشرق و انار فقال له هذا مسمار الحسن

ثم ضرب بيده الى مسمار خامس فأشرق و انار فقال يا جبرائيل ما هذه الندوة فقال هذا مسمار الحسين ابن علي السيد الجليل الشهيد سيد الشهداء فأسمره الى جانب مسمار اخيه.

ثم قال النبي ﷺ ثم قال الله تعالى و حملناه على ذات الواح و دسر قال النبي ﷺ الالواح خشب السفينة ونحن الدسر ولولانا ما سارت السفينة باهلها انتهى. غاية المرام، ص ٣٢٨.

اقول: انما ذكرت هذا الحديث بطوله مع سنده من الكتاب لما فيه من الحقائق التي لا تخفى والأسرار التي لا تصل اليها عقول اكثر الناس هذا أولاً وثانياً لما فيه من اتمام الحجّة على الخصم اذ هو مروى من طرقهم فان محمد ابن النجاري الذرى روى هذا الحديث من علماء المذاهب الأربعة و ثقاتم ومن لا يتهم فيما يرويه، والحمد لله رب العالمين.

فثبت و تحقّق ان سُنن النجاة في الدنيا والآخرة منحصرة في اهل البيت و التمسك بهم هو التمسك بالقرآن بعينه فان القرآن و العترة متلا زمان لا يفترقان حتى يردا عليه الصلاة الحوض.

فقوله ﷺ شُقُوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُقْنِ النَّجَاةِ...

غرضه منه الإشارة أن شق أَمْوَاجِ الْفِتَنِ لا يمكن إلا بسُقْنِ النَّجَاةِ اعنى بها اهل البيت اولهم على ﷺ و آخره المهدى المنتظر عج.

كيف وقد وردت الروايات بأن المراد بالآية الشريفه وَاَعْتَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً الْحَبْلُ هُوَ عَلَى وَاَوْلَادُهُ الْمَعْصُومُونَ فَوْحِدَةَ الْكَلِمَةِ بَيْنَ الْفِرْقِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأِسْلَامِيَةِ لَا يُمَكِّنُ تَحَقُّقَهَا إِلَّا فِي ظِلِّ الْمُتَمَسِّكِ بِوَلَايَتِهِمْ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ فَكَانَ فَهْمُهُمْ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْفَهْمِ وَالذَّرَايَةِ أَنَّ هَذَا الْمَسْلُوكَ الَّذِي سَلَكْتُمُوهُ مِنَ الْأَعْرَاضِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالْأَقْبَالِ إِلَى غَيْرِهِمْ هُوَ بَذْرُ النَّفَاقِ وَالتَّشْتِ وَاصِلُ الْأَخْتِلَافِ.

وَأَمَّا الْأَصْلُ الثَّانِي - اعنى ما يستفاد من كلامه عقلاً وشرعاً فهو أمور.

الأول: أن الطريق الذي اتخذه لأنفسهم في السقيفة بتأثيرهم ابى بكر على الناس وان كان خطأ فاحشاً وعملاً باطلاً إلا أنه لا بد للعاقل ان لا يظهر المخالفة للناس فإن في المخالفة الظاهرة تزلزل واضطراب في عقائد العوام ونفع لمخالف الدين ونتيجة هذه المخالفة وهن الدين وغلبة الكفار على المسلمين.
الثاني: أن في ترك المنازعة ضرراً على شخصه ﷺ فان الخلافة كانت حقه على الفرض و المنازعة و الجدل مع اولياء الامور توجب ضرراً على الإسلام و المؤمن العاقل يترك نفعه لأجل ايصال النفع الى الغير فهو ﷺ سكت عن الأمر بعد ما وقع ما وقع حتى لا يوجد خلاف و قتل و هتك من هذه الجهة بين المسلمين.

الثالث: أنه ﷺ خطب في جواب ابى سفيان المنافق الفاسق و غيره ممن يحذو حذوه و هو يدل على أن المؤمن لا بد له من ان لا يعتنى بما قال له الفاسق فإنه يورث الندم قال الله تعالى إن جانكُم فاسقٌ نبأ فتبينوا ان تُصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، و هذا نعم الموعظة لمن تدبر فيها ثم عمل بها في جميع شئونه.

الزابع: الإشارة الى ان قول ابى سفيان (امدُّ تدك حتى تُبايعك) كلامٌ مُهمَل لا معنى له إلا قصد الفساد بين المسلمين و ذلك لأنَّ امر علي لم يكن خالياً من وجهين اما ان كان إماماً بنص من الله و رسوله كما نقول به فلا معنى لقول ابى سفيان بالبيعة له فإنه من قبيل تحصيل الحاصل.

و اما ان لم يكن كما يقولون و عليه ايضا كلامه حشو لأن امير المؤمنين لو لم يكن اماماً منصوباً كما هو المفروض فلا جرم كانت الامامة بتعيين من الناس و هم عيّنوه على الفرض ولا رأى لابي سفيان فى قبال المهاجر و الأنصار فقوله هذا لم يكن إلا بقصد الفتنة و الفساد و لذا اجابه عليه السلام بما اجاب به.

□ قوله عليه السلام: وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافِرَةِ، وَضَعُوا تَيْجَانَ الْمُفَاخِرَةِ...

اشار عليه السلام بهذا الكلام الى اصلين هما سببان لهلاك الامّة بل الناس كلهم: احدهما: المنافرة. و الثانى المفاخرة، و كلاهما مذمومان فى الإسلام و محكومان بحكم العقل.

اما طريق المنافرة و السلوك اليها فهو عبارة عن المُحاكمة فى المفاخرة بان يقال انا اعلى نسباً منه أو انا اعلم أو انا ازهد و امثال ذلك من الأفتخارات بقبيلته و اقاربه و مقامه و احبائه و اولاده و ماله فان هذه الأمور المهلكة من رسوم عهد الجاهلية كما اشير اليه بقوله تعالى حيث قال: ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾^(١) فى الايات.

و اما المُفاخرة فهي ايضا مذمومة و لا فرق بينهما فى الأصل فكأن الجملة الثانية توضيح للأولى لانه عليه السلام حيث قال عَرَّجُوا اى اعدلوا و اتركوا المنافرة و هى المُحاكمة فى المفاخرة فلقاتل ان يقول كيف نتركها فقال عليه السلام فى جوابه بِتَرَكِكُمْ تَيْجَانَ الْمَفَاخِرَةِ عَنْ رُؤْسِكُمْ و على هذا المعنى حملوا كلامه عليه السلام فى المقام. و يمكن الفرق بين الجمليتين بوجهين:

الوجه الاول: ان نقول بالتغائر الاعتبارى بينهما بمعنى ان المُفاخرة اعنى

التفاخر بين الأفراد ان وَصَلت الى حَدِّ المُحَاكِمَة و الأظهار بما في البُطُون و الكُمون فهي المُسَمَّاة بالمُنافرة و ان لَمْ تُصَل الى هذا الحَدِّ فَتَسْمَى بالمفاخرة. فالمُنافرة هي المُفاخرة مع قيد الأظهار بها و المفاخرة بدون القيد فأحداهما مُطلَقَةٌ والآخري مُقَيَّدَةٌ و معلوم ان الفرق بين المُطلق و المُقَيَّد اعتباري.

الوجه الثاني: القول بالتغاثر الذاتي بينهما وكون المنافرة مُشتقاً من النفرة و الأفضجار فعلى هذا يصير معنى العبارة أتركوا و اعد ليوعن طريق الانضجار و التنفُّر بينكم فانه ينا في الأخوة المرغبة اليها في الإسلام و اجتنبوا عن المفاخرة بان يفخر بعضكم بعضاً، فالاول - نهى عن التنفُّر و الثاني عن الفخرو لاربط بينهما فضلاً عن الملازمة.

وعلى اى التقادير فكلامه ﷺ مُشعر بل صريح في الذم عن هاتين الصفتين و السلوك في هذين الطريقتين فانهما من رُسوم الجَها ل و الأوباش و كل من لا شخِصِيَّة له كما يُرشدنا الى هذا المعنى ما كان مُتداولاً بين الاعراب في الجاهلية حتى وصلت التوبة في باب المفاخرة الى تعديد القبور و الاموات بالنظر الى كثرة القبيلة و قلتها من حيث الأفراد و لما سَطَعَ نور الاسلام، و ظَهَرَت شمسُ عالم الحَقِيقَة من وراء الغيم فأمحيت هذه الأوهام الباطلة بحيث لم يبق منها عين و لا اثر الأعداء الأشقياء و الفُجَّار الذينهم عن الحق ناكبُونَ و عن طريق الرِّشاد مُعرضون ليست لهم شخِصِيَّة عِلْمِيَّة و لاعْمَلِيَّة الا الانتساب بالأموات و الأموال و سائر الزخارف الدنيوية الباطلة بذواتها و هيئاتها و منشاء هذه الأوصاف الرذيلة هو التكبر الذي هو من اقبح الصفات و احببها، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا﴾^(١)

وإنما عَبَّرَ ﷺ في كلامه بالمنافرة و المفاخرة دون الكبر لأن الافتخار من بعض اصناف التكبر و هو أعم منه و لذلك قيل في تعريف الافتخار هو العباهة

باللسان بما توهمه كمالاً والغالب فيها كونه بالأمر الخارجة عن ذاته فكل ماورد في ذم التكبر يدل على ذمه ايضاً والأسباب الباعثة عليه هي الأسباب الباعثة عليه وهوناش من محض الجهل والسفاهة.

قال سيد الساجدين عليه السلام: عَجِبَ لِلْمُتَكَبِّرِ الْفَخُورِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً ثُمَّ هُوَ غَدًا جِيْفَةٌ...

وقال الباقر عليه السلام: عَجِبَا لِلْمُخْتَالِ الْفَخُورِ وَانَّمَا خَلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ يَعُودُ جِيْفَةً وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ بِهِ...

وقال عليه السلام: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَنْبَرِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَفَاخُرَهَا بِأَبَائِهَا، أَلَا إِنَّكُمْ مِنْ آدَمَ وَآدَمَ مِنْ طِينٍ، أَلَا إِنَّ خَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ عَبْدًا اتَّقَاهُ.

وقال عقبُ ابنِ بشرِ السَّدي أَنَا فِي الْحَسَبِ الضَّخْمِ عَزِيزٌ فِي قَوْمِي فَقَالَ عليه السلام: لَهُ تَمَنُّ عَلَيْنَا بِحَسَبِ أَبِيكَ (بِحَسَبِكَ) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ بِالْإِيمَانِ مَنْ كَانَ النَّاسُ يُسَمُّونَهُ وَضِعًا إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا وَوَضَعَ بِالْكَفْرِ مَنْ كَانَ النَّاسُ يُسَمُّونَهُ شَرِيفًا إِذَا كَانَ كَافِرًا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ.

وقال الصادق عليه السلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آفَةُ الْحَسَبِ الْإِفْتِخَارُ وَالْعُجْبُ...

وقال عليه السلام: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فُلَانُ ابْنِ فُلَانٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِيَّاكَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ...

ونقل أن قريشاً تفاخروا عند سلمان فقال: لكني خلقت من نطفة قدرة ثم أعود جيفةً منتنٌ ثم إلى الميزان فإن ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم.

والآيات والاحبار الواردة في ذمه كثيرة وتفصيلها موكول الى محله انشاء الله تعالى.

□ قوله عليه السلام: أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوْ اسْتَسْلَمَ فَأَ رَاحَ...

اثبت عليه السلام الفلاح وهو السعادة في الدارين لرجلين.

احدهما: من كان قائماً بالحق امراً بالمعروف وناهياً عن المنكر دافعاً لظلم

الظالم على المظلوم قامعاً لآثار الشرك والتفاق مجرياً لأحكام الله تعالى واعلاء كلمة التوحيدها دياً لعباده الى ما امر به الله ومن المعلوم ان من كان كذلك فلا بد له من معين و ناصر اذا لا يمكن القيام بهذه الامور منفردا.

وثانيهما: من لا يكون له معين يُعينه على اجراء الحق والعدل فلا مُحالة لا يمكن له الاقامة بالامور فهو يسلك مسلك الانقياد والطاعة بحسب الظاهر ما لم يضر دينه.

والتهوض بالجنح استعارة وكناية عما ذكرناه والا فليس للانسان جناح حقيقة فهو كناية عن الناصر والمعين ووجه الشبه هو انه كما ان الطائر لا يمكن له الطيران الا بالجنح فمالم يكن له جناح لم يقدر على الطيران فكذلك الانسان لا يقدر على اجراء مقاصد العلية في الاجتماع الا بمعاونة معاونين وفيه ايماء الى انه ﷺ استسلم حيث لم يكن له جناح، و معين حتى يقوم بالامر فمفهوم العبارة يدل على انه لو كان له ﷺ أعوان وأنصار لم يستسلم للخلفاء فاستسلامه لهم لم يكن باختيار منه بل لأعراض القوم عن العترة والكتاب فلا يتوجه عليه الذم ﷺ بقعوده في بيته وتسليمه لهم بحسب الظاهر وقد مر الكلام فيه في الخطبة الشفقيّة في علة عدم قيامه بالامر فلانعيده خوفاً من الأطالة.

وانما قال ﷺ نهض ولم يقل قام بجنح مع كونهما متقارب المعنى للأشارة الى دقيقة وهي ان التهوض وان كان بمعنى القيام من جهة المعنى الا انه بينهما فرق بالأعتبار وبحسب موارد الاستعمال فان التهوض يستعمل في مورد القيام على الأعداء وليس القيام كذلك قال في المنجد نهض نهضاً ونهوضاً قام عن مكانه ارتفع عنه الى عدوه اسرع اليه وحيث انه ﷺ لو كان له أعوان وأنصار لم يكن له بدمن القيام على عدوه فعبر عنه بقوله نهض دون قام.

والحاصل ان الانسان اذا لم يكن له معين وناصر لا يكون موظفاً بالقيام في مقابل الباطل فانه من قبيل لقاء النفس في التهلكة قال الله تعالى ولا تُلْقُوا بايديكم الى التهلكة.

□ قوله ﷺ: هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَتُقَمَّةٌ يَغْصُ بِهَا آكِلُهَا...

كلمة هذا اشارة الى القيام بالأمر الذى دعاه ابوسفيان وغيره اليه و المقصود من الماء المشار اليه بهذا هو القيام شَبَّهَهَا ﷺ بالماء الآجن المتغير طعمه ولونه وريحه للأشارة الى ان الأمر ليس كما زعموه وفيه مالا يخفى من محاسن الوجوه.

الأول: ان الماء الذى تَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَلَوْنُهُ وَرِيحُهُ لا يَصْلِحُ لِلشُّرْبِ وَذَلِكَ لِأَن شُرْبَهُ مُضِرٌّ لِلبَدَنِ فَكَذَلِكَ الْقِيَامُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يَقُولُ ابْنُ سَفِيَانَ وَامثاله فَإِنَّ الْمَوْافَقَةَ لَهُمْ وَالْأَسْتِمَاعَ بِمَا يَقُولُونَ وَتَرْتِيبَ الْأَثْرِ عَلَيْهِ بِالنَّهْوِضِ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ لَنَا وَلَكُمْ لِنَفَاقِهِمْ وَكَيْدِهِمْ وَعَدَمَ الْأَعْتِمَادِ بِقَوْلِهِمْ وَوَعْدِهِمْ فَهَمْ لَيْسُوا إِلَّا كَمَا الْمَاءِ الْآجِنِ الَّذِي لَا يَفِيدُ شُرْبَهُ.

الثانى: ان الماء الآجن من حيث ماهيته لا اشكال فيه فإنه من اعظم النعم الالهيه على عباده ومخلوقاته الا انه صار غير قابل للشرب والانتفاع بالعرض وهو ملاقاته النجاسة مثلاً. فذالك القيام لهذا الأمر لا اشكال فيه من حيث ذاته لأنه يوجب احياء الحق واماته الباطل واعلاء كلمة التوحيد الا انه صار مذموماً مدحوراً بملاقاته للنجاسة المتغيرة لطعمه وريحه ولونه، و هى ابوسفيان وامثاله من المنافقين فى صدر الاسلام فان القيام بمعاونة هذه الأفراد الكثيفة الرديية كشرب ماء الممتن يضر ولا ينفع.

الثالث: ان ما ذكره اشارة الى ميله وعلاقته بالقيام بالأمر لولا المانع كما ان العطشان له علاقة بشرب الماء لولا نته وقذارته و ذالك كما قال الشاعر
اذا وقع الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه

الرابع: ان الفقهاء قالوا لو تغير الماء بأحد أوصافه الثلاثة المذكورة فهو لا يزيل الحدث والخبث كما لا يجوز شربه اذا كان تغير الأوصاف فيه مستنداً الى ملاقاته للنجس واما اذا لم يكن كذالك كما اذا تغير طعمه او لونه او ريحه بسبب آخر كنور الشمس وغيرها فلا اشكال فى استعماله شرعاً اذ هو طاهر ومطهر.

فتمثله ﷺ بالماء الأجن للدلالة على أن الحكومة الاسلاميه، قد تغيّرت بسبب ملاقاتها لأغراض المُغرضين وحسد الحاسدين من المنافقين والقيام لفائدة فيه فإن الحكومة مع هؤلاء المنافقين لا تُسمِن ولا تُغنى فإن ماء الحكومة والقيام بها والحال هذه ليس بمُزبلٍ للحدّث والخَبث اى لا يصلح امور الناس ولا يمكن اجراء الاحكام الالهية له لِقلة المؤمنين وكثرة المنافقين.

□ قوله ﷺ ولُقْمَةُ يَغْصُ بِهَا آكِلُهَا...

فهو استعارة اخرى شَبّه القيام فى مقابل الخلفاء بلُقْمَةٍ يَغْصُ بِهَا آكِلُهَا، وهو كناية عن عدم صلاحية القيام وفيه ايضاً وجوه:

الاول: ان اللُقْمَةَ التى بقيت فى الحلق ولا يمكن للآكل اكلها ولا اخراجها تُهدّد حياة الانسان فكذلك القيام مع هذه المنافقين حيث انه لا وثوق ولا اطمينان بقولهم ووعدهم فلا يبعد منهم المكر والخدعة وقعودهم عن القتال حين المقاتلة ورفضهم وتركهم لما وعدوا به قبل فَمَنْ اقدم على القيام اى شىء يصنع اذا وقع فى المهلكة فان رجع قتل وان لا يرجع ايضاً قتل فلا يمكن له الأقبال ولا يمكن له الأدبار فهذا العمل يُهدّد الانسان بالموت الذى لاخير فيه فى الفرض المذكور.

الثانى: ان كُلَّ آكِلٍ لا بد له حين الاكل من الرعاية والتوجه الى اللُقْمَةَ التى يَضَعُ فى فمه حتى لا يَغْصُ بِهَا، فكذلك الأمر فى كل امرٍ يُقَدَّمُ عليه فلا بد له من الرعاية لجانب المصلحة والمفسدة حتى لا يقع فى الخطر من حيث لا يحتسب و اِنّى نظرت الى هذ الأمر الذى دعوتهمونى اليه فرأيتهُ كَلُقْمَةٍ يَغْصُ بِهَا آكِلُهَا فلا أقدم عليه فان ترك الأكل لهذه اللُقْمَةَ أولى وانسب من الأكل الذى يوجب الهَمَّ والحزن والوَحْشَةَ والدَهْشَةَ فان هذا بعيد من العقلاء.

الثالث: ان العاقل لا يصدر عنه فعل الآ وهو مسبوق بالفكر والتأمل حوله فالأقدام على الفعل بدون التوجه الى المصالح والمفاسد الموجودة فيه يوجب الحيرة والأضطراب كَلُقْمَةٍ يَغْصُ بِهَا آكِلُهَا، حيث انها من جهة عدم المُراعاة

قبل الأكل او جَبَت الاضطراب.

□ قوله عليه السلام: وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتِ إِيْنَاعِهَا كَالزَّرَاعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ...

وهى استعارة أخرى شَبَّه عليه السلام القيام الذى دَعَوْه اليه الى مُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتِ إِيْنَاعِهَا الخ.

وحاصل ما افاده عليه السلام هوانُ الشَّجَرَةِ المُثْمَرَةِ لا يَصِحُّ لِصاحِبِهِ اجْتِنَاءُ ثَمَرَتِهَا قَبْلَ الوَقْتِ اى قَبْلَ نُضْجِهَا فإِنْ فَعَلَ ذَالِكَ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ عَقْلِهِ او قُصُورِهِ ثُمَّ شَبَّه عليه السلام مَنْ كَانَ كَذَالِكِ بِمَنْ زَرَعَ فِي غَيْرِ اَرْضِهِ وَوَجَّهَ الشَّبَّهَ فِيهِ عَدَمُ الأَنْتِقَاعِ فِي كِلَيْهِمَا كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّارِحُ المَحَقِّقُ البَحْرَانِيُّ وَ الشَّارِحُ المُعْتَزَلِيُّ وَتَبَعَهُمَا عَلَى هَذَا المَعْنَى الشَّارِحُ الخَوْثِيُّ فِي شَرْحِهِ المَسْمُومِي بِمَنْهَاجِ البِرَاعَةِ. وانا اقول: ما ذهبوا اليه لا يستقيم وذلك لأن كلامه عليه السلام مُشْتَمَلٌ عَلَى المُشَبَّهِ وَالمُشَبَّهَ بِهِ واداة التَّشْبِيهِ وَوَجَّهَ الشَّبَّهَ إِلاَّ أَنَّ الثَّلَاثَةَ مَعْلُومَةٌ لَنَا، وَالأخِيرُ اى وَجَّهَ الشَّبَّهَ مَجْهُولٌ وَمَا دَرَى كَيْفَ قَالُوا بِمَا لَمْ يَفْهَمُوا وَلمَ يَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَلا سِيَّما الشَّارِحُ البَحْرَانِيُّ عليه السلام (قَدَّه) حَيْثُ أَنَّهُ (قَدَّه) فِي مَرَاتِبِ العِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ لا يُقَاسُ بِغَيْرِهِ مِنَ الشَّرَاحِ.

وَجَّهَ الخَطَأَ هِوَانٌ فِي التَّشْبِيهِ لِأَبْدٍ مِنْ مُرَاعَاةِ أُمُورٍ اربعة بِحَيْثُ أَنَّ الإِهْمَالَ بِهَا اوبأ حدها يوجب عدم تحقق التشبيه رأساً، مثلاً اذا قلنا زيد كالاسد ففيه امور اربعة:

الاول: المُشَبَّهَ وَهُوَ زَيْدٌ.

الثانى: المُشَبَّهَ بِهِ وَهُوَ الأَسَدُ.

الثالث: اداه التَّشْبِيهِ وَهِيَ الكَافُ.

الرابع: وَجَّهَ الشَّبَّهَ وَهُوَ الشَّجَاعَةُ وَهَذَا مَعْلُومٌ لِأَكْلامِ فِيهِ بِاطِّبَاقِ البَيَانِيَّيْنِ وَاتَّفَاقِهِمْ عَلَيْهِ.

ففيما نحن فيه: المُشَبَّهَ مَعْلُومٌ وَهُوَ مُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتِ إِيْنَاعِهَا وَالمُشَبَّهَ بِهِ اَيْضاً مَعْلُومٌ، وَهُوَ الزَّرَاعُ بِغَيْرِ اَرْضِهِ.

واداة التّشبيه ايضاً موجودة، وهى الكاف.

وامّا وجه الشّبه فغير معلوم وماذهبوا اليه من أنّه عبارة عن عدم الانتفاع اذ هو مشترك بينهما فكما أنّ مُجتنى الثّمرة قبل الوقت لا يتفّع بها فكذلك الزّارع بغير ارضه حيث أنّ الأرض اذا لم تكن له فلا يتفّع فى ذرعه فيها وهذا هو وجه الشّبه بينهما لا يرجع الى محصل.

وذلك لأنّ اجتناء الثّمرة قبل الوقت لا يشبه الزّرع فى غير ارضه فأنّ الاجتناء قبله لا يتفّع والزّرع فى غير ارضه لا يجوز فالاول من قبيل المباح، والثانى من الحرام وآية شباهة بين الاجتناء والزّرع ومُجرد عدم النّفع فيهما لا يكفى فى وجه الشّبه فانه لا يختصّ بهما بل يجرى فى جميع الموارد ولازمه جواز التّشبيه مع أنّه لا يجوز فأنّ الانسان والحيوان وهو والنبات وهو والنار وهو الماء وهو والكتاب وامثال ذلك ممّا يشترّ كان فى عدم كونهما فلماً او ملكاً او سماءً او شمساً او قمراً فهل يجوز ان يقال الانسان كالكتاب فى عدم كونها فلماً مثلاً او هو كالشمس فى عدم كونهما قلماً مثلاً وهذا من الواضحات.

والسرّ فيه هو أنّ وجه الشّبه لا بد من ان يكون لازماً للشّبه به حتى نُثبت به سبب التّشبيه للمشبهه فى المثل المشهور زيد كالأسد - وجه الشّبه وهو الشّجاعة من لوازم الأسد بمعنى عدم جواز انفكاكه عنه فاذا رأينا زيدا مُتصفاً بها فتشبهه به بادعاء أنّ الشّجاعة صارت من لوازم زيد كما فى الأسد ولهذا قالو بكون وجه الشّبه فى المُشبهه به اقوى من كونه فى المُشبهه حيث أنّه فيه حقيقى وفى المُشبهه ادعائى.

وامّا فيما نحن فيه فلا يمكن القول بانّ عدم الانتفاع الذى مُرتب على الزّرع بغير ارضه، من لوازم هذا الزّرع بحيث لا يمكن انفكاكه منه فانّ الزّرع بغير ارضه اذا كان برضاءٍ من صاحبها فهو يُفيد للزّارع هذا اولاً.

وثانياً، الزّرع للزّارع ولو كان غاصباً غايته لمالك الأرض أجرة المثل فثبت وظهّر أنّ عدم الانتفاع ليس من لوازم الزّرع بغير ارضه مُطلقاً ايّما وجد بل

هو من لوازمه احياناً فيما اذالم يكن مسبوqاً باجازته او ملحوقاً كذالك ومثل هذا لا يعّد من لوازم المطلقة البينة والالصدق اللارم بهذا المعنى على كثير من الأشياء بالنسبة الى غيرها كما هو ظاهر اذكل شىء يتصف احياناً ببعض الاوصاف مثل ان نقول بأن الأكل والشرب والنوم والغضب وامثال ذلك من لوازم الإنسان لا تصافه بها فى بعض الأوقات مع انها مشتركة بين الإنسان والحيوان واقعاً.

فكما ان الزرع بغير ارضه يوجب عدم الانتفاع فى بعض الاوقات كذالك يوجب الانتفاع فى بعض آخر وكما انه من لوازمه احياناً يمكن ان لا يكون من لوازمه حيناً آخر وائى دليل دل على ان المراد باللازم هو الاول دون الثانى مضافاً الى ان اجتناء الثمرة قبل الوقت وان لا يتفع الا ان هذا اللزوم ايضاً ليس بلازم له بالمعنى الذى ذكرناه اذ كثيراً ما يكون الاجتناء قبل وقت الايناع انفع من الاجتناء بعد الايناع كما فى زماننا هذا بالنسبة الى بعض الثمرات فان الاجتناء قبل الوقت يكون اكثر نفعاً من جهة القيمة السوقية لتوفر الدواعى والأغراض اليه كثيراً وهو ظاهر مع ان الشجاعة التى تثبتها لزيد ادعاء ليست كذالك بل لازمة دائماً على الفرض هذا.

واعجب منه ما نقله الخوئى فى هذه العبارة من جهة التشبيه عن المجلسى (قده) قال ما هذا الفظه:

وقال المحدث المجلسى طاب رسمه ولعل شبهه عليه السلام طلبه فى هذا الوقت بمن يجتنى ثمرته مع عدم ايناعها- وشبهه اختيار ابى بكر الخلافة بمن زرع فى غير ارضه فيفيد ما تقدم اى عدم الانتفاع مع كمال التشبيه فى الفقرتين انتهى. وفيه ايضاً مضافاً الى اصل الاشكال على التفصيل الذى مر ذكره وهو عدم استقامة التشبيه من رأس.

ان البحث لم يكن فى الخلافة وتصدى ابى بكر لها حتى صح التشبيه بل مدار البحث على قيامه عليه السلام فى مقابل ابى بكر بدعوة ابى سفيان وامثاله اياه له

ولامعنى لان يقال هو ﷺ كان بصدد الجواب عما دَعَوْه اليه وشَبَّه الخِلافة بمُجْتَنِي الثَّمَرَة او الزَّارِع بغير ارضه بالنسبة الى ابي بكر اذ لا ربط لهذا الجواب بذلك السُّؤال، فأن سياق كلامه ﷺ يشهد بأن مدار كلامه عليه السَّلام على القيام وعَدَمه وحيث اختار عدم القيام فاستدلَّ على ما اختاره بما استدلَّ من التَّشبيهاً وغيرها ولعمري هذا واضح لا ريب فيه.

والَّذى يَخْتلج بالبال في حلِّ الاشكال يتوقَّف على ذكر مقدِّمة:

وهي انَّ كُلَّ موجودٍ من الموجودات له ثَمَرٌ ونَفْعٌ و ثَمَرٌ كُلٌّ واحدٍ فيها بحسبه مقولٌ بالتشكيك بحسب مراتبه الوجودي من حيث الشَّدة و الضَّعف والكمال والنقص والتَّقدُّم والتَّأخُّر و لاشكَّ في انَّ الاثمار للموجودات من لوازم وجوداتها لا ماهياتها وذلك لأن الثَّمَرَ في كلِّ شَيْءٍ ليس الأكماله والكمال من لوازم الوجود ولا كمال للماهيات مع قطع النَّظر عن الوجود فيها فاسناد الكمال الى الوجود أوْلاً وبالذات والى الماهية ثانياً وبالعرض وان شئت قلت اسناده اليها يتبع الوجود ولاسيما بناء على اصالة الوجود واعتبارية الماهية.

والكمال في الموجود يتفاوت بحسب مراتب الوجود فكما انَّ للوجود مراتباً شَدَّه وضعفاً وغيرها كذلك لكمالها ايضاً فكلُّ موجودٍ من الموجودات لا يخلو من كمالٍ ما فالموجود من بدو وجوده الى آخر وجوده يسير سيراً كمالياً ولا سكونٌ فيه بناءً على القول بالحركة الجوهرية المؤيَّدة بالعقل، والنقل فله في كلِّ آنٍ من الآتات الوجودية كمالٌ مخصوص به الَّذي لم يكن قبله الى ان ينتهي الى اقصى الكمال وغايته ونهايته الَّذي يليق به فهناك تنتهي بسلسلة السير والسلوك في المَوجود ولا وجود بعده ولذلك قلنا بأن القول بالتصادف والاتِّفاق في عالم الوجود لامعنى له وقد اثبتنا استحالة عقلاً في الأبحاث العقلية.

اذا عرفت هذه المقدِّمة العقليَّة فنقول:

اثبت ﷺ الاستعارة والتَّشبيه في المقام بالنسبة الى شيئين احدهما المشبَّه -

والآخر المشبه به:

أما المشبه فهو اجتناء الثمرة لغير وقت ايناعها - وأما المشبه به فهو الزارع بغير أرضه.

والحق أن الضمير في قوله أرضه يرجع إلى الزرع المستتر في الزارع المفهوم منه والمعنى يصير هكذا كالزارع في غير أرض الزرع وعليه فالباء في قوله **لَا يَلْبَسُ** (بغير) بمعنى (في) فقوله هذا من قبيل اعدلوا هو أقرب للتقوى حيث أن مرجع ضمير (هو) ليس اعدلوا بل مرجعه العدل المستتر فيه المفهوم منه أي اعدلوا هو أي العدل أقرب للتقوى.

والحاصل أن الزارع في غير أرض الزارع أي في غير أرض تصلح له قد ابطال البذر بذرعه في غير أرض تصلح له فهو في الحقيقة ليس بزارع لبذره بل متلف ومعدم له لوضعه البذر في غير محله فلازم هذا الزرع هو الأتلاف لا غير.

ثم أن هذا اللزم الذي ثبت في المشبه به أثبتته **لَا يَلْبَسُ** في المشبه ادعاءً كما هو شأن الأستعمارة وتقريره هو أن الثمرة في الشجر مثلاً وان كانت لها مراتب من بدو ظهورها إلى وقت ايناعها يصدق على كل مرتبة منها كما لها النسبى إلا أن لها كما لا تامة الذي هو العلة الغائية لغرس الشجر وهو نضج ثمرها كما هو حقه فاجتناء الثمرة قبل بلوغها إلى كما لها الأخير مخالف لما هو الغاية لوجودها فكانه في هذا لأجتناء ضيغ الثمرة واتلقها وحيث أنه لم يكن اتلافها حقيقة بخلاف الزرع في أرض غير صالحة حيث أنه اتلاف البذر حقيقة ثبت أن وجه الشبه وهو الأتلاف في المشبه به أقوى منه في المشبه كما هو مقتضى التشبيه.

وإذا ثبت المشبه والمشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه فقد تم التشبيه على ما هو عليه أهل البلاغة وهو المطلوب.

فمنشأ الأشتباه فيما ذهب إليه شارحو كلامه **لَا يَلْبَسُ** وقد نقلناه امران:

الأول: عود الضمير في أرضه إلى الزارع.

والثانى: ان وجه الشبه على مسلكهم هو مطلق عدم الانتفاع و اما على ما سلكناه فالضمير يعود الى الزرع لا الزارع- ووجه الشبه هو الاتلاف لا عدم الانتفاع فاغتنم هذا فانه دقيق.

اذا ثبت هذا وتمت الاستعارة فمعنى العبارة هو ان مجتنى الثمرة قبل ايناعها متلف لكما لها الوجودى الغائى كما ان الزارع للبذر فى ارض غير سالحة لها متلف للبذر الا ان الاتلاف فى الاول ادعائى وفى الثانى حقيقى هذا معنى العبارة بمقتضى الفاظها.

واما المقصود الواقعى منها اعنى المكنى عنه فهو ان القيام فى الشرائط الفعلية فى مقابل الباطل انما هو كمجتنى الثمرة قبل وقت ايناعها من حيث اتلاف كمال الحق والدين وذلك لان الناس حد يثوا عهد بالاسلام و شجرة التوحيد التى غرسها النبى ﷺ لم تصل الى كما لها الوجودى الذى هو غاية لها لعدم وجود المؤمنين الخالصين الا قليلا و كثرة المنافقين لكنه يترقب من الدين الكمال بعد لقوله (تعالى): «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلِنُكْرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (١)

فالقيام والحال هذه يوجب الاختلاف والتناق و التشتت فى الآراء وتسلط الأغيار وامثال ذلك من المعوقين عن حركة الدين الى صوب الكمال ومنع الكمال الذى بمنزلة الاتلاف له كاتلاف البذر فى ارض غير سالحة.

او ان الاعتماد على وعدكم و قولكم والمفروض انكم من المنافقين اتلاف للوقت و اهباط للعمل من قبيل وضع الشىء فى غير محله الذى هو بعيد عن مثلى لان اراضى قلوبكم غير سالحة لبذر الايمان والاعتماد والله ورسوله اعلم.

□ قوله ﷻ: فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا حَرَّصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَشْكُتْ يَقُولُوا: جَزَعٍ مِنَ الْمَوْتِ...

اي فان أقل ما هو الحق من عدم لياقة من تصدى لأمر الخلافة و لا غيره من افراد الناس و أنها حقى شرعاً و عقلاً يقول الناس ان ابن ابيطالب على الملك لحريص و ان اسكت من القول بما هو الحق مراعاةً لجانب المصلحة يقولون انه جزع من الموت فما ادرى كيف اصنع بهم.

اقول: وهذا هو شأن الناس فى كل زمان و لاسيما مع العلماء العالمين و هو دليل على عدم دركهم و فهمهم كما هو حقه و عدم امكان نيلهم الى الحقائق فان عقول اكثر الناس فى اعينهم الا ان وظيفة الانسان فى هذه الموارد جلب رضى الله و عدم التوجه الى اميال الناس فانهم يميلون مع كل ربح، و لا يستضيئون بنور الهدى فمن كان تابعا لأهوائهم و تمايلاتهم فقد ضل ضللاً بعيداً و خسر خسراً مبيناً.

□ قوله عليه السلام: هِيَهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي وَاللَّهِ لَأَبْنُ أَبِيطَالِبٍ آتِسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ...

فكانه عليه السلام اجاب بكلامه هذا عما تخيلوا فى حقه باؤها مهم الفاسده من ان كلام الحق يدل على الحرص و السكوت عنه على الجزع من الموت بما حاصله انه ليس الأمر كما زعموه فانى لم اكن حريصاً على الملك ولا جزوعاً على الموت و لأجل هذا صدر كلامه بكلمة هيهات، التى تستعمل للبعيد يعنى ما تخيلوه فى بعيد عن الحق و كذب محض.

واما قوله عليه السلام: بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي فهو استعارة اذ هما كنايةتان عن الشدائد و المصائب العظيمة و الحقيرة و اصل المثل على ما قيل ان رجلاً تزوج امرأة صغيرة قصيرة سيئة الخلق فقاسى فيها شدايد فطلقها و تزوج طويلاً فقاسى منها ما قاسى من الصغيرة فطلقها و قال بعد اللتيا و التى لا تزوج أبداً فصار بذلك مثلاً للدهامية الكبيرة و الصغيرة فاللتيا مصغر التى فالاول كناية عن الزوجة القصيرة و الثانى عن الطويلة.

والغرض من تمثله عليه السلام بهما الأشعار فانه عليه السلام قد رأى مصائب كثيرة بعد

موت النبي ﷺ صغيرها وكبيرها ثم صدر حاصل مدعاه وهو عدم جزعه من الموت بالقسم البار وقال (والله) لأبن ابیطالب الى آخر ما ذكر.

اقول: ما ذكره صدق وحق لا مبرية فيه فان حب الموت والأنس به متمكن في نفوس اولياء الله لكونه وسيلة لهم الى لقاء أعظم محبوب، والوصول الى اكمل مطلوب.

واتما كان أنسه بالموت اكثر من أنس الطفل بئدي أمه لان محبة الطفل للئدي وأنسه به طبعي حيواني تستند الى غريزته وهي لامحالة في معرض الزوال كما هو الشأن في كل علاقة كانت لجلب منفعة او دفع مضره فاذا حصلت المنفعة او دفعت المضره فلا علاقة ولذلك نعب عنها بالمحبة العرضية المقيده بجلب المنفعة او دفع المضره.

وهذا بخلاف علاقة الأولياء الى الموت الذي هو سبب للوصول والبلوغ الى معشوقهم ومطلوبهم فانها ليست الا علاقة عقلية باقية غير فانية وبين هاتين العلاقتين بون بعيد.

□ قوله ﷺ: بَلِ أَنْدَ مَجْتُ عَلَى مَكُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَأَضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرَشِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ...

كلمة بل تستعمل للأضراب اي الأعراض عما ذكره سابقاً والأقبال الى ما يذكره بعد هذا اذا وقعت بعد الأثبات واما اذا وقعت بعد النفي او النهي فهي تفيد تقرير حكم الاول ولذا قيل في تعريفه.

بل حرف عطف و تفيد بعد الأثبات صرف الحكم عن المعطوف عليه الى المعطوف و بعد النهي والنفي تقرير حكم الاول واثبات ضده للثاني او نقل حكمه اليه عند بعض.

فاذا قلنا جائني زيد بل عمرو تفيد صرف الحكم عن المعطوف فالمعنى ان عمروا جائني دون زيد.

و اذا قلنا ما جائني زيد اولا يضربني زيد بل عمرو فمعناه انهما جائني و

لا يضر بنى زيد و عمرو اذا تحقق هذا فنقول.

كلمة بل فى المقام صرف عطف جىء بها للاضراب و صرف الحكم عن المعطوف اليه الى المعطوف و حاصل المعنى هو ان ما ذكرته لكم من صدر الخطبة الى هذا المقام فهو على طبق متفاهم العرف و اسلوب المحاوره بين العالم و الجاهل حتى تفهموا ما قلت لكم و حقيقه الامر غير ذلك لان السبب الاصلى فى قعودى و تركى القيام هو علمى بعواقب الامور و جهلكم بها.

قال الشارح البحرانى (قده) فى شرح هذه العبارة ما هذا الفظه.

اشارة الى سبب جملى لتوقفه عن الطلب و القيام غير ما نسبوه اليه من الجزع و الخوف من الموت و هو العلم الذى انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور و ادبارها و تطلعه الى نتائج الحركات بعين بصيرته التى هى كمرات صافية حوزى بها صور الاشياء فى المرأة العالیه فارتسمت فيها كما هى مما يوجب توقفه عما يعلم ان فيه فساد و تسرعه الى ما يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل الذى يقدم على عظام الامور بقطير الراى لاعن بصيرة قاذته الى ذلك.

ثم على عظيم قدر العلم الذى اندمج عليه بقوله لو بحث الى قوله البعيدة ثم قال (قده).

و اشار عليه السلام باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت آرائهم عند ان يكشف لهم ما يكون من امر الخلافة و الى من ينتهى و الى ما يؤهل اليه حال الناس اذا كان ذلك مما وقفه عليه الرسول و أعدّه لفهمه فان كثيراً منهم فى ذلك الوقت كان نافرأ عن عمرو و آخرون عن عثمان فضلاً عن معاوية و منهم من كان يوهل نفسه للخلافة فى ذلك الوقت و يطلبها لنفسه و بعد عقدها لأبى بكر كان يرجوان يؤهل اليه بعده و اذا كان الأمر كذلك فظاهر انه لو باح لهم بما علمه من عاقبة هذا الأمر لم يكن لهم ذلك النظام الحاصل فى ذلك الوقت لياس بعضهم من وصول هذا الأمر اليه و خوف بعضهم من غلظة عمرو و نفرتهم منه و

نقار آخرين من بنى امية و ما يكون منهم.

شَبَّه اضطراب آرائهم على ذلك التقدير باضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة مبالغة و هو تشبيه بالمحسوس و ذلك ان الطوى كلما كانت اعتمق كان اضطراب الحبل فيها اشد لظوله فكذلك حالهم اى يكون لهم اضطراب الحبل فيها اشد لظوله فكذلك حالهم اى يكون لهم اضطراب قوى و اختلاف شديد ثم قال (قدّه).

وقيل: اراد ان الذى يمنعنى من المنافسة من هذا الأمر والقتال عليه شغلى بما انطويت عليه من العلم باحوال الآخرة و مشاهدتى من نعيمها و بوءسها مما لو كشفته لأضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة خوفاً من الله ووجلاً من عقابه و شوقاً الى ثوابه ولذهلتم عما فيه انتم من المنافسة فى امر الدنيا و هذا لوجه مُحتمل الأرادة

من هذا الكلام و لعل فى تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه و لم اقف عليه انتهى كلامه رفع مقامه.

اقول: انما ذكرت ما حققه (قدّه) فى المقام بطوله و تفصيله و عين عباراته لتعلم ان الشارح (قدّه) قد اتعب نفسه و بذل جهده فى حل هذه العبارة لتناسب ما ذكره عليه السلام قبلها حيث انه ظن ان قوله عليه السلام هذا الذى صدر بكلمة بل لتقرير الحكم الاوّل فقال فى شرحه ما يناسب قبله و ليس الأمر كذلك.

لان كلمة بل فى المقام للاضراب و العطف و تفيد صرف الحكم عن المعطوف عليه بالمعطوف اذا كانت بعد الأثبات كما ذكرنا فى اول البحث دون التقرير لحكم السابق لعدم وقوعها بعد النفى كما هو ظاهر و عليه فلا معنى لما ذهب (قدّه) اليه من المحامل البعيدة فان هذا موضوع آخر غير ما ذكره سابقاً. نعم لا بدله من ادنى المناسبة اللازمة بين المعطوف و المعطوف عليه و هو عبارة فى المقام عن عدوله عليه السلام عما اوجب لهم الظن بعلّة قعوده، عليه السلام عن الأمر و هو الخوف من الموت او الجهل بالأمر من حيث السياسة المملكية

فقال ﷺ في هذا العبارة ان الأمر ليس كما زعمتم بل علة قعودى ليست الا ائى اعلم ما لا تعلمون الى آخر ما قاله ﷺ .

و اما هذا العلم الذى اندمج ﷺ عليه و احاط به ماذا فتفصيله غير معلوم لنا قطعاً و ما ذكره فى معناه استنباط محض لا يمكن التعويل عليه الا من لسان اهل البيت فانهم ادرى بما فى البيت ونحن نذكر بعض الروايات الواردة فى علة قعوده ﷺ عن الأمر ثم نردفه بما يليق به وان اطلنا الكلام فيها فى شرح قوله ﷺ فسدت دونها ثوباً و طويبت عنها كشحاً.

و ذكرنا هناك روايات كثيرة فراجعها، الا ان الحوالة الى ما مضى بالكلية ليست بكافية للناظرين فى الأبحاث العلميه فلا بد لنا من الاشارة الى المقصود مما لم نذكره فى البحث السابق حذراً من التكرار فنقول:

روى فى البحار باسناده انه قال رجل لابي عبد الله ألم يكن على قويا فى بدنه قويا فى امر الله قال ﷺ بلى.

قال: فما منعه ان يدفع او يمتنع؟

قال ﷺ: قد سئلت فافهم الجواب منع علياً من ذلك آيه من كتاب الله فقال وائى آية فقرأ...

لو تزيّلوا لعذّبنا الذين كفرو منهم غذاباً اليماً، انه كان لله و دائع مؤمنون فى أصلاب قوم كافرين و منافقين فلم يكن على صلوات الله عليه ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع فلما خرجت ظهر على من ظهر وقتله و كذلك قائمنا اهل البيت لن يظهر ابدأ حتى يخرج و دائع الله فاذا خرجت يظهر فيقتله انتهى «بحار الانوار، ج ٨، ص ١٢٧، ط كمياني»...

و روى ايضا باسناده عن سالم الجعفى قال، قال: على ﷺ وهو فى الرُحبة جالس إنتدبوا وهو على المنبر من السواد فانتدبوا نحو من مائة فقال ﷺ ورب السماء والارض لقد حدّثنى خليلي رسول الله ان الامّة ستفدر بي من بعد عهداً معهوداً وقضاء مقضياً وقد خاب من افتري، انتهى «ج ٨، ص ١٠»...

وايضاً باسناده عن تغلبه ابن مرشد الحمانى قال سمعتُ علياً عليه السلام قال
والله انّه لعهد النبى الأُمى إلى انّ الأُمَّة ستغد ربك بعدى انتهى «ص ١٠»...

والرّوايات فى هذالباب كثيرة ولا ارى حاجة الى ذكرها اكثر ممّا ذكرته فى
الأبحاث السّالفة وماذكرته الآن فانه لاختلاف عقلاً ونقلاً فى انّ قعوده عن
الأمر وعدم قيامه بالسيف لم يكن الا لعهد من الله ورسوله اليه وانه كان مأموراً
بالصبر بعد النبى و عدم القتال مع الخلفاء الثلاثة لأجل المصالح التى خفيت
علينا لاخوفاً من الموت او القتل وامثال ذلك فانّ الامام لا بد له من التسليم فى
جنب قضاء الله ولا يشاء الا ماشاء الله ولا يُريد الا ما اراده وهذا واضح.

اذا احطت بما تلوناه عليك فاعلم انّ العلم المكنون الذى اشار عليه السلام به فى
هذه الجملة يمكن حمله على امور.

احدها: علمه عليه السلام بانّ قعوده عن الأمر وعدم قيامه بالسيف خير مما دَعَوه
بعض الجهّال اليه كما أو ماناً اليه.

وثانيها: انّ علوم الناس كسبيّة وعلمه عليه السلام لم يكن كسبيّاً بل اخذه عن الحى
الذى لا يموت فهو يعلم ما يعلمه الناس وهم لا يعلمون ما علمه فعلمه كان
مكُوناً مستوراً عن فهم الناس محجوباً عنهم كما انّ ذاته و حقيقته كانت
محجوبة عنهم.

وثالثها: ان يكون مراده عليه السلام بالعلم المكنون علمه عليه السلام بأسرار الخلقه وبخفائى
الموجودات على ماهى عليها ومن المعلوم انّ ذلك لم يكن لأحد من ابناء
زمانه بعد النبى عليه السلام.

ورابعها: ان يكون المراد علمه عليه السلام بقضاء الله وقدره و ظاهر انّ هذا العلم لم
يكن لغيره عليه السلام والكلّ مُحتمل ويمكن الاستدلال بها من الرّوايات الواردة فى
الباب ايضاً بعد ما شهد صريح العقل ايضاً بصحّته كما اثبتناه فى بحث الأمامة.

فمنها - مارواه فى البحار باسناده عن ابى سعيد الخدرى قال قلت
لرسول الله عليه السلام (اوسئلت رسول الله) عن قول الله عزّوجلّ قال الذى عنده

عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ، قَالَ ﷺ ذَاكَ وَصِيٌّ أَخِي سَلِيمَانَ ابْنِ دَاوُدَ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَوْلَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَلَّ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، قَالَ ﷺ ذَاكَ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ «ج ٩، ص ٨٢، ط كمياني»...

ومنها - ما رواه عن الصادق قال ﷺ الذي عنده علم الكتاب هو امير المؤمنين و سئل ﷺ عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب قال ﷺ ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما يأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر انتهى «ج ٩، ص ٨٢، ط كمياني»...

بيان: غرضه من هذا السؤال هو أن وصي سليمان الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم امير المؤمنين الذي عنده علم الكتاب فاجاب ﷺ بما حاصله أن علم وصي سليمان بالقياس الى علم علي ليس الا كقطرة في مقابل البحر. ومنها - ما رواه عن ابن ابي عمير عن عبدالله ابن الوليد السمان قال، قال ابو عبدالله ﷺ ما تقول في اولي العزم و صاحبكم امير المؤمنين قال: قلت ما يُقدّمون على اولي العزم أحداً، قال فقال ابو عبدالله ان الله تبارك و تعالى قال لِمُوسَى ﷺ وَكَتَبْنَا فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ لَمْ يَقُلْ كُلُّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً...

و قال لعيسى ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه، و لم يقل كل شيء... و قال لصاحبكم امير المؤمنين ﷺ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، و قال الله عز وجل: لا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين، و علم هذا الكتاب عنده انتهى «ج ٩، ص ٨٢»...

ومنها - ما رواه عن ابي جعفر ﷺ في قوله تعالى و من عند علم - الكتاب قال هو علي ابن ابي طالب انتهى «ج ٩، ص ٨٢»...

ومنها - ما رواه باسناده عن سلمان الفارسي عن امير المؤمنين في «قُلْ كَفَى بَيْنِي... الاية»...

فقال ﷺ انا هو الذي عنده علم الكتاب و قد صدقه الله واعطاه الوسيلة
في الوصية و لا يخلى امته من وسيلته اليه و الى الله فقال يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله و ابتغوا اليه الوسيلة انتهى «ج ٩، ص ٨٢»...

اقول : وجه الاستدلال بهذه الروايات و امثالها علي المدعى هو ان علم
الكتاب ليس المقصود به ما يفهمه الناس من القرآن و الا لما اختص به ﷺ بل
المقصود منه هو اسرار الكائنات المودعة في القرآن الصامت بطريق الرمز و
في القرآن الناطق بطريق اولي و لاشك في كون العلم بالكتاب الذي هو اعم
من التدويني و التكويني من علم المكنون الذي لا يطلع عليه احد سوى اهل
البيت سلام الله عليهم اجمعين.

و منها - ما رواه ايضا باسناده عن النعمان ابن سعد عن امير المؤمنين
عليه السلام قال ﷺ: انا حجة الله و انا خليفة الله و انا صراط الله و انا باب الله
انا خازن علم الله و انا المؤمن على سر الله و انا امام البرية بعد خير الخليفة
محمد نبي الرحمة، انتهى «ج ٨، ص ٤٢٢»...

و منها - ما رواه باسناده عن ابي عبد الله ﷺ قال امير المؤمنين و الله لقد
اعطاني الله تبارك و تعالى تسعة اشياء لم يعطها قبلي احدا ما خلا
النبي ﷺ ...

لقد فتحت لي السبل، و علمت الأنساب، و اجري لي السجاب، و علمت
المنايا و البلايا و فصل الخطاب و لقد نظرت في الملكوت باذن ربي فما غاب
عني ما كان قبلي و لا يكون ما فاتني من بعدى الحديث «ص ٤٢٢»...

و منها - ما قاله الغزالي في كتاب منقذ الضلال على ما حكى عنه ما
هذا الفظه...

و العاقل تقدي بسيد العقلاء على حيث قال لا يعرف الحق بالرجال و لكن
اعرف الحق تعرف اهله...

و قال في رسالته العلم اللدني قال امير المؤمنين ﷺ ان رسول الله ادخل

لسانه في قمى فانفتح في قلبى الفباب من الحكمة (من العلم، وفتح لى من كل باب الف باب...

وقال عليه السلام ايضاً لو ثنيت لى الوسادة و جلست عليها لحكمت بين اهل التوراية بتوراتهم و اهل الانجيل بأنجيلهم و اهل الفرقان بفرقانهم و هذه المرتبة لاينال بمجرد التعلم بل يتمكن المرء فى هذه المرتبة بقوة العلم اللدنى انتهى...

و منها - مرواه ايضاً باسناده عن ابى اسحق السبيعى قال سمعتُ علياً يقول ان فى صدرى هذا لعلماً جماً علمنيه رسول الله لو أجد له حفظته يرعونه حق رعايته و يروونه عنى كما يسمعون منى إذا لأودعتهم بعضه فعلم به كثيراً من العلم ان العلم مفتاح كل باب و كل باب يفتح الف باب انتهى «ج ٨، ص ٢٢٨»...

و منها - ما رواه ايضاً باسناده عن عباة ابن الربعى قال كان امير المؤمنين عليه السلام كثيراً يقول سلونى قبل ان تفقدونى فوالله ما من ارض مخضبتة و لامجدبة و لافئة تضل مائة او تهدى مائة الا و انا اعلم قائدها و سائقها و ناعقها الى يوم القيمة انتهى «ص ٤٥٧»...

اقول: و الروايات الواردة فى علمه أكثر من ان تُحصى و من اراد الاطلاع عليها تفصيلاً فعليه بمراجعة المجلد التاسع من بحار الانوار و سائر الكتب الموضوعه لهذه الابحاث.

و عليه فلايبعد ان يكون المراد بعلمه المكنون هو علم الكتاب الذى فيه حقيقة كل شىء.

و اما قوله عليه السلام لوبحت به الخ ففيه اشارة الى عدم استعداد نفوسهم لهذه الاسرار الالهية و عدم قابليتهم لدرك هذه الحقائق الربانية المعنوية و ذلك لان كل ظرف لايتد من الاستعداد و القابلية لمظروفه و الا لم يكن ما فرضناه ظرفاً ظرفاً فانهما من المتضايفين.

و السرفيه هو انا قد اثبتنا في العلوم العقلية ان العلم ليس الا نحواً من الوجود و ليس من المقولات بالذات و انما عد منها بالعرض فكلما كان الوجود في الموجود اقوى فالعلم فيه اقوى و كلما كان الوجود اضعف فكذا العلم فحيث ان الواجب مثلاً اقوى وجوداً من غيره بل لا وجود لما سواه في جنبه بالحقيقة و انما الوجود فيه بنحو الفيئية و الظلية و في الواجب بنحو الشئية فكذ العلم اذ الواجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات.

فكما لا يقاس وجود بوجوده فكذ الا يقاس علم بعلمه و حيث ان الصفات البثوثية من الاراده و الحياة و القدرة و التكلم و امثالها ترجع الى كونه عالماً بالأشياء كما ثبت في محله فلا يقاس قدرة بقدرته و ارادة بارادته و هكذا و حيث ان وجوده علة لوجود ما سواه و اصل له فكذالك علمه و قدرته و ارادته و فكل موجود كان وجوده اقرب الى الحق في سلسلة القوس الصعودي يكون اشد و اقوى لامحالة من غيره لقاعدة امكان الأشرف و اذا كان وجوده اشرف لقربه و اقوى و اشد لقلّة الواسطة او عدمها فلا جرم يكون علمه اقوى و اكثر لما قلنا ان العلم ليس الا نحواً من الوجود.

فأقرب الموجودات اليه تعالى هو الصادر الاول الذي عبر منه في لسان الاخبار تازة بالعقل، كما قال ﷺ اول ما خلق الله العقل، و تازة بالروح كما قال: اول ما خلق الله روحى - و تازة بالقلم - كما قال ﷺ اول ما خلق الله القلم، و تازة باللوح المحفوظ و تازة العرش و تازة بالماء كما وردت بها ايضاً روايات الا ان مرجع الجميع الى واحد لاثنى له وهو روح نبينا ﷺ المسمى بالعقل الكلى - و اللوح و القلم و امثال ذلك بالأعتبارات.

عبارتنا مشى و حُسنك واحد و كل الى ذاك الجمال يُشير

و اذا كان وجود الصادر الاول اعنى وجود النبي ﷺ و حقيقة المحمدية اول ما خلق الله فهو اشد و اقوى وجوداً اعمن سواه فلا جرم هو اعلم بالحقائق في عالم الممكنات و الموجودات و اقدرهم و ابصرهم و اسمعهم، وهكذا.

ثمّ تصل النّوبة بعده ﷺ الى مَنْ يتلّوه في المقام في عالم الوجود و ليس هو إلا امير المؤمنين عليه السلام لما روته الخاصّة و العامّة من أنّه ﷺ قال انا و عليّ من شجرة واحدة و سائر الناس من اشجار شتى...

و في حديث خلقتك من نوري و خلقت عليّاً من نورك الحديث...
و قال رسول الله ﷺ: انّ الله تبارك و تعالى خلّقني و عليّاً من نور واحد
قبل ان خلق الخلق بخمسائة الف عام الحديث...

و هذه الاحاديث كما ترى تنادى بتساوي الرسول و امير المؤمنين عليه السلام من جهة كونهما من نور واحد الا ان اجماع الأمة و اطباق العقلاء بل و كافة البشر قام على افضليّة النبي ﷺ عليه و لذلك افتخر ﷺ بمقام الرسالة و عليّ بالصّياحة و لاشك انّ الرسالة اشرف من الوصاية و لاسيما أنّه ﷺ قد اقرّ بذلك في كثير من المقامات كقوله انا عبد من عبيد محمد و قوله ﷺ علّمني الف باب من العلم الحديث و هذا ممّا لاخلاف فيه و لولا هذا الاستثناء لقلنا بتساوي منزلته ﷺ مع النبي و أنّه ليس في عالم الوجود في الممكنات اشرف منه الا انا و غيرنا بل هو نفسه ﷺ لانقول به و اذا كان الأمر كذلك فهو اشرف الموجودات بعده ﷺ و اذا كان اشرف بعده ﷺ من حيث الوجود فهو اشرف ايضاً من حيث العلم لما قلنا أنّه نحو من الوجود بل في كلّ الصّفات التي تبنتني على العلم كما أوّمانا اليه.

فثبت عقلاً و نقلاً أنّه ﷺ كان اشرف الموجودات من جميع الجهات بعد النبي ﷺ و منها بل اصلها العلم و هو المطلوب.

و على ما ذكرناه فقد دريت انّ العلم اعني الوجود اذا كان في هذه المرتبة من حيث القوّة و الشدّة فظرفه ايضاً لا يكون الا مطابقاً له ضرورة تطابق الظرف و المظروف فظرف هذا العلم لا يكون الا ظرف وجوده ﷺ لا غير، و الى هذه الدقيقة اشارة ﷺ في الروايات التي ذكرنا شرطاً منها أنّه لم يجد حاملاً لعلّمه في قوله ﷺ انّ هيهنا لعلّماً جمّاً الحديث.

وهذا الذي ذكرناه فيه عليه السلام يجرى في الائمه الأحد عشر بعده طابق
النعل بالنعل.

ولذلك ترى الائمه عليهم السلام بعده ايضا قالو بهذه المقاله ونظيرها كما
قال الصادق عليه السلام سلوني قبل ان تفقدوني.

وقال علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام:

وَرَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ ابْتَوَحُ بِهِ لِقَلِيلٍ لِي أَنْتَ مَمَّنْ تَعْبُدُ الْوَتْنَا
فتلك الوجودات المقدسة والأنوار البهية الالهية حيث كانوا وسائط في
الفيض عن المفيض على المفاض له بحيث لولا هم لما خلق الله السموات
والارضين والملائكة المقربين وساير الموجودات اجمعين لهم احاطة با
الموجودات نحو احاطة العلة بالمعلول لانه ثبت في الفلسفة ان كل وجود عال
فهو مُحيطٌ بما وقع بعده في سلسلة الترتيب ولا عكس كما ان كل علة مُحيطٌ
بالمعلول من غير عكس فلا جرم هو عليه السلام كان مُحيطاً بما سواه من المراتب
النازلة احاطة علمياً تنشأ من احاطته الوجودي ولا احاطة لها عليه وبهذه
القاعدة نقول لم يكن أحد مُحيطاً بعلمه الا الله ورسوله عليه السلام فصَحَّ منه ان يقول
بل اند مجت على مكنون علم الى آخر ما ذكره، فهو عليه السلام كان في الناس، ولكن
ذاته و حقيقته كانت مختفيه عنهم واذا كانت حقيقه الذات التي ليست الا نحو
وجودها الخاص مسطورة عن عين النظر فلا جرم علمه و قدرته وسائر كمالاته
الذاتية التي من شئون ذاته ايضاً كذلك فعاش عليه السلام فيهم مدة من الزمان ولم
يعرفه احد الا ابن عمه رسول الله عليه السلام كما انه لم يعرفه عليه السلام ايضاً الا علي
وهكذا الامر في باقي الائمه و لنعم ما قاله السيد عليخان الشيرازي (قده) في
هذا المورد.

امير المؤمنين فدتك نفسي
تولاك الاولى سعاد وافقازوا
ولو علم الوري مانت أضحو
لنا من شأنك العجب العجائب
وعادا ك الذين شقوا فخابوا
لوجهك ساجدين و لم يحابوا

يَمِينِ اللَّهِ لَوْ كُشِفِ الْمُغْطَى
خَفِيَتْ عَلَى الْعُيُونِ وَأَنْتَ شَمْسٌ
وَلَيْسَ عَلَى الصَّبَاحِ إِذَا تَجَلَّى
لِهَذَا قَدْ دَعَاكَ ابَا تَرَابٍ
فَكَانَ لِكُلِّ مَنْ هُوَ مِنْ تَرَابٍ
فَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ تُخْلَقِ سَمَاءٌ
وَفِيكَ وَفِي وَلايِكَ وَيَوْمَ حَشْرِ
بِفَضْلِكَ أَفْصَحَتْ تَوْرَايَةَ مُوسَى
فِيَا عَجِبًا لِمَنْ نَادَاكَ قَدَمًا
إِذَا عُوَا عَن صِرَاطِ الْحَقِّ عَمْدًا
أَمْ ارْتَابُوا بِمَا لَارِيَبَ فِيهِ
وَهَلْ لِسَوَاكَ بَعْدَ غَدِيرِ خُمٍّ
أَلَمْ يَجْعَلْكَ مَوْلَاهُمْ فَذَلَّتْ
فَلَمْ يَطْمَحِ إِلَيْهَا هَاشِمِي
فَمِنْ تَيْمِ ابْنِ مُرَّةٍ أَوْ غَدِّي
لِئِنْ جَحَدُوكَ حُبَّكَ عَن شَقَاءٍ
وَكَمْ سَفَهَتْ عَلَيْكَ حُلُومَ قَوْمٍ

وَوَجْهَ اللَّهِ لَوْ رُفِعَ الْحِجَابُ
سَمَتْ عَن أَنْ يُجَلَّلَهَا، سَحَابٌ
وَلَمْ يُبْصِرْهُ أَعْمَى الْغَيْنِ عَابٌ
مُحَمَّدَ النَّبِيِّ الْمُسْتَطَابِ
إِلَيْكَ وَأَنْتَ عِلَّةُ انْتِسَابٍ
وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُخْلَقِ تُرَابٌ
يَعَاقِبُ مِنْ يُعَاقَبُ أَوْ يُثَابُ
وَأَنْجِيلَ ابْنِ مَرْيَمَ وَالْكِتَابِ
وَمَنْ قَوْمٍ لِدَعْوَتِهِمْ أَجَابُوا
فَضَلُّوا عَنْكَ أَمْ خَفِيَ الصَّوَابُ
وَهَلْ فِي الْحَقِّ إِذْ صَدَعَ ارْتِيَابُ
نَصِيبٍ فِي الْخِلَافَةِ أَوْ نَصَابُ
عَلَى رَغْمِ هُنَاكَ لَكَ الرَّقَابِ
وَأَنْ أَضْحَى لَهُ الْحَسَبُ اللَّبَابِ
وَهُمْ سَيِّانُ أَنْ حَضَرَ وَ أَوْ غَابُوا
فَبِالْأَشْقِيْنَ مَا جَلَّ الْعِقَابِ
فَكُنْتَ الْبَدْرُ نَبِيحَةُ الْكِلابِ

وَأَمَّا قَوْلُهُ عليه السلام: لَأُضْطَرَبْتُمْ أَضْطَرَابَ الْأَرْشِيهِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ...

فَهُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ اضْطَرَابِهِمْ وَعَدَمِ اسْتِقَامَتِهِمْ وَاسْتِعْدَادِهِمْ وَلِيَاقَتِهِمْ عَلَى دَرْكِ
الْحَقَائِقِ الْمُوَدَّعَةِ فِي وَجُودِهِ عليه السلام فَإِنَّ ذَاتَهُ عليه السلام وَحَقِيقَتَهُ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ افْهَامِ
النَّاسِ وَعَقُولِهِمْ وَدَرْكِ عُمُقِ هَذَا الْبَحْرِ الْعَمِيقِ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ فَالْغُورِ وَالتَّعَمُّقِ
فِيهِ لَا يُفِيدُ إِلَّا الْأَضْطَرَابَ وَالتَّزَلُّزَ كَمَا ذَهَبَ بَعْضُ مِنَ الْأَفْرَادِ إِلَى الْوَهْيَةِ نَعُودَ
بِاللَّهِ مِنْهُ كَمَا قِيلَ:

وَمَاتَ الشَّافِعِيُّ وَلَيْسَ يَدْرِي عَلِيُّ رَبِّهِ أَمْ رَبُّهُ اللَّهُ

فحاصل ما ذكره في هذه الخطبة من بدوها الى ختامها هو ان ما فعله عليه السلام بعد النبي بالنسبة الى الخلافة و سُكوته او عَدَم سكوته في بعض المقامات كل ذلك كان بأمر من الله ورسوله و عَهْدٍ مِنْهُمَا وهو ﷺ كان عالما بما فعله او لم يفعلهُ اذا لحقائق كانت لَدَيْهِ مُنْكَشَفَةً وما خَفِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فَمَا قَالَ لَهُ ابوسفيان وامثاله انما هو على مقتضى عقولهم القاصرة الكاسدة، و اوهامهم الفاسدة الواهية و لم يَعْلَمُوا ان سُلُوكَهُ ﷺ هو الحق لا غير والحمد لله رب العالمين.

﴿ وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ ﴾ (٦)

(لَمَّا أُشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَتَّبِعَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ لَا يَرُصِدَ لهُمَا الْقِتَالَ)

□ قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبَّعِ: تَنَامُ عَلَى طُولِ الدَّمِّ، حَتَّى يَصَلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَ يَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالمُقْبِلِ إِلَى الحَقِّ المُدْبِرِ عَنْهُ، وَ بِالسَّمْعِ المُطِيعِ المَعَاصِي المُرِيبِ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثِرًا عَلَيَّ مُنْذُ قَبْضِ اللَّهِ نَبِيِّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، مَتْن.

◁ اللُّغَةُ

(الضَّبَّع) مَعْرُوفٌ وَ يُقَالُ لَهُ بِالفَارْسِيَّةِ (كَفْتَار). (الدَّم) بِسُكُونِ الدَّالِ ضَرْبٌ مِنَ الحَجَرِ وَ غَيْرُهُ عَلَى الأَرْضِ وَ لَيْسَ بِالقَوِي. (الخَتَل) بِفَتْحِ الخَاءِ وَ سُكُونِ التَّاءِ الخَدِيعَةُ. (مُسْتَأْثِرًا) مِنَ الأَسْتِثَارِ يُقَالُ إِسْتَأْثَرْتُ بِالشَّيْءِ أَنْفَرَدْتُ بِهِ.

◁ المَعْنَى

(لَمَّا أُشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَتَّبِعَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ رَوَى أَنَّ المُشِيرَ هُوَ ابْنُ الحَسَنِ رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ ﷺ: وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبَّعِ: الخ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الضَّبَّعَ عَلَى مَا قِيلَ تَسْتَغْفِلُ فِي حُجْرِهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ فَتَسْكُنُ حَتَّى تَصَادَ، وَ يَحْكِي فِي كَيْفِيَّةِ صَيْدِهَا أَنَّهُمْ يَضَعُونَ فِي حُجْرِهَا حَجْرًا وَ يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ بَابَهُ فَتَحْسِبُ شَيْئًا تَصِيدُهُ فَتَخْرِجُ وَ تَصَادُ وَ يُقَالُ أَنَّهَا مِنَ الحِمَقِ الحَيَوَانَ وَ يَبْلُغُ مِنَ حِمَقِهَا

يَدْخُلُ عَلَيْهَا لَيْسَتْ أُمُّ عَامِرٍ أَوْ يُقَالُ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ فَتَسْكُنُ حَتَّى تُوثِقَ رِجْلَاهَا بِحَبْلِ مُعَدٍّ لَصَيْدِهَا وَ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.
 ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَلَكِنِّي أَضْرَبُ الْخِمْ، وَ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى قِيَامِهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ وَ هُوَ كُنْيَاةٌ عَنْ مَوْتِهِ.
 ثُمَّ قَالَ ﷺ: فَوَاللَّهِ مَا زَلْتُمْ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي الَّذِي عَيَّنَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لِي حَتَّى الْيَوْمِ أَيْضاً كَمَا كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ.

◀ الشرح

و فيه بحوث.

البحث الأول: في قوله ﷺ: وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: وَ يَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا.

لَمَّا أُشِيرَ إِلَيْهِ ﷺ بِأَن لَا يَتَّبِعَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ لَا يَرْضَدَ لِهَمَّا الْقِتَالَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ إِلَى آخِرِهِ.
 قِيلَ أَنَّ الْمُشِيرَ إِلَى عَدَمِ اتِّبَاعِهِ ﷺ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ الْقِتَالَ مَعَهُمَا هُوَ ابْنُ الْحَسَنِ ﷺ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ وَ الْبَحْرَانِيُّ وَ الْخَوْثِيُّ.
 قَالَ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ مَا هَذَا لَفْظُهُ.

خَرَجَ طَارِقُ ابْنِ شَهَابِ الْأَخْمَسِيُّ يَسْتَقْبِلُ عَلِيًّا وَ قَدْ صَارَ بِالرَّبَذَةِ طَالِبًا عَائِشَةَ وَ أَصْحَابَهَا وَ كَانَ طَارِقٌ مِنْ صَحَابَةِ عَلِيٍّ وَ شِيعَتِهِ قَالَ فَسُئِلْتُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ مَا أَقْدَمَهُ فَقِيلَ خَالَفَهُ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ وَ عَائِشَةُ وَ اتَّوَلَّ بَصْرَةَ فَقَلَّتْ فِي نَفْسِي أَنَّهَا الْحَرْبُ أَفَا قَاتِلَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ هَذَا اعْظَمُ ثُمَّ قُلْتُ: ادْعُ عَلِيًّا وَ هُوَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ وَ وَصِيَّهُ هَذَا اعْظَمُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَضَّ عَلَيَّ قِصَّةَ الْقَوْمِ وَ قِصَّتَهُ.

ثُمَّ صَلَّى بِنَا الظُّهْرِ فَلَمَّا انْقَلَبَ جَاءَهُ الْحَسَنُ ابْنُ ﷺ فَبَكَى بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ مَا بِالكَ قَالَ أَبْكَى لِقَتْلِكَ غَدًا بِمُضِيْعَةٍ وَ لَا نَاصِرَ لَكَ أَمَا أَتَى أَمْرُكَ فِعْصِيَّتِي ثُمَّ أَمْرُكَ فِعْصِيَّتِي فَقَالَ ﷺ لَا يَزَالُ نَحْنُ حَيْنُ الْأُمَّةِ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ فِعْصِيَّتِكَ

قال امرئك حين احاط الناس بعثمان ان تعتزل فان الناس اذا قتلوه طلبوك ابن ماكنت حتى يبايعوك فلم تفعل ثم امرتك لما قتل عثمان ان لا توافقهم على البيعة حتى يجتمع الناس وياتينك و فود العرب فلم تفعل ثم خالفك هؤلاء القوم فامرتك ان لا تخرج من المدينة وان تدعهم وشأنهم فان اجتمعت عليك الأمة فذاك والآ رضيت بقضاء الله.

فقال عليه السلام: وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ إِلَى آخِرِهِ.

اقول: ذكرت ما وضعه الشارع المعتزلي بالفاظه وهذا الذي ذكره في المقام من الموضوعات والمَجْعولات لعنة الله على واضعه وجاعله من الآن الى يوم القيمة لوجوه عديدة.

أولاً: فلان اميرالمومنين كان إماماً على الناس من الله ورسوله واعتراض ابنه الحسن عليه السلام عليه في اى أمر كان في حد الكفر بالله لان الراد عليه كالراد على رسول الله والراد عليه عليه السلام هو الراد على الله وكذا الاعتراض عليه فكيف اعترض عليه ابنه الحسن نعوذ بالله منه.

الثانى: انه عليه السلام كان معصوماً عن الذنب والخطاء كما اثبتنا في مبحث الأمامة و مفاد اعتراضه عليه جواز الخطاء بل وقوعه منه وهذا منافٍ لأمامته على مذهبنا لا على مذهب المعتزلي والمفروض ان ابنه الحسن كان ممن يعتقد بامامة ابيه على ما نقول به فكيف اعترض عليه والمفروض انه معصوم.

الثالث: من كان ابنه مخالفاً له معترضاً عليه في افعاله واعماله وهو لا يدري ما يفعل فكيف يليق بالأمامة بل لازمه ان يكون ابنه الحسن أليق بالأمامة منه في حياته وهو ممتنع الآ على مذهب المعتزلي بجواز تقديم المفضول على الفاضل.

الرابع: لم كان يبكى وما معنى بكائه فان الناصح حقه النصيحة سواء قبلت اولا تقبل واما بكاء الناصح لعدم اعتناء المنصوح بالنصيحة فلا نعرف وجهه و ملخص الكلام ان مارواه لا يرجع الى محصل فاضربه على الجدار.

ان قلت - فاي فائدة لهم في وضع هذا الحديث مع ان صدر الخطبة شاهد على اثبات المُشير و انه اشير اليه بما اشير سواء كان الحسن عليه السلام مُشيراً ام غيره ولا فرق في ذلك.

قلت - غرضه من ذكر هذا الحديث امور.

الأمر الاول: ان امير المؤمنين عليه السلام كان كسائر الخلفاء و ابناء زمانه في كونه يَجُوز عليه الخطاء و هو مناف لما اعتقدته الشيعة.

الثاني: انه مضافاً على جواز الخطاء عليه قد وقع الأشتباه منه و اذا اعترض عليه ابنه الحسن فما تقول الشيعة في مطايع الخلفاء فاذا جاز وقوع الخطاء منه فكذلك الخلفاء ولا طعن عليهم.

الثالث: ان علياً صدر منه الأشتباه و صار بذلك مورداً للاملاحة، و الطعن من ابنه الحسن فضلاً عن اصحابه و مع ذلك تقول الشيعة بخلافته وصحتها فكيف لاتقول بهذا القول بالنسبة الى سائر الخلفاء و انهم بصدور الخطاء عنهم كانوا غير مستحقين لها.

الرابع: ان علياً كان شريكاً في قتل عثمان او مُجرِماً له و طالباً به و الا كان واجباً عليه الاعتزال عن الناس و حيث انه لم يعتزل كما اشار اليه ابنه و بذلك صار مورداً للاعتراض فهو شريك القتل كما قال به معاوية و اتباعه.

الخامس: ان بيعته لم تكن صحيحة حيث لم تأت و فود العرب كما قال في العبارة (ثم امرتك ان لاتوافقهم البيعة الخ) و من المعلوم ان من كان ابنه مقراً بان بيعته لم تكن صحيحة فالقول بعدم صحتها من الغير أولى.

السادس: قوله في النصيحة الثالثة فامرتك ان لاتخرج من المدينة و ان تدعهم و شأنهم فان اجتمعت عليك الامة الخ.

وفيه دلالة على عدم اجتماع الامة عليه فهو عليه السلام لم يكن بامير المؤمنين ففي الحقيقة بهذا الحديث قطع الشارح الخائن اصل الامامة وفرعها و اثبت ان حال علي كحال معاوية و عمر و عثمان وغيرهم من خلفاء الناس اللهم احشره مع في احبه.

نعم، لاشك في ان بعض الناس اشار اليه واما المشير من هو واحداً كان او متعدداً منفرداً او جماعةً فهو غير معلوم لنا وله ولا حاجة لنا الى التفحص فانه قليل الجدوى واصل الخطبة يدل على المشير فقط.

ثم انه صدر كلامه بذكر الجلالة مسبوقاً بواو القسم حيث قال (والله) للدلالة على ان ما قاله حق مطابق للواقع.

واما انه نفى عن نفسه التشبيه بالضبع دون سائر الحيوانات وبعبارة اخرى وجه تخصيصه الذكر بها دون غيرها هو ان الضبع انسب بالمقام من غيرها ونحن نشرح خواصها اولاً ثم نشرح في شرح العبارة.

قال ابن ابي الحديد والعرب يقول في رموزها وامثالها احمق من الضبع ويزعمون ان الصائديد خل عليها وجارها ويقول لها اطرقى ام طريق خامرى ام عامرى ويكرر ذلك عليها مراراً معنى اطرقى ام طريق طاطيى رأسك، و كنها ام طريق لكثرة اطراقها على فعيل كالقبيط للناطف لبنت ومعنى خامرى الزمى و جارك واستترى فيه خامر الرجل منزله اذا الزمه قالوا فيلجأ الى اقصى مغارها و تنقبض فيقول ام عامر ليست فى و جاراها ام عامر نائمة فتمد يديها ورجليها وتستلقى فيدخل عليها فيوثقها وهو يقول لها ابشرى ام عامرى بشاه هزلى وجواد عظمى اى يركب بضعه بعضاً ويشد عراقها فلا تتحرك ولو شانت ان تقتله لامكنها قال الكميت فعل المقررة للمقالة خامرى يا ام عامر و قال الشنفرى:

لاتقبرونى ان قبرى مُحَرَّمٌ

عليكم ولكن خامرى ام عامرى

اذا مامضى رأسى و فى الراس اكثرى

وغودر عند الملتقى ثم سائرى

هنالك لارجو حياة تسرنى

مجيى الليالى مبسلاً بالجزايرى

قال محمد فريد وجدى فى دائرة المعارف مادة الضَّبَع الضَّبُع و الضَّبُع نوع من السَّبُع، جمع اضْبُع، و ضباغ و ضُبع، يطلق على الذَّكر و الانثى و قيل يُسمَى الذَّكر ضبعان و الجمع ضباعين و الأنثى ضَبعانة و الجمع ضَبعانات و ضباع. الضَّبُع حيوان مفترس من النَّمِرو بينهما شبه كبير فى الجِسْم و طباعة تُشَبِّهه طباع غيره من الحيوانات المُفترسة و هو رَحالة لا يحلُّ له قَرارفى حُجر و يخرج للصيد فى الفجر و هو بقوته و جرأته و بصره الثاقب و اذنه اليقظة يعدُّ من اشدَّ الحيوانات خطراً و هو لا يقلُّ خراوةً عن الأسد و النَّمِرو من جاوره من الناس يخشون بطشه فيشنون عليه حرباً عواناً للتخلص من شره، ثم قال بعد كلام فيها.

وهى مؤلفة بنبش القبور لكثرة غرامها بلحم بنى آدم و متى رأت انساناً نائماً حَضرت تحت رأسه و اخذت بحلقه فقتله و تشرب دمه تضرب بها العَرَب المثل فى الفساد، ثم قال بعد كلام: و الضَّبُع توصف بالحمق و ذلك ان الصيادين يقولون على باب، و جارها كلمات يصيدونها بها والجاحظ يرى هذا من خرافات العَرَب و من الأمثال قالوا حَمَقَ من ضَبُع ثم نقل حكاية لابأس بذكرها قال:

و من الامثال المشهورة فى ذلك مارواه البيهقى فى آخر شعب الايمان عن ابي عبيدة معمر ابن المثنى انه سأل يونس ابن حبيب عن المثل المشهور (كُمجيراًم عامرٍ).

فقال كان من حديثه ان قوماً خرَّجوا الى الصيد فى يومٍ حارٍّ، فبينهم كذاك اذ عرضت لهم ام عامر و هى الضَّبُع فطردوها فاتبعهم حتى الجاؤوها الى خباء اعرابى فاقتمته فخرج اليهم الأعرابى فقال ماشأنكم فقالوا صيدنا و طريدتنا، فقال: كلاً و الذى نفسى بيده لا تصلون اليها ماثبت قائم سيفى بيدي قال فرجعوا و تركوه فقام الى لقحة لها فحلبها و قرب اليها ماء فاقبلت مرّة تلغ من هذا حتى عاشت و استراحت فبينما الأعرابى نائم فى جوف بيته اذا وثبت عليه فبقرت

بطنه وشربت دمه واكلت حشوته وتركته فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة فالتفت الى موضع الضبع فلم يرها فقال صاحبتى والله واخذ سيفه فى كنانته ولم يزل حتى ادركها فقتلها وانشد يقول:

ومن يصنع المعروف من غير اهله

يلاقى الذى لاقى مجير ام عامر

ادامت لها حين استجارت بقربه

قراها من البان اللقاح الغرائر

واشبعها حتى اذا هى تملأت

فرته بأنياب لها واطافر

فقل ليدوى المعروف هذا جزاء من

غدا يصنع المعروف مع غير شاكر

فقوله عليه السلام: **وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَهُ عليه السلام إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ**

الْحُمَقَاءِ كَالضَّبْعِ حَتَّى يَجِيءَ الصَّيَادُ وَهُوَ عَدُوُّهُ مِنْ طَلْحَةٍ وَالزَّبِيرُ وَعَائِشَةُ وَ

مَنْ تَبِعَهُمْ فَيَصْطَادُوهُ أَيْ يَقْتُلُوهُ بَغْتَةً فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِ الْفَطِينِ فَإِنَّ

حِدَةَ النَّظَرِ وَجُودَةَ الرَّأْيِ وَالتَّوَجُّهَ إِلَى الْأُمُورِ مِنْ عِلَائِمِ الْمُؤْمِنِ كَيْفَ وَهُوَ يَنْظُرُ

بِنُورِ اللَّهِ وَقَالَ عليه السلام اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ.

الْبَحْثُ الثَّانِي: فِي شَرْحِ قَوْلِهِ عليه السلام **وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ**

المُدْبِرِ عَنْهُ، وَ بِالسَّمَاعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ المُرِيبِ أبدأ...

ثم انه عليه السلام بعد قوله والله لا اكون كالضبع الى آخر ما قال وانه ليس كذلك

فكانه قيل له اذا لم تكن كالضبع فكيف انت فقال عليه السلام ولكنى اضرب الخ و

كلمة لكّن للاستدراك و حاصل كلامه (٩٤) فى المقام هو ان وظيفته فى

الحكومة الشرعية ضربة المدبر عن الحق بالمقبل اليه و العاصى المريب

بالسامع و الجامع هو تنبيههم و ايقاظهم من نوم الغفلة و الباء فى قوله عليه السلام

بالمقبل و فى قوله بالسامع، للسببية و المعنى انى اضرب المدبر عن الحق و

المعرض عنه بسبب المُقبل اليه و اضرَبُ العاصي المُريب بالسّامع المُطيع اى بسببه و فيه لطائف.

احدها: انه قال هذا الكلام وقت ولايته و حكومته عليهم و لم يقله قبلها و فيه اشعار بان قيام طلحة و الزبير و من تبعهما كان قياماً على الحوزة الاسلاميّة و شقاً لعصاهم لقياماً عليه عليه السلام و ذلك معلوم اذ لو كان قيامهم على شخصه عليه السلام لوجب عليهم الأقدام عليه قبل بيعة الناس له و اذا كان القيام على خلاف المسلمين و حكومتهم و جب على الوالى دفعه بسببهم و معوّنتهم و نُصرتهم وهذا واضح.

وثانيها: دفع الظالم و الذب عنه و اوجب على كل مسلم لانه من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر الا انه يجب على الامام الأقدام عليه بمعونة الناس اذ لو لا نُصرتهم له لما كان مقدوراً له فلم يكن موظفاً باجرائه.

وثالثها: الإشارة الى ان غرضه من الخلافة و الحكومة ليس الا اشاعة المعروف و امانة الباطل فقعوده عن اجراء الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مخالف لما هو غرضه و هو لا يمكن الا بسبب اعانتهم له عليه السلام.

ورابعها: فيه اشارة الى انه كان مأموراً باصلاح الأجماع بقمع الظالمين و دفع المُلحدين مادام الناس مُطيعين له و اما اذا لم يُطيعوا منه و لم يسمّعوا عنه بل خالفوه قولاً او عملاً فلا تكليف له بالنسبة الى هذا الأمر كما فى قضية صيفين و الحَكَمين حيث أنهم اى اصحاب معاوية كانوا ظالمين و من الأمرين بالمنكر فكان واجباً عليه عليه السلام قتلهم و استيصالهم الا انه كان مشروطاً بعدم مخالفة اصحابه و معاونتهم و نصرتهم له عليه السلام و حيث خالفوه فلا جرم أبقى معاوية و اصحابه على حالهم وهذا هو الوظيفة له عليه السلام بعد النّبى حيث انه لعدم وجود الأعوان و الأنصار سكّت و قعدت عن الأمر كما ورد فى الروايات الواردة عن النّبى عليه السلام مخاطباً لامير المؤمنين عليه السلام فانه عليه السلام قد أمره فيها بالمقاتلة مع المخالفين من أولهم الى آخرهم ان وجد اعواناً و انصاراً و أمره بالقوقود ان لم

يَجِدُ اعْوَاناً وَاَنْصَاراً فَالْأَمْرُ بِالْقِتَالِ مَعَ هَؤُلَاءِ كَانَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ مَشْرُوطاً وَسَيَأْتِي
مِنَّا رَوَايَاتٌ فِي مَامُورِيَّتِهِ بِالْقِتَالِ مَعَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ فِي صُورَةِ
وَجُودِ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَخْتَصُّ بِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ بَلْ هُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مَكَلَّفٍ
وَلَا سَيِّمًا الْأَمَامِ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ مَا دَامَ الشَّرَائِطُ مَوْجُودَةً وَمِنْ
جَمَلَةِ الشَّرَائِطِ بَلْ أَهَمُّهَا وَاصِلُهَا لِلْإِمَامِ هُوَ وَجُودُ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ، وَ
الْمَفْرُوضِ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لَهُ ﷺ بِسَبَبِ الْإِمَارَةِ وَالْخِلَافَةِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ
مَا دَامَ حَيًّا.

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ هَذَا إِشَارَةً إِلَى نَكْتَتِهِ أُخْرَى مُضَافًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَهِيَ
أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَهُ عَنْ شَهَادَتِهِ وَقَتْلِهِ فِي الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَهُوَ أَيْضًا مُحْتَمَلٌ، وَ يَدُلُّ
عَلَيْهِ إِضَافَتُهُ الْيَوْمَ بِالْيَاءِ الْمَتَكَلِّمِ فَقِيهِهِ أَيْمَاءُ إِلَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبَرَهُمْ
بِأَنَّهُ ﷺ لَنْ يُفَارِقَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ أَعْنَى الْعَدَالَةِ وَاجْرَائِهَا فِي النَّاسِ حَتَّى يُقْتَلَ بِسَبَبِهِ
فِي الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ كَمَا اشْتَهَرَ فِي أَلْسِنَةِ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ ﷺ قُتِلَ بَعْدَ لَه.

الْبَحْثُ الثَّلَاثُ: قَوْلُهُ ﷺ: فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ
مُنْذَ قَبْضِ اللَّهِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا...

فَقِيهِ إِشَارَةُ ﷺ إِلَى أَنَّ الْمَظْلُومِيَّةَ وَالْمَحْرُومِيَّةَ كَانَتَا ثَابِتَتَيْنِ لِي مِنْذُ قَبْضِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ حَتَّى الْيَوْمِ وَلَيْسَتْ هِيَ بِمُسْتَحْدَثَةٍ كَمَا ظَنُّوا وَأَمَّا قَوْلُنَا حَتَّى يَوْمِ
خِلَافَتِهِ وَدُخُولِهِ فِي الْمَظْلُومِيَّةِ لِاسْتِعْمَالِهِ ﷺ كَلِمَةَ حَتَّى، الدَّخْلُ مَا بَعْدَهُ فِي مَا
قَبْلَهُ دُونَ (إِلَى) فَأَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ كَمَا يُقَالُ أَكَلْتُ السَّمَكَةَ حَتَّى رَأْسِهَا أَيْ أَكَلْتُ
الرَّأْسَ أَيْضًا بِخِلَافِ مَا إِذَا قِيلَ إِلَى رَأْسِهَا فَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ دُخُولِ الرَّأْسِ فِي
الْأَكْلِ كَمَا فِي سِرِّهِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ.

فَحَيْثُ اسْتَعْمَلَ ﷺ فِي الْمَقَامِ كَلِمَةَ حَتَّى فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى مَظْلُومِيَّتِهِ إِلَى آخِرِ
عُمُرِهِ وَهُوَ الْحَقُّ الْوَاضِحُ أَمَّا كَوْنُهُ مَظْلُومًا بَعْدَ النَّبِيِّ إِلَى خِلَافَتِهِ فَهُوَ ظَاهِرٌ.

واما انه كان مظلوماً بعد الخلافة ايضاً فهو بشهادته التاريخ ألم تكن اصحاب
الجمال واصحاب صفين واصحاب نهروان ظالمين عليه فمن انكر هذا أكمن
انكر وجود الشمس في النهار.

واما تعبيره عليه السلام بيوم الناس دون يومى او اليوم مثلاً فيمكن ان يكون لدقيقة
وهي ان اليوم وهو يوم خلافتي بحسب الظاهر ليس يومى بل يوم الناس
وذلك لان يومى هو اليوم الذى اكون قادراً على احياء الحق وامانة الباطل كما
هو حقه واجراء العدالة فى الناس بحيث لا يوجد فيهم من خالف الشرع واما
اليوم فلا اقدر على اجراء هذا المعنى لقلّة المؤمنين وكثرة المخالفين المعاندين
يفعلون ما يشاؤون ويذهبون حيث يميلون ويريدون فأنا فيهم امير لا يطاع و
حاكم لا يقبل قوله و امير لا يطاع امره و لا ينتهى نهيه كما قيل لأمر لمن لا يطاع،
فكيف يكون هذا اليوم يومى فهو يوم الناس.

ثم انه لا بد لنا من الإشارة الى قصة الجمل و ما وقع فيها و ما كان سببها و
لنقدم كلاماً فى بيان نسب طلحة و الزبير و عائشة فنقول قد مرّنا فى بحث
الشورى الكلام فى نسب اهل الشورى و منهم الزبير و طلحة الا ان الحوالة
بتمامها توجب الملالة ولنقتصر فى المقام بالأشارة الاجمالية فى نسبهم ثم
نردفه بما يناسب المقام ولنتقل ما ذكره الشارح المعتزلى فى نسبهم فنقول:

اما طلحة: فهو ابو محمد ابن عبيد الله ابن عثمان ابن عمرو بن كعب ابن
سعد ابن تميم ابن مرة ابوه ابن عمّ ابى بكر و امه الصعبة بنت الحضرمى و كانت
قبل ان تكون عند عبيد الله تحت ابوسفيان صخر بن حرب فطلقها ثم تبعها
نفسه فقال فيها شعراً اوله انى وصعبته فى ما ارى بعيد ان و الودود قريب، ثم
قال: و طلحة احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد اصحاب الشورى و
لما كان له فى الدفاع عن رسول الله يوم أحد اثر عظيم ومثلت بعض اصابعه
يومئذ وقى رسول الله بيده من سيوف المشركين فقال رسول الله اليوم اوجب
طلحة الجنة.

و الزبير: هو ابو عبد الله الزبير ابن العوام ابن خويلد ابن اسد بن عبد العزى ابن قصي - امه صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله و هو احد العشرة ايضاً واحد الستة و من ثبت مع رسول الله يوم أحد وأبلى بلاءً حسناً و قال النبي لكل نبي حوارى و الزبير من الحوارى الخالصة تقول فلان خالصة فلان و خالصائه و حواريه شديد الاختصاص به انتهى. ما ذكره

واما عايشة: فهو بنت ابي بكر ابن ابي قحافة احدى زوجات النبي - زوجه النبي و هي ابن تسع سنين و لها قضايا مع رسول الله تطلب من مظانها من كتب التواريخ و السير و لعله سيأتى من بعض منها.

واما قصة الجمل اجمالاً - على ما يستفاد من التواريخ قال ابن الأثير فى الكامل ما خلاصته ان طلحة و الزبير و كثير من بنى امية اجتمعوا بمكة بعد قتل عثمان و كان سببه ان عائشة كانت خرجت اليها و عثمان محصور ثم خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت بسرف لقيها رجل من اخوالها من بنى ليث يقال له عبيد ابن ابي سلمة و هو ابن ام كلاب فقالت له مهيم قال قتل عثمان وبقوا ثمانياً.

قالت ثم صنعوا ماذا قال اجتمعوا على بيعة على فقالت ليت هذه - انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبك ردوني فانصرفت الى مكة و هي تقول قتل و الله عثمان مظلوماً و الله لأطلبن بدمه فقال لها و لم و الله ان اول من امال حرقه لاني و لقد كنت تقولين اقتلوا نعلنا فقد كفر قالت انهم - استتابوه ثم قتلوه و قد قلت و قالوا و قولي الأخير خير من قولي الأول فقال لها ابن ام كلاب:

فَمِنْكَ الْبَدَاءُ وَمِنْكَ الْغَيْرُ	وَمِنْكَ الرِّيَّاحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ
وَأَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الْأَمَامِ	وَقُلْتِ لَنَا أَنَّهُ قَدْ كَفَرَ
فَهَبْنَا اطْعَمَاكِ فِي قَتْلِهِ	وَقَاتِلْتَهُ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرِ
وَلَمْ يَسْقُطِ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِنَا	وَلَمْ يَنْكَسِفِ شَمْسُنَا وَالْقَمَرُ
وَقَدْ بَايَعَ النَّاسُ ذَا قَدْرَا	يُزِيلُ الشُّبَا وَيَقِيمُ الضُّفْرَا

و يَلْبَسُ لِلْحَرْبِ أَثْوَابَهَا وَمَا مَنَ وَفِي مِثْلِ مَا مَنَ غَدْرًا
فانصرفت الى مكة فقصدت الحجر فسئرت فيه فاجتمع الناس حولها
فقال ايها الناس ان الغوغاء من اهل الأمصار و اهل المياه و عبيد اهل المدينة
اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس و تقموا عليه استعمال من
حدثت سنة و قد استعمل امثالهم قبله و مواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم
و نزع لهم عنها فلما لم يجد و حجة و لا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم
الحرام و استحلوا البلد الحرام و الشهر الحرام و اخذوا المال الحرام و الله لأصبع
من عثمان خير من طباق الأرض امثالهم و الله لو ان الذي اعتدوا به عليه كان
ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه او الثوب من درنه اذ ماصوه كما
يُماص الثوب بالماء اى يغسل فقال عبدالله ابن عامر الحضرمي و كان عاملاً
عثمان على مكة ها انا اول طالب فكان اول مجيب و تبعه بنو امية على ذلك
و كانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان الى مكة و رفعوا رؤوسهم، و كان اول ما
تكلموا بالحجاز و تبعهم سعيد ابن العاص و الوليد ابن عقبة و سائر بنو امية و
قدم عليهم عبدالله ابن عامر من البصرة بمال كثير و يعلى ابن امية و هو ابن سنية
من اليمن و معه ستمائة بعير و ستمائة الف درهم فاناخ بالأبطح.

و قدم طلحة و الزبير من المدينة فلقيا عائشة فقالت ما ورائكما قالا انا
تحمّلنا هراباً من المدينة من غوغاه و فارقنا قوماً خيارى لا يعرفون حقاً ولا
يُنكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم فقالت انهضوا الى هذه الغوغاء فقالوا نأتى
الشام فقال ابن عامر قد كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة فان لى بها صنائع ولهم
فى طلحة هوى قالوا قبحك الله فوالله ما كنت بالمسالمة ولا بالمحارب فهلاً
اقمت كما اقام معاوية فنكفى بك ثم نأتى الكوفة فعَدَّ على هؤلاء القوم مذاهب
فلم يجدوا عنده جواباً مقبولاً فاستقام الرأى على البصرة و قالوا لها نترك
المدينة فانا نخرجنا فكان معنا من لا يطيق من بها من الغوغاء و نأتى بلداً مضيعاً
سَيَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا ببيعة على فتنهضهم كما انهضيت اهل مكة فان اصلح

الله الأمر كان الذي أردنا والآ دفعنا بجهدنا حتى يقضى الله ما اراد فأجابتهم الى ذلك و دعوا عبد الله ابن عمر ليسير معهم فابى وقال أنا من اهل المدينة افعل ما يفعلون فتركوه.

و كان ازواج النبي ﷺ معها على قصد المدينة فلما تغير رأيها الى البصرة تركن ذلك و اجابتهم حفصة الى المسير معهم فمنعها اخوها عبد الله بن عمر. ثم جهزهم يعلى ابن أمية بستمائة بعير و ستمائة الف درهم و جهزهم ابن عامر بمال كثير و نادى منادياً ان أم المؤمنين و طلحة و الزبير شاخصوا الى البصرة فمن اراد اعزاز الاسلام و قتال المجلین و الطلب بثار عثمان، و ليس له مركب و جهاز فليئات فحملو ستمائة على ستمائة بعير و سارو في الف و قيل في تسعمائة من اهل المدينة و مكة و لحقهم الناس فكانو في ثلاثة آلاف رجل. و بعث أم الفضل بنت الحرث أم عبد الله ابن عباس رجلاً من جهينة يدعى ظفر فاستأجرته على ان يأتي علياً بالخبر فقدم على علي بكتابها، و خرجت عائشة و من معها من مكة فلما خرجوا منها اذن مروان ابن الحكم ثم جاء حتى وقف على طلحة و الزبير فقال على ايكما أسلم بالأمرة و اودن بالصلوة فقال عبد الله ابن الزبير ابي عبد الله يعني اباہ الزبير و قال محمد ابن طلحة على ابن محمد يعني اباہ طلحة فأرسلت عائشة الى مروان و قالت له أتريد ان تفرق امرنا ليصل بالناس ابن أختي عبد الله و قيل بل صلى بالناس عبد الرحمن ابن عتاب ابن أسيد حتى قتل.

فكان معاذ ابن عبيد يقول والله لو ظفرونا لأقتلنا ما كان الزبير يترك طلحة والأمر ولا كان طلحة يترك الزبير والأمر و تبعها امهات المؤمنين الى ذات عرق فبكوا على الاسلام فلم يريوم كان اكثر باكياً و باكية من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب فلما بلغوا ذات عرق لقي سعيد ابن العاص مروان ابن الحكم واصحابه بها فقال اين تذهبون و تتركون ثاركم على أعجاز الأبل و رانكم يعني عائشة و طلحة و الزبير اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم فقالو نسير فلعلنا نقتل

قَتَلَهُ عَثْمَانُ جَمِيعاً فَخَلَا سَعِيدٌ بِطَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ فَقَالَ إِنْ ظَفَرْتُمَا لِمَنْ تَجْعَلَانِ
 الْأَمْرَ أَصْدِقَانِي قَالَا نَجْعَلُهُ لِأَحَدِنَا إِنَّمَا اخْتَارَهُ النَّاسُ قَالَ بَلِ تَجْعَلُوهُ لَوْلَدِ عَثْمَانَ
 فَإِنَّكُمْ خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ بَدْمَهُ فَقَالَا نَدْعُ شُيُوخَ الْمُهَاجِرِينَ وَنَجْعَلُهَا لِأَيِّنَا قَالَ: فَلَا
 أَرَانِي أَسْعَى إِلَّا لِأَخْرَاجِهَا مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفَرَجٍ وَرَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ خَالِدِ بْنِ
 اسدٍ وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ الرَّأْيِ مَا قَالَ سَعِيدٌ مِنْ كَانَ هِيَهْنَا مِنْ ثَقِيفٍ فَلْيَرْجِعْ
 فَرَجَعَ وَمَضَى الْقَوْمُ وَمَعَهُمْ أَبَانُ وَالْوَلِيدُ ابْنَا عَثْمَانَ وَاعْطَى يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ عَائِشَةَ
 جَمَلًا اسْمُهُ عَسْكَرٌ اشْتَرَاهُ بِثَمَانِينَ دِينَارًا فَرَكَبْتَهُ وَقِيلَ بَلِ كَانَ جَمَلَهَا لِرَجُلٍ مِنْ
 عَرَبِيَّةٍ.

قال العرنى بينما اسير على جمل اذ عرض لى راكب فقال ابيع جملك
 قلت نعم قال بكم قلت بألف درهم قال امجنون انت قلت والله ما طلبت عليه
 احداً الا ادركته ولا طلبنى وانا عليه احد الا غبت منه قال لو تعلم لمن نريده لام
 المؤمنين عائشة قلت خذه بغير ثمن قال بل ترجع معنا الى الرجل فنعطيك
 ناقة ودرهم قال فرجعت معه فاعطونى ناقةً مهيبة واربعمائة درهم اوستمائة
 قالوا الى يا اخا عرينة هل لك دلالة بالطريق قلت انا من ادل الناس قالوا فسير
 معنا فسيرت معهم فلا اقر على وادى سألونى عنه حتى طرقت الحوئب وهو ماء
 فنجتنا كلابه فقالواى ماء هذا قلت هذا ماء الحوئب فصرخت: عائشة بأعلى
 صوتها وقالت انا لله وانا اليه راجعون انى لهيه سمعت رسول الله ﷺ يقول و
 عنده نسائه ليت شعرى ايتكن تبوحها كلاب الحوئب ثم ضربت عضد بغيرها
 فاناخته وقالت ردونى انا والله صاحبة ماء الحوئب فانا حوا حولها يوماً وليلة
 فقال لها عبد الله ابن الزبير انه كذب ولم يزل بها، وهى تمتنع فقال لها النجاة
 النجاة قد ادرككم على ابن ابيطالب فارتحلوا نحو البقرة فلما كانوا بفنائها لقيهم
 عمير ابن عبد الله التميمى وقال يا ام المؤمنين انشدك الله ان تقدمى اليوم على
 قوم لن ترأسلى منهم احد فعجلى ابن عامر فان له بها صنائع فليذهب اليهم
 ليلقوا الناس الى ان تقدمى ويسمعوا ما جئتم به فارسلته فاندس الى البصرة فاتى

القوم وكتب عائشة الى رجال من اهل البصرة والى الأحنف ابن قيس وصبرة ابن شيمان وامثالهم وكان رجل عامّة والزّمة يابى الأسود الدؤلى وكان رجل خاصّة وقال لهما انطلقا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها فخرجافانتهما بالحقير فاذنت لهما فدخلوا وسلما وقالوا ان اميرنا بعثنا اليك لنسئلك عن مسيرك فهل انت مخبرتنا فقالت: والله ما مثلى يعطى لبينه الخبر ان الغوغاء ونزاع القبائل غزو حرم رسول الله واحد ثوافيه وآوالمحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسوله مع مانا لوامن قتل امام المسلمين بلا تره ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين اعلمهم ما أتى هؤلاء ومالناس فيه وراءنا وما ينبغى لهم من اصلاح هذه القصة وقرأت لاخير في كثير من نجواهم الآية.

فهذا شأننا الى معروف نامركم به و منكرتها كم عنه فخرج عمران وابو الأسود من عندها فاتيا طلحة وقالوا ما اقدمك فقال الطلب بدم عثمان فقالا ألم تباع علياً قال بلى، والسيف على عنقى وما استقبل علياً البيعة ان هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان.

ثم أتيا الزبير فقالا له مثل قولهما لطلحة وقال لهما مثل قول طلحة فرجعا الى عثمان ابن حنيف ونادى مناديا بالرحيل فدخل على عثمان فبادر ابو الاسود عمران فقال:

يا ابن حنيف قد اتيت فانفر وطاعن القوم و جالد واصبر
وابرز لهم مستلثماً وشمر

فقال عثمان انا لله وانا اليه راجعون دارت رحي الاسلام و رب الكعبة فانظروا ياى ريفات تريف فقال عمران اى والله لثعركم عركاً طويلاً، فقال: فاشر على يا عمران فقال: اعتزل فاني قاعد قال عثمان بل امنعهم حتى يأتى اميرالمومنين فانصرف عمران الى بيته وقام عثمان فى امره.

فاتاه هشام ابن عامر فقال: ان هذا الامر الذي تُريده يسلم الى شر مما تكره ان هذا فتق لا يترق و صدع لا يجبر فأرفق بهم وسامحهم حتى يأتي امر علي فابى ونادى عثمان في الناس و أمرهم بلبس السلاح فأجتمعوا الى المسجد و امرهم بالتجهيز و أمر رجلاً دسه الى الناس كوفياً خدعاً قيسياً فقام و قال ايها الناس انا قيس ابن العقدية الخميسي ان هؤلاء القوم ان كانوا جاؤوا خائفين فقد اتومن بلد يأمن فيه الطيروان كانوا جاوؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان فاطيعوني ورذوهم من حيث جاوؤا فقام الأسود ابن الربيع السعدي فقال اوزعمو انا قتلة عثمان انما اتويستعينون بنا على قتلة عثمان منا و من غيرنا فحصبه الناس فعرف عثمان ان لهم بالبصرة ناصره فكسره ذلك.

فاقبلت عائشة حتى انتهوا الى المريد فدخلوا من اعلاه فوقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه وخرج اليها من اهل البصرة من اراد ان يكون معها فاجتمع القوم بالمربد.

فتكلم طلحة و هو في ميمنة المربد و عثمان في ميسرته فأنصتوله. فحمد الله و اتنى عليه و ذكر عثمان و فضله و ما استحل منه و دعا الى الطلب بدمه و حثهم عليه و كذلك الزبير فقال من في ميمنة المربد صدقا و براء و قال من في ميسرته فجرا و غدرا و أمرا بالباطل فقد بايعا علياً ثم جائا يقولان و تحاثي الناس و تحاجو و ارهجوا.

فتكلمت عائشة و كانت جهورية الصوت فحمد الله و قالت كان الناس يتحنون على عثمان و يزرون على عماله و يأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما نخبروننا عنهم فننظر في ذلك فنجده برياً تقياً و نجدهم فجرة غدرة كذبة، و هم يحاولون غير ما يظهرون فلما قو و كاثروه و اقتحموا عليه داره و استحلوا الدم الحرام و الشهر الحرام بلائره و لا عذر الا ان مما ينبغي لكم غيره اخذ قتلة عثمان و اقامة كتاب الله و قرأت ألم ترالى الذين اتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآيه. فافترق اصحاب عثمان فرقتين فرقة قالت صدقت و برت و

فِرْقَةٌ قَالَتْ كَذِبْتُمْ وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ مَا جِئْتُمْ بِهِ فَتَحَا ثَوْبَهَا صَبَوا فَلَمَّا رَأَتْ عَائِشَةَ ذَلِكَ اِنْحَدَرَتْ وَاِنْحَدَرَ اَهْلُ الْمَيْمَنَةِ مَفَارِقِينَ لِعِثْمَانَ ابْنِ حَنِيفٍ حَتَّى وَقَفُوا فِي الْمِرْبَدِ فِي مَوْضِعِ الدَّبَاغِينَ وَبَقِيَ اصْحَابُ عِثْمَانَ عَلَيَّ حَالِهِمْ وَمَالَ بَعْضِهِمْ اِلَى عَائِشَةَ وَبَقِيَ بَعْضُهُمْ مَعَ عِثْمَانَ.

واقبل جارية ابن قدامة السعدي وقال يا ام المؤمنين والله لقتل عثمان اهون من خروجك من بيتك على هذا الجميل الملعون عرضة للسلاح انه قد كان لك من الله سترٌ وحرمة فهتكت ستركِ وابحت حرمتكِ انه من رأى قتالكِ يرى قتلكِ لئن كنت اتينا طائعةً فأرجعي الى منزلِك وان كنت اتينا مكرهة فاستعيني بالناس.

وخرج غلام شاب من بني سعد الى طلحة والزبير فقال امانت يا زبير فحاروا رسول الله ﷺ واما انت يا طلحة فوقيت رسول الله ﷺ بيدك، وارى أمكما فهل جئتما بنسائكما قال لا قال فما أنا منكم في شيء واعتزل في ذلك فقال:

صُنْتُمْ حِلَالِكُمْ وَقُدْتُمْ أُمَّكُمْ	هَذَا الْعَمْرُكَ قِلَّةُ الْأَنْصَافِ
أَمَرْتِ بِجَرْدِ يُولِهَا فِي بَيْتِهَا	فَهَوَتْ تَشَقُّ الْبَيْدِ بِالْأَيْجَافِ
عَرَضاً يُقَاتِلُ دُونَهَا أَبْنَاؤُهَا	بِالنَّبْلِ وَالْحَطَرِ وَالْأَسْيَافِ
هَتَكَتِ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ سُتُورَهَا	هَذَا الْمُخَبَّرُ عَنْهُمْ وَالْكَافِي

واقبل حكيم ابن جبلة العبدى وهو على الخيل فأنشبت القتال و اشرع اصحاب عائشة رماحهم و امسكوليمسك حكيم و اصحابه فلم ينته و قاتلهم فاقتتلوا على فم السكة و امرت عائشة اصحابها فيتامنوا الى بقرة بنى زمان و حجز الليل بينهم و رجع عثمان الى القصر و اتى اصحاب عائشة الى ناحية دار الرزق و باثويتاهبون فاقتتلوا بدار الرزق قتالاً شديداً الى ان زال النهار و كثر القتل فى اصحاب عثمان ابن حنيف و كثر الجرح فى الفريقين فلما عضتتهم الحرب تنادوا الى الصلح و توازعوا فكتبوا بينهم كتاباً على ان يبعثوا رسولا الى

المَدِينَةَ يَسْئَلُ اهلها فان كان طَلْحَةَ و الزَّيْبِر اَكْرها خَرَجَ طَلْحَةَ و الزَّيْبِر كَتَبوا
بينهم كتاباً بذلك.

ثمَّ بعد ذلك سار كعب ابن سُور الى المَدِينَةَ يسئَلهم فَلَمَّا قَدَمها اجْتَمَعَ
النَّاس اليه و كان يَوْم جُمعة فقال: يا اهل المَدِينَةَ انا رسول اهل البَصْرَةَ نَسئَلُكُمْ
هل اَكْره طَلْحَةَ و الزَّيْبِر على بيعة عليِّ ام اَتياها طائِعِينَ فلم يجِبْه اَحَدٌ الاَّ اُسامة
ابن زيد فانه قام و قال انهما بايَعوا و هما مَكْرُهَان فأمَرَ به تمام ابن العباس فَوَاتَبَه
سَهْل ابن حنيف و النَّاس و سار صُهَيْب و ابوايُوب و عِدَّة من اصحاب
النَّبِيِّ ﷺ و فيهم مُحَمَّد ابن مُسلمة حين خافوا ان يقتل اُسامة فقالوا: اللّهُمَّ نِعْم
فَتَرَكُوهُ و اخَذَ صُهَيْب اُسامة بيده الى منزله و قال له اما وسَعَكَ ما وسَعنا
من السَّكُوت.

قال: ما كنت اظنُّ انَّ الأمر كما أرى فَرَجَعَ كَعْب و بَلَغَ عليّاً الخبر فكَتَبَ الى
عثمان يَحجُزُه و قال و الله ما اَكْرها على فرقةٍ و لقد اَكْرها على جماعةٍ فان
كانا يريد ان الخَلع فلا عذر لهما و ان كانا يريد ان غير ذلك نَظَرنا و نَظَرُوا.

فقدِم الكتاب على عثمان و قَدِمَ كَعْب ابن سُور فارسَلُو الى عثمان ليُخرج
فاحتَجَّ بالكتاب و قال هذا امر آخر غير ما كنا فيه فَجَمَعَ طَلْحَةَ و الزَّيْبِر الرِّجال
فى لَيْلَةٍ مُظلمةٍ ذات رِياح و مَطَرٌ ثمَّ قَصَدَ اللِّمَسْجِد فوافقا صلوة العشاء و كانوا
يؤخِرُونها فابْطَأَ عثمان فَقَدَّ ما عبد الرَّحْمَن ابن عتاب فاقبلوا عليهم فاقتتلوا
فى مسجد و قتلوا اصحاب عثمان و هم اربَعُونَ رَجُلًا فادخَلَ الرِّجال على
عثمان فأخرجوه اليهما فما وصل اليهما و قد بَقِيَ فى وَجْهه شَعْرَةٌ فاستعظما
ذلك و ارسلا الى عايشة يُعلمانها الخبر فارسَلَت اليهما ان خلّوا سبيله.

و قيل قالت اُقتلوه فقالت لها امْرؤَةٌ نَشَدْتُك الله فى عثمان و صحبته لرسول
الله ﷺ فقالت لهم احبِسُوهُ فقال لهم مجاشع ابن مسعود اضربوه و انتفولحيته
و حاجبته و اشفار عينيهِ فضرَبوه اربَعين سوطاً و نَتَقُوا الحِجِيَّتَه و حاجبته و اشفار
عينيهِ و حبَسُوهُ ثمَّ اطلَقُوهُ و جعلُوا على بيت المال عبد الرَّحْمَن ابى بكر ثمَّ قال

ابن الأثير وقد قيل في اخراج عثمان غير ذلك ثم ذكر مالا حاجة لنا فيه. قال و
اقام طلحة و الزبير خطيبين فقالا يا اهل البصرة توبة لحوية انما اردنا ان
نستعيب امير المؤمنين عثمان فغلت السفهاء الحلماء فقتلوا فقال الناس لطلحة
يا ابا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا؟

فقال الزبير هل جائكم مني كتاب في شأنه ثم ذكر قتل عثمان و اظهر عيب
علي.

فقام اليه رجل من عبدالقيس و قال ايها الرجل انصت حتى نتكلم فانصت،
فقال العبدى يا معشر المهاجرين انتم اول من اجاب الى رسول الله فكان لكم
بذلك فضل، ثم دخل الناس فى الأ سلام كما دخلتم فلما توفي رسول
الله بايعتم رجلاً منكم فرضينا و سلمنا و لم تستأ مرونا فى شىء من ذلك ثم
مات و استخلف عليكم رجلاً فلم تشاورونا فى ذلك فرضينا و سلمنا فلما
توفي جعل امركم الى سنته نفر فاخترتم عثمان و بايعتموه عن غير مشورتنا ثم
انكرتم منه شيئاً فقتلتموه عن غير مشورة منا، ثم بايعتم علياً عن غير مشورة منا
فما الذى نقمتم عليه فنقاتله هل استأتر بفيء او عمل بغير الحق أو أتى شيئاً
تنكرونه فنكون معكم عليه فما هذا.

فهموا بقتله فمنعه عشيرته فلما كان الغد و ثبوا عليه و على من معه فقتلوا
منهم سبعين.

و بقى طلحة و الزبير بعد اخذ عثمان بالبصرة و معهم بيت المال و الحرس
و الناس معهما و من لم يكن معهما استتر الى آخر ما قال فيه.

ثم قال ابن الأثير فى كيفيته خروجه عليه السلام من المدينة الى البصرة انه لما
بلغه عليه السلام الخبر عن طلحة و الزبير و عايشة من مكة بما عزموا عليه دعا وجوه
اهل المدينة و خطبهم.

فحمد الله و أثنى عليه ثم قال عليه السلام ان آخر هذا الأمر لا يصلح الا بما صلح اوله
فانصروا الله ينصركم و يصلح لكم امركم فتشاققوا فلما رأى زياد ابن حنظلة

تَثَاقَلُ النَّاسَ اِنتَدَبَ اِلَى عَلِيٍّ وَ قَالَ لَهُ مَنْ تَثَاقَلُ عَنْكَ فَاِنَا نَخْفُ مَعَكَ فَنُقَاتِلُ
دُونَكَ وَ قَامَ رَجُلَانِ صَالِحَانِ مِنْ اَعْظَمِ الْاَنْصَارِ اِحَدُهُمَا اَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ وَ
هُوَ بَدْرِيُّ.

وَ الثَّانِي، خُزَيْمَةُ ابْنِ ثَابِتِ ذَوِ الشَّهَادَتَيْنِ فَاجَابَهُ اِلَى نُصْرَتِهِ وَ قَالَ الشَّعْبِيُّ مَا
نَهَضَ فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ اِلَّا سِتَّةُ نَفَرٍ بَدْرِيُّونَ مَالِهِمْ سَابِعٌ وَ قِيلَ اجْتَمَعَ اَرْبَعَةٌ فِي
اَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ اِلَّا وَ عَلِيٍّ اَحَدُهُمْ.

وَ قَالَ اَبُو قَتَادَةَ الْاَنْصَارِيُّ لِعَلِيِّ ﷺ اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اِنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ قَلَّدَنِي
هَذَا السَّيْفَ وَ قَدْ اَغْمَدْتُهُ زَمَانًا وَ قَدْ حَانَ تَجْرِيدهُ عَلَيَّ هُوَ لَاءُ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
الَّذِينَ لَا يَأْلَوْنَ الْاُمَّةَ غَشًّا وَ قَدْ اَحْبَبْتُ اِنْ تَقَدَّمَ نِي فَقَدَّمِنِي.

وَ قَالَتْ اُمُّ سَلْمَةَ يَا اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْلَا اِنْ اَعْصَى اللّٰهُوَ اَنْكَ لَا تَقْبَلُهُ مِنِّي
لَخَرَجْتُ مَعَكَ وَ هَذَا ابْنُ عَمِّي وَ هُوَ وَاللّٰهُ اعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي يَخْرُجُ مَعَكَ، وَ
يَشْهَدُ مَشَاهِدَكَ فَخَرَجَ مَعَهُ وَ هُوَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ وَ اسْتَعْمَلَهُ عَلِيٌّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ.

فَلَمَّا عَزَمَ عَلِيٌّ الْمَسِيرَ اِلَى الْبَصْرَةِ اسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ الْمَدِيْنَةَ تَمَامَ ابْنِ الْعَبَّاسِ وَ
عَلَى مَكَّةَ فَتَمَّ ابْنُ الْعَبَّاسِ وَ قِيلَ عَلِيٌّ الْمَدِيْنَةَ سَهْلَ ابْنِ حَنِيفٍ ثُمَّ سَارَ ﷺ مِنْ
الْمَدِيْنَةِ فِي تَعْبِيَةِ التِّي تَعْبَاهَا لِأَهْلِ الشَّامِ آخِرَ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتِّ وَ
ثَلَاثِينَ فَقَالَتْ أُخْتُ عَلِيٍّ ابْنِ عَدِيٍّ مِنْ نَبِيِّ عَبْدِ شَمْسٍ:

لَا هُمْ فَأَعْقِرْ لِعَلِيٍّ جَمَلَهُ وَ لَا تَبَارِكْ فِي بَعِيرٍ حَمَلَهُ

اِلَّا عَلِيٌّ ابْنُ عَدِيٍّ لَيْسَ لَهُ

وَ خَرَجَ مَعَهُ ﷺ مِنْ نَشْطٍ مِنَ الْكُوفِيِّينَ وَ الْبَصْرِيِّينَ مُتَحَفِّفِينَ فِي تَسْعَمَاءَ وَ
هُوَ يَرْجُوَانِ يُدْرِكُهُمْ فَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْخُرُوجِ اَوْ يَأْخُذُهُمْ فَلْيَقِهِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ
سَلَامٍ وَ اخَذَ بَعْنَانِيهِ وَ قَالَ يَا اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُخْرِجْ مِنْهَا فُو اللّٰهَ اِنْ خَرَجْتَ مِنْهَا لَا
يَعُودُ اِلَيْهَا سُلْطَانُ الْمُسْلِمِينَ اَبْدًا فَسَبَّوْهُ فَقَالَ ﷺ دَعُو الرِّجْلَ مِنْ اَصْحَابِ
مُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى اَنْتَهَى الرَّبْدَةُ فَلَمَّا اَنْتَهَى اِلَيْهَا اَتَاهُ خَبْرُ سَبْقِهِمْ فَقَامَ بِهَا يَا تَمْرُ مَا
يَفْعَلُ.

ثم ان ابن الأثير نقل ما نقله الشارح المعتزلى مى مجيبىء ابنه الحسن اليه و قوله له عليه السلام أمرتكم فعصيتنى الخ و نحن قلنا ما قلنا فيه عند ما نقلناه عن الشارح المعتزلى فراجع، ثم قال.

و لما قدم على الربذة و سمع بها خبر القوم ارسل منها الى الكوفة محمد ابن ابى بكر و محمد ابن جعفر و كتب اليهم انى اخترتكم على الأمصار و فزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعواناً و أنصاراً و انهضوا اليها فالأ صلاح تريد لتعود هذه الأمة إخواناً فمضيا و بقى على بالربذة و ارسل الى المدينة و اتاه ما يريد من دابة و سلاح و أمر امره و اقام فى الناس و خطبهم. و قال ان الله تبارك و تعالى أمرنا بالأسلام و رفعنا به و جعلنا به إخواناً بعد ذلة و قلة و تباعد و تباعد فجرى الناس على ذلك ماشاء الله الأسلام دينهم و الحق فيهم و الكتاب اما مهم حتى اصيب هذا الرجل بأيدى هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان لينزع بين هذه الأمة الا ان هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها فنعود بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية و قال انه لا بد مما هو كائن ان يكون ألا و ان هذه الأمة ستفترق على ثلاث و سبعين فرقة شرها فرقة تنحلنى و لا تعمل بعملى و قد ادركتهم و رأيتهم فالزمود ينكم و اهد و بهدى فانه هدى نبيكم و اتبعو سنته و اعرضوا عما اشكل عليكم حتى تعرضوا على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه و ما انكره فانكروه و ارضوا بالله رباً و بالأسلام ديناً و محمد نبياً و بالقرآن حكماً و اماماً.

ثم ان ابن الأثير اطال الكلام قضاء لحق التاريخ و نحن نلخصه قضاء لحق المقام و الكتاب فنقول.

ثم اتاه جماعة من قبيلة طى و هو عليه السلام بالربذة فقبل له عليه السلام هذه جماعة منهم من يريد الخروج معك و منهم من يريد التسليم عليك قال عليه السلام جزأهم الله خير الجزاء و فضل الله المجاهدين على القاعدىن اجرا عظيماً.

فسار عليه السلام من الربذة و على مقدمته أبوليلى ابن عمر ابن الجراح، و الرواية مع

محمد ابن الحنفية و هو عليه السلام على ناقة حمراء فلما نزل بفيد و طى و عرضوا عليه انفسهم و آتاه رجل بفيد من الكوفة فقال عليه السلام له من الرجل قال عامر ابن مطر الشيباني قال عليه السلام اخبر عما ورائك فأخبره فسئله عن ابي موسى فقال إن اردت الصلح فهو صاحبه و ان اردت القتال فلا فقال عليه السلام و الله ما اريد الا الصلح حتى يرد علينا.

و لما نزل على الثعلبية اخبروه عما وقع بعثمان ابن حنيف في البصرة و قتل اصحابه فقال عليه السلام اللهم عافني مما ابتليت به طلحة و الزبير فلما انتهى الى الاساد آتاه خبر حكيم ابن جبلة و قتلة عثمان فقال عليه السلام الله اكبر، اما ينجينى من طلحة و الزبير ان اثابا ثارهما و قال.

دعا حكيم دعوة الزماع حل بها منزلة النزاع

و لما انتهى الى ذى قار آتاه فيها عثمان بن حنيف و ليس فى وجهه شعرة و كانوا قد نتفوا شعر رأسه و لحيته كما ذكرناه فقال: يا امير المؤمنين بعثنى ذالحيه و جئتك امرد.

فقال: اصبت اجراً و خيراً و ان الناس وليهم قبلى رجلان ثم وليهم ثالث ثم بايعونى و بايعنى طلحة و الزبير ثم نكثا بيعتى و ألبا الناس على و من العجب انقياد هما لهم و خلافهما على و الله انهما ليعلمان انى لست بدون رجل ممن تقدم، اللهم فأحلل ما عقدت اولاً تبرم ما أحكما فى انفسهما و أرهما المسائة فيما قد عملا و أقام بذى قار ينتظر محمداً و محمداً فأتاه الخبر بما لقيت ربيعة و خروج عبدالقيس فقال عليه السلام:

يا لهف ما نفسى على ربيعة ربيعة السامعة المطيعة
قد سبقتنى فيهم الوقية دعا على سميعه
حلوا بها المنزلة الرفيعة

ثم ان محمد ابن ابى بكر و محمد ابن جعفر أتيا ابا موسى بكتاب على و قاما فى الناس بأمره فلم يجابا الى شىء و ذلك لان ابا موسى كان مخالفا له عليه السلام و

أَمَرَ النَّاسَ بِالْقَعُودِ وَ أَنَّهُ سَبِيلُ الْآخِرَةِ وَ الْقِيَامِ سَبِيلُ الدُّنْيَا فَاخْتَارُوهُ وَ لَمْ يَنْفَرِ
إِلَيْهِ أَحَدٌ فَغَضِبَا عَلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ أَبُو مُوسَى وَ اللَّهُأُ بَيْعَةُ عُثْمَانَ لَفِي عُنُقِي وَ
عُنُقِ صَاحِبِكُمَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ قِتَالٍ لَانْقَاتِلَ أَحَدًا حَتَّى نَفْرُغَ مِنْ قَتْلِهِ عُثْمَانَ
حَيْثُ كَانُوا فَانْطَلَقَا إِلَى عَلِيٍّ وَ اخْبَرَاهُ الْخَبَرَ وَ هُوَ بِذِي قَارِ.

ثُمَّ أَرْسَلَ ﷺ إِلَى الْكُوفَةِ مَالِكَ الْأَشْجَرِيِّ وَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَبَّاسٍ فَكَلَّمَا
أَبَا مُوسَى وَ اسْتَعَانَا عَلَيْهِ بِنَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ.

فَقَامَ لَهُمْ أَبُو مُوسَى وَ قَالَ لَهُمْ مَا حَاصِلُهُ إِنْ الْقَعُودُ لَكُمْ خَيْرٌ مِنْ الْخُرُوجِ وَ
الْقِيَامِ فَاعْمِدُوا سِوْفَكُمْ حَتَّى تَنْجَلِيَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ.

فَرَجَعَا إِلَى عَلِيٍّ ﷺ وَ اخْبَرَاهُ الْخَبَرَ وَ مَا قَالَ أَبُو مُوسَى فِي الْكُوفَةِ ثُمَّ أَرْسَلَ
إِبْنَهُ الْحَسَنَ ﷺ وَ عَمَّارَ ابْنَ يَاسِرٍ ثَالِثًا إِلَى الْكُوفَةِ فَاقْبَلَا حَتَّى دَخَلَا الْمَسْجِدَ
فَقَالَا وَ قَالُوا حَتَّى وَقَعَتِ الْمَشَاجِرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَ أَبُو مُوسَى كَانَ يَكْفُفُ النَّاسَ عَنْ
مُتَابَعَةِ عَلِيٍّ وَ اجَابَةَ دَعْوَتِهِ وَ الْحَسَنَ ﷺ وَ عَمَّارَ ابْنَ يَاسِرٍ يَرْغُبَانَهُمْ وَ
تَحْرِصَانَهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ فَقَامَ عَدِيُّ ابْنُ حَاتِمٍ وَ هُنْدَابُ بْنُ عَمْرِو وَ حُجْرُ ابْنِ
عَدِيٍّ وَ غَيْرُهُمْ مِنْ خِيَارِ الْكُوفَةِ وَ صَلْحَانَهُمْ وَ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَجَابَةِ فَأَجَابَهُمُ
النَّاسُ عَلَى رِغْمِ أَبِي مُوسَى فَانْفَرَّ مِنَ الْكُوفَةِ مَعَ الْحَسَنِ ﷺ قَرِيبَ مِنْ تِسْعَةِ
الْآفِ بَعْدَ مَا وَقَعَ بَيْنَ النَّاسِ مَشَاجِرَاتٌ وَ مَنَازَعَاتٌ مَنشَأُهُمَا أَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ وَ قِيلَ عَدَدَهُمْ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ قَالَ أَبُو الطَّفِيلِ عَلِيُّ مَا نَقَلَهُ فِي
الْكَامِلِ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ ذَلِكَ قَبْلَ وَصُولِهِمْ فَعَقَدَتْ فَاحْصِيَّتُهُمْ فَمَا زَادُوا وَ
لَا نَقَصُوا رَجُلًا.

فَقَدِمُوا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِذِي قَارٍ فَرَحَّبَ بِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا وَ عَبْدُ
الْقَيْسِ بِأَسْرَهَا فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَ الْبَصْرَةَ يَنْتَظِرُونَهُ وَ هُمُ الْأُوفُ وَ كَانَ
رُوسَاءَ النَّفَارِ زَيْدُ ابْنِ سُوَهَانَ وَ الْأَشْجَرِيُّ وَ عَدِيُّ ابْنِ حَاتِمٍ وَ الْمَسِيَّبُ ابْنُ بَخْتِيهِ وَ
يَزِيدُ ابْنُ قَيْسٍ وَ امثَالُهُمْ فَلَمَّا نَزَلُوا بِذِي قَارٍ دَعَا عَلِيٌّ ﷺ الْقَعَقَاعَ فَارْسَلَهُ إِلَى أَهْلِ
الْبَصْرَةَ وَ قَالَ ﷺ إِنِّي هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ (طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ) وَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ

النبي ﷺ فادعُهما الى الألفة و الجماعة و عَظُم عليهما الفرقة.
فَخَرَجَ القَعْقَاعُ حَتَّى دَخَلَ البَصْرَةَ فَبَدَأَ بِعَايِشَةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَ قَالَ يَا أُمَّهُ مَا
اشْخَصَكَ وَ مَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ البَلَدَةَ قَالَتْ أَيْ بُنِيَ الأَصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ قَالَ فَأَبْعِثْنِي
إِلَى طَلْحَةَ وَ الزَّيْبِرِ حَتَّى تُسْمَعَ كَلَامِي وَ كَلَامَهُمَا فَبِعَثَّتْ إِلَيْهِمَا فَجَاءَ.
فَقَالَ لَهُمَا أَنِي سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَقْدَمَهَا فَقَالَتْ الأَصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ فَمَا
تَقُولَانِ أَنْتُمَا أُمَّتَابِعَانِ أَمْ مُخَالَفَانِ قَالَا مُتَابِعَانِ.

قال اخبراني ما وجه هذا الأصلاح فوالله لئن عرفناه لنُصلحنَّ و لأن انكرنا لا
يصلح قالا قتلة عثمان فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، قال قد قتلتما قتلة
عثمان من اهل البصرة و انتم قبل قتلهم أقرب الى الأستقامة منكم اليوم قتلتم
سِتْمَاةَ رَجُلٍ فغَضِبَ لَهُم سِتَّةَ الأَفِّ وَ اعْتَزَلُوكُمْ وَ خَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ وَ
طَلَبْتُمْ حَرِ قَوْصِ ابْنِ زَهِيرٍ فَمَنْعَهُ سِتَّةَ الأَفِّ فَان تَرَكْتُمُوهُمْ كُنْتُمْ تَارِكِينَ لِمَا
تَقُولُونَ وَ ان قَاتَلْتُمُوهُمْ وَ الذِّينَ اعْتَزَلُوكُمْ عَلَيْكُمْ فَالذِّى حَذَرْتُمْ، وَ قَوَّيْتُمْ بِهِ
هَذَا الأَمْرَ اعْظَمَ مِمَّا أَرَاكُمْ تَكْرَهُونَ وَ ان انتم منعتم مُضَرَّ وَ رِبِيعَةَ مِنْ هَذِهِ البِلَادِ
اجْتَمَعُوا عَلَى حَبِّكُمْ وَ خَذَلَانِكُمْ نَصْرَةَ لَهُؤُلَاءِ كَمَا اجْتَمَعَ هؤُلَاءِ لِأَهْلِ هَذَا
الْحَدِيثِ العَظِيمِ وَ الذَّنْبِ الكَبِيرِ.

قالت عائشة فماذا تقول انت؟ قال اقول: ان هذا لأمر دوائه التَّسْكِينُ فاذا
سَكَنَ اخْتَلَجُوا فَان أَنْتُمْ بَايَعْتُمُونَا فَعَلَامَةٌ خَيْرٍ وَ ان انتم أَبِيتُمْ الأَ مُكَابِرَةَ هَذَا
لأَمْرَكَانْتَ عِلَامَةٌ شَرٌّ وَ ذَهَابَ هَذَا المَالِ فَاتْرُ و العافية ترزقوها و كونوا مفاتيح
الخَيْرِ كَمَا كُنْتُمْ وَ لا تَعْرِضُونَا لِلْبِلَاءِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ لَهُم.

قَالُوا لَهُ احْسَنْتَ وَ اصْبَتَ فَأَرْجِعْ فَان قَدَّمَ عَلِيَّ وَ هُوَ عَلِيٌّ مِثْلَ رَأْيِكَ صَلَحَ
الأَمْرُ فَرَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ فَاخْبَرَهُ فَاغْجَبَهُ ذَلِكَ وَ اشْرَفَ القَوْمُ عَلَى الصُّلْحِ كَرِهَ
ذَلِكَ مَنْ كَرِهَ وَ رَضِيهِ مَنْ رَضِيهِ وَ اقْبَلْتِ وَ فُودَ العَرَبِ مِنْ نَحْوِ البَصْرَةِ إِلَيْهِ ﷺ
بَدَى قَارِ قَيْلِ رَجُوعِ القَعْقَاعِ لِيَنْظُرُوا مَا رَأَى إِخْوَانَهُمْ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ.

وسئل جرير بن شربس عن طلحة و الزبير فآخبره بدقيق امرهما و

جليله و قال له ﷺ أما الزبير فيقول بايعنا كرهاً و أما طلحة فيتمثل بالأشعار
ألا أبلغ بنى بكرٍ رسولاً
فليس إلى بنى كعبٍ سبيلُ
سِيرِجِ ظلمكم منكم عليكم
طَوِيلُ السَّاعِدِينَ لَهُ فَضُولُ
فتمثل على ﷺ عندها و قال:

ألم تعلم اباسمعان أنا
و يذهل عقله بالحرب حتى
نرد الشيخ مثلك ذا الصداع
يَقُومُ فَيَسْتَحِيبُ لغيرِ داعٍ
فدافع عن خزاعة جمع بكرٍ
و ما بك يا سُرَاقَةَ من دفاعٍ
و رجعت و فود اهل البصرة برأى اهل الكوفة و رجع القعقاع من البصرة
فقام ﷺ خطيباً فيهم فحمد الله و ذكر الجاهلية و شقها و الأسلام و السعادة و
انعام الله على الأمة بالجماعة الى آخر ما ذكره ﷺ .

ثم أنه ﷺ سار من ذي قار الى البصرة حتى وصل اليها من نصف من
الجمادى الآخرة سنة ست و ثلاثين.

ثم قال ﷺ في خطبة خطبها لأصحابه ايها الناس أملكوا عن هؤلاء القوم
أيديكم و سنتكم و اياكم ان تسبقونا فان المخصوم غداً من خصم اليوم و
بعث اليهم حكيم ابن سلامة و مالك ابن حبيب ان كتتم على فارقتم عليه
القعقاع فكفوا حتى تنزل و ننظر في هذا الأمر فلما تراءى الجمعان خرج الزبير
على فرس عليه سلاح فليل لعلي هذا الزبير فقال ﷺ انه احرى الرجلين ان ذكر
بالله تعالى ان يذكر و خرج طلحة فخرج اليهما على ﷺ حتى اختلفت اعناق
دوابهم.

فقال لهما علي ﷺ لعمرى قد اعددتما سلاحاً و خيلاً و رجالاً ان كتتما
اعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله لا تكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً
ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي و أحرمت دمكما فهل من حديث احل
لكما دمي.

قال طلحة ألبت على عثمان، قال علي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يا
طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله.

يا طَلْحَةَ أَجِثْ بعِرسِ رسولِ اللهِ ﷺ تقاتلِ بها و خَباتِ عِرسِكَ في البَيْتِ
اما بايَعْتَنِي قال بايَعْتُكَ وَالسَّيْفِ عَلَيَّ عُقْبَى.

فقال عَلِيُّ لِلزَّبِيرِ، يا زَبِيرُ ما اَحْرَجَكَ قال انتَ و لا اراكِ لَهذا الأَمْرِ اهلاً و لا
أولى به مِنّا فقال له أَلَسْتُ له اهلاً بعدَ عُثمانِ قد كُنّا نَعُدُّكَ من بنى عبدالمطلبِ
حتى بَلَغَ ابْنُكَ السُّوءَ ففَرَّقَ بَيْنَنا:

ثم قال له ﷺ تَذَكَّرْ يوماً مررتَ مع رسولِ اللهِ في بنى عُثمِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَضَحِكَ
و ضَحِكَتُ اليه فقلتُ له لا يَدَعُ ابنُ ابيطالبِ زَهْوَهُ، فقال لك رسولُ اللهِ صَلَّى
اللهُ عليه و آله ليس بِمُزِهِ لِنَقَاتِلَنَّهُ و انتَ ظالمٌ له قال اللهم نعم و لو ذَكَرْتُ ما
سِرْتُ مَسِيرِي هَذَا و الله لا أَقاتِلُكَ أبداً فانصَرَفَ ﷺ الى اصحابه.

و رجعَ الزَّبِيرُ الى عائِشةَ فقال لهما ما كُنْتُ في موطنٍ منذُ عقلتُ الأَوَّانَا
اعرَفُ فيه أمرِي غَيْرَ موطنِي هذا.

قالت فما تريد ان تَصْنَعُ؟ قال اريد ان أَدْعُهُم و أذهبَ قال له ابنه عبدالله
جمَعْتُ بين هذين الغَيْثَيْنِ حتى اذا احْدَدَ بعضهم لبعضٍ اردتَ ان تتركهم و
تذهبَ لكنك خَشِيتَ رَأْيَاتِ ابنِ ابيطالبِ و علمتَ انها تحملها فِتْيَةَ انجَادٍ و إنْ
تَحْتَهَا المَوْتُ الأَحْمَرُ فجنبتَ فأحفظه ذلك و قال انى حَلَفْتُ ان لا أَقاتِلَهُ قال
كَفَّرَ عن يَمِينِكَ و قاتِلُهُ فأعتقَ غلامه مكحولاً و قيل سرجس و فيه قال الشاعر:

لَمْ اَرَ كَالْيَوْمِ اخا اخوانٍ اعجَبَ مَنْ يَكْفُرُ الايمانَ

و قيل انما عاد الزَّبِيرُ عن القتالِ لَمَّا سمعَ انَّ عمارَ ابنَ ياسرٍ مع عَلِيٍّ فخافَ
ان يُقتلَ عَمَّارٌ و قال النبي ﷺ لِعَمَّارِ يا عَمَّارُ تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغيةُ فرَدَّهُ ابنه
عبدالله كما ذكرناه .

و افترقَ اهلُ البَصْرَةِ ثلاثَ فرقٍ - فرقةٌ مع طَلْحَةَ و الزَّبِيرِ - و فرقةٌ مع عَلِيٍّ
و فرقةٌ لا ترى القتالِ منهم الأحنفُ و عمرانُ و غيرها و جاءت عائِشةُ فنزلتْ في
مسجدِ الحدانِ في الأزْدِ و رأسُ الأزْدِ يومئذٍ صَبْرَةُ ابنِ شيمانِ فقال له كعبُ ابنِ
سُورٍ انَّ الجُمُوعَ اذا تَرأتْ لم تَسْتَطِعْ انما هي بُحُورٌ تدفقُ فأطعني و لا تشهدهم

بقومك فاني اخاف ان لا يكون صلح و دَع مُضْرُو رِبِيعَةَ و هما اخوان فان
اصطلحا فالصلح اردنا و ان اقتتلنا حكاماً عليهم غداً و كان كعب في الجاهلية
نصرانياً فقال له صبرة اخشى ان يكون فيك شىء من النصرانية اتأمرنى ان
اغيب عن اصلاح بين الناس و ان اخذل ام المؤمنين و طلحة و الزبير و الله لا
افعل هذا.

و على اى حال ان طلحة و الزبير و عائشة ما اجابوا علياً بالصلح فلا جرم
وقع الحرب بينهم الا ان امير المؤمنين عليه السلام أمر اصحابه ان لا يقتلو حتى يبدأوا
يطلبون بذلك الحجّة و ان لا يقتلو مدبراً و لا يجهزوا على صريخ، و لا
يستحلّو سلباً و لا يرزوا بالبصرة سلاحاً و لا ثياباً و لا متاعاً.

فلما وقع الحرب بينهم كان الفتح و الظفر مع حزب الله و المغلوبية و
المقهورية نصيب الشيطان و حربه فقتل من قتل و جرح فبينما عائشة واقفة اذ
سمعت ضجّة شديدة فقالت ما هذه قالوا ضجّة العسكر قالت بخير او بشر قال
بشر فما مخبائها الا الهزيمة فمضى الزبير من وجهه الى وادى السباع و انما
فارق المعركة لانه قاتل تعذير الما ذكر علي له.

و اما طلحة فاتاه سهم غرب فأصابه فشك رجله بصفحة الفرس و هو
ينادى إلى إلى عباد الله الصبر الصبر، فقال له الققعاع ابن عمرو يا ابا محمد انك
لجريح و انك عما تريد لعليل فادخل البيوت فدخل و دمه يسيل و هو يقول
اللهم خذ لعثمان منى حتى ترضى فلما امتلاء خفه دمياً و ثقل قال لغلامه أرد
فنى و أمسكنى و أبلغنى مكاناً أنزل فيه فدخل البصرة فانزله في دار خربة
فمات فيها، و قيل انه اجتاز به رجل من اصحاب علي فقال له من انت قال من
اصحاب امير المؤمنين قال طلحة امدد يدك حتى أبايعك له فبايعه و خاف ان
يموت و ليس في عنقه بيعة و لما قضى دفن في بنى سعد و قال طلحة لم
ارشيخا اضيع دمياً منى و تمثّل عند دخول البصرة مثله و مثل الزبير:

فأن تكن الحوادث اقصدتني اخطأ هن سهمى حين أرمى

فَقَدْ ضَيَّعْتُ حِينَ تَبِعْتُ سَهْمًا سَفَاهَةً مَا سَفِهْتَ وَضَلَّ حِلْمِي
 نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُتَّاعِ لَمَّا شَرِبْتُ رِضَابِنِي سَهْمَ بَرِّعَمِي
 اطْعَمْتُهُمْ بِفِرْقَةِ آلِ لَايٍ فَأَلْقَوْا لِلسَّبَاعِ دَمِي وَلَحْمِي
 وَكَانَ الَّذِي رَمَى طَلْحَةَ مِرْوَانَ ابْنَ الْحَكَمِ وَقِيلَ غَيْرُهُ.

وَأَمَّا الزَّبِيرُ فَإِنَّهُ مَرَّبَعَسْكَرَ الْأَحْنَفِ ابْنَ قَيْسٍ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا هَذَا انْحِيَازَ جَمْعٍ
 بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى ضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَحْقَ بَيْتِهِ قَالَ الْأَحْنَفُ لِلنَّاسِ مَنْ
 يَأْتِينِي بِخَبْرِهِ فَقَالَ عَمْرُو ابْنُ جُرْمُوزٍ لِأَصْحَابِهِ أَنَا فَاتَّبِعْنِي فَلَمَّا لَحِقَهُ نَظَرَ إِلَيْهِ
 الزَّبِيرُ وَقَالَ مَا وَرَائِكَ قَالَ إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَقَالَ غَلَامٌ لِلزَّبِيرِ اسْمُهُ عَطِيَّةٌ أَنَّهُ
 مُعَدٌّ قَالَ مَا يَهْوُلُكَ مِنْ رَجُلٍ وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَالَ ابْنُ جُرْمُوزِ الصَّلَاةُ وَقَالَ
 الزَّبِيرُ الصَّلَاةُ فَلَمَّا نَزَلَا اسْتَدْبَرَهُ ابْنُ جُرْمُوزٍ فَطَعَنَهُ فِي جُرْيَانِ دِرْعِهِ فَقَتَلَهُ وَ
 أَخَذَ فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ خَاتَمَهُ وَخَلَّى عَنِ الْغَلَامِ فَدَفَنَهُ بِوَادِي السَّبَاعِ وَرَجَعَ إِلَى
 النَّاسِ بِالْخَبْرِ فَقَالَ الْأَحْنَفُ لِابْنِ جُرْمُوزٍ وَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَحْسَنْتَ أَمْ أَسَاءْتَ فَاتَى
 ابْنَ جُرْمُوزٍ عَلِيًّا وَقَالَ لِحَاجِبِ اسْتَأْذِنْ لِقَاتِلِ الزَّبِيرِ، فَقَالَ عَلِيٌّ ائْذِنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ
 بِالنَّارِ وَاحْضُرْ سَيْفَ الزَّبِيرِ عِنْدَ عَلِيٍّ فَأَخَذَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ طَالَمَا جَلَيْتُ بِهِ
 الْكَرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ لَمَّا انْجَلَّتِ الْوَقْعَةُ وَانْهَزَمَ
 النَّاسُ يُرِيدُونَ الْبَصْرَةَ فَلَمَّا رَوَا الْخَيْلَ اطَّافَتْ بِالْجَمَلِ عَادُوا قَلْبًا كَمَا كَانُوا
 حَيْثُ اتَّقَوْا وَعَادُوا فِي أَمْرٍ جَدِيدٍ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا انْجَلَّتِ الْوَقْعَةُ وَانْهَزَمَ النَّاسُ لَكَعْبِ ابْنِ سُورٍ خَلَّ عَنْ
 الْجَمَلِ وَتَقَدَّمَ بِالْمُصْحَفِ فَأَدْعُهُمْ إِلَيْهِ وَنَاوَلَتْهُ مُصْحَفًا فَاسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، وَ
 السَّبِيَّةُ أَمَامَهُمْ فَرَمَوْهُ رَشْقًا وَاحِدًا فَقَتَلُوهُ وَرَمَوْا عَائِشَةَ فِي هَوْدَجِهَا فَجَعَلَتْ
 تُنَادِي الْبَقِيَّةَ الْبَقِيَّةَ يَا بَنِيَّ وَيَعْلُو صَوْتُهَا كَثْرَةُ اللَّهِ أَذْكَرُ وَاللَّهُ وَالْحِسَابُ فَيَأْبُونَ
 إِلَّا إِقْدَامًا.

فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ أَحْدَثْتَهُ حِينَ أَبَوَانِ قَالَتْ أَيُّهَا النَّاسُ الْعَنُوا قَتْلَةَ عَثْمَانَ وَ
 أَشْيَاعَهُمْ وَاقْبَلْتُمْ تَدْعُوهُ وَضَجَّ النَّاسُ بِاللُّدْعَاءِ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام مَا هَذَا الضَّجُّ قَالُوا
 عَائِشَةُ تَدْعُوا عَلِيَّ قَتْلَةَ عَثْمَانَ.

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

فأحاط جيش علي بالعسكر و جيش عائشة كانوا يمنعونهم حتى اقتلوا قتالاً شديداً و قُتِل من الطَّرفين خلقٌ كثير و الجَمَل بحاله فلما رأ علي أن الجَمَل بحاله و قد علم أن الجَمَل منشاء الفساد و القتل بين المسلمين فأمرهم أن يَحْمِلُو عليه دَفْعَةً واحدةً.

فَحَمَل عَلَيْهِم بِنَفْسِهِ و الجُنْد من ورائه و ذوالقفار بيده فاحاطوا بأصحاب الجَمَل و وضَعُوا السُّيُوف عليهم حتى قَطَعُوا قوائم البعير و جَرَجِر البعير، فقال الققعاع لِمَنْ يَلِيه انتم آمِنون و اجتمع هو و زفر على قطع بطان البعير و حَمَلَا الهودج فوضعا و انه كما القنفذ لما فيه من السهام ثم اطافا به و فرَّ من وراء ذلك من الناس.

فلما انهزموا مرَّ عليٌ منادياً فنادى الآ تَبَعُوا مُدْبِرًا و لا تَجْهَرُوا على جريح و لا تدخلوا لدور و امر علي نقران يَحْمِلُوا الهودج من بين القتلى و امر اخاها محمد ابن ابى بكر ان يضرب عليها قبة و قال انظر هل وصل اليها شىء من جراحة فادخل رأسه فى حودجها؟

فقلت: من انت؟ فقال: ابغض اهلك اليك.

قلت ابن الخثمية؟ قال: نعم، قالت: الحمد لله الذى عافاك.

و قيل لما سقط الجَمَل اقبل محمد ابن ابى بكر اليه و معه عمَّار فاحتملا الهودج فنحياه فادخل محمد يده فيه فقالت من هذا فقال اخوك البر قالت: عقق قال يا أختي هل اصابك شىء، قالت ما انت و ذاك قال فمن اذا الضلال؟ قالت: بل الهداة و قال لها عمَّار كيف رأيت ضرب بينك اليوم يا أماء؟ قالت: لست لك بأم؟ قال بلى و ان كرهت.

قلت: فخرتم ان ظفرتهم و اتيتم مثل الذى نَقَمْتُم هيهات و الله لن يظفر من كان هذا دأبه فأبرزوا هودجها فوضعوها ليس قريبا احد فاناها علي فقال كيف انت؟ قالت: بخير فلما كان الليل ادخلها اخوها محمد ابن ابى بكر البصرة فأنزلها فى دار عبد الله ابن خلف الخزاعى على صفية بنت الحرث ابن ابى

طلحة ابن عبد العزى ابن عثمان ابن عبد الدار.

فاقام على بظاهر البصرة ثلاثاً و اذن للناس فى دفن موتاهم فخرجوا اليهم
فدفنوهم و كان القتلى جميعاً من الفريقين فى وقعة الجمل عشرة آلاف.
ثم جهز عليه السلام لعائشة بكل ما ينبغى لها من مركب و زاد و متاع و بعث معها كل
من نجاف من خرج معها الا من احب المقام و اختار لها اربعين امرئة من نساء
البصرة و المعروفات و سير معها اخاها محمد ابن ابى بكر الى الحجاز هذا
خلاصة ما اردنا ايراده من قصة الجمل و من اراد تفصيلها فعليه بكتب التواريخ
و لحمد لله رب العالمين و ما ذكرناه اخذناه من الكامل لابن الأثير فحسب.

﴿ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٧) ﴾

□ اِتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَّلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فِعْلٌ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

◁ اللُّغَةُ

(مَلَكَاً) مَلَائِكُ الْأُمُرِ مَا يَقُومُ بِهِ. (أَشْرَاكاً) الْأَشْرَاكُ يُمَكِّنُ إِنْ يَكُونُ جَمْعُ شَرِيكٍ كَشَرِيفٍ وَأَشْرَافٍ وَأَنْ يَكُونُ جَمْعُ شَرِكٍ وَهُوَ حَبَائِلُ الصَّيْدِ. (الدَّبِيبِ) الْمَشْيُ الْخَفِيفُ الضَّعِيفُ وَالذَّرَجُ أَقْوَى مِنْهُ. (الْخَطْلُ) الْفَاسِدُ مِنَ الْقَوْلِ. (شَرِكَهُ) بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَكَسْرِ الرَّاءِ شَارَكَهُ.

◁ الْمَعْنَى

(اِتَّخَذُوا) أَي الزَّبِيرُ طَلْحَةُ وَعَائِشَةُ وَمَنْ تَابَعَهُمْ لِأَمْرِهِمْ وَهُوَ نَكْبَتُهُمُ الْبَيْعَةُ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِ ﷺ (الشَّيْطَانَ مَلَكَاً) فَكَانَ أَمْرُهُمْ كَأَنَّ قَائِماً بِهِ وَاتَّخَذَ الشَّيْطَانُ أَيَاهُمْ لِنَفْسِهِ أَشْرَاكاً (فَبَاضَ وَفَرَّخَ) أَي أَقَامَ وَلاَزَمَ (فِي صُدُورِهِمْ) وَمَشَى خَفِيفاً فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ الشَّيْطَانُ بِسَبَبِ أَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِلسَانِهِمْ فَكَانَتْهُمْ لَا يَرُونَ وَلَا يَنْطَلِقُونَ بَلِ الشَّيْطَانُ يَرِي وَيَنْطَلِقُ فَرَكِبَ الشَّيْطَانُ بِسَبَبِهِمُ الْخَطَايَا وَالزَّلَّلَاتُ وَالهِفَوَاتُ.

اعلم: ان هذه الخطبة من اولها الى آخرها استعارات و كنايات عن الحقائق المتأصلة والأصول الثابتة الشرعية المقررة.
 فقوله ﷺ: (اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لَأَمْرِهِمْ مَلَكَاً) . فهو كناية عن انحرافهم واعو جاجهم في مسلكهم الذي سلكوه، و ذلك لبعده عن الحق و قربه الى الباطل و هذا هو بعينه مسلك الشيطان و من تابعه في اموره فان المؤمن هو الذي يكون معتقداً بوجود الواجب و صفاته و لازم ذلك هو السلوك في مسلك رسوله و اوليائه في اقواله و افعاله و يكون الكتاب و السنة ملاكاً و أصلاً لجميع حرّكاته و سكّاته و كلماته فمن لم يكن كذلك فليس من المؤمن بشيء حقاً لعدم وجود ملاك الأيمان فيه.

و اما طلحة و الزبير و من حذى حذوهما حيث لم يكن ملاك قيامهم في قصة الجمل الكتاب و السنة بل الملاك فيها لم يكن الا الهوى و متابعة الشيطان فلا جرم صاروا مستحقين للذم و القذح في لسان الشريعة و يمكن الاستدلال عليه بوجوه من العقل و النقل.
 اما العقل:

فمنها - انهم كانوا بايعو علياً في المدينة و اعطوه العهود و الموائيق على الوفاء بها، ثم نكثوا بيعته و لا شك في قبح هذا العمل عقلاً فان العقلاء يلتزمون بعقودهم و موائيقهم و يعدون التخلف عنها من القبائح و هذا واضح
 ومنها - ان النكث للبيعة قبل صدور فعلٍ يوجب ذلك لا يجوزه العقل و على لم يصدر منه ما يوجبه فنكثها قبيح.

ومنها - ان نكث البيعة شيء قبيح و قتل المسلمين و هتكهم و نهبهم اقبح منه و حيث انهم بعد نكثهم لبيعتهم ارتكبوا هذه الأمور المستنكرة المستهجنة فبذلك صاروا مستحقين للذم عقلاً.

ومنها - ان متابعة الأنسان في امور دينه بل و دنياه من النساء من القبائح

العقلية و حيث أنهم تابَعُوا عايشة و فَوَضُوا أُمُورَهُم اليها و قلدُّوها في دينهم و دنيا هم فهم صاروا من المَحْكُومين عقلاً.

ومنها - أنهم خالفوا علياً في حكومته و اما سائر الناس و لا سيما المسلمين بالبصرة لاذنب لهم فانهم لم يكونوا مِمَّنْ أَصَرَ عليه بقبوله الخلافة بل لم يكونوا اخذهم نكثهم و قتلهم المسلمين ظلماً.

ومنها - إنهم ادعوا في قيامهم أنهم طلبوا بشار عثمان ابن عفان و من المعلوم عند العقلاء قُبِحَ طلب الثار مِمَّنْ لم يكن اولياء المقتول و حيث أنهم و لا سيما طلحة و الزبير و عائشة لم يكونوا من اوليائه فالطلب لهم بشاره يُعَدُّ فساداً و افساداً و فُضُولياً و العقل السليم لا يُصدِّقه.

ومنها - انه على فرض كونهم من اوليائه ايضاً لم يكن لهم حق بمطالبة الثار من علي عليه السلام فانه بأجماع المورخين لم يكن بقاتله و لا امرأه فكيف يؤخذ به ولنعم ما قال الشاعر:

غيري جنى و أنا المعاقب فيكم فكأننى سببته المُتتدم
ومنها - أنهم صاروا بذالك من المُفسدين في الأرض و الفساد في الارض
مَحْكُوم بالقبح في جميع الأزمنة لدى جميع العقلاء.
و اما النقل:

فمنها - «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» (١)

و لاشك في كونهم من الناكثين فصاروا مستوجبين للذم شرعاً.
ومنها قوله عليه السلام: المؤمن اذا وعد وفى.

و قوله عليه السلام: المؤمنون عند شروطهم. و امثال ذلك من الروايات و حيث أنهم خالفوا عهودهم و شروطهم فلم يكونوا بمؤمنين و من لم يكن مؤمناً فهو من اتباع الشيطان و هو المطلوب.

و لاشك في ان نقض العهد من غير مجوز شرعي او عقلي ممنوع شرعاً فلا

حاجة الى ذكر الأدلة النقليّة و كيف كان فالزُبَيْر و طَلْحَة و اتباعهما اتّخذوا الشَّيْطَان ملاكهم فى الأمر، و هو يكفى فى انحطاطهم و دنائتهم كما لا يخفى. □ قوله ﷺ: و اتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً...

فاعل (اتخذ) هو الشَّيْطَان يعنى انهم بعد ما ملكوا الشَّيْطَان امورهم فتصرّف فيهم بان اخذهم شركاء له و جعلهم جنوده و اتباعه قال الله تعالى: ﴿اسْتَخَوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ اُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ اَلَا اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) هذا اذا قلنا بان اشراكاً جمع شريك و اما على القول بكونه جمع شَرَك كجَبَل و اَجِبَال فانه عليه استعارة و ذلك لان الشَّرَك جبال الصَّيد فكما ان الصَّياد لا يمكن له الاصطياد بدون الآلات و الأدوات فكان هؤلاء القوم بحسب تملك الشَّيْطَان لآرائهم و تصرّفه فيهم صاروا اسباباً بدعوتهم الخلق الى مخالفة الحقّ و مُناذرة الامام ﷺ .

□ قوله ﷺ: فَبَاضَ و فَرَّخَ فى صُدُورِهِمْ...

و هو اشارة الى ملازمة الشَّيْطَان لهم كالطائر الذى يبيض و يفرخ و ذلك لا يكون الا بعد طول الملازمة و الإقامة فشبه صدورهم بعش الطائر و موطنه اذ البائض لا يبيض الا فى مسكته و كنى بالبيض و الفرخ عن اقامته و مكثه فى قلوبهم لأغوائهم و يمكن ان يكون المراد بهما معناهما الاصلى لانه لا نتاج له واما يبيض و يفرخ بنفسه هكذا قيل فى شرح العبارة.

اقول: هذا الذى ذكروه لا بأس به بحسب ظاهر اللفظ و تزيدك احتمالاً آخر و هو ان يكون المراد بالبيض و الفرخ فى صدورهم ان لهم اولاداً و اعقاباً مثلهم الى يوم القيمة و ذلك لان الفرخ لازمه الأنتاج و الأولاد، فلا يظن احد انهم بقتلهم يوم الجمل انقطع نسلهم و عنادهم بل يدوم هذا المسلك فى آخرين بعدهم كما نشاهده فى زماننا هذا كثيراً.

و على اى حال فهو ايضا استعارة و كناية عن ملازمة الشَّيْطَان لهم و تسلطه عليهم اعادنا الله منه.

□ قوله ﷺ: وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ...

وهو ايضاً استعارة لأن دَبَّيبَ الْوَلَدِ فِي حِجْرٍ وَالذَّبَّيْهُ فَهُوَ مَعَهُمْ لَا يَفَارِقُهُمْ وَ لَا يَفَارِقُونَهُ وَ يُمْكِنُ حَمْلُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ عَلَى أَحَدٍ مَعْيِنِينَ:

الاول: ان يقال دَبَّ وَ دَرَجَ حُجُورَهُمْ اَيَّ الشَّيْطَانِ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ وَ عَلَيْهِ فَالْمَقْصُودُ اَنَّ الشَّيْطَانَ يَسِيرُ مَعَهُمْ سَيْرًا خَفِيْفًا وَ يُرْشِدُهُمْ اِلَى مَا يُحِبُّهُ وَ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِهِ بَلْ يَظُنُّونَ اَنَّهُمْ يَسِيرُونَ فِي مَسِيرِ اللّٰهِ وَ رَسُوْلِهِ

الثانى: ان يقال بانَّ فاعل دَبَّ وَ فَرَخَ هُوَ الْفَرَخُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ فَرَخَ كَمَا احْتَمَلَهُ الشَّارِحُ الْخُوْثِيُّ (قَدَّه) وَ كَلَا الْمَعْنِيْنَ لَا بِأَسْ بِهِ.

□ قوله ﷺ: فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ...

افاد ﷺ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ نَتِيْجَةٌ لِمَا تَقَدَّمَ اَنَّ الشَّيْطَانَ بَعْدَ مَا سَلَطَ عَلَيْهِمْ عَلَى مَا مَرَّ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ فِيهِ اِشَارَةٌ اِلَى اَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا الْاَشْيَاءَ حَقِيْقَتًا بَلِ الشَّيْطَانُ رَأَاهَا وَ اَنَّهُمْ مَا نَطَقُوا بِشَيْءٍ بَلِ الشَّيْطَانُ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ ذَالِكُ لِأَنَّ الْمَفْرُوضَ تَسَلُّطُهُ عَلَيْهِمْ كَامِلًا وَ التَّسَلُّطُ عَلَى نَفْسِهِمْ يَسْتَلْزِمُ التَّسَلُّطَ عَلَى قُوَّيْهِمْ بِطَرِيْقٍ اَوْلَى فَكَلَّ مَا تَدْرِكُهُ حَوَاسُّهُمُ الظَّاهِرَةَ بِسَبَبِ نَفْسِهِمْ اَنَّمَا هُوَ مِنْ مُدْرَكَاتِ الشَّيْطَانِ فِي الْحَقِيْقَةِ وَ هُوَ الْمَطْلُوبُ وَ السَّرْفِيَّةُ هُوَ اِنَّهٗ قَدْ ثَبَّتَ فِي الْفَلَسَفَةِ اَنَّ الْمُدْرَكَاتِ بِالْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ وَ الْبَاطِنَةِ اَنَّمَا فِي الْوَاقِعِ مِنْ مُدْرَكَاتِ النَّفْسِ فَاِنَّ الْقُوَّيْ كِلَهُمَا مِنْ شَتُوْنَاتِ النَّفْسِ وَ اطْوَارِهَا وَ حَالَاتِهَا فَالنَّفْسُ تُبْصِرُ فِي الْحَقِيْقَةِ لِاٰغْيَرِهَا وَ اَمَّا الْعَيْنُ فَهِيَ آلَةُ الْاَبْصَارِ وَ كَذَالِكِ النَّفْسُ تَسْمَعُ وَ تَلْمَسُ وَ تَشْمُ وَ تَنْطِقُ وَ هَكَذَا فَاِنَّ الْمُدَبِّرَ وَ الْحَاكِمَ عَلَى الْقُوَّيْ اَنَّمَا هُوَ النَّفْسُ لِاٰغْيَرِ وَ اِذَا فَرَضْنَا تَسَلُّطَ الشَّيْطَانِ عَلَيْهَا وَ كَوْنَهَا تَحْتَ اِخْتِيَارِهِ فَلَا جَرْمَ الْاَفْعَالِ الصَّادِرَةِ عَنِ النَّفْسِ تُنْسَبُ اِلَيْهِ فِي الْوَاقِعِ وَ اِنْ كَانَتْ مَنْسُوبَةً اِلَى النَّفْسِ ظَاهِرًا.

□ قوله ﷺ: فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَّلَ، وَ زَيْنَ لَهُمُ الْخَطْلَ اِلَى اٰخِرِ الْخُطْبَةِ.

يعنى فركب الشيطان بسبب طلحة والزبير ومن تابعها الضلالة وزين لهم

الْخَطْلُ وَالْفِكَاهَةُ وَ أَمَّا فِعْلُهُمْ هَذَا مِثْلَ فِعْلِ مَنْ قَدْ شَرَكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ
وَ نَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: كَمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ يَنْطَقُ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِ مَنْ جَعَلَهُ شَرِيكًا لَهُ
مِنْ حَيْثُ تُسَلِّطُهُ عَلَى أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ كَذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَ يَقُولُ
بِفِعْلِهِمْ وَقَوْلِهِمْ.

وَ الْحَاصِلُ أَنَّ تَابِعَ الشَّيْطَانِ يَتَّبِعُهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَ يَظْهَرُ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي
جَمِيعِ أُمُورِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ وَ أَقْوَالِهِ وَ هَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ لِأَمْرِيَّةٍ فِيهِ.

﴿٨﴾ من كلام له ﷺ

□ قوله ﷺ: يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقْرَأَ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيحَةَ، فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

◀ اللّغة

(الوليحة) الدخيلة و البطانة و خاصتك من الرجال ممن تعتمد عليه من غير اهلك، و باقى اللغات معلوم.

◀ المعنى

الفاعل فى قوله ﷺ (يَزْعُمُ) هو الزبير و كذا فى قوله (بَايَعَ وَ أَقْرَأَ) و بالجملة الفاعل فى الأفعال كلها هو لا غير.

أى (يَزْعُمُ) لزبير (أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ) فالببيعة وقع منه كرهاً إلا أنه لا يُسْمَعُ منه لأنه من قبيل الإنكار بعد الأقرار الذى لا يُسْمَعُ شرعاً و عقلاً فان كان صادقاً فيما ادعاه فليأت على صدق المدعى بدليل تعرف صحته و إلا فليَدْخُلْ فى ما خَرَجَ منه اعنى البيعة و الحاصل أنه ان لم يأتنى بدليل صحيح على أنه كان مجبوراً بالببيعة فلا بد من ان يدخل فيما دخل فيه المسلمون و حيث ليس فليس.

◀ الشرح

قد مرَّ منا كيفية بيعَةِ الزَّبير في المَدِينة له ﷺ و أنَّها كانت باختيار منه بل كان هو و طلحة مَمَّنْ أَصَرَ على قبوله ﷺ الخلافة كما ذكره المورخون، إلا أنَّهما قد اضمَّرا في قلبهما شيئاً و هو الوصول بحكومة البصرة و الكوفة و حيث أنَّه ﷺ لم يَجِبْهُما عليه صارا مخالفين له ﷺ و فعلاً ما فعلاً.

و حيث أنَّ الزَّبير و طلحة كانا يقولان بعد نكثهما لبيعتة أنا لم نبايعه طوعاً بل بايعناه كرهاً فلا بيعة له في عُنُقنا.

قال ﷺ في جواب الزَّبير يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ الى آخر.

و التعبير بقوله يزعم، للإشارة الى أنَّ ما قاله الزَّبير بعينه دليل على ثبوت البيعة في حقه و ذلك لأنه استدَلَّ على عدم تحقُّق البيعة بالنسبة اليه أنه لم يبايعني بقلبه و بايعني بيده و الأصل هو البيعة القلبية دونها باليد و أنه اراد بكلامه هذا أنَّ بيعته كانت كرهاً لا طوعاً و كلاهما مرد وُدان.

فأنه قد اقرَّ بالبيعة بيده دون قلبه و هذا منه اقرار بوجود البيعة و كلَّ بيعةٍ باليد يكشف عن البيعة بالقلب فهذه منه بيعة بالقلب و هو المطلوب. فنقول بطريق القياس.

الزَّبير بايعني بيده - كلَّ من بايعني بيده بايعني بقلبه - فالزَّبير بايعني بقلبه و هو المطلوب.

أما الصَّغرى و هو أنه بايعه بيده فلا كلام فيه لأنه قد اقرَّ به مراراً و أما الكبرى، و هو أنَّ البيعة باليد هي البيعة بالقلب ايضاً مُسَلِّمٌ عند العقلاء و ذلك لأنَّ بناء العقلاء في مُحاوراتهم و مخاطباتهم و مناكحاتهم و بيعهم و شرائهم و بالجملة جميع امورهم على القول و اللفظ و هو دليل على كون اللسان كاشفاً عما في الضمير قطعاً فاذا قال زيدٌ مثلاً له عَلَيَّ دِرْهَمٌ يُوْخَذُ بِأَقْرَارِهِ و اذا قال انا قاتِلُ زَيْدٍ يُوْخَذُ بِأَقْرَارِهِ و اذا قال بعثُ دارِي يُوْخَذُ بِأَقْرَارِهِ و ان قال طَلَّقْتُ زَوْجَتِي اَوْ زَوْجَتِي طَالِقٌ و امثال ذلك من موارد الاستعمال لا يَعْتَنُونَ بِأَنْكَارِ الْقَاتِلِ بعد اقراره و هذا ممَّا لا كلام فيه في جميع الملل و الفِرَقِ

كيف و على الأقرار باللسان بُنُو جميع الأحكام الدنيوية والأخروية فإن المُقر بالقتل يُقتل و المُقر بالزنا يُحد و المُقر بالشهادتين يُحكم بأسلامه و المُقر بالدين يُؤخذ ما أقر به كل ذلك مع وجود الاحتمال و هو عدم الأقرار بقلبه اذ من المُحتمل أنه لم يكن واقعاً قاتلاً اوزانياً اومديوناً و إنما قال ما قال بلا ارادة و تأمل فيه و مع ذلك كله لا يعباء به عقلاً بمُجرد الإنكار.

نعم، استثنى عن هذه القاعدة اعنى عموم اقرار العقلاء على انفسهم جائز و لازم، امورٌ بمقتضى ما من عام الآ و قد خُص.

احدها: ان لا يكون عاقلاً و ذلك لانّ المَجنون و السّفيه و المغمى عليه و السُّكران لا اقرار لهم و لا يُؤخذون به فانّ شرط صحة التكليف، هو العقل و لذلك يقال انه من شرائط العامّة.

وثانيها: ان لا يكون مُكرهاً على الأقرار و الفِعل فانه لو كان مُكرهاً عليه لا يترتب على اقراره أثرٌ شرعاً و عقلاً بل عُرفاً.

وثالثها: ان لا يكون ساهياً اوناسياً بل كان مُتوجّهاً الى ما يقول فانّ الألتفات و التّوجه لا بد منه فلو سَهى اونسى و قال بَدَل زَوْجَة موكلّى طالق زوجتى طالق، او بَدَل بعتُ داره، بعتُ دارى و امثال ذلك لا يُؤخذ به.

ورابعها: ان لا يكون قاصداً لمعناه فلو قال بعتُ دارى و هو نائم لا يلتفت الى قوله لعدم قصده و كذالو قال بعتُ دارى اوله على درهم و امثال ذلك و غرضه تمرين اللفظ لانطباق اللفظ على المعنى بقصد الأثناء فى البيع لا يُؤخذ به الا انّ هذه المستثنيات لا تقبل بمجرّد ادعائه بل لا بد له من اثباتها فلو قال بعد الأقرار لم اكن قاصداً او كنت مُكرهاً اوساهياً او مجنوناً لا يقبل الأبعد اثباته.

اذا عرفت هذا فقوله عليه السلام يزعم انه قد بايعنى بيده الى قوله فليات عليها- اشارة الى ثبوت الصغرى و كلىة الكبرى و حيث انّ القياس الذى رتبناه هو الشكل الاوّل الذى اتفقوا على كونه بيدهى الأنتاج فينتج ان اقراره كان بقلبه

ايضاً وهو المطلوب.

ثم قوله عليه السلام: **فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرِ يُعْرَفُ...**

اشارة الى ما ذكرناه من موارد الاستثناء والتخصيص وحاصل كلامه عليه السلام فيه هو ان الزبير حيث يزعم انه لم يبايع بقلبه فقد ادعى ما يناه في اقراره بلسانه وهو لا يسمع منه الا باقامته الدليل على ما ادعاه بعد الاقرار والدليل عبارة من موارد التخصيص فلا بد من انطباق احدها عليه.

الاول: ان لا يكون عاقلاً حين بيعته بل كان سفياً او مجنوناً او سكراناً وغيرها وهو لا يقول بها.

الثاني: ان لا يكون مختاراً فيها بل صدرت منه جبراً و اضطراراً وهو الذي كان تمسك به فعليه بدليل يعرف انه كان مجبوراً و حيث لم يقدر على اتيانه بل الأمر بالعكس فدعواه غير مسموع.

الثالث: و الرابع ايضا لا مجال لا ثباتهما في حقه فانه لم يكن ساهياً ولا ناسياً ولا غير قاصد وهو ايضا ما ادعاه فاذا لم يكن حمل بيعته لعلي عليه السلام على احد الوجوه المذكورة فيؤخذ ببيعته و يترتب عليها آثارها و لوازمها من الانقياد و الاطاعة فنكته لها حرام محرم، اللهم الا بعد كفر و ارتداد، او بدعة او تحليل حرام او تحريم حلال او ظلم و امثال ذلك من المجوزات الشرعية العقلية لنكث البيعة و حيث ان الزبير لم يستند نكته لهسا الى هذه الأمور فلا محالة تكون بحالها بعد وقوعها الى ان يثبت المزيل.

ولذلك قال عليه السلام بعد هذه الجملة و **فَلْيَدْخُلْ فِيْمَا خَرَجَ مِنْهُ.**

ايماء الى ان الزبير حيث لم يكن صادقاً فيما ادعاه فيكون تحت بيعته و حيث نكثها بآتيانه ما ينافي الانقياد و الطاعة و اقراره ثانياً بالخروج منها - فعليه بالوجوع و الدخول في ما خرج منه.

ان قلت - كلامه عليه السلام مشعرٌ بخروجه منها و الا كيف يقول فليدخل فيما خرج منه و لا معنى للدخول بعد الخروج الا ثبوت الخروج اولاً و هو ينافي ما

قاله ﷺ في صدر الخطبة حيث قال ﷺ فقد أقرّباً لبيعة و أدعى الوليعة فليات عليها بامرٍ يُعرف فإن مفاده كما قلت هو ثبوت البيعة في حقّه، قلت: يمكن ان يجاب عنه بوجهين:

الاول: انه زعم عدم البيعة بقلبه و لذلك ارتكب ماينا فيها و اما اميرالمؤمنين ﷺ فقد اثبت بطلان هذا الزعم منه الا ان الزبير لم يقبله فهو يزعمه خرج من البيعة ف قوله ﷺ و الا فليَدْخُلِ الى آخره على مسلك الزبير و المعنى انه حيث لم يثبت ما ادّعاها و علة خروجه منها فلا بد له من الرجوع الى ما كان اولاً و ان زعمه هذا باطل.

الثاني: انه اشار به الى انه يمكن له الرجوع و هو كناية عن قبوله توبته لوتاب و المعنى فليَدْخُلِ فيما خرج منه اي فليَدْخُلِ في الدين بالتوبة بعد خروجه بنكته البيعة.

اقول: والدليل على ما ذكره ﷺ اعنى انه زعم عدم بيعته بالقلب لا انه علم به و قطع ترديده في الأمر بعد خروجه الى البصرة فلو كان قاطعاً بكونه على الحق و انه لم يكن بايعه فلا معنى لتردده و قوله لعائشة يا امة و الله مالي في هذا بصيرة و انا منصرف.

روى عن نصر ابن مزاحم ان اميرالمؤمنين ﷺ حين دعا الزبير بين الصّفين و قال له اشدك اسمعت رسول الله ﷺ يقول انك ستقاتل علياً و انت له ظالم قال: اللهم نعم.

قال ﷺ: فلم جئت قال جئت لأصلح بين الناس فأدبر الزبير و هو يقول:

ترك الأمور التي يخشى عواقبها

لله أجمل في الدنيا و في الدين

أتى عليّ بأمر كنت اعرفه

قد كان عمر أبيك الخير فذحين

فَقُلْتُ حَسْبُكَ مِنْ عَدْلِ أَبَا حَسَنِ
 فَبَعْضُ مَا قُلْتَهُ ذَا لِيَوْمٍ يَكْفِينِي
 فَأَخْتَرْتُ عَارًا عَلَى نَارٍ مُؤَجَّجَةً
 أَنِّي يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ مِنَ الطِّينِ
 نَبَّئْتُ طَلْحَةَ وَسَطَ النَّعَقِ فُنَجَدِلًا
 مَاوَى الضُّيُوفِ وَمَاوَى كُلِّ مَسْكِينٍ
 قَدْ كُنْتُ أَنْصُرُ أَحْيَانًا وَيَنْصُرُنِي
 فِي النَّائِبَاتِ وَيَرْمِي مَنْ يُرَامِينِي
 حَتَّى اتَّبَلِينَا بِأَمْرِ ضَاقَ مَاصِدْرُهُ
 فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ مَا يَعْنِيهِ يَعْنِينِي
 وَهَذِهِ الْأَشْعَارُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُرَدِّدًا فِي أَمْرِهِ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ مِنْهُ وَلِذَاكَ
 عَبَّرَ عليه السلام فِي كَلَامِهِ بِقَوْلِهِ (زَعَمَ).
 وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا رَوَى أَنَّ ابْنَ جُرْمُوزَ قَبْلَ قَتْلِهِ الزَّبِيرِ بُوَادَى السَّبَاعِ .
 قَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ أَشْيَاءَ أَسْأَلُكَ عَنْهَا قَالَ هَاتِ، فَقَالَ أَخْبِرْنِي
 عَنْ خِذْلِكَ عَثْمَانَ وَ عَنِ بَيْعَتِكَ عَلِيًّا وَ عَنِ نَقْضِكَ بَيْعَتَهُ، وَ عَنِ اخْرَاجِكَ
 عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَ عَنِ صَلَوَتِكَ خَلْفَ ابْنِكَ، وَ عَنِ هَذِهِ الْحَرْبِ الَّتِي جَنَّتْهَا،
 وَ عَنِ لُحُوقِكَ بِأَهْلِكَ.
 قَالَ الزَّبِيرُ أَمَا خِذْلِي عَثْمَانَ فَأَمْرٌ قَدَّمَ اللَّهُ فِيهِ الْخَطِيئَةَ وَ أَخْرَفِيهِ التَّوْبَةَ. وَ أَمَا
 بَيْعَتِي عَلِيًّا فَلَمْ أَجِدْ مِنْهَا بُدًّا إِذْ بَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَ الْأَنْصَارَ
 وَ أَمَا نَقْضِي بَيْعَتَهُ فَإِنَّمَا بَايَعْتُهُ بِيَدِي دُونَ قَلْبِي - وَ أَمَا اخْرَاجِي أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ
 فَأَرَدْنَا أَمْرًا وَ ارَادَ اللَّهُ غَيْرَهُ.
 وَ أَمَا صَلَوَتِي خَلْفَ ابْنِي فَإِنَّمَا خَالَتَهُ قَدَمَتُهُ فَتَنَحَّى ابْنُ جُرْمُوزَ عَنْهُ وَ قَالَ
 قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ.
 اِقُولُ: غَرَضُهُ مِنْ قَوْلِهِ وَ أَمَا اخْرَاجِي أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى آخِرِهِ، أَنَّهُ ارَادَ الْخِلَافَةَ

بعد قتله علياً و أصحابه و الله لم يُردِ هاله.

و قيل ان عائشة ارادت خلافة ابن اخته عبد الله ابن الزبير، و لذلك قدّمته عليهم في الصلوة فلو ظفروا على علي و أصحابه ايضاً لم يكن للزبير و طلحة نصيب فيها فصار مصداً قالقوله تعالى خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين و كذا صاحبه طلحة.

و اما قوله - في جواب ابن جرّموز (نقضى بيعته فأنما بايعته بيدي دون قلبي) فليس الأمر كما ذكره و على فرض كونه كذلك لم يكن قوله هذا حجة إلا بعد اثباته ذلك كما فصلناه فهو كان كاذباً في ادعائه.

بل الحق في نقضه بيعته عليه السلام هو ما قاله الشارح المعتزلي و سائر المورخين من انهما طلبا منه عليه السلام البصرة و الكوفة و امتنع عليه السلام ان يوليها عليهما فانهما كالعينين للخلافة و بهما كنوز الرجال و مكان طلحة و الزبير من الاسلام كان معلوماً لا يخفى على أحد، فضلاً عن امير المؤمنين عليه السلام و لما يتسا منه فاستأذناه في العمرة، فقال عليه السلام لهما ما العمرة، تريدان فخلفا له بالله انهما ما يريدان غير العمرة.

فقال عليه السلام: لهما انما تريدان الغدر و نكث البيعة فخلفا بالله بعدم الخلاف عليه و لا نكث بيعته.

قال عليه السلام: لهما فأعيد البيعة لي ثانياً، فاعادهاها بأشد ما يكون من الأيمان و الموثيق، فاذن لهما فلما خرجا من عنده قال عليه السلام لمن كان حاضراً و الله لا ترونها إلا في فتنة يقتتلان فيها.

قالوا يا امير المؤمنين: فمُر بردهما، قال: ليَقْضَى اللهُ امرأ كان مفعولاً.

و لذلك، قال الشارح المعتزلي كان الزبير تارة يدعى انه أكبره و تارة انه ورئ في البيعة تورية، و نوى دخيله، ثم قال و اتى بمعاريض لا تحمل على ظاهرها.

فقال عليه السلام: هذا الكلام منه اقرار بالبيعة، و ادعاء امرٍ آخر لم يُقَمَّ عليه دليلاً و لم

يُنصَّب له بُرْهَانًا، فَمَا ان يُقِيم دَلِيلًا عَلَى فِسَادِ الْبَيْعَةِ الظَّاهِرَةِ، وَ اَمَا ان يُعَاوِد طَاعَتَهُ، اَنْتَهَى كَلَامَهُ.

﴿ وَمِنْ كَلَامِهِ ﴾ (٩)

□ وَ قَدْ أَرْعَدُوا وَ أَبْرَقُوا، وَ مَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفِشْلُ، وَ لَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوَقِعَ، وَ لَا نُسِيلُ حَتَّى نُمَطِّرَ.

◀ اللُّغَةُ

أَرَعَدَ الرَّجُلُ وَ أَبْرَقَ، أَوْعَدَ وَ تَهَدَّدَ - الْفِشْلُ بِفَتْحَتَيْنِ مَصْدَرُ فِشَلٍ إِذَا ضَعُفَ وَ جَبُنَ.

◀ الْمَعْنَى

قال عليه السلام: (قَدْ أَرْعَدُوا وَ أَبْرَقُوا) بِعَنْ طَلْحَةَ وَ الزَّبِيرِ وَ عَائِشَةَ وَ مَنْ تَابِعَهُمْ أَوْعَدُوا وَ النَّاسَ وَ هَدَّدُوهُمْ (وَ مَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ) أَعْنَى الْأَيْعَادِ وَ التَّهْدِيدِ كَانُوا فَشَلًا أَيْ ضَعِيفًا وَ جُبَانًا (وَ لَسْنَا نُرْعِدُ) أَحَدًا (حَتَّى نُوَقِعَ) فِي حَقِّهِ الْأَيْعَادِ (وَ لَا نُسِيلُ حَتَّى نُمَطِّرَ) وَ هَذِهِ الْأَخِيرَةُ اسْتِعَارَةٌ وَ كِنَايَةٌ بِعَنْي كَمَا أَنَّ فَضِيلَةَ السَّحَابِ اقْتِرَانُ وَقُوعِ الْمَطَرِ مِنْهَا بِرَعْدِ بَرَقٍ وَ اصَالَتِهَا بِأَمْطَارِهَا كَذَلِكَ، اقْوَالَنَا مَقْرُونُهُ بِأَفْعَالِنَا وَ اصَالَتِهَا بِأَمْطَارِهَا هَكَذَا قِيلَ فِي مَعْنَى الْعِبَارَةِ وَ شَرَحَهَا.

◀ الشَّرْحُ

□ قَوْلُهُ عليه السلام: وَ قَدْ أَرْعَدُوا وَ أَبْرَقُوا...

قَدْ قُلْنَا إِنَّ الْأَرْعَادَ وَ الْأَبْرَاقَ بِمَعْنَى الْأَيْعَادِ وَ التَّهْدِيدِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّارِحُ

الخُوئي و قَبْلَهُ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ وَ الْبَحْرَانِيُّ فَأَنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ارْعَدُوا وَ اَبْرَقُوا مَعْنَاهُ اَوْ عَدُوا وَ تَهَدَّدُوا.

اقول: ما ذكروه في المقام و ان كان اللفظ يُساعده ظاهراً الا انه لا يستقيم و
ذالك لانهم اى طَلْحَةٌ وَ الزَّبِيرُ وَ مَنْ تَابَعَهُمَا لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ لَسْتُ - اقول
انهم كانوا عُدُولاً لا يَلِيقُ بِهِمُ التَّهْدِيدُ وَ الْاِيعَادُ بَلْ اقول طريق تبليغهم فيما بين
النَّاسِ كَانَ بِالرَّفَقِ وَ اللَّيْنِ وَ حُسْنِ الظَّاهِرِ وَ انَّهُمْ مِنَ الْمَظْلُومِينَ كَيْفَ لَا وَ هُمْ
قَدْ تَشَبَّهُوا بِأَنَّ عَثْمَانَ قَتَلَ مَظْلُوماً فَيَلْزَمُ عَلَيْنَا الْاِخْذَ بِثَارِهِ عَنِ قَاتِلِيهِ وَ لِذَلِكَ
حَمَلًا عَائِشَةَ عَلَى الْبَعِيرِ وَ جَاءُوا بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ وَ هَذِهِ الرَّوِيَّةُ تَنَافَى التَّهْدِيدِ وَ
الْاِيعَادِ اِذْ مِنَ الْمُسْلِمِ الْمَقْطُوعِ بِهِ انَّهُمْ لَوْ كَانُوا خَرَجُوا مُهَدِّدِينَ مَوْعِدِينَ لِلنَّاسِ
لَمْ يَجِيبُوهُمْ حَقَّ الْاِجَابَةِ فَإِنَّ شَهَادَةَ الْحَالِ كَانَتْ مُنَافِيَةً لِلتَّهْدِيدِ وَ الْاِيعَادِ بَلْ
كَانَتْ مُوَحِّبَةً لِلرَّفَقِ وَ حُسْنِ الْكَلَامِ.

فيمكن ان يراد بقوله الْبِقَاعِ ارْعَدُوا وَ اَبْرَقُوا، معنى آخر و هو انَّ الرَّعْدَ، فِي اللُّغَةِ
صَوْتُ السَّحَابِ وَ الْبَرْقُ لِمَعَانِ السَّحَابِ كَمَا قَالَ الرَّاعِبُ فِي مَفْرَدَاتِهِ قَالَ اللهُ
تَعَالَى فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ، فَاِذَا دَخَلَتْ هَمْزَةٌ بَابِ الْاِفْعَالِ عَلَيْهِمَا يُقَالُ
ارْعَدَ وَ اَبْرَقَ وَ صَارَا مُتَعَدِّيَيْنِ اِى اَوْجَدَ الرَّعْدَ وَ الْبَرْقَ وَ عَلَيْهِ فَمَعْنَى الْعِبَارَةِ هُوَ
انَّ طَلْحَةَ وَ الزَّبِيرَ وَ اصْحَابَهُمَا قَدْ اَوْجَدُوا رَعْداً وَ بَرْقاً اِى صَوْتاً، وَ لِمَعَاناً لَا
اصِلَ لَهُمَا.

فقوله الْبِقَاعِ: هَذَا كِنَايَةٌ وَ اسْتِعَارَةٌ وَ هِيَ اِنَّهُ كَمَا انَّ الرَّعْدَ وَ الْبَرْقَ فِي السَّمَاءِ لَا
يَدُّ لَانَ عَلَى كَثْرَةِ الْمَطَرِ بَلْ كَثِيراً مَا يَتَّفَقُ شِدَّتُهُمَا بِحَيْثُ تَضْطَرِبُ السَّمَاعُ وَ
يَتَخَيَّلُ انَّ بَعْدَهُمَا مَطَرٌ شَدِيدٌ اَلَا اِنَّهُ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَ لِذَلِكَ صَارَ مِثْلاً انَّ
الْمَطَرَ لَيْسَ بِتَابِعٍ لِشِدَّةِ صَوْتِ الرَّعْدِ وَ الْبَرْقِ فَكَذَلِكَ كَانَ حَالُ اصْحَابِ
الْجَمَلِ حَيْثُ انَّهُمْ مَعَ كَثْرَةِ اصْحَابِهِمْ وَ تَبْلِيغَاتِهِمْ كَانُوا جَبَاناً فَشِلاً وَ الْمَقْصُودُ
انَّ ظَاهِرَهُمْ غَيْرُ بَاطِنِهِمْ لِكُذِّبِهِمْ وَ نِفَاقِهِمْ فَظَاهِرَهُمُ الْاِسْلَامُ، وَ الْاِيْمَانُ وَ
بَاطِنُهُمُ الْكُفْرُ وَ النِّفَاقُ.

و يمكن ان يكون المراد بهما الامور المربُوطَة بدياهم و آخرتهم حيث
 انهم كانوا قد وَعَدُوهم بما لم يَفُوتَه فائهم قالوا ان المهاجرين و الأنصار و اهل
 المدينة كلهم او اكثرهم معنا و لا يرون عَلِيًّا اماماً او انهم في حيرتَهم، و
 ضلالتهم يُنغمِرون و امثال ذلك من الأقاويل الباطلة المخلوطة بالكذب و
 الرِّيا و انقلاب الواقع عمًا هو عليه فعَبَّرَ ﷺ عن هذه المواعيد المُتزنِّية بانواع
 محاسن الكلام بحسب الظاهر بالأرعاد و الأبراق فقال قد ارعدوا ابرقوا.

اي قالوا و زينوا اقاويلهم بالأكاذيب فوعدوهم في الدنيا الوصول اليها
 بالأموال و الأملاك و الغنائم، و تقسيم بيت المال على طريقة الشَّيخين او
 الشيوخ الثلاثة من التفاضل و نصيبهم للحكومات و توليتهم على الولايات و
 امثال ذلك و اما من جهة الآخره، فائهم على الفرض كانوا بطلبين بدم الخليفة
 المظلوم عثمان ابن عفان عن الظالمين عليه قربةً الى الله و رسوله و هذا من
 اعظم المثوبات و الحسنات كما هو المفروض.

فمُحصَل الكلام انهم اظهروا للناس ما لم يكن في قلوبهم تأليفاً لقلوبهم و
 ترغيباً او تحريضاً لهم بالقيام على امير المؤمنين و حكومته فعَبَّرَ ﷺ عمًا قالوه
 بما عبَّرَ به كما هو داب أكثر الحكام و الأمراء ان لم يكن كلهم بعد على ﷺ الى
 يومنا هذا قبل وصولهم الى آمالهم فاذا وصلوا الى ما وصلوا فكانهم لم يقولوا
 شيئاً اصلاً كما ترى في الحكومة العباسية اضعاف ذلك في بد و ظهورهم و
 خلافتهم، من العمل بكتاب الله و سنة رسوله و سائر ما وعدوا الناس و حيث و
 صلوا الى مشترياتهم و بلغوا آمالهم و سلطوا على الناس حقَّ التسلط لم يكن
 ممَّا قالوه عينٌ و لا اثرٌ بل كان مسلكهم في الظلم و العدوان و التجاوز باموال
 المسلمين و نفوسهم و عرضهم و الأعراس عن الكتاب و السنة و قتلهم
 النفوس التي حرمها الله بغير حقٍّ أشدَّ و اقبح من بنى أمة بحيث كان الناس
 يتمنونهم كما هو معلوم من التواريخ كما قال الشاعر:

نبي أمة هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب ابن داود

و كما نرى فى زناننا هذا بالعيان و المشاهدة أنهم يقولون ما لا يفعلون و يدعون ما ليسوا بأهل له.

ان قلت: فعلى ما ذكرت يتوجه عليك اشكال لا بد لك للجواب عنه و هو أنهم لم يصلوا الى ما تمنوه حتى يقال بانهم عملوا بما قالوا و لم يعمدوا فكيف حكم ﷺ بانهم مع هذين الأمرين كانوا فشلاً

قلت: هو ﷺ كان عالماً بانهم لو وصلوا الى الخلافة ايضاً كانوا فشلاً ضعيفاً و قد قالوا بان المستقبل اذا كان وقوعه مُحَقَّقاً فهو فى حكم الماضى، و الدليل على علمه ﷺ بعدم أهليتهم بالأتيان بما قالوا هو عدم لياقتهم بالعمل بالكتاب و السنة و اجراء العدل و الحق و إماتة الباطل و ذلك، لأن شرط العمل بالقول بالنسبة الى الغير هو العمل بقوله لنفسه اولاً فان أعطى الشئىء لا يكون فاقداً له، فمن بايع فى حضور المهاجر و الأنصار ثم نكث بيعته من غير عذرٍ موجهٍ و قال لم أبايع علياً بقلبي و لا يخاف من الله و رسوله و يوم الحساب أو من كان بنفسه مباشراً أو مُحَرِّكاً لقتل عثمان ثم يجيئ و يطلب بدمه ممن كان بمعزلٍ عنه بشهادة المهاجرين و الأنصار فكيف يُحتمل - فضلاً عن ان يُقطع بكونه يفى بوعدِهِ يتبع كتاب الله و سنة نبيه.

و بعبارة اخرى: من كان فشلاً ضعيفاً فى العمل بكتاب الله و سنة رسوله فكيف يعد الناس بالعمل فى مستقبل الزمان و على اى تقديرٍ من التقادير - الثلاثة غرضه ﷺ أنهم لم يكونوا صالحين صادقين فى اقوالهم و افعالهم و إنما كان غرضهم إغفال الناس و انحرافهم عن مسير الحق و إدخالهم، فى الباطل و الدليل عليه ضعفهم فى العمل بالحق و جنبهم فى المعركة هذا.

□ قوله ﷺ: وَ لَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوَقِعَ، وَ لَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ...

و فيه اشارة الى ان الانسان العاقل لا يتفوه بكلام لا يقدر على ايجاد مصداقه بل يجب عليه العمل ثم القول و لهذا قال ﷺ و لسنا نرعد حتى نوقع و لا نسيل حتى نمطر، فان الوعد قبل العمل به قبيح بل لا يمكن كما ان الاسالة

قبل نُزولِ المَطَرِ لا معنى لها فكما انَّ المَطَرَ اذا نَزَلَ لا احتياج الى القول بجريان السَّيْلِ لانه معلومٌ حسناً فكذلك بعد العمل بمقتضى العهد لا احتياج الى التَّقْوَةِ به فانه معلوم.

مثلا اذا اراد الأَنسان اعطاء درهم الى غيره فتارة يقول له انا اعطيك درهماً و تارة لا يقول به و يعطيه و الأوَّل لا يَصِح اذ الوَعْد لا يستلزم العمل عَقْلاً فانَّ من المُحتمَل عدم قدرته على الأَعْطاء لمانع او إنصرافه منه رأساً و كِلا الشَّقَيْن يوجب البُغْض و العداوة للموعُود و خُلْفُ العهد و القول و امثالها من التَّوَالِي الفاسدة.

و اما الثَّانِي - فلا اشكال فيه سواء أعطاهم لا فاذا أعطاه فهو القول العَمَلِي بعينه و لا يحتاج الى التَّلَفُّظ به.

و هو عَلَيْهِ السَّلَام في المقام اشار بانَّ القِسْم الأوَّل لا يليق بالعاقل و الثَّانِي لائق به، و لاجل ذلك اسنَّده الى نفسه الشَّرِيفَة و قال و لَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ الى آخِره. و السَّر فيه هو انَّ الانسان اذا لم يكن بصدد اغفال النَّاس باقواله و افعاله فلا يَقُول ما لا يَفْعَل بل يقول ما يَعْمَله و يفعل ما هو الحقُّ بل يَقْدَمُ العَمَلُ على القول و الوَعْد.

و اما اذا كان بصدد اغفالهم و صيدهم فلا جرم لا طريق له الى الأَصْطِياد الأَقْوَال المُجَوِّفَة و الأَعْمَال المَخْلُوطَة بِالْحِيلَة و التَّزْوِير و الرِّيَا اعادنا الله منها.

﴿ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (١٠) ﴾

□ أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجُلَهُ، وَإِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي، مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلَا لُبَّسَ عَلَيَّ وَ أَيْمُ اللَّهِ لأَفْرَطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحَهُ، لَا يَصْدِرُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

◀ اللُّغَةُ

(خَيْلَهُ وَ رَجُلَهُ) الخيل بفتح الخاء و سكون الياء و اللّام الفُرسان، و الرّجل بفتح اللّام و سكون الجيم و اللّام جمع راجل كالركب جمع راكب و هو ضدّ الفارس. (لَبَسْتُ) التّلبّيس، ستر الحقيقه و اظهارها بخلاف ما هي عليه. (أَيْمُ اللَّهِ) بفتح الهمزة و سكون الياء و ضمّ الميم، مخفّف أيمن و هو اسم استعمل في القسم و التزم رفعه كما يقال لعمر والله و قد نقل الشارح - الخوئي عن الفيّوا في انه قال همزته أصل عند البصريين و اشتقاقه من اليمن و هو البركة.

و عند الكوفيّين قطعّ لانه جمع يمين عندهم و قد يختصر منه و يقال و أيمُ الله بحذف الهمزة و النون ثم اختصر ثانيا فيقال م الله بضمّ الميم، و كسرهما انتهى.

(أَفْرَطَنَّ) مضارع مؤكّد بنون التأكيد الثقليه من فرط يفرط بمعنى سبق و تقدّم اي لأسبقن. والعجب من الشارح الخوئي حيث قال فيه ما هذا لفظه. و أفرطنّ اما بفتح الهمزة و ضمّ الرّاء مضارع فرط زيد القوم كقعد اي سبقهم و

تقدّم عليهم و هو ما ذكرناه و لا كلام فيه ثم قال. و إمّا بضمّ الهمزة و كسر الراء من باب الأفعال مأخوذ من افراط المزايدة اى مَلَأَهَا، و لم يَعْلَمَ أَنَّهُ لا وجه لهذا المعنى فى المقام فإنه ﷺ لم يكن من اهل الإفراط بائى وجهٍ يُفرض.

(ماتِحُه) الماتِح كالمايح هو المُستسقى من البئر و باقى اللغات واضح

◀ المعنى

ثم أَخْبَرَ ﷺ: (بِإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ و هُم متابعوه وَاسْتَجَلَبَ) اى ساق فرسانه و غير فرسانه فى مقابل الحقّ و المقصود أَنَّهُ جَمَعَهُمْ فى مكانٍ واحدٍ لِيُطْفِئَ نُورَ اللهِ و لا يَعْلَمَ (إِنَّ مَعِيَ لَبْصِيرَتِي) فى امر دينى و دنيائى بحيث ما اشْتَبَهَ عَلَى الأمر من نفسى و لا يمكن لأحدٍ ايضاً ان يشتهب الأمر عَلَى و ائى لا قِسْمٌ بِاللَّهِ لَأَسْبِقَنَّهُمْ حَوْضاً انا مُسْتَسْقَى مائه من البئر و هو كناية من الحرب لا يَصْدُرُونَ عَنْهُ. اى لا يَخْرُجُونَ عَنْهُ سالمين اذا دخلو فيه و لا يعودون اذا خَرَجُوا مِنْهُ.

◀ الشرح

قال الشارح المعتزلى فى شرحه لهذه الخطبة يمكن ان يُعْنَى من الشيطان الشيطان الحقيقى و يمكن ان يُعْنَى به معاوية فأن عَنَى معاوية قوله قد جَمَعَ حِزْبَهُ و اسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ و رَجَلَهُ كلام جار على حقائقه و ان عنى به الشيطان كان ذلك من باب الاستعارة انتهى.

اقول: ظاهر كلامه بل صريحه أَنَّهُ انشاء الخطبة فى معاوية و اصحابه و ليس كذلك و قد انكره الشراح بأجمعهم و قالوا أَنَّهُا فى ذمّ اصحاب الجمل و المقصود من حزب الشيطان حزب عائشة و طلحة و الزبير.

فما قاله الشارح المعتزلى و ان كان من المحتمل اذ لا شك فى كون معاوية و اصحابه حزب الشيطان الأ أن مدار الكلام بقرنية قبل الخطبة و بعدها فى اصحاب الجمل لا اصحاب معاوية فحمل هذه الخطبة على اصحاب معاوية و

حمل قبلها و بعدها على اصحاب الجَمَل مما لا دليل عليه اللهم الا ان يقال ان الشارح المعتزلى حيث لم يرض بكون اصحاب الجَمَل و لا سيمامع وجود عائشة ام المؤمنين فيهم من حزب الشيطان لمنافاته مقام ام المؤمنين بل و طلحة و الزبير ايضاً حيث انهما على زعمه من العشرة المبشرة بالجنة على لسان رسول الله ﷺ فلا جرم حمل كلامه ﷺ على غير ما هو عليه و قال انه فى ذم معاوية و اصحابه.

وليت شعري ما الفرق بين معاوية و اتباعه و طلحة و الزبير و عائشة، و اتباعهم حتى يقال فى معاوية ما لا يقال فيهم و انه و اصحابه حزب الشيطان دون اصحاب الجَمَل حيث انهم كانوا من حزب الله فان لم يكن من حزب حزب الشيطان فلا جرم كان من حزب الله لعدم الوسطة بين الحزبين. الا ان معاوية و اصحابه لم يبايعوا علياً من اول الامر و خالفوه و بعبارة اخرى انه و اصحابه كانوا مخالفين له ﷺ من اول الامر و كانوا على مخالفتهم الى آخر الامر كما هو المترقب من كل عدو مخالف و اما الزبير و طلحة و اصحابهما لم يكونوا كذلك فان طلحة و الزبير قد بايعاه اولاً بالمدينة بل كانا من المصيرين على قبوله الخلافة و الحكومة بعد عثمان ثم اعطياه الموائيق و العهود المؤكدة حين خروجهما من المدينة نحو مكة بقصد العمرة ظاهراً ان لا ينكثا بيعتها فإى دليل دل على كون معاوية و اصحابه من حزب الشيطان دون اصحاب الجمل ومع ذلك فقد نكثا و غدرا و فجرا و العقل و الشرع يحكمان بان مخالفتهما معه ﷺ اقبح و اهوون من مخالفة معاوية ابن ابى سفيان ذنبهما عند الله أشد من ذنبه بمراتب و لا اقل من كونه مثله فإى دليل دل على كونه معاوية و اصحابه من حزب الشيطان دون اصحاب الجمل اصحاب الجمل اصحاب الجَمَل كما ذهب اليه المعتزلى.

فان قال بان طلحة و الزبير من العشرة و انهما تابا ثم ماتا معاوية لم يكن منها و لم يتب الى آخر عمره فهذا ان الوصفان يوجبان فضلها عليه كما قال

هو و امثاله بهذه المقالة مراراً.

نقول: اما حديث العشرة فسيأتى الكلام منا فى محله فيه و انه من الموضوعات التى حَكَمَ بكذبها العقل و الشرع.

و اما قوله، انهما تابا ثم ما تابخلاف معاوية فعليه و على من قال او يقول بهذه المقالة اثباته اذ لم يدل دليل عقلاً او شرعاً على انهما تابا و معاوية لم يتب ثم على فرض التسليم ليس كل من تاب عند الموت كان عند الله من المغفورين، اما ترى قول الله تعالى فى جواب فرعون حين غرقه فى الماء اِنى امنت برب موسى و هرون قال: ﴿الَّذِينَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١) قوله ﷺ: أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَ اسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَ رَجُلَهُ...

الا حرف تنبيه كقول الشاعر:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ بَاطِلٌ وَ كُلُّ نَعِيمٍ لَأَمْحَالَةٌ زَائِلٌ
فَبَنِيهِمْ ﷺ عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ فِى مَقَابِلِ الْحَقِّ وَ هُوَ اقْتِبَاسٌ مِنْ
قَوْلِهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ فِى كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

﴿وَ اسْتَفْزِرْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ اجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجُلِكَ وَ
شَارِكُهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ عِدْهُمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٢)

و هذه الجملة استعارة و كناية و يمكن حملها على الحقيقة ايضا.

اما الاستعارة فكأنه اشار ﷺ بعدم كونهم على الحق و انهم على الباطل و غرضهم اماتة الكتاب و السنة و رواج المنكر و زوال المعروف و ظهور الباطل و خفاء الحق كما هو هدف الشيطان و غرضه الاصلى فى كل زمان و هو واضح.

و اما حملها على الحقيقة فان الشياطين على قسمين شياطين الجن و شياطين الانس فكما ان شياطين الجن لا غرض لهم الا اضلال الناس و اغوائهم بالوسوسة فكذلك حال شياطين الانسى حيث انهم ايضا، لا مقصد و لا هدف

لهم إلا إيجاد الاختلاف في الناس و الا فساد بينهم ليصلوا به الى آمالهم و اغراضهم من الحكومة عليهم و ذلك لان الناس ماداموا متدينين متحدين تحت لواء و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا، لا يكون لشیطان الأنس نصيب فيهم و إنما حظُّه في الاختلاف النَّاشي عن ضعف دينهم و عقلهم كما هو المتداول المعمول به في كل عصر و زمان و لكنه لا شك في كونهما واحد بالحقيقه فان الشياطين من الأنس مظاهر لشياطين الجن كما ان المؤمن مظهرٌ للحق و على ما ذكرناه فيمكن حمل العبارة على ظاهرها و عدَّهم من شياطين الأنس حقيقةً فلا استعارة و لا مجاز و الى وجود شياطين الانس اشار في كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ (١)
 قال الله تعالى: في وصف المنافقين ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾ (٢)

و : ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ (٣) و امثال ذلك من الآيات.

و اما ان شياطين الأنس يأخذون الألهام من شياطين الجن فقد دل عليه قوله تعالى حيث قال: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِبُوكُمْ﴾ (٤)
 و : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّهُمْ آزَافًا﴾ (٥)

فثبت و تحقَّق انه لا وجه لحمل العبارة على خلاف ظاهرها فان الشيطان في لغة العرب اسم لكل عاتٍ من الجن و الأنس و الحيوانات قاله ابو عبيدة: اللهم الا ان يقال بان حمل العبارة على الكناية و الاستعارة اولى من حملها على ظاهرها لان الكناية ابلغ من التصريح و هذا مما لا بأس به.

و على التقديرين غرضه ﷺ من هذا الكلام ان الشيطان سواء كان المراد به شيطان الجن او الأنس قد جمع افراده و متابعيه في مقابل الحق كما هو شأنه

فَنَبَّهَ ﷺ اصحابه على هذا ليوادبوا على انفسهم و استقاموا على ايمانهم و لا يسمعون الى اقاويلهم الكاذبة فانهم بصورة الحق و سيرة الباطل اذ لا يكون لا كثر الأفراد قوة التشخيص و التمييز بين المنافق و المؤمن فلا جرم لزم عليه ان يُنبههم على هذه الدقيقة صونا لانفسهم من الهلاك فى الدنيا و الاخرة فان وظيفة الامام الارشاد و وظيفه المأموم العمل به.

□ قوله ﷺ: و اِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي، مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَ لَا لُبَّسَ عَلَيَّ...

و حيث يمكن لسائل ان يسئله ﷺ عن قوله ﷺ ألا و اِنَّ الشَّيْطَانَ الى آخره، و يقول من اين قلت و كيف علمت بان اصحاب الجمل حزب الشيطان و انهم على الباطل.

فاجاب ﷺ بقوله ان مَعِيَ لَبَصِيرَتِي الى آخر ما قال و حاصل الجواب: ان المرشد و الباعث لى لهذا القول انما هو بصيرتى فى الأمور و ان الواقع، لا يخفى على اذ المؤمن و لا سيما امام المؤمنين يكون على بصيرة من دينه و دنياه فانه ينظر بنور الله ثم اردف ﷺ كلامه هذا بقوله ما لَبَسْتُ عَلَى بَصِيرَتِي الخ تأييداً لما ادعاه من انه على بصيرة من دينه و اشارة الى ان هذا البصيرة لم تحدث لى بل كانت مَعِيَ من اول عمري فقد افاد فى المقام اموراً ثلاثة: احدها: كونه على بصيرة.

و ثانيها: عدم اشتباه الأمور عليه بكون النفس الأمارة مُسَلِّطاً عَلَى البصيرة.

و ثالثها: عدم تأثير الغير فيه بمعنى كونه تابعه فى اموره، من ابناء زمانه

فيقع الكلام فى مقامات:

المقام الاول: فى شرح قوله ﷺ و اِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي...

قال الله تعالى فى كتابه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي اَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ اَنَا وَمَنْ

اتَّبَعَنِي﴾^(١) و: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾^(٢)

قال الراغب فى مفرداته البصيرة المعروفة و التحقيق فقوله تعالى على

بصيرة أنا اي على معرفة و تحققي.

و عليه فغرضه ﷺ من ايراده لهذا الكلام الأيماء الى أنه ﷺ كان على معرفة تامة في دينه و دُنياه بحيث كان الواقع مُنكشفاً لَدِيه كما قال ﷺ لو كُشِفَ الغطاء ما زدَدْتُ يَقيناً.

رَوَى المَجْلِسِيُّ (قَدَّه) فِي البَحَارِ بِاسْنَادِهِ عَنِ ابِي الحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لَنَا أَعْيُنٌ لَا تَشْبَهُ أَعْيُنَ النَّاسِ وَ فِيهَا نُورٌ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ شَرِكٌ انْتَهَى «بَحَارُ الانْوَارِ، ج ٧، ص ١١٦، ط كَمِيَانِي»...

وَ فِيهِ اِيضاً عَنِ ابِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ فِي الأَمَامِ آيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَ هُوَ السَّبِيلُ المُقِيمُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ وَ يَنْطِقُ عَنِ اللَّهِ وَ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِمَّا ارَادَ «ص ١١٦»...

وَ اِيضاً رَوَى بِاسْنَادِهِ عَنِ ابِي جَعْفَرٍ ﷺ فَرَى قَوْلَ عَزَّوَجَلَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ قَالَ هُمُ الأُئِمَّةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ «ص ١١٨»...

وَ اِيضاً رَوَى بِاسْنَادِهِ عَنِ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ قَالَ سَمِعْتُ امِيرَ المُؤْمِنِينَ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِفُ الخَلْقَ بِسِيْمَاهُمْ وَ اِنَّا بَعْدَهُ المُتَوَسِّمُ وَ الأُئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِي المُتَوَسِّمُونَ اِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ انْتَهَى «ص ١١٨»...

وَ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا البَابِ كَثِيرَةٌ جَدِداً وَ المَقْصُودُ مِنَ البَصِيرَةِ أَنَّمَا هُوَ مَعْرِفَتُهُمُ الأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَ هَذَا مِنْ شُؤْنِهِمْ بَلْ لَا مَعْرِفَةَ لِأَحَدٍ بِهَذَا الوَجْهِ بِالحَقَائِقِ الأَلْبُرُسُولِ وَ الأئِمَّةِ المَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ اِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ ﷺ كَانَ عَلَى بَصِيرَةٍ بِالنَّسْبَةِ اِلَى اصْحَابِ الجَمَلِ وَ غَيْرِهِمْ فَقَوْلُهُ ﷺ أَنَّهُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ لَا يَكُونُ جَزَافاً بَلْ مَقْرُوراً بِالصِّدْقِ وَ الحَقِّ وَ مُطَابِقٌ لِلوَاقِعِ لِصُدُورِ هَذَا الأَدْعَاءِ مِنْهُ ﷺ عَنِ بَصِيرَتِهِ وَ مَعْرِفَتِهِ وَ هُوَ المَطْلُوبُ.

المَقَامُ الثَّانِي فِي شَرْحِ قَوْلِهِ ﷺ: مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي .

و فى بعض النسخ ما لبست على نفسى كما ذهب اليه، الشارح البحرانى و الشارح الخوئى و اما الشارح المعتزلى فسلك على ما سلكناه من ثبوت كلمة (بصيرتى) فى العبارة بين (على، و نفسى).

فعلى ما ذهبنا اليه فيصير المعنى هكذا، لا يلتبس على نفسى المطمئنة ما تلقيه اليها نفسى الأمانة او بواسطة غيره و هو المشار اليه بقوله و (لا لبستو على كما قاله الخوئى).

و اما على ما ذهبنا اليه فيصير المعنى فيها ما لبست على بصيرتى نفسى الأمانة حتى تمنعنى عن المعرفة و إدراك الأشياء على ما هى عليه هذا اذا كانت القراءة لبست و اما اذا قلنا لبست بقاء المتكلم فالمعنى ما أظهرت على بصيرتى نفسى بحيث تكون النفس هى الظاهر و البصيرة هى فى الخفاء و الباطن و الله اعلم و رسوله.

و على اى التقادير لا يضر بالمعنى و المقصود منه اطمينانه عليه السلام ببصيرته و معرفته و انه لا مدخل لوسوسة النفس الأمانة حتى كانت حجاباً بينى و بين بصيرتى كما قال الله تعالى فى كتابه: «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا» ^(١) فهو عليه السلام كان على بصيرة من دون مانع و رادع او حجاب فيه و هو من اعلى المقامات و ارجحها، فتأمل.

المقام الثالث فى شرح قوله عليه السلام: و لا لبست على...

و فيه اشارة الى انه كما ان النفس الامارة لم تقدر على التلبس بالنسبة اليه بل بصيرته كانت فائقة عليها كذلك لم يقدر احد من افراد المسلمين و لا غير هم ان يلبس الامر عليه بحيث كان عليه السلام واقعا تحت تأثيره و ذلك لان تسلط الغير على الانسان كاشف عن ضعف المسلم عليه و قلة عقله و فهمه و تلبس الحق بالباطل تتصور بالنسبة الى من لا يميزهما حق التمييز و الا كيف يعقل اشتباه الامر عليه و حيث انه كان فائقاً على كل المخلوقات بعد النبى عليه السلام من

جَهَّةِ عِلْمِهِ وَفَهْمِهِ وَدِرَايَتِهِ وَاطِّلَاعِهِ عَلَى الْأُمُورِ فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ تَعْيِيرَ مَسِيرِهِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا لِعَدَمِ تَزَلُّزِهِ وَاضْطِرَابِهِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَ أَيْمُ اللَّهِ لَأُقْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحُهُ، لَا يَصْدِرُونَ عَنْهُ وَ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ...

ثُمَّ أَنَّ قِسْمَهُ بِاللَّهِ وَتَصْدِيرَهُ الْجُمْلَةَ بِالْقَسَمِ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ يَدُلُّ عَلَى وَقُوعِ مَا ادَّعَاهُ قَطْعًا كَمَا هُوَ كَذَالِكَ .

وَ حَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّهُ قَالَ لِأَسْبِقْتَهُمْ بِحَرْبٍ أَنَا صَاحِبُهَا وَ وَلَّيْتُ أَمْرَهَا وَ هَذِهِ اسْتِعَارَةٌ وَ كَذَالِكَ بَعْدَهَا وَ وَجَّهَ الشُّبْهَ هُوَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْحَوْضَ إِذَا كَانَ عَمِيقًا مَمْلُوءًا مِنَ الْمَاءِ فَوْقَ فِيهِ مَنْ لَا يَعْلَمُ السَّبَاحَةَ فَلَا جَرْمَ يَغْرُقُ وَ إِنْ لَمْ يَغْرُقْ أَحْيَانًا وَ نَجَّى مِنْهُ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ ثَانِيًا لِخَوْفِهِ مِنْهُ فَكَذَالِكَ الْحَرْبُ الَّتِي أَنَا أَفِيئُهَا وَ أَوْلِيَّهَا فَمَنْ وَقَعَ فِيهَا أَمَا إِنْ يُقْتَلُ وَ أَمَا إِنْ لَا يَعُودُ إِلَيْهَا ثَانِيًا وَ هُوَ كَذَالِكَ إِذَا قَلَّمَا اتَّفَقَ لِمَنْ بَارَزَهُ ﷺ فِي الْحَرْبِ خُرُوجَهُ مِنْهَا سَالِمًا بَلْ قُتِلَ لَا مُحَالَةَ وَ إِنْ لَمْ يُقْتَلْ فَلَمْ يَعُدْ إِلَى مَبَارَزَتِهِ ثَانِيًا وَ هَذَا مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ وَ مَا قَالَهُ فِي الْمَقَامِ فَقَدْ وَقَعَ فِي غَزْوَةِ الْجَمَلِ فَإِنَّ الزَّبِيرَ وَ طَلْحَةَ قَتِلَا وَ مَنْ لَمْ يُقْتَلْ فَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ أَبَدًا.

﴿وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ﴾ (١١)

لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ

□ قوله ﷺ: تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُلُّ، عَضُّ عَلَى نَاجِدِكَ، أَعْرِ اللَّهَ جُمُجُمَتَكَ. تِدُّ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ، أَرَمِ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَ غَضُّ بَصْرِكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

◁ اللُّغَةُ

(عَضُّ) فعل امرٍ من عَضَّ يَعِضُّ من عَضَضْتُ اللَّقْمَةَ امسَكْتُهَا اى امسِك. (نَاجِدِكَ) السِّنُّ بَيْنَ الضُّرْسِ وَ النَّابِ وَ الْجَمْعُ مِنْهُ نَوَاجِدُ يُقَالُ ضَحَكَ حَتَّى بَدَّتْ نَوَاجِدَهُ وَ قِيلَ الْمُرَادُ بِهِ الْأَنْيَابُ وَ قِيلَ النَّاجِدُ آخِرُ الْأَضْرَاسِ وَ قِيلَ الْأَضْرَاسُ كُلُّهَا نَوَاجِدُ. (وَ الْجُمُجُمَةُ عِظْمُ الرَّأْسِ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الدُّمَاغِ). (تِدُّ) أَمْرٌ مِنْ وَتَدُّ يَتَدُّ بِمَعْنَى الْأَثْبَاتِ، اى أَثْبِتْ قَدَمَكَ كَالْوَتْدِ.

◁ المعنى

(تَزُولُ الْجِبَالُ) عَنْ مَكَانِهَا (وَ لَا تَزُلُّ) عَنْ مَقَامِكَ (وَ عَضُّ عَلَى نَاجِدِكَ)، اى اضرابك اى لا تفتح فمك فى الحرب فانه علامة الضعف و الوهن، (أَعْرِ اللَّهَ جُمُجُمَتَكَ) وَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ فِى طَاعَةِ اللَّهِ وَ اثْبَاتِ قَدَمِكَ فِى الْأَرْضِ كَالْوَتْدِ وَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الثُّبُوتِ وَ الْقَرَارِ فِى مَكَانِهِ. ثُمَّ قَالَ ﷺ (أَرَمِ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ) اى أَنْظِرْ إِلَى آخِرِ الْجَيْشِ وَ هُوَ الْأَمْرُ بِفَتْحِ عَيْنَيْهِ وَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ عُلُوِّ

الْهَمَّةُ، (وَ غَضُّ بَصْرَكَ)، عَنْ بَرِيقِ سَيْوفِهِمْ وَ لَمَعَانِ دُرُوعِهِمْ فَانَّهُ مِظَنَّةُ الرَّهْبَةِ
وَ الدَّهْشَةُ ثُمَّ قَالَ (وَ أَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) وَ هُوَ ارشَادٌ مِنْهُ ﷺ بِالتَّوَكُّلِ
عَلَيْهِ وَ انْ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى قَدْرَتِهِ وَ شَجَاعَتِهِ.

◀ الشرح

اعلم: ان امير المؤمنين ﷺ اشار في كلامه هذا الى آداب الحرب، و كيفية القتال مخاطباً به لابنه محمد ابن الحنفية يوم الجمل و ما علمه ﷺ في المقام ستة امور.

الأمر الأول قوله ﷺ: تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُولُ...

و فيه تعريض على استقامته و ثباته في الحرب و عدم تزلزله و اضطرابه فيها فان الثبات و القرار في كل امر من الامور، يوجب النيل بالهدف و الوصول الى المقصد و لا سيما في الحروب.

الأمر الثاني قوله ﷺ: عَضُّ عَلَى نَاجِدِكَ...

أمره ﷺ بالعَضِّ على ناجذه في المعركة و الناجذ على ما ذهب اليه علماء التشريح ضرس يَنْبُتُ بعد البلوغ و كمال العقل و يقال له بالعربية ناجذ و الجمع منه على نواجذ و قالوا انه يَنْبُتُ اذا مضى من عمره ثمانية عشر و عشرين الى خمس و ثلاثين سنة، فقول اللغويين و مَنْ قَلَدَهُمْ كَالشَّارِحِ الخوئي، و البحراني و المعتزلي و غيرهم من انه يَنْبُتُ بعد كمال العقل ليس في محله اذبه يكمل العقل بمعنى انه علامة له لا انه سبب لكماله.

اللهم الا ان يقال ان المقصود انه كمال العقل الهيلولائي كما ان العقل بالفعل كمال للملكة و العقل بالمستفاد كمال للعقل بالفعل و هذا مسلم.

و على اي حال غرضه ﷺ من هذا الكلام هو ان العَضُّ على التواجذ يوجب صلابة الجمجمة و شدة العزم على الفتح و الظفر.

الأمر الثالث قوله ﷺ: أَعْرِ اللَّهُ جُمَّمَتَكَ...

أعير، أمر من الأعار و الجمجمة عظم الرأس المشتبل على الدماغ، و

المقصود من هذا الكلام تسليمه و تفويضه إلى الله استعارة و كناية و إنما قال ما قال عليه السلام في الجُمجُمة دون باقى الأعضاء لأنَّ الرأس فى الحَقِيقَة اصل البدن بحيث لولاه لم يكن فى البدن و لا من آثاره عين و لا اثر فاذا فوضَّ إليه رأسه فكأنما فوضَّه بدنه و لا سيَّما أنه حامل للعقل.

اعلم: انَّ الجُمجُمة ركبت من ستته عظام - اربعة منها فرد و اثنين منها زوج. اما الأربعة المُتَّصِفة بالفردية: فاحدها، الجِبْهَة و ثانيها، المَصِّفات و ثالثها، الوتدى و رابعها، مَحْدُودَة.

و اما الأثنين: فاحدهما، القَحْفَيْن و ثانيهما، الصَّدْعَيْن.

١. اما الجِبْهَة: فهى عَظْمٌ فَرْدٌ و شكله قَريبٌ بِالْهَلالِ يقبل القِسْمَة بمتساوين واقع من فوق الصُّورة و قدام الجُمجُمة و لِعَظْمِ الجِبْهَة سَطُوحٌ ثَلَاثَة: سَطْحٌ قَدَامِيٌّ مُحَدَّبٌ، و سَطْحٌ خَلْفِيٌّ او مُنْحَى، و سَطْحٌ تَحْتَانِيٌّ غير منظم.

٢. والمصِّفات: عَظْمٌ فَرْدٌ متساوى القِسْمَة واقع وَسَطَ قاعِدة الجُمجُمة فوق تجاوير أنف بين الحَدَقَتَيْنِ و له جُزْأَن: جزءٌ وَسَطِيٌّ: و جُزْأَيْنِ طَرَفَيْنِ، و لكل واحدٍ من هذين الجُزْأَيْنِ سِتَّةٌ سَطُوح.

سَطْحِ الوَحْشِيِّ، سَطْحِ الفُوقَانِيِّ، سَطْحِ الأَنْسِيِّ، و سَطْحِ التَّحْتَانِيِّ، و سَطْحِ الدَّامِيِّ، و سَطْحِ الخَلْفِيِّ.

٣. الوَتْدِيُّ: عَظْمٌ فَرْدٌ غير منظم متساوى القِسْمَة فى وَسَطِ الجُمجُمة و له جِسْمٌ مُكَعَّبٌ و له سَطُوحٌ سِتَّةٌ و ثَلَاثَة أزواج زائِدة على التَّفْصِيلِ الَّذِي فى مقامه.

٤. مَحْدُودَة: عَظْمٌ فَرْدٌ متساوى القِسْمَة واقع فى الجُزْءِ الخَلْفِيِّ و التَّحْتَانِيِّ لِلجُمجُمة و له سَطْحَانٌ و اربعة اطراف و اربعة زوايا.

١. أَلْقَحْف: واقع من طرفَيْنِ الجُمجُمة و له سَطْحَانٌ و اربع اطرافٍ و اربع زوايا.

٢. الصَّدْع: عَظْمٌ زَوْجٌ غير منظم له تَحْدُبَاتٌ تَقَعَّرَاتٌ كَثِيرَةٌ و تَفْصِيلُهَا على ما هى عليها يطلب من كتب التَّشْرِيحِ.

□ قوله ﷺ: تَدِ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ...

الأمر الرابع: منه ﷺ وهو إشارة الى لزوم الثبات والقرار، في القدم والفرق بينه وبين الأول اعنى قوله تَزُولُ الْجِبَالُ وَتَزَلُ هُوَ أَنَّ الْأَوَّلَ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ الْأَضْطْرَابِ وَالتَّزَلُّلِ فِي الرَّأْيِ. وَالثَّانِي إِشَارَةٌ إِلَى ثُبَاتِ الْقَدَمِ الظَّاهِرِي وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّزَلُّلَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْأُمُورِ وَنَشَأَتُهُ الْأَضْطْرَابِ الْقَلْبِي وَعَدَمِ اطمينانه كما قيل الْمُؤْمِنُ كَالجَبَلِ الرَّاسِخِ لَا تَحْرِكُهُ الْعَوَاصِفُ وَآمَّا قَوْلُهُ هَذَا فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الثُّبَاتِ فِي الْقَدَمِ وَلِذَلِكَ عَبَّرَ ﷺ فِي كَلَامِهِ بِكَلِمَةِ (تَدِ) الَّتِي فَعَلَ امْرٍ مِنَ الْوَتْدِ وَهُوَ وَاضِحٌ.

الأمر الخامس قوله ﷺ: أَرَمِ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ...

إِشَارَةٌ بِهِ ﷺ: إِلَى عُلُوقِ لِهَمَّةٍ فِي الْحَرْبِ بَلْ وَفِي كُلِّ الْأُمُورِ إِذَا الْأُمُورُ كُلُّهَا مِنْ قَبِيلِ الْحُرُوبِ فِيهَا غَالِبٌ وَمَغْلُوبٌ وَقَاتِلٌ وَمَقْتُولٌ إِلَّا أَنَّ الْغَلْبَةَ، وَعَدَمَهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ.

فَكَمَا أَنَّ الرَّجُلَ الشُّجَاعَ فِي الْحُرُوبِ يَرْمِي بَصْرَهُ إِلَى أَقْصَى الْقَوْمِ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى عُلُوقِ هَمَّتِهِ وَيُوجِبُ تَشْجِيعَهُ وَتَحْرِيفَهُ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ فَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأُمُورِ سِوَاهِهَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ لِأَنَّ الرَّجُلَ الشُّجَاعَ فِي أَمْرِ دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ فِي كُلِّ صَنْفٍ مِنَ الْأَصْنَافِ مَنْ رَمَى الْبَصَرَ إِلَى أَقْصَى الْقَوْمِ وَأَعَالِيهِمْ لَا أَسَافِلَهُمْ وَأَدَانِيَهُمْ وَقَدْ ثَبَّتْ بِالتَّجْرِبَةِ أَنَّ عُلُوقَ لِهَمَّةٍ فِي كُلِّ أَمْرٍ مُؤَثِّرٌ فِي نَيْلِ الْإِنْسَانِ إِلَى أَهْدَافِهِ وَبَلُوغِهِ إِلَى آمَالِهِ وَعَدَمِهِ لِعَدَمِهِ.

الأمر السادس: قوله ﷺ: وَغَضَّ بَصْرَكَ، وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ...

ثُمَّ أَمْرُهُ بِغَضِّ بَصْرِهِ فِي الْحَرْبِ قَالُوا لِأَنَّ بَرِيْقَ سَيُوفِهِمْ وَلَمَعَانَ دُرُوعِهِمْ يَمْنَعُ الرَّجُلَ عَنْ إِعْمَالِ قُدْرَتِهِ فَإِنَّ فِيهِ مَظَنَّةَ الرَّهْبَةِ وَالذُّهْشَةِ. وَالَّذِي يُتَّقَى فِي نَفْسِي هُوَ أَنَّ أَمْرَهُ لَيْسَ لِأَجْلِ مَا ذَكَرُوهُ فَإِنَّ غَضَّ الْبَصْرِ مَانِعٌ عَنِ الْمُحَارَبَةِ وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ غَضَّ بَصْرَهُ وَهُوَ يَقَاتِلُ أَنَّ هَذَا لِشَيْءٍ عَجَابٍ.

بل الجملة استعاره وكنايه عن شيء آخر وهو أنه كما أن من غَضَّ بصره لا

يَرَى احداً فقال ﷺ هذا الكلام للدلالة على ان الرجل الشجاع كأنه لا يرى احداً في الحرب حتى خاف منه فأمره ﷺ كناية عن عدم رؤيته احداً فكانه قال له لا تخف من الرجال في الحرب كأنك لا تراهم أو ليسوبها.
و اما قوله ﷺ: وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ...

فهو ارشاد الى التوجه الى المعبود على كل حال و تفويض الأمر اليه و العلم بان النصر و الظفر و الفتح و الغلبة في كل الأمور بيده و المقصود أنك لا تعتمد على شجاعتك و قدرتك و تجرتبك في الحرب بل اعتمد على الله تبارك و تعالی.

فقوله هذا بمنزلة النتيجة لما تقدم فكانه قال لابنه يا بني راع هذا - الامور التي تكون بمنزلة الأسباب و المعدات لتحصيل الغرض و مع ذلك لا تعتمد عليها و لا تظن انها توجب بلوغك الى الأمل و وصولك الى النصر و الظفر بل الأمر بيده تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١)

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢)

أزمنة الأمور طراً بيده و الكل مُستَمِدَّةٌ مِنْ مَدْيِهِ و حيثُ انجرت الكلام الى هنا فلا بأس بالأشارة الاجمالية في نسبه من قبل أمة و بعض او صافه فنقول.

اسمه مُحَمَّد و كنيته ابو القاسم بُرخصة من رسول الله ﷺ و لم يُرخص في حق غيره ان يكتنى به كما عن ابن خلكان في تاريخه.

و امه، حُولة بنت جعفر ابن قيس ابن مسلمة ابن عبيد ابن ثعلبة ابن يربوع ابن ثعلبة ابن الدؤال ابن حنيفة ابن لجيم ابن صعيب ابن علي ابن بكر ابن وائل و اختلفوا في امرها على ثلاثة اقوال على ما ذكره الشارح المعتزلي .

الاول: انها كانت سبية من سبايا الردة قوتل أهلها على يد خالد ابن الوليد في أيام ابي بكر لما منع كثير من العرب الزكوة و ارتدت بنو حنيفة و ادعت النبوة مسيئة و ان ابا بكر دفعها الى علي من سهمه في المغنم.

الثانى: قال قومٌ و منهم ابوالحسن على بن محمد ابن سيف المدائنى هى سببية فى ايام رسول الله قالو بعث رسول الله علياً الى اليمن فاصاب خولة فى بنى زبيد و قد ارتدوا مع عمرو ابن معد يكرب و كانت زبيد سببها من نبي حنيفة فى غارة لهم عليهم فصارت فى سهم على فقال له رسول الله ﷺ ان ولدت منك غلاماً فسمه باسمى و كنهه بكنتى فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام محمداً فكناه اباالقاسم.

الثالث: قال قوم و هم المحققون و قولهم الأظهر ان بنى أسد غارت على بنى حنيفة فى خلافة ابى بكر فسبوا خولة بنت جعفر و قدموها المدينة فباعوها من على فبلغ قومها خبرها فقدموا المدينة على على فعرفوها و اخبروه بموضعها منهم فاعتقها و مهرها و تزوجها فولدت له محمداً فكناه اباالقاسم و هذا القول اختاره البلادرى فى كتابه المعروف بتاريخ الأشراف.

وُلد سنة ستة عشر من الهجرة و مات فى ربيع الأول من سنة احد و ثمانين و قيل اربع و ثمانين بعد الهجرة و قد مضى من عمره خمس و ستين سنة و روى عن جاحظ أنه قال و اما محمد ابن حنيفة فقد اقرأ الصاد روالوارد، و الحاضر و البادى انه كان واحد دهره و رجل عصره و كان أتم الناس تماماً و كمالاً انتهى.

اقول: بعد اخويه الحسن و الحسين عليهما السلام (مؤلف)

وقال الشارح المعتزلى - كان على يُقذف لمحمد فى مهالك الحرب و يكف حسناً و حسناً عنها.

و قيل لمحمد لِمَ يغرر بك ابوك فى الحرب و لا يغرر بالحسن و الحسين عليهما السلام؟ فقال انهما عيناه و انا يمينه فهو يدفع عن عينه بيمينه.

اقول: و مناقبة كثيرة جداً و قد نقلوا فى شجاعته و قدرته ما لا عين أت و لا أذن سمعت الا فى اخويه الحسن و الحسين و يكفيك ما قلناه انه قالت الانصار يا امير المؤمنين لو لا ما جعل الله تعالى للحسن و الحسين لما قدمنا على محمد

احداً من العرب، فقال عليّ عليه السلام آين النّجم من الشّمس والقمر اما أنّه قد أغنى و
أبلى و له فضله و لا ينقُص فضل صاحبيه عليه و حسب صاحبكم ما انتهت به
لعنة الله اليه.

فقالو: يا امير المؤمنين انا و الله ما نجعله كالحسن و الحسين، و لا نظلمهما له
و لا نظلمه لفضلهما عليه حقّه.

فقال عليّ عليه السلام: آين يقع ابني من ابني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: حزيمة ابن ثابت
فيه شعراً:

مُحَمَّدُ مَا فِي عُدُوكَ الْيَوْمَ وَصَمَةٌ
و لَأَكُنْتَ فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسَ مُعَرَّراً
أَبُوكَ الَّذِي لَمْ يَرْكَبِ الْخَيْلَ مِثْلَهُ
عَلِيٌّ وَ سَمَّاكَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
فَلَوْ كَانَ حَقًّا مِنْ أَبِيكَ خَلِيفَةً
لَكُنْتَ وَلَكِنْ ذَاكَ مَا لَا يُرَى بُدْأً
وَ أَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَطْوَلَ غَالِبٍ
لِسَانًا وَ أَنْدَاهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدًا
وَ اقْرَبَهَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ تُرِيدُهُ
قَرِيشُ وَ أَوْفَاهَا بِمَا قَالَ مَوْعِدًا
وَ اطْعَنَهُمْ صَدْرَ الْكَمِيِّ بِرُمْحَةٍ
وَ اكْسَاهُمْ لِحْمَامَ غَضْبَا مُهْنَدًا
سِوَى اخْوَيْكَ السَّيْدَيْنِ كِلَاهِمَا
إِمَامُ الْوَرَى وَ الدَّاعِيَانِ إِلَى الْهُدَى
أَبَى اللَّهِ أَنْ يُعْطَى عُدُوكَ مَقْعَدًا
مِنَ الْأَرْضِ أَوْ فِي اللَّوْحِ مَرْقًى وَ مَصْعَدًا

و محمد ابن الحنفية هذا هو الذي ذهب الكيسانية الى امامته بعد الحسن و

الحُسين و قالو بانَّ الأئمةَ أربعةَ كلهم من قريش أولهم علي، و الثلاثة من بنيه
 اعنى الحسنين و محمد ابن الحنفية و اعتقد و افيه بانه غاب عن الأبصار و هو
 الأمام المنتظر الغائب الذي أخبر به الرسول ﷺ، و يقولون انه حتى في جبل
 رضوى عنده غسل و ماء ينتظر الفرج الى آخر ما اعتقدوا فيه من الأباطيل و
 الخرافات و كان سيد ابن محمد الحميرى رضى الله عنه اعتقد ذلك فيه ثم
 تاب و رجع عما اعتقده و دخل في زمرة الشيعة - الاثنى عشر فى زمن
 الصادق عليه السلام و اعتقد بامامته و امامة آبائه و ابنايه و هو الذى قال فى اول أمره.

الأين الأئمة من قريش ولأه الأمر أربعة سواء
 علي و الثلاثة فى بنيه هم أسباطنا و الأوصياء
 فسب سبب إيمان و بر و سبب قد حوته كربلاء
 و سبب لا يذوق الموت حتى يقود الجيش يقدمه اللواء
 يغيب لا يرى عنا زماناً برضوى عنده غسل و ماء
 و فيه قال السيد أيضاً:

أيأشعب رضوى ما لمن بك لا يرى
 فحتى متى تخفى و أنت قريب
 فلو غاب عنا عمر نوح لأيقنت
 من النفوس بأنه سيثوب

و قال أيضاً:

الآحى المقيم بشعب رضوى و أهده له بمنزله سلاماً
 آيا بن الوصى فدتك نفسى اطلت بذلك الجبل المقاماً
 أضرب بمعشر والوك منا و سموك الخليفة و الاماماً
 فما ذاق ابن حولة طعم موت ولا وارت له ارض عظاماً

و انما قالوا لهم كيسانيته لان كيسان من موالى امير المؤمنين عليه السلام و قيل تلميذ
 للسيد محمد ابن حنفية يعتقدون فيه اعتقاد ابالغا من احاطته بالعلوم كلها و

اقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل و علم الباطن و علم الآفاق و الأنفس. الملل و النحل، ج ١، ص ٢٣٥.

اقول: و قد ذكرنا ان السيد الحميرى كان فى اول امره ممن يقول بأمامة محمد ابن الحنفية ثم تاب و آمن و عمل صالحاً على يد الأمام جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام.

روى اسمعيل ابن روح عن حيان السراج قال سمعت السيد محمد الحميرى يقول كنت اقول بالغلو و اعتقد غيب محمد ابن الحنفى رضى الله عنه قد ضللت فى ذلك زماناً فقد من الله على بالصادق جعفر بن محمد و انقذنى به من النار و هدانى الى سواء الصراط و سئلته بعد ما صح عندى بالدلائل التى شاهدتها منه انه حجة الله على و على جميع اهل زمانه و انه الأمام الذى فرض الله طاعته و اوجب الأقتداء به فقلت: له يابن رسول الله قد روى لنا اخبار عن آبائك عليهم السلام فى الغيبة و صحة كونها فأخبرنى بمن يقع فقال عليه السلام: ستقع بالسادس من ولى و هو الثانى عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله أولهم امير المؤمنين على بن ابيطالب و آخرهم القائم بالحق بقية الله فى الأرض و صاحب الزمان و الله لو بقى فى غيبته ما بقى نوح فى قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فملاء الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً.

قال السيد فلما سمعت ذلك من مولاى الصادق جعفر بن محمد ثبت الى الله تعالى ذكره على يديه و قلت قصيدة و هى هذه.

فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ قَدْ غَوَتْ

تَجَعَّفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ فَيَمَنُ تَجَعَّفَرُ

تَجَعَّفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ

وَ أَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو وَ يَغْفِرُ

وَ دِنْتُ بِدِينِ غَيْرِ مَا كُنْتُ دِينًا
 بِهِ وَ نَهَانِي وَاحِدَ النَّاسِ جَعْفَرُ
 فَقُلْتُ فَهَبْتَنِي قَدْ تَهَوَّدْتُ بُرْهَةً
 وَ أَلَا فِدَيْنِي دِينَ مَنْ يَتَنَصَّرُ
 وَ إِنِّي إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ ذَاكَ تَائِبٌ
 وَ إِنِّي قَدْ أَسَلَمْتُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ
 فَلَسْتُ بِغَالٍ مَا حَيَيْتُ وَ رَاجِعٌ
 إِلَى مَا عَلَيهِ كُنْتُ أَخْفَى وَ أَظْهَرَ
 وَ لَا قَائِلًا حَتَّى بِرَضْوَى مُحَمَّدٍ
 وَ إِنْ عَابَ جُهَالٌ مَقَالِي فَكَثُرُوا
 وَ لَكِنَّهُ مِنْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
 عَلَى أَفْضَلِ الْحَالَاتِ يَقْفَى وَ يُخْبِرُ
 مَعَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْأَوْلَى لَهُمْ
 مِنْ الْمُصْطَفَى فَرَعٌ زَكِيُّ وَ غُنْصَرُ
 إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ وَ هُوَ الَّذِي أَيْضًا قَالَ فِي جَوَابِ مُؤْمِنِ الطَّاقِ فِي هَذَا
 الْمَعْنَى:

تَرَكْتُ ابْنَ خُوَلَةَ لَا عَنْ قَلِي	وَ إِنِّي لَكَ الْكَفَّ الْوَامِقِ
أَدِينُ بِمَا دَانَ فِي الصَّادِقِ	هُوَ الْحَبْرُ حَبْرُ بَنِي هَاشِمٍ
وَ إِنِّي لَهُ حَافِظٌ فِي الْمَغِيبِ	وَ نُورٌ مِنَ الْمَلِكِ الرَّازِقِ
بِهِ يَنْعَشُ اللَّهُ جَمِيعَ الْعِبَادِ	وَ يَجْرِي الْبَلَاغَةُ فِي النَّاطِقِ
أَتَانِي بِرَهَانِهِ فَعِلْنَا	فَدَنْتُ وَلَمْ أَكُ كَا الْمَائِقِ
كَمَنْ صَدَّ بَعْدَ بَيَانِ الْهُدَى	إِلَى جِئْرٍ وَ أَبِي حَامِقِ

رَوَى عَلِيُّ ابْنِ الْحُسَيْنِ ابْنُ أَبِي حَرْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى السَّيِّدِ ابْنِ

محمد الحميرى عائداً فى علته التى مات فيها فوجدته يساق به و وجدت
 عنده جماعة من جيرانه و كانوا عثمانية و كان السيد جميل الوجد رحب الجبهة
 عريض ما بين السالفتين فبدت فى وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداثم
 لم تزل تزيد و تسمى حتى طبقت وجهه يعنى اسوداً دافاعتم لذلك من حضره
 من الشيعة و ظهر من الناصبية سرور و شماتة فلم يلبث بذلك الا قليلاً حتى
 بدت فى ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد ايضاً و تسمى حتى
 اسفر وجهه و اشرق و افترى السيد ضاحكاً و انشاء يقول.

كذِبَ الزَّاعِمُونَ اَنْ عَلِيًّا لَنْ يُنَجِيَ مُحِبَّهُ مِنْ هِنَاتِ
 قَدْ وَ رَبِّي دَخَلْتُ جَنَّةَ عَدْنِ وَ عَفَالِي الْاَلِهَ عَنْ سَيِّئَاتِ
 فَاَبْشِرُوا الْيَوْمَ اَوْلِيَاءُ عَلِيٍّ وَ تَوَلَّوْا عَلِيٍّ حَتَّى الْمَمَاتِ
 ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ تَوَلَّوْا بَنِيهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِالصَّفَاتِ
 وَ هُوَ الَّذِي اَيْضًا يَقُولُ:

أَحْبُّ الَّذِي مَنَّمَاتٍ مِنْ أَهْلِ وَدَّهِ
 تَلَقَّاهُ بِالْبُشْرَى لَدَى الْمَوْتِ يَضْحَكُ
 وَ مَنْ مَاتَ يَهْوَى غَيْرَهُ مِنْ عَدُوهِ
 فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِلَى النَّارِ مَسَلِكُ
 اِبَا حَسَنِ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَ أُسْرَتِي
 وَ مَالِي وَ مَا اصْبَحْتَ فِي الْاَرْضِ اَمْلِكُ
 اِبَا حَسَنِ اَنْتَ بِفَضْلِكَ عَارِفُ
 وَ اَنْتَ وَصِيَّ الْمُصْطَفَى وَ ابْنُ عَمِّهِ
 وَ اَنَا نَعَادِي مَبْغُضِيكَ وَ نَتْرَكُ
 مَوْالِيكَ نَاجٍ مَوْمِنٍ بَيْنَ الْهُدَى
 وَ غَالِيكَ مَعْرُوفِ الضَّلَالَةِ مُشْرِكُ

وَلَاخَ لِحَانِي فِي عَلِيٍّ وَجِزِيهِ

فَقُلْتُ لِحَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ آغْفِكُ

و اشعاره كثيرة تدل على توبته من مذهب الكيسانية الى مذهب الحقّة

الأمامية ثبتنا الله عليه بحق محمد وآله.

﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (١٢) ﴿﴾

وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ

□ وَ دِدْتُ أَنْ أَخِي فَلَأَنَا كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ أَعْدَائِكَ
فَقَالَ اللَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أَهْوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ شَهِدْنَا،
وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرَّجَالِ وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ
سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ.

◁ اللغة

(يَرَعَفُ) مضارع رَعَفَ اى وَجَد، يَرَعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ اى يُوْجِدُهُمْ. وَ
يُخْرِجُهُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:
وَ مَا رَعَفَ الزَّمَانُ بِمِثْلِ عَمْرٍو وَ لَا تَلِدُ النِّسَاءُ لَهُ ضَرِيًّا

◁ المعنى

قال له ﷺ بعض اصحابه الى اخر ما قال فقال ﷺ على سبيل الاستفهام
(أَهْوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ) الصَّحَابِيُّ (نَعَمْ)، اى نَعِمَ هَوَاهُ مَعَنَا، فَقَالَ ﷺ: اِنْ
كَانَ هَوَاهُ مَعَنَا (فَقَدْ شَهِدْنَا) فِي الْمَعْنَى، ثُمَّ قَالَ ﷺ (وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا
هَذَا) اى قِصَّةِ الْجَمَلِ (أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرَّجَالِ) الدِّينِيَّةِ لَهُمْ يُوْجِدُوْنَ
بِحَسَبِ الظَّاهِرِ بَلْ وَ لَمْ يَنْتَقِلُوا اِلَى (وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ) وَ قَوْمٌ انْتَقَلُوا مِنْهَا اِلَى
اِرْحَامِ النِّسَاءِ اَلَا اَنْهُمْ لَمْ يُوَلِّدُوا لَكِنْ سَيُوْجِدُهُمُ الزَّمَانُ وَ يَخْرِجُهُمْ مِنْ اَصْلَابِ

الرِّجَالِ وَارْحَامِ النِّسَاءِ وَ يُقَوِّى بِسَبَبِهِمُ الْإِيمَانَ.

◀ الشرح

اعلم: انَّ محصّل الكلام فى هذا الخطبته هو انّ الذى مضى و الذى يأتى الى آخر الزّمان مِمَّنْ كان هواه مَعْنَا اى يُحِبُّنَا فهو شَاهِدٌ و حاضراً فى عالم المعنى مَعْنَا، فى الجَمَلِ، ثمَّ انه اردَفَ كلامه هذا بقوله و يقوى بهم الايمان و المقصود انّ الذى سيوجد و يكون هواه مَعْنَا فهو مِمَّنْ يقوى الله به الايمان فكلامه هذا افادلنا امرين و اثبت اصلين لا بد لنا من التكلّم فيهما اجمالاً.

الأصل الأوّل - انه يستفاد منه بقاء الرُّوح و تَجُرُّده كما عليه الفلاسفة و ذلك لانّ قوله ﷺ فقد شهدنا و لقد شهدنا الخ صريح فى حضوره و حضورهم الى يوم القيمة فى المعركة و من المعلوم انّ جسده و جسدهم بعده لم يكن و لا يكونون من الحاضرين فلا جرم كلامه ﷺ يرجع الى حضور ارواحهم دون اجسادهم و هو لا يتمّ الا على القول بتجرّد الأرواح اذ لو فرضنا عدم تجرّدها فلا بد فنائها و انعدامها مع البدن و قد ثبت انّ المعدوم لا يُعاد و توضيح البحث يستدعى رسم مقدمات:

المقدمة الاولى - اعلم انّ كلّ مُركَّبٍ يلازم الدُّثور و الفناء و كلّ بسيط:

يلازم الدوام و البقاء و نعى بالبسيط بسيط الحقيقة لا الاعتبارى منه.

اقا الأوّل: فلانّ المركّب لا محالة له اجزاء و الا لا يكون مُركَّباً و المركّب ينتفى بانتفاء احد اجزائه و الاجزاء مسبوقة بالعدم و الا يلزم كونها قديماً و هو ينافى التركيب فانّ القديم غنى فى ذاته و المركّب يحتاج الى اجزائه و الاجزاء ايضا محتاجة كلّ واحد منها الى الآخر ليحصل التركيب و اذا ثبت احتياجها ثبت عدم كونها قديماً و كلّ غير قديم فهو حادثٌ لعدم الوسطة بينهما فثبت انّ الاجزاء المَوْجُود فى المركّب حادثة.

ثمَّ انّ الحُدُوث على قسمين حُدُوثٌ ذاتى و حُدُوثٌ زمانى و الأوّل هو الذى لم يسبقه العدم و الثانى هو الذى سبقه العدم و المركّبات حادثة مِن

الثانى حيث انا نرى مسبوقيتها بالعدم فان جسم الحيوان و الانسان و الشجر و غير هم لم يكن ثم كان فثبت ان المركبات من الحوادث الزمانية و هو المطلوب.

و اما البسائط اعنى المجردات عن الماده و لواحقها فهى باقيه غير فانية و ذلك لان حدوثها ذاتى لازمائى على ما حقق فى الفلسفة، فهى مسبوقه بالعله و هذا معنى حدوثها اى انها معلولات و اما فنائها فلا حيث انها باقية ببقاء العله كل ذلك ببركة تجرد هما عن الماده الظلمانية.

المقدمة الثانية: ان المعدوم لا يعاد و هذا ايضا ثابت بالأدلة القطعية و بعضهم كا الرازى و غيره ادعى الضرورة فى امتناعه.

قال السبزوارى:

اعادة المعدوم مما امتنعا و بعضهم فيما الضرورة ادعا و تفصيل الكلام يطلب من كتب المعقول كيف لا و اعادته تستلزم اعادة زمانه و مكانه و وضعه و غيرها من لوازم وجوده و ماهيته و هى تستلزم تقدم الشئ على نفسه او كونه الشئ غير نفسه و غير ذلك من المحاذير.

المقدمة الثالثة: ان الزمان و المكان و الوضع و الجهة و غيرها من لوازم الماده فكل مادة لا بد لها من الاقتران و اما المجرد عن الماده مجرد عن لواحقها ايضا فكل مجرد ليس بزمانى و لامكانى و لا غيرهما فهو فوق الزمان و المكان و الجهة و غيرها.

المقدمة الرابعة: ان الماده و الماديات لا جرم تكون مقيدة محدودة بلوازمها و المجردات ليست كذلك اذ التقييد و المحدودية كما قلنا من لوازم الماديات الواقعات فى الأزمنة و الأمكنة و الايون و امثالها و حيث ان المجرد لا مادة لها فهو بمستريح عنها.

المقدمة الخامسة: ان السنخية بين الاشياء ثابتة لا يمكن انكارها فى المجردات و المركبات و بالجملة فى كل الممكنات فان المؤمن يحب المؤمن

و الكافر الكافر و المنافق المنافق و لا سيّما في العلة و المعلول و الّا لصدر كلّ شىء عن كلّ شىء.

اذا عرفت هذه المقدمات فنقول:

□ قوله **﴿١٦٢﴾**: فَقَدْ شَهِدْنَا، وَ لَقَدْ شَهِدْنَا اثْبَتَ شَهَادَتَيْنِ: شهادة اخيه الذي مات قبل و يدلّ عليه قوله فقد شهدنا فانّ الضمير المُستتر في الفعل اعنى هو يرجع الى الاخ في قوله اهوى اخيك معنا.

و الثاني: شهادة من في اصلاب الرجال و ارحام النساء فانّ كلمة (قوم) فاعل شهدو كلمة (نا) مفعوله قدّم على الفاعل لكونه ضميراً و هو احد المقامات لتقدّم المفعول على الفاعل.

ثمّ نقول: انّ هاتين الشهادتين من اخيه و من قوم في اصلاب - الرجال و ارحام النساء ما معنى الشهادة فيهما فانّ الشهادة من الحضور فشهادتهما حضورهما و الحضور لاي شخص كان إما حضوراً بالجسم او حضوراً بالروح او بكليهما و لا رابع في الفرض و الحضور بالجسم فقط ليس مراده **﴿١٦٣﴾** قطعاً اذ هو مع انه محال لانّ الجسم بدون الروح جماد لم يوجد على الفرض لانّ اخاه لم يكن حاضراً في المعركة بجسمه و كذا القوم الذينهم في اصلاب الرجال و ارحام النساء لم يوجدوا بعد الا بعد حين و زمان في وقت تكلمه **﴿١٦٤﴾** لم يكن من أخ الرجل و لا من القوم بالنظر الى اجسامهم عين و لا أثر و هذا ظاهر و بهذا الدليل لا سبيل الى الثالث ايضاً و ذلك لانّ الروح و الجسم معا ايضاً لم يكونا موجودين و لذلك قال سيرعف بهم الزمان و اذا امتنع الشق الاول و الثالث بقى الثاني و هو وجود ارواحهم دون اجسامهم و هو المطلوب.

و من المعلوم انّ القول بوجود الارواح بعد انسلاخها عن البدن كما في الاول (و هو روح اخيه) و قبل تعلّقها بالابدان كما في القوم من حيث كونهم في اصلاب الرجال و ارحام النساء لا يلائم عدم تجرّدها و الّا لذهبت حيث ذهب البدن فوجودها مجرداً عن الأبدان دليل على تجرّدها و أنّها خلقت قبل

الأجسام ايضاً كما دلت عليه الروايات كقوله ﷺ خَلَقَ اللهُ الأرواحَ قبل الأجساد بالفِي عامٍ و امثال ذلك، فيستفاد من كلامه ﷺ امران، تجرّد الارواح، و كونها مخلوقة قبل الأجساد، و الاوّل يستفاد من الاوّل و الثاني من الثاني و هذا لا اشكال فيه نقلاً و عقلاً.

اما النقل فيمكن الاستدلال به عليه بالآيات و الروايات.

فمن الآيات - قال الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾^(١)

تقريب الاستدلال بها ان النفس صارت مخاطبة بالرجوع اليه تعالى دون الجسم و هو دليل على تجرّدها.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢) فلو كان الروح هو البدن لا معنى للنفخ فيها فان المفروض ان بدن آدم كان كاملاً من حيث العنصر ثم تعلق الروح به و هو دليل على تجرّده و كونه مخلوقاً قبل البدن.

قال الله تعالى: ﴿وَ كَلِمَتُهُ أَلْقِيهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ﴾^(٣) و تقريب الاستدلال ما مرّ.

و: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٤)

فان قوله تعالى ثم انشأنا خلقاً آخر دليل على تجرّده و يدلّك عليه قوله تعالى في قبل هذا الكلام حيث قال.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٥)

وجه الدلالة ان الآيات كلّها الى قوله ثم انشأناه، بصدد بيان كيفية خَلْقِهِ

٢. الحجر - ٢٩ و ص - ٧٢.

٤. المؤمنون - ١٤.

١. الفجر - ٢٧، ٢٨.

٣. النساء - ١٧١.

٥. المؤمنون - ١٢، ١٣، ١٤.

الاجزاء العنصرية فى البدن و قوله ثمّ المفيد للتراخى يدلّ على انا بعد ما
خَلَقْنَا بَدَنَ الْاِنْسَانِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَذْكُورِ اِنْشَاءً خَلْقًا آخَرَ، اى ثُمَّ خَلَقْنَا
الانسان العنصرى خلقاً آخر اى اوجدناه بصورةٍ اخرى غير ما كان و من
المعلوم انّ الانشاء الغير المادى يلازم التجرد.

و بعبارة اخرى: بعد ما خَلَقَ الْاِنْسَانِ اى جَسَمَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَهُ
فِي قَرَارٍ مَكِينٍ بِصُورَةِ النُّطْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً وَ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، وَ الْمُضْغَةَ
عِظَامًا ثُمَّ كَسَاهَا لِحْمًا، الى هنا، ثُمَّ خَلَقَ الْبَدَنَ، ثُمَّ اِنْشَاءً خَلْقًا آخَرَ.

فان كان الخلق الآخر هو الخلق الاول بعينه فلا معنى للآية اذ عليه لم ينشاء
خلقاً آخر و ان كان غيره فالخلق الاول كان مادياً فيلزم ان يكون الثانى - الذى
هو غيره غير مادى و غير المادى هو المُجَرَّدُ لعدم الواسطة بينهما، و هو
المطلوب و فى هذه الآيه اسرار الخلقه مودعة إلا انّ البحث فيها يخرجنا عما
نحن بصدده و الا شرحناها كما هو حقّه.

و اما الروايات و الآثار الواردة الدالة على تجرد النفس او الروح فكثيرة
ايضا نشير الى بعض منها.

فمنها - قوله ﷺ انّ الله خلق آدم على صورته...

و الاستدلال به موقوف على رجوع الضمير فى قوله ﷺ صورته، اعنى
الهاء الى الله اى خَلَقَ اللهُ اَدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، كَوْنُهُ مَخْلُوقًا عَلَى صُورَةِ اللهِ وَ الْمُرَادُ
بِصُورَةِ اللهِ صِفَاتُ الْجَلَالِ وَ الْجَمَالِ وَ الثَّبُوتِ وَ السَّلْبِ وَ التَّنْزِيهِ وَ التَّشْبِيهِ
فَكَوْنِ اَدَمَ مَخْلُوقًا عَلَى صُورَتِهِ كَوْنُهُ مَظْهَرُ اَصْفَاتِهِ وَ مِنْ الْمَعْلُومِ انّ هَذِهِ
الْمَظْهَرِيَّةُ لَيْسَتْ مِنْ جِهَةِ بَدَنِهِ الْعُنْصَرِيِّ اَيْنَ التُّرَابِ وَ رَبِّ الْاَرْبَابِ وَ اَيْنَ
الثَّرَى مِنَ الثَّرِيَا فَلَاحِرْمِ مَظْهَرِيَّتِهِ كَانَتْ بِرُوحِهِ وَ مَظْهَرِ الْمَجْرَدِ لَا يَكُونُ الْا
مُجْرَدًا وَ هُوَ الْمَطْلُوبُ.

و منها - قول على عليه السلام و الامام الصادق عليه السلام قال ﷺ ...

الصورة الانسانية اكبر حجج الله على خلقه و هى الكتاب الذى كتبه بيده و

هِيَ الْهَيْكَلُ الَّذِي بَنَاهُ بِحِكْمَتِهِ وَ هِيَ مَجْمُوعُ صُورِ الْعَالَمِينَ وَ هِيَ الْمُخْتَصِرَةُ
مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَ هِيَ الشَّاهِدَةُ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ وَ هِيَ الْحُجَّةُ عَلَى كُلِّ جَاهِدٍ
وَ هِيَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَ هِيَ الصِّرَاطُ الْمَمْدُودُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ
النَّارِ، انْتَهَى...

وَمِنْهَا - قَوْلُهُ أَعْرَفَكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرَفَكُمْ بِرَبِّهِ...

وَ تَقْرِيبُ الْاسْتِدْلَالِ فِي هَذِهِ الرَّوَايَاتِ ظَاهِرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلِ الْكَلَامِ
فِيهَا فَإِنَّ الْجِسْمَ وَ الْجِسْمَانِيَّ لَا يَكُونُ آيَةً وَ عَلَامَةً لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُجْرَدِ لِعَدَمِ
السَّنَخِيَّةِ - وَ لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ.

وَمِنْهَا - قَوْلُهُ ﷺ أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْعُرْيَانِ
تَعَرَّى الرَّوْحِ عَنِ الْجِسْمِ وَ لَوَاحِقَهُ مِنَ الْمَادِّيَّاتِ...

وَمِنْهَا - قَوْلُهُ ﷺ أَيْبِتْ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمْنِي وَ يُسْقِينِي، وَ الْعِنْدِيَّةُ تَسْتَلْزِمُ
التَّجْرُدَ التَّامَ...

وَمِنْهَا - قَوْلُهُ ﷺ قَلْبٌ لِمُؤْمِنٍ عَرْشُ الرَّحْمَنِ. وَ قَوْلُهُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ
إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ وَ امْتِثَالُ ذَلِكَ مِنَ الرَّوَايَاتِ
وَ أَمَّا الْأَدَلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ عَلَى تَجْرُدِ الرَّوْحِ أَيْضًا كَثِيرَةٌ نَذَكُرُ شَطْرَ أَمْنِهَا.

الدليل الأول:

أَنَّ النَّفْسَ تَعْقِلُ الْكَلِّيَّاتِ الْعَقْلِيَّةَ وَ كُلَّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُجْرَدٌ فَالنَّفْسُ
مُجْرَدٌ.

أَمَّا الصَّغْرَى - فَلَاشَكَّ فِيهِ فَإِنَّ ادْرَاكَ الْكَلِّيَّاتِ مِنْ شُئُونِ النَّفْسِ وَ بِهِ يَمْتَازُ
الْحَيَوَانَ عَنِ الْإِنْسَانِ حَيْثُ أَنَّ الْحَيَوَانَ لَا يُمْكِنُهُ دَرَكُ الْكَلِّيِّ بِخِلَافِ الْإِنْسَانِ
مُضَافًا إِلَى شَهَادَةِ الْحِسِّ وَ الْوُجُدَانِ فَإِنَّا نَدْرِكُ الْإِنْسَانَ الْكَلِّيَّ وَ الْحَيَوَانَ الْكَلِّيَّ
الْمُجْرَدَ مِنَ الْمَادَّةِ وَ لَوَاحِقِهَا إِذْ لَوْ كَانَ مَلَاذِمًا لِهَالِمٍ يَكُنُ كَلِّيَابِلَ جُزْئِيًّا كَمَا ثَبَتَ فِي
الْفَلَسَفَةِ وَ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْكَلِّيِّ وَ الْجُزْئِيِّ إِلَّا الْإِقْتِرَانُ بِالْمَادَّةِ، وَ لَوَاحِقِهَا حَتَّى يُمْكِنَ
انطباعه و صدقه على كثيرين.

واما الكبرى - اعنى كون مُدرِك المُجرّد مجرداً فلان تجرّد العارض وهو المعقول يَستلزم تجرّد المَعروض وهو النفس سيمابنا على اتّحاد العاقل و المعقول و انّ المعقول موجود بوجود النفس لا بوجود آخر بمعنى انّ الادراك للنفس من شئونها واطوارها كما اثبتناه فى ابحاثنا الفلسفية وعليه فلو كان المعروض جسماً او جسمانياً فالقيودوا لأغلال المَوْجُودة فى الجسم والجسمانى تَسرى الى الحَال لامحالة وتَصير الحَال ايضاً جسماً او جسمانياً وقد فرضناه مجرداً هف.

واما النتيجة - فقَطعية لانّ الشكّل الاول بديهيّ الأنتاج فثبّت كون النفس مجرد او هو المطلوب.

الثانى: انّ النفس تقدر على افعال غير متناهية - وكلّ ما هو كذلك فمُجرّد فالنفس مُجرّد.

اما الصغرى - فلانّ العاقلة تعقل الاعداد الغير المتناهية مثلا وهذا واضح. اما الكبرى - فلانّ الجسم والجسمانى لا يقدر على هذا فانّ القوى الجسمانية متناهية التأثير والتأثر كما ثبتت فى محلّه وحيث انّ النفس تعقل بسبب العاقلة الأمور الغير المتناهية فنكشف منه عدم كونه جسماً وجسمانياً وكلّما لا يكون شيئاً منها فهو مُجرّد لعدم الواسطة فالنفس مُجرّد وهو المطلوب.

وادلة العقلية فى اثبات تجرّدها من المشائين والاشراقيين كثيرة اعرضنا عن ذكرها خوفاً من الأطناب المُمل ولعلّه يأتى فى مباحث الكتاب ما يناسب البحث فيه فانتظره.

اذا اثبت تجرّد الرّوح او النفس او ماشئت فسَمّه فنرجع الى كلامه عليه السلام ونقول.

□ قوله عليه السلام: فَقَدْ شَهِدْنَا، وَ لَقَدْ شَهِدْنَا الخ...

إشارة الى حضور ارواحهم ويؤيد ما ذكره عليه السلام قوله عليه السلام الارواح جُنودٌ مُجنّدة فما تعارف فيها اتّلف وما تناكر منها اختلّف.

ان قلت - ائى دليل على ان المراد شهادة ارواحهم وهو خلاف ظاهر العبارة فان قوله شهدنا مثلاً يدل على شهود اخيه او شهود القوم مثلاً لا شهود ارواحهم فلو كان الأمر كما ذكرت فحق العبارة ان يقال شهد ارواحهم مثلاً لا يشهدنا الدال على الشهود الحى.

قلت - قد اقمنا الدليل على انه لا بد لنا من حمل العبارة على ما ذكرناه اذا لمفروض بل المقطوع عدم حضور جسمه واجسامهم التى لم تخلق بعد فاذا لم تكن اجسامهم حاضرين فلا محالة ارواحهم كانت حاضرة فى المعركة هذا أولاً.

واما قولك ان حضور الارواح غير حضورهم انفسهم فليس الامر كما زعمته اذ قد ثبت فى العلوم العقلية ان شئية الشئى بصورته لا بمادته فانسانية الانسان ليست بمادته العنصرية المشتركة بينه وبين الحيوانات بل انسانيته بصورته التى هى بعينها الروح او النفس فان صورة الانسان هى روحه او النفس الناطقة على اختلاف التعبيرين فليس حقيقة الانسان الا النفس و هى ليست الا الروح فشهود الارواح، وحضورها بعينه شهود الانسان وحضوره وتفصيل الكلام مقام آخر.

بقى فى المقام شئى.

وهو انه عليه السلام: قال شهدنا قوم فى اصلاب الرجال على سبيل التنكير المفيد للنوعية والخصوصية ولم يقل لقد شهدنا من كان فى اصلاب الرجال و ارحام النساء على سبيل العموم فالمستفاد من كلامه عليه السلام هو ان الشهود والحضور انما يكون لقوم معين مخصصين دون الناس كلهم فمأوجه تخصيصه به.

نقول وجهه ظاهر و ذلك لانه اشار بكلامه عليه السلام الى الحديث المذكور الارواح جنود مجنودة الى اخره.

فان الارواح التى لاعلاقة لها بالولاية و لا تكون بينها و بين روحه سينجية و

ارتباط معنوي فلا تكون لها شهود و حضور والشهود إنما يثبت للأرواح المرتبطة بمقام الولاية التي اذا شهدت فرحت كما قال عليه السلام أهوى أخيك معنا فهذا لأستفهام منه عليه السلام من لسائل يدلنا على ان الحكم منه عليه السلام بالشهود و الحضور يختص بمن كان هواه معه عليه السلام ومن المقطوع به، ان صاحب هذه الفضيلة اشخاص دون اشخاص وجماعة دون جماعة وليس كل الافراد كذلك.

فمحصل كلامه عليه السلام هو ان من كان هواه معنا و تمسك بولايتنا و هدايتنا فهو معناني الحقيقة و يفرح بفتحنا و ظفرنا على عدونا كما روى منهم ان شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا و يحزنون لحزننا.

يقول المؤلف فنحن معهم في يوم الجمل وكذلك من كان بعدنا الى يوم القيمة من شيعتهم و محبيهم و نفرح بفرحهم و نحزن بحزنهم ثبتنا الله على القول الثابت و الأيمان الراسخ في الدنيا و الآخرة آمين رب العالمين.

□ قوله عليه السلام: وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ...

ثم انه مدحهم بقوله يقوى بهم الايمان، وهذا المدح ثابت لمن هوى اصلاب الرجال و ارحام السامم من كان هواه معه عليه السلام من حين صدور الكلام منه عليه السلام الى يوم القيمة و انما مدح هؤلاء القوم بقوله: و يقوى بهم الايمان للأشارة الى ان الايمان ليس بمجرد الشهادتين بل لا بد للمؤمن الاقرار بهما مع الاعتقاد القلبي الملازم للعمل على مقتضى الاقرار و الاعتقاد.

فالأيمان عبارة عن الاقرار بالواحدانية لله تعالى و رسوله عليه السلام، و جميع ما جابه النبي مع الاعتقاد القلبي و العمل بمقتضى الاعتقاد و لا شك عندنا و عند من ليس له تعصب و عناد ان ما جابه النبي عليه السلام في سلك الصوم و الصلوة و الحج و الزكوة و غيرها الولاية لعلی و الائمة بعده و قد بلغه حق التبليغ في غد يرخم و مواضع شتى فعليه المؤمن من يؤمن بالولاية ايضاً لساناً و قلباً بل هي اصل الأحكام و لبها و حقيقتها كما قال في الحديث بُني الإسلام على

خمس الى ان قال ومأثودى بُشىءٍ منها كما نودى بالولاية و سيجيئ تفصيل الكلام منافى بحث الايمان و الولاية مفصلاً.

و اذا كانت الولاية من شرائط الايمان الواقعى و من المعلوم ان الولاية فرع المحبة فصَحَّ قوله عليه السلام يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مُحِبًّا لَهُ عليه السلام متمسكاً بولايته فلاجرم كان هواه معه عليه السلام و هذا اعنى الولاية والمحبة لعلئ عليه السلام و اولاده مما يوجب قوة الايمان و شوكته كما ان عدمها يوجب ضعف الايمان وهذا ظاهر.

تنبيه: ثم انه بناعلى ما ذكرناه فى شرح عبارات هذه الخطبة و ان حقيقة الانسان انما هى روحه لا بدنه اذ بسبب الروح يرى ويتكلم ويشم، ويدوق ويلمس ويدرك ويتخيل ويتوهم ويعقل الى غير ذلك لاغيرها، ولاسيما على مسلك الأشراق من ان الادراكات سواء كانت بالحواس الظاهرة او بالحواس الباطنة انما هى بأضافة اشراقية للنفس لاغير.

واما الآلات من الباصرة و السامعة و الشامة و غيرها فشأنها المقابلة و المواجهة مع المدرك بالأدلة التى ذكرها فى محلها فلا يبقى مجال للأرتياب فى ان النفس هى السامع لكل شئى وهى المبصروا للامس و غيرها إلا ان الإدراك بتوسطا لجليديه فى الرؤية والسمع فى السامعة وهكذا وفرق واضح بين كون الشئى مدركاً بنفسه وكونه واسطة الإدراك وحيث اثبتنا تجردها وبقائها بعد مفارقتها عن البدن وعدم فناؤها بفنائها كما هو شأن المجرد فقد علمت انها كما تسمع وترى وتشم وتذوق وتلمس و تعقل، وتتخيل وهى فى البدن فكذلك حالها بعد مفارقتها عنه اذ المفروض ان البدن العنصرى لا خصوصية له لأدراكاتها.

نعم، هى تحتاج الى البدن فى بدو ظهورها و تعلقها به حتى تكمل به فبعد بلوغها الى كمالها المترقب لاحاجة لها اليه هذا اذا لم نقل بتعلقها بعد مفارقتها عن البدن العنصرى الى البدن المثالى كما ذهب اليه كثير من المحققين

وشهدت به الروايات والآيات أيضاً كما سيجيئ في محلّه والأفأمر أسهل اذلا
 فرق بين البدن الآ بالكثافة و اللطافة و نسبتها اليهما على حد سواؤ على اى
 تقدير ان قلنا بعالم المثل و تعلق الروح بالبدن المثالى بعدهذه النشأه أولم نقل
 فالنفس لمكان تجردها وانها، فى وحدتها كل القوى فبعد مفارقتها كقبل
 المفارقة تسمع و ترى و تلمس و .

اذا عرفت هذا فاعلم ان ما وقع منه ﷺ بعد الفتح و النصر من سيره عليه
 السلام بين القتلى و تكلمه معهم على هذا المعنى لاغزو فيه فقدور دفى الاثر
 انه ﷺ صدر منه هدامع القتلى فلولم يسمعوا لما كان لهذا الفعل منه عليه
 السلام اثر و فائدة و نشير الى بعض منها.

فمنها - ما روى الطبرسى ره فى الاحتجاج انه ﷺ لما مرّ على طلحة بين
 القتلى قال اقعد فاقعد فقال ﷺ انه كانت لك سابقه لكن الشيطان دخل
 منخريك فأوردك النار.

وفيه ايضاروى انه ﷺ مرّ عليه فقال هذا الناكث بيعتى و المنشئ للفتنة فى
 الأمة و المجلب على و الداعى الى قتلى و قتل عترتى اجلسوا طلحة فاجلس
 فقال ﷺ يا طلحة ابن عبيدالله لقد وجدت ما وعدنى ربى حقاً فهل وجدت
 ما وعدك ربك حقاً قال اضجعو طلحة و سار فقال بعض من معه يا
 اميرالمؤمنين تكلم طلحة بعد قتله فقال والله لقد سمع كلامى كما سمع اهل
 القلب كلام رسول الله يوم بدر.

ومرّ بكعب ابن سور وهو قتيل و قال ﷺ هذا الذى خرج علينا و فى عنقه
 المصحف يزعم انه ناصر امه يدعوا للناس الى مافيه وهو لا يعلم مافيه، ثم
 استفتح و خاب كل جبار عنيذ اما انه دعى الله ان يقتلنى فقتله الله.
 وهذه الروايات رواها الشارح الخونى ايضا فى شرحه.

و اما الشارح المعتزلى بعدما روى عن اصبح ابن نباتة ما يقرب منها من
 تكلمه ﷺ مع طلحة و كعب ابن سور.

قال و اما اصحابنا فيروون غير ذلك يروون انه عليه السلام قال له لما جلسوه اعز علي يا ابا محمد ان اراك فعفراً تحت نجوم السماء في بطن هذا الوادي ابعدها في الله وذبحك عن رسول الله فجأليه انسان فقال اشهد يا امير المؤمنين لقد مرت عليه بعد ان اصابه السهم وهو صريع فصاح بي فقال من اصحاب من انت فقلت من اصحاب امير المؤمنين فقال امدد يدك لا بايع لامير المؤمنين فمددت اليه يدي فبايعني لك فقال علي عليه السلام ابي الله ان يدخل طلحة الجنة الا وبيعتي في عنقه انتهى.

والشارح الخوئي بعد نقله ما نقلناه عن ابن ابي الحديد من توبة طلحة قال و انت خبير بما فيه.

اما اولاً فلان هذه الرواية مما انفرد اصحابه بنقلها فهي غير مسموعة الى آخر ما ذكره في رده فراجع.

وانا اقول: ليس في هذا البحث كثير فائدة لنا ولا للشارح المعتزلي وذلك لانه لا خلاف بيننا وبينه ان طلحة والزبير نكثا بيعته و فعلا ما فعلا بالامة حتى قُتلا فصارا بذلك من المفسدين وهذا ينافي كونهما من اهل الجنة وانهما من العشرة المبشرة على زعم المعتزلي.

واما الكلام في انهما تابا ام لا و على فرض التوبة هل تقبل توبتهما ام لا فامر خارج عن وظيفيته الكتاب و المؤلف في هذا المقام ولا يمكن لنا و له القطع بذلك الا في الآخرة و يكفي في مقام الاستدلال بانهما نكثا بيعته بالاتفاق بين العامة والخاصة ونشك في توبتهما ومقتضى الاصل العدم فنحكم بارتدادهما وهو المطلوب.

وان اعتقد الشارح المعتزلي بان طلحة و الزبير و من معهما مع نكثهم البيعة و قتلهم النفوس الزكية بلا جرم و تقصير و هتكهم و غارتهم و سائر ما صدر عنهم و قتلهم عشرة الآف من المسلمين في حرب الجمل قالوا حين موتهم

استغفر الله و دخلوا الجنة فلا كلام لنا وسيحكم الله بيننا و بينه بالحق وهو احكم
الحاكمين والحمد لله رب العالمين.

﴿ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (١٣) ﴾

□ قوله ﷺ: كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرَاةِ، وَاتِّبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ، أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، وَلَمُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مَرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُوجٍ سَفِينَةٍ، قَدَبَعَتْ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضَمْنِهَا.

(وفى رواية) وأيم الله لتغرقنَّ بلدتكم حتى كآني أنظر الى مَسْجِدِهَا كَجُوجٍ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ.
(وفى رواية) كَجُوجٍ طَيْرٍ فِي لُجَّةٍ بَحْرٍ.

◁ اللِّغَةُ

(جُنْد) بضم الجيم وسكون النون والدال، فى الاصل الأرض الغليظة التى فيها حجارة، ثم يقال لكل مجتمع جند والمراد هنا العسكر. (الْبَهِيمَةُ) ما لانطق له وذلك لمافى صوته من الأبهام لكن خُصَّ فى التعارف بما عدا السباع والطير. (رَغَا) فعل ماض مثل دعا و مصدره الرُّغَاءُ على وزن الغراب صوت البعير. (دِقَاقٌ) وَدَقِيقٌ، وهو خلاف الجليل اى اخلاقكم دنيته سيئته. (شِقَاقٌ) الشِقَاقُ الخِلاف يقال شاقه مشاقه وشقاقا اذا خالفه. (زُعَاقٌ) بضم الزاء المعجمة المالح من الماء. (كَجُوجٍ) كَهْدُهُدٍ من الطير و السفينة صدرهما. (جَائِمَةٌ) جَمَّ الطائر و هو كالبروك من البصيراي واقعة على صدرها.

خاطب ﷺ اهل البصرة و قال كنتم عسكر المرثة و المراد بها عايشة (وَأَتْبَاعَ
 الْبَهِيمَةِ) اعنى الجمل رغا) اى (رغاً) الجمل (فأجيسموه) و تابعتموه (و عُقْرًا)
 الجمل (فَهَرَبْتُمْ) اخلاقكم مذمومة سيئة غير جليلة (وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ) و خلاف
 لعدم وفائكم بما عهدتم به (وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ) اى ظاهره مخالف لباطنة (وَمَاؤُكُمْ
 دُغَاقٌ)، اى كربه الطعم، (الْمَقِيمُ) بينكم الخ. يعنى من اقام فيكم وعاشر معكم
 امان يكون شريكالكم فى الذنوب فهو (مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ) و امان يُعرض عنكم
 فهو (مُتْدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِّن رَّبِّهِ) لأن فيه سلامة لدينه و دنياه. ثم اخبر ﷺ عما
 سيقع وقال (كَأَنِّي الْخِ)، اى كانى انظرالى مسجدكم هذا الى آخر الخطبة على
 اختلاف الروايات فى الفاظها.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرَاةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ...

اعلم: ان الجند كما قلنا فى اللغة موضوع للأرض الغليظة التى فيها حجارة،
 ثم أطلق على كل مجتمع ولأجل ذلك يقال للعسكر الجند لأجتماع الأفراد
 ووجود الغلظة فى العسكر.

والمرثة - بفتح الميم والهمزة مؤنث المرء وهو الأنسان وجمع المرء على
 رجال من غير لفظه وسمع مرؤن والنسبة مرئى مؤنثه مرثة ومرة وعلى كل حال
 المرثة انسان المؤنث والمراد بها فى كلامه ﷺ هو عايشة.

وانما قال ﷺ لأهل البصرة كنتم جند المرثة ولم يقل اتباع المرثة للإشارة
 الى أنهم لم يكونوا برجال حقيقة و كانت لهم سينخية معها بالنظر الى عقولهم
 الضعيفة و هو اقتباس من قوله تعالى حيث قال: ﴿وَأَنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١)
 ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾^(٢)

وقوله: ﴿وَجُنُودًا بَلِيسَ اجْمَعُونَ﴾ (١)

وما يعلم جنود ربك الأهو، اذكروا نعمة الله عليكم اذ جائتكم جنود فارسنا عليهم ريحاً والجنود الاولى من الكفار و جنود الثانية جنود الثانية التي لم يروها من الملائكة.

وفي الحديث قال ﷺ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف واما الأتباع فلا يلزم ان تكون لهم نسخة مع المتبوع كما يقال اتباع الحمار اتباع كل ناهق اتباع البهيمة و ذلك لأن البهائم لا عقل لها اصلاً والمرثة لها عقل إلا أنه ضعيف فيها فالمرء والمرثة في اصل وجود العقل فيهما متشاركان إلا أنّهما يتفاوتان بشدة العقل وضعفه ولاجل هذه الدقيقة قال ﷺ جنود المرثة واتباع البهيمة.

والمراد بالبهيمة هو الجمل الذي اسمه كان عسكرياً وقد اشتراه يعلى ابن امية بمائتي دينار وقيل بثمانين ديناراً فركبته عايشة في حرب الجمل وقد ذكرنا قصة هذا لجمل والأقوال التي فيه.

قال الله تعالى: ﴿أَجَلَّتْ لَكُمْ بِهِيْمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ (٢)

والبهيمة في اللغة وضعت لكل شئ لا نطق له ثم خص في التعارف بما عد السباع والطيور والجمع فيها بهائم. والكلام منه ﷺ خرج مخرج الذم فكانه ذم أهل البصرة بكونهم جنود المرثة واتباع البهيمة وهو كذلك وتدلى على هذا الذم وجوه من العقل والنقل.

الأول: ان المتبوع لا بد من ان يكون اعقل واكمل واشرف من التابع اذ لو لم يكن فاما ان يكون مساوياً له او مفضولاً مرجوحاً، والاوّل يستلزم الترجيح من غير مرجح. والثاني، تقدم المفضول على الفاضل وقد حكم العقل بقبح كليهما ولاشك ان المرثة اضعف عقلاً واوهن ارادة من الرجل ولاقل من تساويهما وقد قلنا بقبح كليهما فكون الرجل جنوداً للمرثة او تابعاً للبهيمة قبيح عقلاً وهو المطلوب.

الثاني: انَّ المَرَّةَ لضعف نفسها لارأى لها لانَّ رأيتها و ارادتها دائما يكون أسيراً لشهوتها غالبية علي عَقَلها وَذُرْكها في اكثر النساء.

و لاشك انَّ الجُند اذا كان اختياره بيد المَرَّة و هذه حالها لم يكن له نصيب الا الذلة و المَقهورية كما هو الشان في كل ما كان كذلك فكون الرجل جنداً لها مُستلزم لتنزُّل مقامه و ذلته و حِقارته و هو قبيح عقلاً.

الثالث: انَّ المَرَّة لا يكون لها علم بفنون الحرب غالباً اذ هي ليست من اهل الحرب و لذارفع الجهاد عنها في الشريعة و من المعلوم انَّ الأتباع في الحرب لِمَن لا يكون عالماً به لا يَنفَع و كل ما لا نفع فيه بل يَضُر فعَله قبيح و هو المطلوب.

واما النقل:

فمنه: «الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ الْآيَةَ»^(١) تقريب الاستدلال انَّ الله تعالى قَوَّم الرَّجُل على المَرَّة و لازم ذلك ان تكون المَرَّة مُطيعه لِلرَّجُل فأن كان الرَّجُل من جندها يلزم العكس اذا المفروض كونها اميراً عليه و هو مخالف للقرآن و كل ما هو يخالفه باطل، فهو باطل و ان شئت قلت يلزم منه عكس ما امر الله به.

ومنه - انَّ المَرَّة مأمورة بالقعود في بيتها حتى قال ﷺ مَسَجِد المَرَّة بيتها فَخَرَّجُها عن بيتها بلا مُجَوِّزِ عَقْلِي او شرعي قبيح شرعاً بل عد من المعاصي الكبيرة و مُتَابعة الرجال ايها في مقاصدها اقبح فكونهم جنْد المَرَّة مذموم لاستلزامه متابعتها ولا سيما في الحروب و هو المطلوب.

ومنه - انَّ امير المؤمنين قال ﷺ في وصفهنَّ كما سيجيء انَّ النساء نواقص العقول نواقص الحُظوظ، نواقص الأيمان الى آخر ما قال. و من المعلوم انَّ مُتَابعة من كان كذلك مَمْنُوع شرعاً لِقُبْحه عقلاً فكون الرَّجُل من جنْد المَرَّة مذموم و هو المطلوب.

ومنه - انّ الجهاد باي معنى كان سوا كان في سبيل الله او سبيل الشيطان حرام على النساء ومن ارتكب الحرام يجب ردعه ومنعه لأدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمتابعة الرجل اياها في هذا الامر توجب الاعانة على المنكر لا دفعه ولا شك في انّ الاعانة على المنكر حرام وحيث انّ كون الرجل او الرجال من جندها هو عليه فيستحقّ الذم بها وهو المطلوب.

ومنه - انّ ترتيب الجنّد و تشكيهه منها خروج عن طورها ووظيفتها والخروج عن الوظيفة بمعاونة الجنّد فساد في الارض و افساد بين الناس وهو ظلم و صاحبه ظالم فيجب دفعه و اعانة الظالم تستلزم ابقائه وقد امرنا بدفعه فمن كان جنّداً للمرّة مع هذه الاوصاف فهو معينٌ على الظلم بل مؤجده ومُبقيه وهو حرام فكون الرجل جنّداً لها حرام والأدلة كثيرة سنذكرها تفصيلاً انشاء الله تعالى و اذا ثبت هذا في مطلق المرّة فقد ثبت في ازواج النّبي ايضاً لعدم القول بالفصل مضافاً الى انه في ازواج النّبي ﷺ أشدّ و أكد لانّها امّهات المؤمنين فيجب عليهنّ مراعاة الاحكام اكثر من غيرهنّ حتى تصرن مقتديات لسائر النساء و لاجل هذا قال الله تعالى فيهنّ ما لم يقل في غيرها ومن المقطوع به انّ المراد (بالمرّة) في كلامه ﷺ هو عائشة فانّ الالف، واللام فيها للعهد الذّهني لا الجنس فانّ اهل البصرة لم تكونوا جنّداً لجنس المرّة بل كانوا جنّداً العائشة و اذا كان الأمر كذلك فعائشة مضافاً الى ما ذكرناه في وظيفة مطلق النساء حيث انها كانت من زوجات الرّسول فخطاها افحش و ذنبها اعظم كيف لا وهي صارت وسيلةً وسبباً وان شئت قلت علّةً ومباشرةً لقتل اكثر من عشرة الآف من المسلمين وهتك عرضهم ونهب اموالهم وهذه المرّة مضافاً الى انها خرجت عن حدّها وطورها على سبيل العموم خرجت عن وظيفتها على سبيل الخصوص ايضاً حيث انها لم تكن كسائر النساء في زمانها بالنظر الى العقل والنقل.

قال الله تعالى فيها وفي غيرها من ازواج النّبي في كتابه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ زُوجْتُكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّكُمْ
وَ أُسْرِحَنَّكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(١)

و : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ
أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢)

و : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ
كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٣)

و : ﴿وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلَ صَالِحًا تُوْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا
لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾^(٤)

و : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٥)

و : ﴿وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَ اقْمِنَّ الصَّلَاةَ وَ اتَيْنَ
الزَّكَاةَ وَ اطَّعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ الْآيَةَ﴾^(٦)

والآيات فيها كثيرة لاحاجة لنا بذكرها تفصيلاً فثبت ان بينها وبين غيرها
فرق ثابت بالنص.

واذ قد عرفت هذا، فنقول عائشة قداخطأت خطأ فاحشاً وخالفت كتاب الله
وسنة نبيه ﷺ ومن خالف الله ورسوله فحاله معلوم ولنتكلم فيها اجملاً
فنقول:

لاشك في خروجها على علي عليه السلام وركوبها على الجمل ومجيئها الى البصرة
مع كثير من الأفراد و ارتكابها الظلم والتعدي لأموالهم و نفوسهم وغيرها مما
وقع منها فخطائها من جهات عديدة.

الاولى: خروجها عن بيتها وقيامها بأمر الجند وقد امرت بالجلوس في بيتها
كما قال الله تعالى وقرن في بيوتكن الآية ولاشك ان مسيرها هذا على خلاف ما

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

- | | |
|------------------|------------------|
| ١. الاحزاب - ٢٨. | ٢. الاحزاب - ٢٩. |
| ٣. الاحزاب - ٣٠. | ٤. الاحزاب - ٣١. |
| ٥. الاحزاب - ٣٢. | ٦. الاحزاب - ٣٣. |

أَنْزَلَ اللهُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ وَمَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ فَهُوَ مُذْنَبٌ فَهِيَ كَانَتْ مُذْنِبَةً.

الثانية: أَنَّ الزَّوْجَةَ لَيْسَتْ لَهَا مُخَالَفَةُ زَوْجِهَا وَمَنْ خَالَفَ مِنْهُنَّ فَهُوَ مَلْعُونٌ بِنَصِّ الْأَخْبَارِ وَحِينَئِذٍ لَا يَخْلُؤُوا الْأَمْرَ مِنْ وَجْهَيْنِ فَمَاذَا أَنْ نَقُولَ: بَأْنَ خَرُوجِهَا عَنْ بَيْتِهَا كَانَ بَاذِنٍ مِنْهُ ﷺ وَآمَانَ لَا يَكُونُ لِأَسْبِيلِ إِلَى الْأَوَّلِ وَهُوَ مَعْلُومٌ فَالثَّانِي حَقٌّ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

الثالثة: أَنَّهَا خَرَجَتْ عَلَى إِمَامِ زَمَانِهَا بِغَيْرِ حَقِّ مِنْهَا وَقَدْ أَمَرَتْ بِالْأَنْقِيَادِ وَالطَّاعَةِ لَهُ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُفْسِدٌ مَلْعُونٌ.

أَنْ قُلْتُ: هَبْ أَنْ عَلَيَّ لَمْ يَكُنْ إِمَامَ زَمَانِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ لَمْ تَرَاهُ إِمَامًا وَالْأَلَمُ تَخْرُجُ عَلَيْهِ فَانْهَا خَرَجَتْ لِأَصْلَاحِ الْأَمْرِ كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ عِنْدَ الْعَامَّةِ.

قُلْتُ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ فَأَنْ عَلَيًّا ﷺ بَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ كَمَا بَايَعُوا مَنْ قَبْلَهُ فَثَبُوتُ الْأَمَامَةِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ دُونَ عَلِيٍّ تَحْكَمٌ وَزُورٌ مُضَافًا إِلَى كَوْنِهِ ﷺ إِمَامًا مَفْتَرَضُ الطَّاعَةِ بِنَصِّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ.

الرابعة: عَلَى فَرَضِ التَّسْلِيمِ وَأَنَّهَا خَرَجَتْ لِأَصْلَاحِ أَيْضًا صَارَتْ خَاطِئَةً لِأَنَّ الْأَصْلَاحَ لَيْسَ مِنْ وَظَائِفِهَا بَلْ هُوَ مِنْ وَظَائِفِ الرِّجَالِ وَأَيْنَ الْمَرْتَةِ وَالْأَصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ.

الخامسة: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ لَا يَخْلُؤُوا أَمَانَهُ ﷺ كَانَ لَائِقًا بِالْخِلَافَةِ أَوْلَمْ يَكُنْ، فَإِنْ كَانَ لَائِقًا بِهَا وَلَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ مَا يَوْجِبُ خَلْعَهُ عَنْهَا فَلَا مَعْنَى لِلْخُرُوجِ عَلَيْهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَانَ وَقَدْ خَرَجَ عَنْ لِيَاقَتِهِ مَثَلًا فَقَدْ كَانَ يَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ مَنَعُهُ وَرَدُّعُهُ كَمَا فَعَلُوا بِعُثْمَانَ وَأَمَّا خُرُوجُ عَائِشَةَ وَمَنْ تَابَعَهَا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ مَا يَوْجِبُ الْقِيَامَ عَلَيْهِ لَيْسَ الْأَفْسَادُ فِي الْأَرْضِ وَالْأَفْسَادُ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَالْمُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ حَالَهُ مَعْلُومٌ.

السادسة: لَوْ كَانَ قَصْدُهَا الْأَصْلَاحَ كَمَا يَقُولُ بِهِ مَنْ لِأَخْبَرَةٍ لَهُ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ ﷺ شَيْءٌ حَتَّى وَجَبَ رَدُّعُهُ فَنَقُولُ لَهُ هَلْ خَرَجَتْ عَائِشَةُ عَلَى

عثمان مع أنها كثيراً ما كانت تقول أقتلوا نعتلاء قتل الله فان كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذا الوجه اعنى الأمانة على الجند واجباً فلا محالة كان واجباً عليها من أول الأمر فلم لم تقم في خلافة عثمان بل خلافة ابيها و عمر اذ لاشك في أنهم احدثوا بدعاً في الدين كل واحد منها يوجب خروجهم عن الدين فضلاً عن القيام عليهم و خلعتهم عن الخلافة فان كانت عائشة موظفة مأمورة بأصلاح الأمور و حفظ بيضة الاسلام و احكام الكتاب والسنة فقد عصت في أيام الخلفاء بقعودها في بيتها وعدم اقدمها على ما كانت مأمورة به.

السابعة: إن لم يكن علياً بمستحق للخروج عليه و مع ذلك قد خرجت عليه فهي كانت ظالمة و ان كان مستحقاً فكان واجباً عليها ان تنصحه أولاً، ثم ان لم يقبله فخرجت عليه كما هو الشأن في كل مورد والمفروض انها لم تكن بالمدينة بل كانت في مكة حين بايعه الناس فمن اين ثبت لها عدم لياقته للخلافة.

الثامنة: ان هذه المأمورية اعنى ترتيب الجيش والقيام عليه لا تخلوا حالها اما ان كانت من عند نفسها او كانت من الله ورسوله او كانت بوكالة و تعيين من الأمة.

اما الثالث والثاني فلم يكونا قطعاً فان الله ورسوله ما امرها بها، والمسلمون ايضاً لم يبايعوها ولم يعينوها للأصلاح فبقى الأول و هو كونها مأمورة من عند نفسها اجابة منها لهواها و مخالفة لأمر مولاها و هو مناف للإسلام فضلاً عن الأيمان.

التاسعة: سلمنا انها كانت مأمورة بالقيام على امام الوقت والركوب على الجمل والأمانة على الجيش كل ذلك لأصلاح الأمر فهل كانت قتل اهل البصرة ونهب اموالهم وتخريب بيوتهم وسائر ما فعلوا بامرها من القبائح ايضاً من جملة اصلاح الأمور و من جملة افساد الأمور اى ذنب كان لهم حتى

استَحَقُّوا لهذه الفجائع إلا أنهم خالفوها في المسير اولم يُوافقوها ولم يدخلوا في عسكرها فان كان هذا ذنب منهم به استَحَقُّوا لها فلا كلام لنا معهم.

العاشرة: ان عائشة و من تابعها تصرّفوا في بيت المال وضبطوها و اتلفوها مع ان الاموال الموجودة فيه كانت للمسلمين ولا يجوز التصرف في مال الغير الأبطيب نفسه ولم يقل أحد بان تصرّفها فيها كان بطيب نفوسهم فلامحالة تصرّفها فيها كان عدوانياً غضبياً وهو من قبيل السرقة اذ لا معنى لها الا هذا و من كان كذلك فكيف يدعى الاصلاح بين الأمة.

فهذه الوجوه و امثالها صارت مستحقه للذم و القذح و اذا ثبت القذح فيها ثبت في حق من تابعها ايضاً فصَحَّ قوله في مقام الذم لأهل البصرة كتّم جند المرثة و اتباع البهيمه الى آخر ما قال.

واما القول بتوبتها كقول بتوبة طلحة و الزبير و نقول فيها وفي حقها ما قلنا فيهما وفي حقها و لا نطيل الكلام باعادته ثانياً.

واما قوله عليه السلام: و اتباع البهيمه حيث عطف عليه السلام قوله هذا على قوله كتّم جند المرثة فللدلالة على ان المعطوف كالمعطوف عليه اذ قد ثبت كونهما في حكم واحد و هو كذلك لانه لا فرق بين كون الانسان تابعا لبهيمه او لمرثه لاتحاد الملاك و كون القبح فيهما على حد سواء من جهة عدم صلاحية كل واحد منهما للأمامة و المتبوعية فملاك الذم فيها ايضاً موجود هذا بحسب - الواقع و اما بحسب ظاهر اللفظ فانهم كانوا تابعين لها و لأجل ذلك لم يتصرّفوا حتى عقر الجمل و سقط الهودج على الأرض و ذلك لانهم لما ثبتوا حول الجمل و أنتدبوا فخرج عوف ابن قطن الضبي و هو ينادى ليس لعثمان ثاراً إلا على ابن ابيطالب و ولده فأخذ حطام الجمل و قال:

يا أمّ يا أمّ خلاصيني الوطن
من هيهنا محرّ عوف ابن قطن
لا ابتغي القبر ولا ابتغي الكفن
إن فاتنا اليوم على فالغبن
اذن أمّ بطولهم و حزن
اوفاتنا ابناه حسين و حسن

ثم تقدم فضرب بسيفه حتى قتل - ثم تناول بعده حطام الجمل عبد الله ابن
بزي وكان كل من اراد الجِد في الحرب وقاتل يتقدم الى الجمل في اخذ بحطامه
ثم شد على عسكر علي وقال:

أضربهم ولا أرى اباحسين هان هذا حزن من الحزن
فشد عليه امير المؤمنين عليه السلام بالرمح فطعنه وقال قد رأيت اباحسن فكيف
رأيته وترك الرمح فيه.

واخذت عائشة كفاً من حصاة فخصبت به اصحاب علي وصاحت باعلى
صوتها شأهت الوجوه كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لها قائل
ومارميت اذ رميت ولكن الشيطان رمى.

ثم زحف علي نحو الجمل بنفسه في كثيبة الخضراء من المهاجرين
والانصار وحواله بنوه الحسن والحسين ومحمد ودفع الراية الى محمد وقال
اقدم بها حتى تركها في عين الجمل ولا تفقن دونه فتقدم محمد فرسقه
السهم فقال لأصحابه رؤيداً حتى ينفدسها مهم فلم يبق لهم الأرشقه او
رشقنان فانقد علي اليه يستحته ويأمره بالمناجزة فلما ابطأ عليه جاء بنفسه من
خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن وقال له اقدم لأم لك فكان محمد
اذا ذكر ذلك بعد يكي ويقول ليكائي أجدر يخ نفسه في قفاي والله لا أنسى ذلك
أبداً ثم ادركت علياً رقة علي ولده فتناول الراية منه بيده اليسرى و ذوالفقار
مشهوراً في اليمنى ثم حمل ففاض في عسكر الجمل، ثم رجع و قد انحنى
سيفه فأفاقه بركبته فقال له اصحابه وبنوه والاشتر وعمار نحن نكيفك يا
امير المؤمنين فلم يجب احدا منهم و لارد اليهم بصره وظل ينحط و يزأر زئير
الأسد حتى فرقه من حوله و تبادروه وانه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة
لا يبصر من حوله ولا يرد حواراً.

ثم دفع الراية الى محمد ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم و
ضربهم بالسيف قدماً قدماً و الرجال تفر من بين يديه و تنحاز عنه حتى خضب

الأرض بدماء القتلى ثم رجع وقد انحنى سيفه فاقامه بركبته فأعضوضب به أصحابه و ناشدوه الله في نفسه وفي الأسلام و قالوا انك ان تصيب يذهب الدين فأمسك و نحن نكفيك فقال ﷺ والله ما أريد بما ترون الأوجه الله والدار الآخرة ثم قال لمحمد هكذا تصنع يا ابن الحنفيه فقال الناس من الذي يستطيع ما تستطيع يا أمير المؤمنين وبالجملة اخذ بحطام الجمل رجل بعد رجل حتى قتل خلق كثير حوله فلما رأى علي عليه السلام ان الموت عند الجمل وانه مادام قائماً فالحرب لا يطفأ وضع سيفه على عاتقه و عطف نحوه و أمر أصحابه بذلك و مشى نحوه و الحطام مع بني ضبة فاقتتلوا قتالاً شديداً و استحر القتل في بني ضبة فقتل منهم مقتلة عظيمة و خلص علي في جماعة من النخع و همدان الى الجمل فقال لرجل من النخع اسمه بختيار دؤنك الجمل يا بختيار فضرب عجز الجمل بسيفه فوق لجنبه و ضرب بجرانه الأرض و عجز عجيباً لم يسمع بأشدمنه فما هو إلا ان صرع الجمل حتى فزت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب و احتملت عائشة بهودجها فحملت الى دار عبد الله ابن خلف و أمر علي بالجمل ان يحرق، ثم يذرى في الريح و قال ﷺ لعنه الله من دابة فما اشبهه بعجل بني اسرائيل، ثم قرأ ﴿وَإِنظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^(١)

فقد عرفت مما ذكرناه كيف كانوا اتباع البهيمة واقعا و ظاهرا و الى هذا المعنى اشار بقوله ﷺ: رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعَقِرَ فَهَرَبْتُمْ...

والمقصود انهم كانوا آخذين بحطامه واحداً بعد واحداً سيوفهم على عواتقهم و رماحهم بايديهم مجتمعين غير متفرقين حوله فلما عقر و سقط هربوا و تفرقوا وهذا دليل على ضعفهم و نفاقهم و انهم كانوا بلا ارادة ولا يلبق بمن يدعى انه رجل ان يكون كذلك بل لا بد لكل مسلم ان يكون على بصيرة في دينه و حيث انهم لم يكونوا كذلك فصاروا مستحقين للذم فقال فيهم ما قال

مِنْ كُونِهِمْ جِنْدَ الْمَرْتَةِ وَاتِّبَاعِ الْبَهِيمَةِ.

□ قوله ﷺ: أَخْلَاقُكُمْ دُقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ،...

قد ذكرنا ان الدُّقَاقِ بضم الدال والدَّقِيقِ بمعنى وفى الحديث لا بأس ان يُتَوَضَّأَ بِالذَّقِيقِ اى يُتَحَسَّنَ بِهِ وَيُتَنَفَّعُ فِيهِ كَانَ يَغْسِلُ يَدَيْهِ وَجَسَدَهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ الدَّقِيقِ خِلافَ الْجَلِيلِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ اِنَّ اللَّهَ اسْتَوَلَى عَلَى مَادِقٍ وَجَلَّ اى حَقَّرَ وَعَظَّمَ.

واما قوله وعهدكم شقاق فهو المخالفة وكونك فى شق غير شق صاحبك قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ (١)

و: ﴿فَانْتَاهُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (٢)

و: ﴿لَا يَجِرُ مِنْكُمْ شِقَاقِي﴾ (٣)

و: ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٤)

و: ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَنَّ اللَّهَ شَدِيدَ الْعِقَابِ﴾ (٥)

اى صار فى شق اوليائه.

و قد اشار ﷺ بقوله: هذا الى وصفين آخرين لأهل البصرة:

الاول: كونهم على اخلاق غير مرضية.

والثانى: ان عهدهم وميثاقهم عين شقاقهم ونفاقهم وكلاهما مذموم فكلانا

يقع فى اصلين.

الاصل الاول: قوله ﷺ: أَخْلَاقُكُمْ دُقَاقٌ...

الاصل الثانى: قوله ﷺ: وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ...

اما الاصل الاول: فنقول.

اعلم: ان فضائل الاخلاق من المنجيات الموصلة الى السعادة الأبدية كما ان

رذائلها من المهلكات الموجبة للشقاوة فالتخلى عن الثانية و التخلي بالاولى

من أهم الواجبات والوصول الى الحياة الحقيقية المطلوبة المقصودة بدونهما من المُحالات.

فيجب على العاقل الأجتهد في اكتساب فضائلها التي هي الأوساط فإن خير الأمور اوسطها المثبتة في الشريعة والأجتنب عن رذائلها التي هي الأطراف والقصور فيهما يُوجب الهلاك الابدئى والعذاب الدائمى فكما ان الجنين لو خرج عن طاعة ملك الأرحام المتوسط في الخلق لم يخرج الى الدنيا سويًا سميعاً بصيراً ناطقاً كذلك من خرج عن طاعة نبي الأحكام المتوسط في الخلق لم يخرج الى عالم الآخرة كذلك

قال الله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١)

فالأخلاق المذمومة هي الحُجُب المانعة عن المعارف والنِّفَحَاتِ القُدسية اذ هي بمنزلة الغطاء للنفوس فمالم يرتفع عنها لم تتضح لها حقيقة الحال كيف والقلوب كالأواني فاذا كانت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء.

اذا عرفت هذا فاعلم ان الخلق على ما عرفوه عبارة عن ملكة للنفس مقتضية لصُدور الأفعال بسهولة من دون احتياج الى فكرٍ ورويةٍ واجناس الفضائل أربعة - الحكمة - العفة - الشجاعة والعِدالة، وقد مر الكلام منافي تعريف كل واحد منها فلانعيده.

فصاحب الاخلاق الجيدة لامحالة يكون واجداً لمراتبها بغير افراطٍ وتفريط وهو المُعَبَّر عنه بالوسط المشار اليه في ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٢)

كما ان صاحب الاخلاق السيئة لا يكون كذلك فكلامه ﷺ مُشعِرٌ بكونهم غير واجدين لها فلا جرم كانوا من قبيل الثاني لعدم وجود الفضائل الأربعة فيهم. اما الحكمة - فلانها على ما عرفوها هي العلم او المعرفة بحقائق الموجودات على ما هي عليه ومن المعلوم ان أشرف الموجودات في عالم الأمكان هو

الانسان الكامل وهو لم يكن بعد الرسول ﷺ إلا امير المؤمنين عليه السلام واهل البصرة الذينهم تابعوا طلحة والزبير و عائشة لم يعرفوا علياً و إلا لم يتركوه ومن لم يعرف الانسان الكامل فكيف يعرف سائر الموجودات على ما هي عليه فالحكمة كانت مُتَفِيَةً و هو المطلوب.

و اما العفة - وهي انقياد القوة الشهوية للعاقلة فيما تأمرها به وتنهاها عنه فهي ايضا كانت عنهم مُتَفِيَةً لأن عنايتها اكتساب الحُرِيَّة و التخلُّص عن اسر العبودية لهواه ومن كان تابعا لأمرته و بهيمة فكيف تكون قُوَّة الشهوية مُنقادة للعاقلة فيه ام كيف خَلَص عن اسرا لعبودية لهواه و اكتسب الحُرِيَّة بل مُطِيع لهواه و أسير في سلاسل قيود الرقية للشيطان و الهوى قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوِيَهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (١)

و اما الشجاعة - وهي إطاعة القوة الغضبية للعاقلة في الأقدام على امور الهالكة و عدم اضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رأيها حتى يكون فعلها ممدوحاً و صبرها محموداً فهي ايضا لم تكن فيهم ضرورة انه لو كانوا كذلك فما اضطربوا فيما وقعوا فيه و ما كانت القوة الغضبية فيهم غالبية على العاقلة فما كان فعلهم مذموماً وهذا ايضا ظاهر.

و اما العدالة - وهي انقياد العقل العملى للقوة العاقلة و تَبَعِيَّتُهُ لها في جميع تصرفاته او ضبطه الغضب و الشهوة تحت اشارة العقل و الشرع فهي ايضا كانت مفقودة عنهم اذ لم يحكم العقل بمتابعة المفسدين و أعمال الغضب و الشهوة بقتل النفوس و غيره من الجنيات الواقعة بايديهم في البصرة و اذا انتفت هذه الاصول في قوم فلا جرم اخلاقهم دُقاق و هو المطلوب.

و اما الاصل الثاني و هو قوله ﷺ: وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ...

فهو اشارة الى كونهم ناكثين لبيعتهم ﷺ و ذلك لأن بيعته و قَعَّت في المدينة و قد بايعه اهل الحَل و العَقْد من المهاجرين و الانصار كبيعة من كان قبله من

الخلفاء واهل البصرة والكوفة والشام وغيرهم من سائر البلاد كانوا تابعين لاهل المدينة في ذلك كما في بيعة ابي بكر وعمر وعثمان وعليه لا معنى لمخالفة اهل البصرة وغيرهم لما وقع في المدينة وحيث انهم بعد بيعتهم له ﷺ بواسطة اوبلا واسطة نقضوا عهده وصاروا في شقاق وعناد معه عليه السلام فقال ﷺ عهدكم شقاق.

وغرضه ﷺ انه لا اعتماد على عهدكم وميثاقكم لأن المؤمن اذا وعد وفى، ومن لا يفى بعد العهد فهو منافق لا مؤمن والمنافق كيف يعتمد على قوله وقد قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (١)

والحاصل، انه ﷺ افاد بهذا الكلام وما قبله ان اهل البصرة كانوا من اهل الشقاق والنفاق ولأجل ذلك اختار طلحة والزبير وعائشة البصرة على سائر البلاد وساروا نحوها وعلفوها باستعانة اهلها ما فعلوا وهذا واضح.

□ قوله ﷺ: وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ...

الدين بكسر الدال وسكون الياء والنون في اللغة الطاعة و الجزاء واستعير للشرية قال الله تعالى: ﴿أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٢)

قاله الراغب في مفرداته، وقال في المنجد الدين مصدر - الحساب ومنه يوم الدين ويقال على الملة والمذهب.

فعلى هذا الدين والملة بمعنى الا ان الدين يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشرية: وعلى اى حال لا شك ان المقصود منه في المقام هو المذهب اعنى الطاعة والانقياد للشرية.

والنفاق هو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب آخر وعلى ذلك المعنى نبه الله تعالى في كتابه وقال ان المنافقين هم الفاسقون اى الخارجون من الشرع وجعل المنافقين شرأمن الكافرين وقال:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(١)

و الرُّعَاق، قالوا لمالح من الماء ومنه طعام مَزْعُوق إذا كثر ملحُه حتَّى صار زعاقاً فقد اثبت ﷺ في المقام اصليين.

الاصل الاوّل: نفاق اهل البصرة وهو مما لا كلام لأحد فيه فانهم كانوا منافقين حيث دخلوا في البيعة ﷺ أولاً وخرجوا عنه ثانياً ففى الحقيقة دخلوا في الإسلام أولاً وخرجوا بِنكثهم البيعة عنه ثانياً ولامعنى للنفاق الأهذا، وبذلك ذمهم ﷺ في كلامه والمنافق مذموم شرعاً وعقلاً كتاباً وسنةً.

أما العقل فلا تفاق العقلاء كافه على ذمه وانه من الصفات الرذيلة المهلكة فان كان باعته الجبن فهو من رذائل قوة الغضب من جانب التفریط وان كان باعته طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الإفراط وان كان منشأه تحصيل مالٍ ومنكح فهو من رذائل قوة الشهوة وعلى اى التقادير فقد حكم العقل بقبحه وبطلانه ولا يظن عاقلاً حكم او يحكم بحسن النفاق.

وأما الأدلة التقلية فكثيرة جداً.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٢)

و: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن

أُخْرِجْتُمْ لِنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾^(٣)

و: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾^(٤)

و: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(٥)

و: ﴿وَ عَذَابُهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ﴾^(٦)

و: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ﴾^(٧)

و: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾^(٨)

١. النساء - ١٤٥.

٢. التوبة - ٩٧.

٣. التوبة - ٦٨.

٤. الحديد - ١٣.

١. النساء - ١٤٥.

٢. الحشر - ١١.

٣. التوبة - ٦٧.

٤. الاحزاب - ٧٣.

و : «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» (١)

و : «بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (٢)

و : «إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا» (٣)

والآيات في ذم المنافقين كثيرة.

وأما الأخبار فنذكر شطراً منها أيضاً:

منها - قال رسول الله ﷺ من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة...

ومنها - قال ﷺ - تجدون من شرّ عبادة الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ...

ومنها - قال ﷺ - يجيء يوم القيمة ذو الوجهين ذا اللسان في قفاه وآخر من قدّامه يلتهبان ناراً حتى يلتهبان خذّه ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذالسانين يُعرف بذلك يوم القيمة.

ومنها - ما ورد في التوارية بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه يشفتين مُختلفتين يهلك يوم القيمة كل شفتين مُختلفتين...

ومنها - ما ورد أنه قال الله تبارك وتعالى لعيسى يا عيسى ليكن لسانك في السرّ والعلانية واحداً وكذلك قلبك إنى أحذرك نفسك وكفى بي خبيراً لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمدٍ واحدٍ ولا قلبان في صدرٍ واحدٍ وكذلك الأذهان انتهى...

ومنها - ما عن الباقر عليه السلام لبئس العبد عبدٌ يكون ذا وجهين، وذالسانين يطرى أخاه شاهداً ويأكله غائباً أن أعطى حسده وإن أبلى خذله انتهى... والأحاديث المذكورة كلها رواها النراقي (قده) في كتابه الموسوم بجامع السعادات ج ٢، ص ٤٠٧.

ومنها - مارواه المجلسي (قدّه) باسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام لما كتب إليه محمد ابن الفضيل وسأله فكتب عليه السلام إليه ان الله يقول ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم الى قوله سبيلاً ليسوا من عترة رسول الله ﷺ وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين يظهرون الايمان ويسرون الكفر والتكذيب لعنهم الله انتهى «بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢٣، باب النفاق، ط كمياني»...

ومنها - مارواه ايضاً باسناده قال رسول الله ﷺ خلّتان لا تجتمعان في منافقٍ فقه في الاسلام وحسن سمّت الوجه انتهى «ص ٢٣»...

ومنها - مارواه عن الصادق عليه السلام انه قال اربع علامات للنفاق قساوة القلب وجمود العين ولأصرار على الذنب واليرص على الدنيا انتهى «ص ٢٣»...

ومنها - مارواه ايضاً باسناده عن الصادق عليه السلام انه قال لا يجمع الله لمنافقٍ ولا فاسقٍ حسن السمّت والفقر وحسن الخلق ابداً، انتهى «ص ٢٣»...

وانت ترى ان هذه العلامات التي ذكرها في الأخبار الواردة للمنافق كلها كانت موجودة في اهل البصرة ولهذا وقعوا في تيه الضلالة والغواية في الدنيا والاخرة وبئس المصير.

قال المحقق البحراني (قدّه) في شرح هذه العبارة ما هذا الفظه: السابع ما يتعلق بدمهم و ذمّ بلادهم وهو كون ماء بلادهم مالحاً و سبب ملوحته قرّبه من البحر و امتزاجه به و دخول ذلك في معرض ذمهم ربّما يكون سوء اختيارهم ذلك المكان و الإقامة به مع كون مائهم بهذا الحال المستلزمة لأمرض كثيرة في استعماله كسوء المزاج و البلاد و فساد الطحال و الحكمة و غير ذلك مما يذكره الاطباء و لان ذلك من اسباب التنفير عن المقام معهم و تكثير سوادهم انتهى. وقال لشارح المعتزلي. وماوءكم زعاق اي ملح وهذا وان لم يكن من افعالهم الا انه مما يذم به المدينة كما قال الشاعر:

بلاد بها الحمى و اشدّ عرينة و فيها المعلقى يعتنى و يجور
فانى لمن قد حلّ فيها لراحم وانى لمن يأتها لنذير

ثم قال ولا ذنب لاهلها في أنها بلاد الحمى و السَّبَاع انتهى.
 واما الشارح الخوئي (قده) فلم يأت فيه بشيء إلا أنه جمع بين ما قال
 البحراني وما قاله المعتزالي. اقول: والذي اشكل علينا الأمر هو أنه لا يَشِيء
 ذكر عليه السلام هذه العبارة وما وَجِه المناسبة فيها بما قبلها وما بعدها فإن البحث من
 اول الخطبة الى آخرها في اوصاف اهل البصرة من كونهم جند المرثة و اتباع
 البهيمية الى آخر ما ذكره ثم ذكر عليه السلام في هذه العبارة كون مائهم مالِحاً و بعد هذا
 شرع في وظيفة من اقام فيهم و الشاخص عنهم و من المعلوم عدم المناسبة
 لهذه الجملة بناء على ما ذكره البحراني و المعتزلي في معناها و ذلك لوجوه.
 احدها: ان البحث منه عليه السلام لم يكن في اوصاف الماء بل البحث في اوصاف
 اهل البصرة و اى ربط بين كون الماء مالِحاً و كونهم منافقين و جند المرثة
 و اتباع البهيمية وغيرها.

وثانيها: أنه عليه السلام انشاء هذه الخطبة في ذم اهل البصرة بنكثهم ببيعته و
 دخولهم في جند المرثة و بيان اوصافهم الذميمة و من المعلوم ان علة هذا
 الانجراف ليست كون مائهم مالِحاً و الا يلزم في كل مورد كان الماء فيه مالِحاً
 كونهم اهلاً للتفاق مع أنه ليس كذلك.

وثالثها: ان ماء البصرة لم يكن مالِحاً و ما قاله الشارح البحراني و المعتزلي
 و غيرهما من أنه كان مالِحاً لكونه ماء البحر لا وجه له و ذلك لان ماء البصرة و
 ماء الكوفة و احد اعنى الفرات و الدجلة و هما نهران عظيمان قابلان للشرب و
 طعم الماء فيهما حلولا مالِح بل قلماً اتفق في العالم ماء احسن طعماً منهما و
 لم يكن بالبصرة بحر مائه مالِح.

ورابعها: على فرض التسليم و أنه كان في ذلك الزمان بالبصرة ماء مالِح
 فإى دليل فيه لذي اهل البصرة لعدم وجود الملازمة بين كون الماء مالِحاً و كون
 اهل البصرة اهل الشقاق و التفاق و ما ذهب اليه الشارح البحراني في ان الماء
 المالح مُستلزم لامراض كثيرة او ان ذلك من اسباب التنفير عن المقام معهم و
 تكثير سوادهم مجرد استنباط و استظهار منه (قده) لا يساعده العقل و النقل و

الَّذِي يَخْتَلِجُ بِالْبَالِ فِي حَلِّ الْأَشْكَالِ أُمُورٍ.

الأول: ان يكون المراد بالزُعاق غير مذكروه اعنى المالح بناء على قرائته بفتح الزاء و هو كما قال فى المنجد بمعنى الكثير المشى من الخيل المُسرِع فيه الَّذِي يَطْرُدُ الدَّوَابَّ وَيَصِيحُ فِي أَثَرِهَا فَعَلَيْهِ تَحْمِلُ كَلَامَهُ ﷺ هَذَا عَلَى اسْتِعَارَةِ حَيْثُ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ اتِّبَاعِ الْبَهِيمَةِ وَيُصِيحُونَ فِي أَثَرِهَا وَ هَذَا الْمَعْنَى يَنَاسِبُ قَوْلَهُ ﷺ وَ اتِّبَاعِ الْبَهِيمَةِ كَمَا لَا يَخْفَى.

ان قلت: فما وجه تعبيره ﷺ بالماء وَلِمَ قَالَ مَاؤَكُمْ زُعَاقٌ وَلَمْ يَقُلْ مَشِيكُمْ زُعَاقٌ مَثَلًا.

قلت: لَعَلَّ ﷺ أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ لِلْمَاءِ الَّذِي كَانُوا يَشْرَبُونَهُ دَخَلَ فِي حِمَاقَتِهِمْ وَ بَلَاهَتِهِمْ وَ سَفَاهَتِهِمْ وَ هَذَا مِمَّا لَا يَبْعُدُ عَقْلًا.

الثانى: انَّ الزُعَاقَ جَاءَ بِمَعْنَى الْمُرِّ قَالَ فِي الْمُنْجِدِ - الزُعَاقُ (بِضْمِ الْمِيمِ) الْمَاءُ الْمُرُّ الَّذِي لَا يُطَاقُ شُرْبُهُ وَ عَلَيْهِ فَلَا يُمْكِنُ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى ظَاهِرِهِ أَيْضًا فَإِنَّ مَاءَ الْبَصْرَةِ لَمْ يَكُنْ مَرًّا بِحَيْثُ لَا يُطَاقُ شُرْبُهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْهُ وَ كَذَا مِنْ كَانَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ وَلَمْ يُنْقَلْ مِنْ أَحَدٍ لِقَوْلِ بُمُرِّيَّةٍ مَاءَ الْبَصْرَةِ بِحَيْثُ لَا يُطَاقُ شُرْبُهُ كَيْفَ وَ هُوَ ﷺ مَعَ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْهُ فِي مَدَّةِ أَقَامَتِهِمْ فِيهَا فَلَا بَدَّ مِنْ حَمَلِهِ أَيْضًا عَلَى - الِاسْتِعَارَةِ بِمَعْنَى آخَرَ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا وَ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ كَلِمَةِ الْمَاءِ الْحَيَاةَ فِيكُمْ مُرًّا. وَ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى: حَيَاتِكُمْ مُرٌّ فَإِنَّ الْحَيَاةَ إِذَا لَمْ تَكُنْ مَحْفُوفَةً بِالْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَ الْمَوَازِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَ الشُّنُونِ الْإِنْسَانِيَّةِ فَهِيَ مُرٌّ لِأَمْحَالَةٍ مِنْ حَيْثُ عَدَمُ امْكَانِ الِاسْتِفَادَةِ الْمُتْرَقِّبَةِ مِنْهَا كَالْمَاءِ الْمُرِّ الَّذِي لَا يُطَاقُ شُرْبُهُ.

الثالث: ان يكون المراد بالماء الزُعاق، الماء الذى كان اصلا لانعقاد نُطْفِهِمْ وَ تَكْوُنُهُ وَ بُمُرِّيَّتِهِ عَدَمَ لِيَاقَتِهِ وَ اسْتِعْدَادِهِ فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي انْعَقَدَتْ مِنْهُ نُطْفَتِكُمْ كَانَ غَيْرَ قَابِلٍ لِأَنَّ يَصِيرَ إِنْسَانًا كَامِلًا عَاقِلًا وَ ذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ حَارِبِ الْأَمَامِ كَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ هُوَ لَا يَكُونُ مُسْتَقِيمًا بِحَسَبِ أَصْلِ النُّطْفَةِ كَمَا وَرَدَتْ بِهِ الْآثَارُ.

الرابع: يكون المراد بالماء العلم و المعرفة بالله و رسوله و الأمام بعده
فإن العلم كثيراً ما يطلق على الماء و بالعكس و ذلك لأن اهل البصرة مع أنهم
كانوا بزعمهم من المسلمين بل المؤمنون ففي الحقيقة لم يكونوا كذلك بل
كانوا من الجهال الحمقاء و الدليل عليه هو كونهم جند المرثة و اتباع البهيمة و
هو مشعرٌ بقلّة معرفتهم و علمهم بما جاء به الرسول.

فقوله ﷺ: **مَاءُكُمْ زُعَاقٌ**، اي علمكم و معرفتكم بحقائق الأيمان لا يعباء به
لأنه مرء لا يفيد و لا ينفع و الله و رسوله اعلم بحقائق الامور.
وَالْمُقِيمَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، قال الشارح البحراني (قدّه) و ذلك
لأن المقيم بينهم لا بد و ان ينخرط في مسلكهم و يستعدّد لقبول مثل طباعهم و
ينفعل عن رذائل اخلاقهم و يكون موثقاً بذنوبه انتهى.

و قال المعتزلي لأنه اما ان يشاركهم في الذنوب او يراها فلا ينكرها و
مذهب اصحابنا أنه لا يجوز الإقامة في دار الفسق كما لا يجوز الإقامة في دار
الكفر انتهى.

و به قال الشارح الخوئي في شرحه:

و انا اقول: حاصل كلامهم أنه لا يجوز الإقامة بينهم حتى يكون موثقاً
بذنوبه على الاول و لا يكون في دار الفسق على الثاني و انت ترى ما فيه.
فلقائل ان يقول ان الأمر ليس كذلك و اي دليل عقلي او نقلي دل على ان
المقيم بينهم لا بد من ان ينخرط في مسلكهم اذ من الممكن الإقامة بينهم و
عدم الأنخراط في مسلكهم و الاستعداد لقبول مثل طباعهم و الأنفعال عن
رذائل اخلاقهم كل ذلك بقوة ايمانه و معرفته كما هو المشاهد في كثير من
اولياء الله في كل زمان و دورة في بلاد الفسق بل الكفر مدّة من عمرهم بل طول
عمرهم و عدم انصباغهم بصبغهم و التخلّق باخلاقهم كما هو كذلك في جل
الانبياء لولا كلهم، ألم يكن موسى مقيماً في قوم كانوا كافرين، ألم يكن عيسى
و ابراهيم و نوح و محمد ﷺ كذلك؟ فان رسول الله ﷺ نشاء بمكة و
اقام فيها مدّة مديدة تزيد على خمسين سنة مع ان مكة كانت في عهده معلّوة

من المنافقين و الكفار و المشركين كما تشهد به التواريخ و لم ينخرط هو ﷺ
و لم يستعد لقبول مثل طباعهم و لم يفعل برذائل اخلاقهم و هكذا الأمر بالنسبة
الى كل مؤمن في كل بلد هذا أولاً.

وثانياً: لو كان الأمر كما ذكره فلا محالة يجب على المؤمن الخروج من بلد
الفسق و الأرتحال الى محل آخر صوناً لدينه و حفظاً لايمانه اذا المفروض ان
اقامته فيهم لا تخلوا من الأنخراط في سلكهم من المعلوم انه اذا دار الأمر بين ان
يصير فاسقاً او كافراً او يرتحل فالارتحال أولى و لازم ذلك ان يكون البلد
خالياً من وجود المؤمنين و الموحدين و هذا يزيد على فسقهم و استكبارهم لخلو
البلد عنهم و يردعهم و يمنعهم عنه.

وثالثاً: يلزم فيه ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر رأساً ضرورة
تحققه في حق الفساق و الكفار فاذا خرج المؤمن من بلدهم و اجتماعهم و
دخل في بلاد المؤمنين فمن يأمرهم بالمعروف و من ينهيم عن المنكر.
ورابعاً: ان الأنبياء و الأوصياء و من يحدو احوالهم و يبلغ امور دينهم انما
بعثوا و جعلوا لأرشاد الناس و اصلاحهم و سوقهم الى الأيمان و هذا لا يعقل
المن كان كافراً او فاسقاً فاذا فرضنا كونهم مأمورين بالخروج عن بلادهم، و
اجتماعهم فلا يتصور لهم ارشاد و ابلاغ و هو ظاهر.

وخامساً: ان الإنسان فاعل مختار لا يجبر على فعله فاذا فرضنا الانخراط في
مسلكهم فلا يخلف الأمر ان يجبر على الأنخراط في مسلكهم او لا يجبر بل
يكون بانتخابه و ارادته لاسبيل الى الأول لمنافاته الاختيار و لا الى الثاني
لمنافاته الايمان و المعرفة فكيف لا بد من ان ينخرط في مسلكهم فثبت و
تحقق ان الإقامة بين الفساق و المنافقين بما هي لا توجب ذماً و لا قدحاً، نعم
لو كانت الإقامة بينهم موجبة للخروج عن الأيمان و الأسلام و الدخول في
الشرك و النفاق فهي مذمومة مقدوحة و هذا امر آخر لا اختصاص له بمورد
البحث بل الإقامة في كل بلد او اجتماع توجب هذا فهي مذمومة، و منهيّة
عنهم سواء في بلد الكفر او بلد الفسق او غيرهما.

و بذلك ظَهَرَ الجواب عما قاله الشَّارح المعتزلي ايضاً و قوله ان مذهب اصحابنا انه لا يجوز الإقامة في دار الفسق و دار الكفر فهو من مُتفردات مذهبه و لا رِبْطَ له بمذهبنَا و نحنُ نتكلم على مذهبنا لاعلى مذهبه مضافا الى ان ما ذكره خروج عن مورد البحث فان كلامه عليه السلام في ذم اهل البصرة و البصرة لم تكن يومئذ دار الكفر او دار الفسق بل كانت من اركان البلاد الاسلامة و وجود الفساق فيها لا يُخرجها عن دار الايمان و دار الاسلام لوجود هذ الملاك في كثير من البلاد يومئذ لو لم يكن في كلها بل في كل زمان اذ قلما يتفق خلؤ بلدٍ عن المنافقين و الفساق رأساً و كلاً.

فان قلت: الحكم بكونهما دار الفسق باعتبار الأغلب و الأكثر فان أكثر اهلها كانوا فاسقين و قد ثبت ان الحكم من كل قضية يتبع الاغلب و ما نحن فيه كذلك.

قلت: اي دليل يدل على هذا او على المدعى الدليل.

فان قلت - خروجهم عليه عليه السلام و نكثهم لبيعته اول دليل عليه و لا شك انهم كانوا اكثر اهل البصرة فان جند المرء اكثرهم كانوا من اهل البصرة و اي فسق اعظم من الخروج على الامام و النكث لبيعته.

قلت - لا اشكال في ان خروجهم عليه عليه السلام و نكثهم لبيعته كان فسقاً الا انهم كانوا اكثر اهل البصرة لم يدل عليه دليل.

و اما على مذهب ابن ابي الحديد فلا يتحقق فسق اصلاً اذ من المحتمل كون خروجهم و نكثهم لبيعته انما هو لمصلحة اقتضاها التكليف فان اختيار الناس طلحة و الزبير على علي لم يكن بأفسد ولا اقبح من اختيارهم ابي بكر و عمر و عثمان عليه فان كان اهل البصرة فسقوا بنكثهم لبيعته مع انهم لم يبايعوه حضوراً و بالمباشرة بل لأجل انهم كانوا تابعين لأهل المدينة فمع انه لم يدل دليل على صحة هذه التابعية و لزومها فلم لم يحكم بفسق من بايعه عليه السلام في حضور النبي بغدير خم ثم نكث البيعة وهو جل المهاجرو الانصار فلو كان ما ذكره في كون اهل البصرة او اكثر اهلها فسقة حقاً فلا بد له من الحكم

بفسق اهل المدينة ايضاً حيث نكثوا ببيعتهم ﷺ و تركو متابعتهم و اختاروا غيره و عزموا على قتله في صورة عدم بيعته لأبي بكر كما هو مسطور في التاريخ و لو لم يسلم هذا اعني تحقق البيعة منهم في غدیر خم ثم نكثها بعد الرسول فلامحالة يقول بنكث اهل المدينة و غيره بيعة عثمان و قتلهم اياه فعلى مذهبه لايجوز الأقامة بمدينة الرسول ايضاً لأنها دارالفسق فما ذكره لايرجع الى محصل و إنما هو من هفواته و هفوات مذهبه و كيف لايجوز الأقامة بدار الفسق و اى دليل دل عليه من العقل و النقل الا ان تكون الأقامة فيها موجبة لو هن عقيدته و ضعف ايمانه و دخوله في زمرة القساق و حرمة الأقامة من باب المقدمة و ليس كلامنا فيها.

و اما ما قاله الشارح الخوئي فهو ايضاً مخدوش منظور فيه فانه (قد) قلدهما فيه و ذكر في شرحه ما ذكر في شرحيهما و الحق في المقام هو ان يقال ليس مراده ﷺ بكلامه هذا ما فهمو من ان الأقامة فيهم توجب كذا وكذا بل مراده ﷺ شىء آخر و توضيحه يستدعى رسم مقدمة.

وهي ان الاقامة في بلد او اجتماع تُتصور على قسمين:

الاول: ان يكون المقيم فيهم ولم يكن معهم.

الثاني: ان يكون فيهم و معهم.

اما الاول: فكما كان النبي ﷺ في مكة و بين أهلها و لم يكن معهم في افعالهم و اقوالهم و عقائدهم و آرائهم كما قال تعالى: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينُ» الا انه ﷺ كان مُنكراً لهم بقلبه و هكذا كل انسان مؤمن في اجتماعه و بلده اذا لم يكونوا بموءمنين و اليه اشار ﷺ في بعض كلماته كن في الناس و لا تكن معهم. واما الثاني: اعنى كونه فيهم و معهم كما في اكثر الناس حيث أنهم فيهم بالمخالطة و المُجالسة و معهم في العقائد و الآراء و الأفعال و الاقوال بالقلب و الجوارح و هذا مذموم دون الاول.

اذا اعرفت هذا فنقول.

اشار ﷺ بقوله هذا الى القسم الثاني دون القسم الاول فالمراد ان الاقامة بين

اهل البصرة او كل بلد وجد الملاك فيه اذا كانت على نحو المعية فهي مذمومة لانها على انها ظلم و فسق في حد انفسها اعانة على الظلم و تشييد له فلا جرم يكون مرتهناً بذنبه موثوقاً به و يدل على ما ذكرنا قوله عليه السلام بين أظهركم، ولو كان المراد ما ذكره من كون نفس الأقامة مذمومة لوجب ان يقول ولا مقيم بينكم مرتهن بذنبه، بحذف قوله بين أظهركم لتمامية المراد على ما ذكره بدونه بل لاجابة اليه كما لا يخفى على المتأمل المتدرب بسياق الكلام.

و ذلك لان الأظهر جمع ظهر قال في المنجد هو نازل بين ظهرينهم و ظهرا بينهم و أظهرهم، اي وسطهم وفي معظمهم و عليه فيصير المعنى هكذا، المقيم في وسطكم و معظمكم مرتهن بذنبه و هو صريح في المعنى الثاني من المعنيين اللذين ذكرناهما فان الأقامة في وسط الناس، و بحوثهم لانكون الأمتابعة افعالهم و اقوالهم و عقائدهم و عدم الانكار عليهم بخلاف المعنى الأول حيث ان الأقامة عليه تكون في ناحيتهم، و جنبهم ضرورة ان المراد بالوسط و الناحية ليس معناهما الحقيقيان، بل هما استعارتان و الأكثر ما يكون الانسان في وسطهم حقيقةً و لا يكون معهم و كثيراً ما يكون في غير وسطهم وهو معهم قلباً.

وبذلك كله قد ظهر لك ان الروايات التي رواها الشارح الخوئي على اثبات مدعاه ليست على ما ينبغي و ذلك لأنها ناظرة الى مجاورة الفاسقين و مخالطتهم و مجالستهم بمعنى كونه معهم لا مجرد كونه فيهم كما هو مدعاه. و حيث ان الحكومة و الأمامة على قوم لانكون الأ يكون الحاكم معهم فقال عليه السلام: ما قال اشعاراً بان اهل البصرة لوجود هذه الاوصاف المذمومة فيهم لم يكونوا لائقين بكونه عليه السلام فيهم لانه عليه السلام من جهة كونه حاكماً و اماماً لا يمكن له ان يكون فيهم و لا يكون معهم و اذا كان معهم فلا جرم يكون مرتهناً بذنبه فبين هذه الجهة ترك البصرة و الأقامة فيها.

□ قوله عليه السلام: وَالشَّائِخُصُّ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ..

وفيه اشارة لي ان المتباعد عن الفاسقين الذين لا يأترون اذ أمرو ولا

يَنْتَهُونَ إِذَا تُهِيَ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، لِسَلَامَتِهِ مِنْ عَقُوبَةِ الْمُجَاوِرَةِ وَ
الْمُجَالَسَةِ وَ الْكُونِ مَعَهُمْ ضَرُورَةٌ لَزُومِ الْأُرْتِحَالِ فِيمَا إِذْ لَمْ يُمَكَّنْ أَصْلَامَهُمْ وَ
ارْشَادَهُمْ وَ كَانَتْ مِظَنَّةَ الْخَوْفِ الضَّرْرَ عَلَى دِينِهِ وَ هَذَا لِأَيْنَا فِي كُونِهِ فِيهِمْ
لَا مَعَهُمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فَتَدَبَّرْ جَيِّدًا.

□ قوله ﷺ: كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُؤِ سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ
فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا، وَ غَرِقَ مَنْ فِي ضَمْنِهَا إِلَى آخِرِ خُطْبِهِ...

اشار عليه السلام: به الى الحوادث الواقعة بها من غرقها و غرق اهلها وهو
اخبار عن المستقبل الدال على كونه عليه السلام انساناً ملكوتياً مرتبطاً بالمبدء
و انه كان عالماً بما يأتي كما كان عالماً بما مضى و انه الامام حقاً.

وقد ذكر الشارح المعتزلي ان البصرة غرقت باجمعها ولم يبق منها الا
مسجدها الجامع مبارزاً بعضه كجوء جوء الطائر حسب ما اخبر به عليه السلام
الى آخر ما ذكره.

اقول: ما ذكره عن كتب الملاحم ليس في التواريخ ما يدل على صحته و
لا يمكن انكاره ايضاً ولا يهمننا البحث فيه فان ما ذكره حق لا مريية فيه فان وقع
كما ذكره الشارح فهو و الا سيقع و كلامه ﷺ لا يدل على اكثر من وقوع ما
اخر به و اما تاريخ وقوعه فلم يعينه ﷺ لنا فالبحث في صحه ما ذكره الشارح و
عدم صحته لا فائدة فيه وباقي الجملات فيها واضحة.

﴿ وَ مِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ ﴾ (١٤)

فِي مِثْلِ ذَلِكَ

□ قوله ﷺ: أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَ سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأَكْلَةٌ لِأَكِيلٍ، وَ فَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

◁ الْغَةَ

(خَفَّتْ) الخَفَّ ضِدُّ الثَّقَلِ. (سَفِهَةً) السَّفَهَ النَّقْصَ فِي الْعَقْلِ. (حُلُومُكُمْ) حُلُومٌ جَمْعُ حِلْمٍ وَهُوَ الْعَقْلُ. (غَرَضٌ) الْغَرَضُ مَا يُنْصَبُ لِيُرْمَى بِالسَّهَامِ. (النَّابِلُ) ذُو النَّبْلِ. (الْأَكْلَةُ) بِضَمِّ الْهَمْزَةِ، اسْمٌ لِلْمَأْكُولِ. (فَرِيسَةٌ) فَرِيسَةُ الْأَسَدِ مَا يَفْتَرِسُهُ. (صَائِلٌ) اسْمٌ فَاعِلٌ مِنْ صَالَ يَصُولُ صَوْلًا، أَي وَائِبٌ النَّاسِ أَوْ صَارَ يَقْتُلُ النَّاسَ وَيَعْدُوا عَلَيْهِمْ.

◁ الْمَعْنَى

ثُمَّ خَاطَبَ ﷺ أَهْلَ الْبَصْرَةَ ثَانِيًا وَقَالَ فِيهِمْ (أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ)، لِتَقْرِبِهَا بِالْبَحْرِ (بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ)، أَي الرَّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ ثُمَّ قَالَ ﷺ (خَفَّتْ عُقُولُكُمْ)، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ قِلَّةِ عَقُولِهِمْ (وَ سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ)، إِشَارَةٌ إِلَى نَقْصِ عَقُولِهِمْ (فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ)، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِمْ مَطْمَعًا لِلطَّامِعِينَ كَطَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ امثَالِهِمَا وَ الْمَقْصُودُ بِبَلَاهَتِهِمْ وَ حِمَاقَتِهِمْ (وَأَكْلَةٌ لِأَكِيلٍ)، كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الْمَأْكُولِ الَّذِي يَأْكُلُهُ الْأَكِيلُ (وَ فَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ)، كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِمْ مُصْطَادِينَ

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: **أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ...**

قال الشارح المعتزلى فى شرح العبارة قريبة من الماء اى قريبة من الغرق بالماء واما بعيدة من السماء فان ارباب علم الهيئة و صناعة التنجيم يذكرون ان ابعَدَ موضع فى الأرض عن السماء الأبله و ذلك موافق لقوله ﷺ و معنى البعد عن السماء هيههنا هو بعد فلك الأرض المخصوصة عن دائرة مُعدّل النهار الى ان قال و الأبله هى قَصْبَةُ البَصْرَةِ و هذا الموضع من خصائص اميرالمؤمنين ﷺ لانه اخبر عن امرٍ لاتعرفه العرب ولا تهتدى اليه و هو مخصوص بالمدققين من الحكماء و هذا من اسراره و غرائبه البديعة انتهى.

و اليه مالَ المُحقّق البحرانى والخوئى و اضافة فى شرح قوله ﷺ بعيداً عن السماء انه يمكن ان يكون المراد ببعدها من السماء البعد من سماء الرحمة والاستعداد لنزول العذاب.

اقول: ماذكروه فى شرح هذه العبادة لا بأس به فان ظاهر العبارة يقتضى ذلك الا انه لايبعدان يرادبها غير ماذكروه ايضاً ونحن نشير الى شطرٍ مما استنبطناه منها فنقول.

الاول: ان يكون المراد بها معناها بحسب متفاهم العرف الظاهر من اللفظ و عليه يصير المعنى ان ارضكم قريبة من الماء لانها بقرب من الشط و هو ظاهر، و المقصود ببعدها عن السماء بعدها بحسب قواعد النجوم، و الأرصاد ان كان ماذكروه حقاً كما ذهب اليه المحقق البحرانى و المعتزلى و الخوئى.

الثانى: بقربها من الماء ما ذكرناه فى الوجه الاول و ببعدها عن السماء بعدها عن سماء الرحمة كما قالوا به ايضاً.

الثالث: ان يكون المراد بقربها من الماء قربها بحسب الطبيعة كما هو المشاهد المحسوس فى الأراض التى تكون بجنب البحر فانها لقربها به تكون

اقرب الى الماء من غيرها عند حفرها و المراد ببعدها من السماء بعدها عن الأمطار النازلة من السماء و هذا المعنى يدل على ذمها و ذلك لأن الارض القريبة الماء تكون من قريبة الأمطار ايضاً فانّ الامطار على ما يقولون تنشأ من بخور الماء و لازم ذلك كثرة الأمطار فى الاراضى المُجاورة للبخور كما هو كذلك الآن يَمَنَعُ عنه مانع كما فى البصرة حيث استثنائها عن هذه القاعدة و هذا دليل على ذمها لأن الله تعالى مَنَعَ عنها الأمطار مع كونها قريبة بالماء لنفاق اهلها او غير ذلك.

الرابع: ان يكون المراد بالأرض القلب و بالماء هو ﷺ نفسه و بالسماء الرحمة الالهية فيصير المعنى ان اراضى قلوبكم قريبة بالماء الحيوه اعنى الامام ﷺ و مع ذلك بعيدة من سماء الرحمة لِنِكْثِهَا بِيَعْتَى و نفاقها و شقاقها على و مخالفتها لأوامرى و عدم متابعتها لى لأن مخالفة الله و معصيته توجب منع بركاته.

الخامس: ان تكون الارض ما ذكرناه و كان المراد بالماء العلم فانه كثيراً ما يطلق عليه كما اسلفنا الكلام فيه و المراد ببعدها من السماء، عدم ارتباطهم بالله و غفلتهم منه و المعنى انكم مع كونكم عالمين بامامتى و ولايتى حقاً قد انكرتم على و قاتلتونى و ليس هذا إلا بسبب نومكم و غفلتكم و قطع را بطتكم مع الله تعالى فان العلم اذا لم يوء خذ من اهله لا يفيد و لا يهدى صاحبه الى سواء السبيل كما قال ﷺ ليس العلم بكثرة التعليم او التعلم و لكنه نور يقذفه الله فى قلب من يشاء.

و يؤيد ما ذكرناه اعنى كون المراد العلم ﷺ بعد هذه الفقرة.

□ قوله ﷺ: خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَ سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ...

وجه التأييد هو مناسبة العقل و العلم لعدم المناسبة بين الماء بمعنى الجسم السّيال و خفة العقل فكانه استدل ﷺ على مدعاه بدليلين احدهما خفة عقولهم و ثانيهما سفة حلومهم.

ضُرورة أَنهم لو كان لهم علم بامامته ﷺ كما ينبغي لا كعلمهم بامامة من كان قبله ﷺ لم يَرْتَكِبُوا ما ارتكبوا و حيث نَكثُوا بيعته و قاتلوه فيُكشَف مِنه اَنْ علمهم كان صُورِيًا و الدليل عليه خِفةُ عقلهم و سَفَه حلمهم اذا لعلم الواقعي و العقل متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر.

والفرق بين العقل و الحِلم هو اَنْ الحِلم من مسَبِّبات العقل و ليس العلم في الحقيقة هو العقل، فالحلم عبارة عن ضَبط النفس و الطَّبَع عن هيجان الغَضَب الا أَنه قد يطلق و يراد به العقل الذي هو سببه من قبيل اطلاق المُسَبِّب على السَّبَب.

فقوله ﷺ: اشارة الى عدم الاعتناء بعقولهم لِخِفَتِها و قِلَّتِها و المراد بسفه حلومهم أَنهم لم يقدرُوا على ضَبط نفوسهم و طباعهم عن هيجان الغَضَب و هو يَدُل على ضعف ايمانهم و استحقاتهم الذم و القَدْح.

□ قوله ﷺ: فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأَكْلَةٌ لِأَكْلِ، و فَرِيَسَةٌ لِصَائِلٍ...

الفاء للتفريع على ماتقدم بيانه و المقصود اَنْ اهل البَصْرَة لبُعدهم من الرِّحمة و خِفة عقولهم و ضعف نفوسهم صاروا غَرَضاً لِنَابِلٍ و أَكْلَةٌ لِأَكْلِ و فَرِيَسَةٌ لِصَائِلٍ فقد اَثَبْت ﷺ تفريعاً على ماتقدم من اوصافهم المذمومة لهم اموراً ثلاثة.

الاول: أَنَّهُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ.

و ذلك لانهم كانوا اهدافاً لمن اراد اذا هم و هو دليل على عدم لياقتهم و استعدادهم لأدارة امورهم و النَّيْل الى مقاصدهم كما هو شأن الهَدَف بالنسبة الى النَّيْل و من المعلوم اَنْ النَّيْل لا يريد من الهَدَف الا وصول نبله اليه و هو يُعَدَم و يُفْنَى و كذلك حال الأفراد اذا كانوا اهدافاً لوصول النَّابِلين آمالهم فلا يبقى لهم وجود بعد اصابة النَّيْل اليهم و وصول النَّابِلين الى مقاصدهم و من كان كذلك فلا يكون انساناً حقيقَةً فَاِنَّ الانسان الحقيقي لا يكون وسيلة الى نيل الأفراد الى مقاصدهم بل لا بدله من ارادة قوية و فكرٍ.

الثانى: انهم اكلة لا اكل.

و هو ايضا كسابقه لِضَعْفِ نَفْسِهِمْ وَ قَلَّةِ عَقُولِهِمْ وَ انَّهُمْ كَانُوا مَأْكُولِينَ لِغَيْرِهِمْ وَ هَذَا اَيْضًا اسْتِعَارَةٌ وَ كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ لِيَاقَتِهِمْ وَ صِلَاحِيَّتِهِمْ لِلدِّفَاعِ مِنْ نَفْسِهِمْ فَمَثَلُهُمْ مَثَلُ الْحَيَوَانَاتِ وَ الطَّيُورِ وَ سَائِرِ مَائِيَّةِ كُلِّ لَحْمِهِ مِنْ حَيْثُ عَدَمُ قُدْرَتِهَا عَلَى الدِّفَاعِ فِي مَقَابِلِ الصَّيَادِ وَ مِنْ يُرِيدُ ذَبْحَهَا فَيَذْبُحُونَ وَ يُؤْكَلُونَ فَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَ لَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿أَجَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْأَنْعَامِ﴾^(١)

و لم يقل بهيمة الإنسان، و من الأسف ان كثيرا من افراد الإنسان فى كل زمان و دورة و لاسيما فى زماننا هذا كانوا موصوفين بهذه الصفة و لم يعلموا ان هذه الرؤية اوجبت تقوية الظالمين و شوكتهم بل هم علة لبقاءهم و دوامهم اعادنا الله منه.

الثالث: انهم كانوا فريسة لصائل.

اي انهم فى معرض الأفتراس يفترسهم من يريد قتلهم و هلاكهم و هذه الامور الثلاثة كلها تشير الى قلة فهمهم و خفة عقلهم و هى استعارات و كنايات فالنابل و الأكل و الصائل كناية عن الزبير و طلحة و عائشة و متابعيهم حيث انهم جعلوا هل البصرة هدافا لنيلهم الى الوصول الى غاياتهم و آمالهم من الخلافة فصاروا مأكولين لهم من حيث اطاعتهم لهم فمثلهم مثل ما قال الله تعالى فى كتابه: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢)

و: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(٣)

تنبيه: اعلم ان ما ذكره عليه السلام من الأوصاف الثلاثة المذمومة و ان كان ظاهراً خاطب بها اهل البصرة و اصحاب الجمل الا ان الواقع ليس كذلك بل

الخطاب شامل لكلِّ مَنْ كان كذلك الى يوم القيمة بعد وجود الملاك فيه ضرورة ان اهل البَصرة بما هم اهل البَصرة لم يكوئوا بمستحقين للذم والقَدح بل من حيث كونهم موصوفين بتلك الصفات السيئة الرذيلة فكل من كان موصوفاً بها كان مذموماً سواء كان من اهل البصرة اولم يكن فالاعتبار بوجود الملاك لاغير.

اذا عرفت هذا فقد دريت ان الموصوف المذكور لامحالة يكون غرضاً لنابلي و آكلّة و فريسة لصائلي و توضيح ذلك يستدعي رسم مقدّمة.

و هي انه لا اشكال في وجود الحقّ و الباطل في كلّ عهد و زمان من صدر الخلق الى يومنا هذا بين افراد الأنسان و عدم اجتماع البشر على الحقّ فقط أو الباطل فقط فكما لم يوجد زمان كانت ابناؤه باجمعهم على الحقّ لم يوجد زمان كانت افراذه على الباطل بحيث لم يوجد من الحقّ عين ولا اثر نعم قد يغلب الحقّ على الباطل و قد يغلب الباطل على الحقّ كما هو المشاهد من التواريخ و السير الا ان التتبع في الآثار يدلنا على غلبة الباطل على الحقّ في كلّ زمان و هذا الاينا في اصل وجود الحقّ.

وايضا، لا اشكال و لا ريب في ان لكلّ منهما بئنون و اتباع إلا ان اتباع الباطل اكثر من اتباع الحقّ كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١) فعلى هاتين المقدّمين ان كثير اتباع الحق فلا محالة يغلب على الباطل وبالعكس فاتباع الحقّ دائماً عقلاء أتقياء و اتباع الباطل جهلاء أشقياء.

ثم ان الحقّ و متابعتة يحتاج الى العقل و الأيمان كما ان الباطل و متابعتة يحتاج الى الجهل و النفاق و الكفر و العصيان فاالموء من العاقل لا يتبع الباطل كما ان الفاسق الفاجر و الكافر المنافق لا يتبع الحقّ.

و الحقّ نور بذاته مظهرٌ لغيره فالنورانية له ذاتية إلا ان يمنع عنه مانع و رادع وكل ما كان كذلك فلا يحتاج الى علة موجدة بل هو موجودٌ بنفسه لنفسه و

لذلك أُطْلِقَ عَلَى الْوَاجِبِ الْحَقُّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدْ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ لثَابِتُ الدَّائِمِ وَ قَدْ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الْقَوْلُ الْمَطَابِقُ لِلْمُخْبِرِ عَنْهُ إِذَا طَابَقَ الْقَوْلُ وَقَدْ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الْمَوْجُودُ الْحَاصِلُ بِالْفِعْلِ وَعَلَى أَيْ حَالٍ فَالْحَقُّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلَّةٍ مُوجِدَةٍ، أَوْ عِلَّةٍ مُبْقِيَةٍ بَلْ وَجُودِهِ وَ وَجُوبِهِ ذَاتِيٌّ لَهُ وَ لَيْسَتْ لَهُ حَالَةٌ مُتْرَقِبَةٌ أَصْلًا.

وَ أَمَّا الْبَاطِلُ فَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ ظَلَمَةٌ كَمَا أَنَّ الْوَجُودَ مُقَدَّمٌ مِنْ حَيْثُ الْمَجْعُولِيَّةُ عَلَى الْمَاهِيَّةِ فَالْوَجُودُ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ لَا بِشَيْءٍ آخَرَ وَالْمَاهِيَّةُ مَوْجُودَةٌ بِالْوَجُودِ دَمُنُصَبَغَةٌ بِصَبْغِهِ.

إِذَا أَحْطَّتْ خُبْرًا بِمَا تَلَوْنَاهُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْحَقَّ مِنْ حَيْثُ هُوَ ثَابِتٌ دَائِمًا وَلَا سَبِيلَ لِلْبَطْلَانِ إِلَيْهِ غَيْرَ مَسْبُوقٍ بِالْعِلَّةِ بَلْ هُوَ بِنَفْسِهِ مَوْجُودٌ وَلِعَلَّهُ إِلَى هَذِهِ الدَّقِيقَةِ أَشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ لِلْحَقِّ دَوْلَةٌ وَ لِلْبَاطِلِ جَوْلَةٌ. فَإِنَّ كُلَّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ بِالْغَيْرِ وَ مَعْلُولٌ لَهُ فَلَا مَحَالَةَ يُفْنَى وَ يُعَدَمُ لِأَنَّ الْوَجُودَ لَيْسَ ذَاتِيًّا لَهُ كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ فِي وَجُودِ الْمَعْلُولِ فَلِأَزْمِ الْمَعْلُولِيَّةِ الْفَنَاءُ وَ الدُّثُورُ كَمَا أَنَّ لِأَزْمِ الْعِلِّيَّةِ التَّامَةَ الْبَقَاءَ الدَّائِمَ وَ لِنَعْمِ مَا قِيلَ.

الْأَكْلُ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ بِاطِلٌ وَ كَلَّ نَعِيمٌ لِامْحَالَةِ زَائِلٌ

فَالْحَقُّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلَّةٍ مُوجِدَةٍ بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى مُعْلِنٍ وَ مُظْهِرٍ

وَ الْبَاطِلُ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي أَصْلِ وَجُودِهِ فَاتِّبَاعُ الْحَقِّ دَائِمًا كَانُوا مَظَاهِرَهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُوجِدِينَ لَهُ بِخِلَافِ اتِّبَاعِ الْبَاطِلِ حَيْثُ أَنَّهُمْ مُوجِدُونَ لَهُ وَ الْبَاطِلُ مَعْلُولٌ لَهُمْ فَالْحَقُّ فِي إِعْلَانِهِ وَ إِظْهَارِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى إِعْوَانٍ وَ انصَارٍ لِأَنَّ أَصْلَ وَجُودِهِ وَ الْبَاطِلُ فِي وَجُودِهِ وَ إِعْلَانِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى إِعْوَانٍ وَ انصَارٍ فَإِذَا فَرَضْنَا أَنَّ إِنْسَانًا خَبِيثًا مِنْ اتِّبَاعِ الْبَاطِلِ وَ أَشْيَاعِهِ أَرَادَ إِعْلَانَهُ وَ إِظْهَارَهُ فِي الْأَجْتِمَاعِ فَلَا جَرِمَ وَ جَبَّ عَلَيْهِ التَّمَسُّكُ وَ التَّوَسُّلُ إِلَى أَفْرَادٍ مِنْ أَشْيَاعِ الْبَاطِلِ وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هُوَ لَا يُمْكِنُ انْتِخَابُهُمْ مِنْ الْمَوءَمِنِينَ الْمُتَدِينِينَ وَ الْعُقَلَاءِ الْكَامِلِينَ الرَّاسِخِينَ فَانَّهُمْ مُبَرِّئُونَ مِنْزَهُونَ مِنْهُ بَلْ لَا يَبْدُ لَهُمْ مِنَ الْأَسْتِمْدَادِ مِنَ الْحُمَقَاءِ الْجُهَلَاءِ وَ الْفَسَاقِ وَ الْكُفَّارِ وَ امثَالِهِمْ وَ بَدُونِهِ وَ بَدُونِهِمْ لَا يُمْكِنُ لَهُمْ إِبْرَازُ الْبَاطِلِ وَ إِشَاعَتِهِ.

فقوله عليه السلام: فانتم غرض لنا بل الى آخر ما قال...

اشارة الى ان اهل البصرة لجهلهم وحمقهم كانوا من معاونين لأشاعة الباطل و انتشاره بحيث لولاهم لم يتمكنا من اجراء مقاصدهم ولأجل ذلك اختاروهم من تمام البلاد الإسلامية لأيجاد الفتنه كما ذكر المورخون ان طلحة و الزبير و عايشة و ابن عامر و غيرهم من قواد القوم لما عزموا على الخروج تكلموا في البلاد و بعد الأستشارة و تبادل الأفكار اتفقوا اعلى ان اهل البصرة انسب بذلك من ساير البلاد.

﴿ وَمَنْ كَلَامٍ لَهُ ﴾ (١٥)

□ قوله ﷺ: وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَ مَلِكًا بِهِ الْأَمْوَاءُ لَرَدَدْتُهُ، فَانَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً. وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ، فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضِيقٌ.

◁ الْغَةُ

(النِّسَاء) بفتح النون وكذا النِّسوان جمع مرثة من غير لفظها كالقَوْم في جمع

مَرءٍ.

(الْأَمْوَاء) بكسر الالف جمع أمة و باقى اللغات واضح.

◁ الْمَعْنَى

صَدَّرَ ﷺ كَلَامَهُ بِوَاوِ الْقِسْمِ وَ اسْمِ الْجَلَالَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَا قَالَهُ ﷺ حَقٌّ لَامِرِيَّةٌ فِيهِ وَ أَنَّمَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ فِيمَا رَدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَطَائِعِ عُثْمَانَ فَقَالَ ﷺ (وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتُ) الْمَالَ الَّذِي (قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ) بِجَعَلِهِ صَدَاقًا لَهَا مِثْلًا (أَوْ مَلِكًا بِهِ الْأَمْوَاءَ) بِالْبَيْعِ وَ الشَّرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ (لَرَدَدْتُ) هَذَا الْمَالَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَالُ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ قَالَ (فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً) أَذْبَهُ نِظَامُهُمْ وَ قَوَامِ أُمُورِهِمْ وَ لَوْلَاهُ لَأَخْتَلَّ النَّظَامُ وَ ضَاعَ الْقَوَامُ. (وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ)، أَي مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِالْحُكْمِ الَّذِي اقْتَضَاهُ الْعَدْلُ (فَالْجَوْرُ أَضِيقٌ) عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

اعلم: ان هذه الخطبة مما انشأها ﷺ بعد قتل عثمان و توليته امور المسلمين فيما رده عليهم من قطائع عثمان و هذه الخطبة على ما قال الشارح المعتزلى ذكرها الكلبي مروية مرفوعة الى ابي صالح عن ابن عباس ان علياً ﷺ خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال ﷺ الا ان كل قطيعة اقطعها عثمان وكل مال اعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال فان الحق القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء و فرق في البلدان لردته الى ماله فان في العدل سعة و من ضاق عنه العدل فالجور عليه اضيق.

ثم نقل عن الكلبي انه ﷺ امر بكل سلاح وجد لعثمان في داره مما تقوى به على المسلمين فقبض و امر بقبض نجائب كانت في داره من اهل الصدقة فقبضت و امر بقبض سيفه و درعه و امر ان لا يعرض لسلاح و جديله لم يقاتل به المسلمون و بالكف عن جميع امواله التي وجدت في داره و غير داره امر ان ترتجع الاموال التي اجاز بها عثمان حيث اصببت او اصب اصحابها فبلغ ذلك عمرو بن العاص و كان بايلة من ارض الشام اتاها حيث وثب الناس على عثمان فنزلها فكتب الى معاوية ما كتنت صانعاً فاصنع اذا قشرك ابن ابيطالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصالحاءها. و قال الوليد ابن عتبة و هو اخو عثمان من امه يذكر قبض على نجائب عثمان سيفه و سلاحه.

بنى هاشم رُدَّو اسلِح ابنِ اُختكم

ولا تنهبوه لاتجل مناهبه

بنى هاشم كيف الهوادة بيننا

و عند علي درعه و نجائبه

بنى هاشم كيف التودد منكم

و بز ابن اردى فيكم و ضرائبه

بنى هاشم إلا تَرُدُّ و فأننا
 سواء علينا قاتلاه و سألته
 بنى هاشم أنا و ما كان منكم
 كَصَدَعِ الصِّفا لا يشعب الصَّدعِ شاعبه
 قتلتم اخي كيما تَكُونُوا مكانه
 كما غَدَرْت يوماً بكسرى مرزبه
 فاجابه عبدالله بن ابى سفيان ابن الحرث ابن عبدالمطلب بايات طويلة
 من جملتها:

فلا تَسْتَلُونَا سَيْفِكُمْ اَنْ سَيْفِكُمْ اُضِيع
 و اَلْقَاه لَدَى اَلرَّوْعِ صَاحِبُه
 سَلُّوا اَهْلَ مِصْرٍ عَنِ سِلاحِ ابْنِ اِخْتِكُمْ
 فَهُمُ سَلَبُوهُ سَيْفَه و حَوَائِبُه
 و كان ولى الأمر بعد مُحمَّد
 عَلِيٌّ و فى كَلِّ المُواطِنِ صَاحِبُه
 عَلِيٌّ اِلى اَنْ اَظْهَرَ اللهُ دِينَه
 و اَنْتَ مَعَ الأَشْقِيينَ فِيمَنْ تُحارِبُه
 و اَنْتَ امْرُوءٌ مِنْ اَهْلِ صَفْوَرٍ فَارِخُ
 فَمَا لَكَ فِينا مِنْ حَمِيمٍ يَغائِبُه
 و قد اَنْزَلَ الرَّحْمَنُ اَنْكَ فَاسِقُ
 و مالِكَ فى الأَسْلامِ سَهْمٌ تُطالِبُه
 و شَبَّهْتَه كِيسِرِيٌّ و قد كان مِثْلُه
 شَبَّيْهاً بِكِيسِرِيٍّ هَدِيَه و صَرائِبُه
 و قد نَقَلْنَا الأَشْعارَ عَنِ الكامِلِ فى قِصِّهِ قَتْلِ عِثْمانِ الا انا لَمَ اَرىنا الحِوَالَه
 تُوجِبُ المِلالَه ذَكَرناها ثانياً اِقْتِضاءً للمَقامِ.

ثم قال الشارح المعتزلي اي كان كافراً كما كان كسرى كافراً و كان المنصور
اذا انشد هذا البيت يقول لعن الله الوليد هو الذي فرق بين بني عبد مناف بهذا
الشعر انتهى ما ذكره.

ثم يجب التنبيه على امور:

احدها: ان القطائع على ما قيل اسم لما لا ينقل من المال الاراضي والحصون
و يقابله الصفايا وهو اسم للمنقول كذا قال الشارح الخوئي.

وقال المعتزلي القطائع ما يقطعها الامام لبعض الرعية من ارض بيت المال
ذات الخراج و تسقط عنه خراجه و يجعل عليه ضريبة يسيرة عوضاً عن
الخراج و قد كان عثمان اقطع كثيراً من بني امية و غيرهم من اوليائه و اصحابه
قطائع من ارض الخراج على هذه الصورة و قد كان عمر اقطع قطائع و لكن
لأرباب العناء في الحرب و الآثار المشهورة في الجهاد فعّل ذلك ثمناً عما
بدّلوه من مهاجمهم في طاعة الله سبحانه و عثمان اقطع القطائع صلة لرحمه و
ميلاً الى اصحابه عن غير عناء في الحرب و لا اثر انتهى.

اقول: رده عليه السلام قطايعه دون قطايح عمر اما لان قطايح عمر قدمضت مدة
مديده عنها و لم يبق منها عين ولا اثر حتى يحكم عليه السلام بردها بخلاف قطايح
عثمان حيث انها كانت باقية على ما كانت.

و اما لان قطايح عمر كانت على وجه صحيح بخلاف قطايح عثمان التي
اقطعها ليهوى نفسه و ميلاً الى اصحابه من غير عناء في الحرب كما مال اليه
الشارح الخوئي و المعتزلي و الاول اصح كما لا يخفى على المتأمل.

وثانيها: ان هذه الخطبة مشتملة على مطا عن عثمان و انه فعل من الامور
ولاسيما تصرفاته في الاموال و الحقوق ما لم يفعله غيره ممن كان قبله من
الخلفاء و هو دليل على عدم صلاحيته للخلافة و عدم لياقته للزعامة العامة و
لذلك امر عليه السلام بردها قطاعه.

وثالثها: أنه قد فرّق بين المسلمين و شَمَّل جمعهم باختصاصه اموال بيت المال باقر بائه و حرمان سائر المسلمين منها مع أنها كانت لهم باجمعهم ولاشك أنها من هذه الجهة كانت متعلّقة بعموم المسلمين و هذا من قبيل اكل المال بينهم بالباطل و قد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (١)

و اكل المال بالباطل ظلمٌ و من كان ظالماً لا يصلح للخلافة لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْتَظِرُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٢)

فهو لم يصلح للخلافة و هو المطلوب.

ورابعها: ان عثمان خالف في عمله هذا سنة النبي و طريقة الشيخين مع انه قد ألزم في الشورى ان لا يعمل إلا بسنة النبي و طريقة الشيخين كما مر شرحه مفصلاً حيث عرض عبدالرحمن ابن عوف الخلافة بهذين الشرطين على علي عليه السلام أولاً و على عثمان ثانياً فلم يقبلها على و قبلها عثمان. قال الله تعالى:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ (٣)

و: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (٤)

و: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (٥)

و: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ (٦)

والآيات فيه كثيرة.

و قال ﷺ المؤمنون عند شروطهم و الموء من اذا وعد و فى.

وقوله: لا ايمان لمن لا عهد له و امثال ذلك من الآثار فعثمان خالف الكتاب و السنة و خالف طريقة الشيخين ايضاً لانهما لم يفعلوا بالأموال ما فعل هو بها فهو لم يف بما عهد و خالف ماقرت البيعة عليه و من كان كذلك فكيف

يصلح للخلافة.

واما قوله ﷺ: **فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً**. الى آخر ما قال، فهو اشارة الى انكار بعض المسلمين ممن كان هواه مع عثمان عليه و ذلك لأن الناس عبيد الدنيا و الدين لئق على سنتهم فاذا محصو بالبلاء قلّ الديانئون فحيث انه ﷺ: **أَمَرَ بَرْدَ قَطَايِعِ عَثْمَانَ وَ صَارَ ذَلِكَ مُوجِباً لَوْحَشَتِهِمْ وَ دَهَشَتِهِمْ** انكروا عليه و قالوا فيه ما قالوا فكأنه ﷺ اجابهم بل وعدهم و وبخهم بقوله فإن في العدل سعة اذ كيف يمكن ادعاء الايمان و انكار العدل و انكاره يدل على عدم اتصافهم بالايمان واقعاً ألم يسمعو كلام الله حيث قال:

و: **«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ»** (١)

و: **«فَإِنَّ فَاءَتُ فَأُصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا»** (٢)

و: **«وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ»** (٣)

و: **«هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»** (٤)

وامثال ذلك من الآيات والآثار.

واما قوله ﷺ: **فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقٌ...**

فهو اشارة الى انه من ضاق عليه القيام بالحكم الذي اقتضاه العدل فالجور الذي اقدم عليه بمقتضى هوى نفسه و ميل طبعه اضيق عليه في الدنيا و الآخرة كذا قالوا في شروحاتهم.

والحق في المقام هو انه ﷺ اشار بقوله هذا الى دقيقة اخرى غير ما ذكره و فهموه منه فإن كلام الملوك ملوك الكلام و تحقيق ذلك ان للعدل و ما يقابله معينين.

فتارة يقال العدل و يراد به المشى على الطريق الوسطى في اى شئ كان و

هو بهذا المعنى يَحْتَوِي على كُلِّ الفضائل اعنى الحكمة و العِفَّة و الشَّجاعة
 و لامحالة يكون أمراً بَسِيطاً مُسْتَلِزِماً لِلْمِلْكَاتِ الثَّلَاثَةِ و يقابله التَّعَدِي
 عن الوَسْطِ اعنى الجامع لِلرِّذَالِ بِأَسْرَها و هذا لظُلْمِ تَارَةً يَطْلُق و يراد به الكَفُّ
 عن الظُّلْمِ و رَفَعَهُ و الأَسْتِقَامَةَ و اقامة كُلِّ اِحِدٍ على حَقِّه و هذا هو العَدْلُ
 بالمعنى الأَخْصُ و يقابله الظُّلْمُ بالمعنى الأَخْصُ وهو الَّذِي يُرَادُ به ما يرادف
 الأضرار و الأيذاء بالغير كقتله و ضَرْبَهُ و شَتْمَهُ و قَذْفَهُ و غِيْبَتَهُ و اخذماله قَهْرًا و
 غَضَبًا اذا عرفت العَدْلُ و الظُّلْمُ بكلام معنييهما فاعلم انه ﷺ لَمْ يُرَدِّ بالعَدْلُ
 فى المقام العَدْلُ بالمعنى الأَخْصُ كما توهموه بل اراد به المعنى الأول و هو
 العَدْلُ بالمعنى الأَعْمُ و الدَّلِيلُ على ما ادَّعينا

□ قوله ﷺ: فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ اضْيَقُ، فَإِنَّ الْجَوْرَ هُوَ الظُّلْمُ بِالْمَعْنَى الأَعْمِ و حيث
 انه عَبْرُ عَمَّا يقابل العَدْلُ بِالْجَوْرِ فهو دليل على عدم ارادته إلا ما ذكرناه.
 و عليه فالفاء فى قوله ﷺ: فَإِنَّ فى العَدْلِ سَعَةٌ ليست للعطف بل تفيد
 التأسيس فكأنه ﷺ افاد بكلامه هذا حُكْمًا كَلِيًّا قَطْعِيًّا لا اختصاص له بعثمان و
 غيره و مفاده ان مَنْ كان ضائقاً صَدْرُهُ مِنَ العَدْلِ بِمَعْنَاهِ الأَعْمِ فَالْجَوْرُ اعنى
 التَّعَدِي عن الوَسْطِ عَلَيْهِ اضْيَقُ.

و ذلك لَانَّ فى العَدْلِ سَعَةٌ لانه من صفات الحقِّ تعالى و الصفات فيه عين
 ذاته فكما ان لذاته الَّذِي هو عَيْنٌ و جوده لعدم التركيب هناك سَعَةٌ و جُودِيَّةٌ غير
 متناهية فإن العلة واجدة لجميع مراتب المعلول و لا عكس فكذلك لِعَدْلِهِ و
 عِلْمِهِ و قُدْرَتِهِ و سائر صفاته سَعَةٌ و جُودِيَّةٌ تشمل كُلَّ المعلولات و
 الموجودات فهو عادِلٌ على كُلِّ حالٍ و على كُلِّ ما سواه و هذا هو المراد بِسَعَةِ
 العَدْلِ بِالْمَعْنَى الأَعْمِ و لا يمكن اجرائه بين الموجودات بهذا المعنى الا لمن
 كان مُتَّصِفًا به اَوْلًا اذ معطى الشئى لا يكون ناقداً له. فالمجرى له لا يكون الا
 انساناً كاملاً واجداً لمظاهر اسمائه و صفاته و هو لا يكون الا رسولا. إلا رسولا

او وصياله و بذلك نقول ان العدالة بهذا المعنى لم يتيسر لاخديغير الرسول و الوصى الاتصاف بها و لا اجرائها و حيث انه عليه السلام كان من الاوصياء فقد اشار بقوله هذا الى حصولها.

ثم انه افاد في المقام ان من كان هارياً من عدلى الذى يسع الموجودات كلها و يصل كل ذى حق الى حقه فالجور عليه اضيق، لانه مستلزم لتضييع الحقوق و تفضيل المفضول على الفاضل و عدم وصول كل ذى حق الى حقه فكيف يصبر عليه.

ولا يبعدان يكون كلامه ﷺ هذا اشارة الى ما وقع بعده من الظلم و الجور بايدى الخلفاء المنافقين فكأنه ﷺ اخبرهم به و قال اذا كان العدل عليكم حرجاً شاقاً فكيف بكم فى الظلم بعدى بأخذ الخلفاء اموالكم و سفكهم دمائكم و ضربهم و شتمهم لكم و لا مخلص و لا مهرب لكم من ظلمهم و هو كذاك فان من فر من العدل وقع فى الظلم من حيث لا يحتسب و من انكر على علي ﷺ و خالفه فلا محالة يقع فى الظلم فان من شكر فانما يشكر لنفسه و من كفر فعليها.

قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (١)

﴿ وَمِن خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (١٦) ﴾

لَمَّا بُويعَ بِالْمَدِينَةِ

□ ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنِ تَقْحُمِ الشُّبُهَاتِ، أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيَاتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغْرَبُنَّ غَرْبَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَ أَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ - سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوهَا، وَلَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوهَا، وَاللَّهُ مَا كَتَمْتُ وَشَمَّةً وَلَا كَذَبْتُ كَذِبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ، أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمْسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ خُلِعَتْ لُجْمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ، أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ أُعْطُوا أَزِمَّتِهَا فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ، حَقٌّ وَ بَاطِلٌ، وَلِكَبُلِّ أَهْلٌ فَلَيْنٌ أَمْرٌ أَلْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَّ، وَلَكِنَّ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ.

◀ اللُّغَةُ

(الذِّمَّة) العَهْدُ وَ الْعَقْدُ وَ الْبَاءُ لِلنَّسْبَةِ. (الرَّهِينَةُ) الْوَثِيقَةُ. (الزَّعِيمُ) الْكَفِيلُ. (صَرَّحَتْ) كَشَفَتْ. (وَالْعِبْرُ) بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَ فَتْحِ الْبَاءِ جَمْعُ عِبْرَةٍ. (الْمَثَلَاتِ) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَ ضَمِّ الثَّاءِ الْعُقُوبَاتُ. (حَجَزَهُ) أَيْ حَجَبَهُ وَ مَنَعَهُ. (التَّقْحَمُ) الدَّخُولُ فِي الْمَهْلَكَةِ. (الْبَلْبَلُ) الْأَخْتِلَاطُ وَ قِيلَ الْهُمُومُ وَ الْأَحْزَانُ. (التَّغْرِبُ) إِمَّا مِنْ الْغُرْبَالِ الَّذِي يُغْرَبِلُ بِهِ الدَّقِيقُ أَوْ مِنْ غُرْبَلَتْ اللَّحْمُ أَيْ قَطَعَتْهُ. (السَّوْطُ) الْقَلْبُ

لما فيها من الطَّعام. (وَشَمَّة) العلاقه. (شَمْسٌ) بضمَّ الشَّين و الميم و سكون السَّين جمع شَمس و هو المَنع من الرُّكوب. (اللَّجْم) بضمَّتَيْن جمع لجام. (ذُلُّ) بضمَّتَيْن ايضاً جمع ذُلُول و هو المُنقاد.

◀ المعنى

(ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ): اي وثيقة و انا بما أقول لكم زعيمٌ اي كفيلاً اي لاقول إلا حَقاً مطابقاً للواقع. (إِنَّ مَنْ صرَّحَتْ لَهُ العِبْرَةُ) اي إِنْ مَنْ كَشَفَ لَهُ العِبْرَةَ النَّافِعَةَ. (عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَثَلَاتِ و العُقُوبَاتِ الواقعة على أُمَّمِ السَّالِفَةِ) (حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَن تَفَحُّمِ الشُّبُهَاتِ) اي مَنَعَتْهُ التَّقْوَى عَنِ الدُّخُولِ فِي مَوَارِدِ الهَلَكَةِ. (أَلَا وَ إِنْ بَلَّيْتَكُمْ إِلَى آخِرِهِ) قالوا المراد بها التَّشْتُّ و النِّفَاقُ و عَدَمِ الأُلْفَةِ و الأَجْتِمَاعِ كَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ و عَلَيْهِ فَاَلْمَقْصُودُ أَنْكُمْ رَجَعْتُمْ إِلَى الجَاهِلِيَّةِ لِنِفَاقِكُمْ و اخْتِلَافِكُمْ. (وَ الَّذِي بَعَثَهُ) اي النَّبِيُّ ﷺ بِالْحَقِّ. (لِتُبَلِّغُنَّ بَلْبَلَةً، وَ لَتُغْرِبُنَّ غُرْبَلَةً) اي لَتَخْلُطَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَ لَتَمَيِّزَنَّ جَيْدَكُمْ مِنْ رَدِيكُمْ.

(وَ لَتُسَاطِنَنَّ سَوْطَ القِدْرِ، حَتَّى يَعودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَ أَعْلَاكُمْ أَسْفَلُكُمْ،) اي لَتَقْلِبَنَّ قَلْبَ مَاءِ القِدْرِ، حَتَّى يَعودَ الأَسْفَلُ إِلَى الأَعْلَى، وَ الأَعْلَى إِلَى الأَسْفَلِ. (وَ لَيَسْبِقَنَّ - سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوا) وَ هُمُ المُقَصِّرُونَ عَنِ نُصْرَتِهِ بَعْدَ وِفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ. (وَ لَيَقْصِرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا) وَ هُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ سَابِقَةٌ فِي الأِسْلَامِ، ثُمَّ خَذَلُوا وَ انْحَرَفُوا عَنْهُ. (وَ اللهُ مَا كَتَمْتُ وَ شَمَّةً) اي لَمْ يَكْتُمْ مِنِّي رَسولُ اللهِ ﷺ كَلِمَةً أَوْ عِلْمَةً (وَ لَا كَذَبْتُ كَذِبَةً) فِي شَيْءٍ مِمَّا أُخْبِرْتُ بِهِ. (وَ لَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا المَقَامِ) وَ هُوَ اجْتِمَاعُ الخَلْقِ وَ هَذَا اليَوْمُ اعْنَى يَوْمَ البَيْعَةِ. (أَلَا وَ إِنَّ الخَطَايَا إِلَى قولِهِ فِي النَّارِ) اِشَارَةٌ بِهِ ﷺ إِلَى أَنَّ ارْتِكَابَ المَعَاصِي يُوجِبُ الدُّخُولَ فِي النَّارِ وَ هَذَا مِنْ لَطِيفِ التَّشْبِيهِ كَمَا سَيَأْتِي فِي الشَّرْحِ. (أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى إِلَى آخِرِ مَا قَالَ) اِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّقْوَى وَ الاتِّصَافَ - بِمَحَاسِنِ الأَخْلَاقِ تَوجِبُ الدُّخُولَ فِي الجَنَّةِ. (حَقٌّ وَ بَاطِلٌ) إِلَى آخِرِ الخُطْبَةِ) اِشَارَةٌ إِلَى

أَنَّ لِكُلِّ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَتْبَاعٌ فَإِنْ كَانَ اتِّبَاعُ الْحَقِّ أَقْلًا مِنْ اتِّبَاعِ الْبَاطِلِ فَلَا غَرَوَ فِيهِ فَإِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ مِنْ قَبْلِ.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ...

لَمَّا بُويعَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ قَتْلِ عَثْمَانَ بِتَفْصِيلٍ مَرَّ ذَكَرَهُ خَطَبَ ﷺ النَّاسَ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ وَقَالَ ﷺ: أَوْلَا "ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ الْخ."

وَأَمَّا صَدْرُ كَلَامِهِ بِهِ لِيَكُونَ كَلَامَهُ ﷺ ارْعَبَ فِي الْأَسْتِمَاعِ وَ أَنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا بِمَا يَقُولُ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ كَمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ جَهَةِ عَدَمِ تَطَابُقِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فِيهِ وَ بِالْجُمْلَةِ أَفَادَ ﷺ لَهُمْ صَدَقَ كَلَامُهُ.

□ قوله ﷺ: إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقْحُمِ الشُّبُهَاتِ...

و فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَصْلِينَ لَا مَحِيصَ عَنْ مَرَاعَاتِهِمَا لِمَنْ يُرِيدُ السَّلُوكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ الْأَنْتِفَاعَ بِمَوَاعِظِهِ التَّدْوِينِيَّةِ وَ التَّكْوِينِيَّةِ فَقَالَ ﷺ إِشَارَةً إِلَى الْأَوَّلِ إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ وَ إِلَى الثَّانِي حَجَزَهُ التَّقْوَى عَنْ التَّقْحُمِ فِي الشُّبُهَاتِ وَ يَنْبَغِي لَنَا التَّكَلُّمُ فِي كُلِّ أَصْلِ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَضَحَّ الْمَقَالُ فَنَقُولُ.

أَمَّا الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: فَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَ لِأَثَارِ.

فَمِنَ الْآيَاتِ «تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا» (١)

و: «وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ

وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (٢)

و: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقُصَصِ بِمَا أَوْخَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ

قَبْلَهُ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١﴾

و : ﴿كَذَلِكَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَ قَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٢)
و الآيات في هذا الباب كثيرة.

و اما الاثار فلانحتاج الى التَّعْرُض لها فانَّ التَّوَارِيخ و السَّيْر مَشْحُونَةٌ بِذِكْرِ الْقِصَصِ الْآنَ الْغَرَضُ مِنْهَا الْعِبْرَةُ سِوَا مَا كَانَتْ فِي التَّوَارِيخِ أَوْ فِي الْآثَارِ الْمَرْوِيَةِ عَنِ الْمَعْصُومِينَ أَوْ فِي الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)

و : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٤)

رَوَى عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَّهُ قَالَ تَمَثَّلْتَ الدُّنْيَا لِعِيسَى فِي صُورَةِ امْرَأَةِ زَرْقَاءَ فَقَالَ لَهَا كَمْ تَزَوَّجْتِ؟ قَالَ : كَثِيرًا قَالَ : فَكُلُّ طَلَقِكِ قَالَتْ بَلْ كُلًّا قَتَلْتُ، قَالَ : فَوَيْحٌ لِأَزْوَاجِكِ الْبَاقِيْنَ كَيْفَ لَا يَعْتَبِرُونَ بِالْمَاضِيْنَ، انْتَهَى «بحار الانوار، ج ٥، ص ٣٤٧، ط كمياني...»

و اما الاصل الثاني و هو قوله ﷺ : حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ...
و الوجه فيه هو انَّ الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ إِذَا اعْتَبَرَ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْحَوَادِثِ عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَ عَلِمَ أَنَّ الْعِلَّةَ وَ السَّبَبَ فِيهَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا الْعِصْيَانَ وَ الْمُخَالَفَةَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَ ارْتِكَابَ الْمَنْهِيَّاتِ وَ عَدَمَ الْإِنْقِيَادِ لِلنُّوَامِيسِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ لِأَجْلِهَا فَلَا جُرْمَ يَكُونُ هَذَا الْأَعْتَابُ مَانِعًا لَهُ عَنِ الدَّخُولِ فِي الشُّبُهَاتِ وَ لَمْ يَقُلْ فِي الْمُحَرَّمَاتِ مَعَ أَنَّهَا أَوْلَى بِالْتُّرُكِ وَ عَدَمِ التَّقَحُّمِ فِيهَا لِأَنَّ الْعِبْرَةَ لَوْ كَانَتْ مَانِعَةً عَنِ الدَّخُولِ فِي الشُّبُهَاتِ فَتَكُونُ مَانِعَةً عَنِ الدَّخُولِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ بِطَرِيقٍ أَوْلَى هَذَا تَمَامَ الْكَلَامِ فِي مَنْطُوقِ الْعِبَارَةِ.
وَ أَمَّا مَفْهُومُهَا : فَهُوَ أَنَّ مَنْ لَمْ تُصْرَحْ لَهُ الْعِبْرَةُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَاجِزٌ عَنِ التَّقَحُّمِ فِي الشُّبُهَاتِ وَ هُوَ كَذَلِكَ كَمَا هُوَ الْمَشَاهِدُ مِنْ ابْنَاءِ الزَّمَانِ حَيْثُ أَنَّهُمْ فِي تَمَامِ

الساعات يستمعون القصص بل يرون الحوادث بأعينهم ولا يعتبرون بها اصلاً. روى المجلسي (قده) في المجلد الخامس من كتاب بحار الانوار عن كتاب سعد السعود للسيد ابن طاووس (قده) انه قال رأيت في زيور داود عليه السلام في السورة العاشرة ما هذا الفظه:

أيها الناس لا تغفلوا عن الآخرة ولا تغرّنكم الحيوّة لبهجة الدنيا و نصارتها لو تفكرتم في منقلبكم و معادكم و ذكرتم القيمة و ما اعدت فيها للعاصيين قل ضحككم و كثر بكائكم و لكنكم عفّتم عن الموت و نبذتم عهدي وراء ظهوركم و استخففتكم بحقي كانكم لستم بمسيئين و لا محاسبين كم تقولون و لا تفعلون و كم تعدون فتخلفون و كم تعاهدون فتنتقضون لو تفكرتم في خشونة الثرى و وحشة القبر و الظلمة لقل كلامكم و كثر ذكركم و اشتغالكم ان الكمال كمال الآخرة و اما كمال الدنيا فمتغير و زائل - لا تتفكرون في خلق السموات و الأرض و ما اعدت فيها من الآيات، و النذر و حبست الطير في جواء السماء يسجن و يسرجن في رزقي و انا الغفور الرحيم...

و في السورة السابعة و الأربعين - ادرى يا داود لم مسخت بني اسرائيل فجعلتهم القردة و الخنازير لانهم اذ جاء الغنى - بالذنب العظيم ساهلوه و اذا جاء المسكين بأدنى منه انتقموا منه انتهى...

و قال الله تعالى: في كتابه في قصة اصحاب السبب «و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها و ما خلفها و موعظة للمتقين» (1)

و قد روى في الكافي عن محمد ابن سالم عن ابي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال فلما استجاب لكل نبي ما استجاب له من قومه من المؤمنين جعل لكل نبي منهم شرعة و منهاجاً و الشرعة و المنهاج - سبيل و سنة و كان من

السَّبِيلِ وَ السُّنَّةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا مُوسَى إِنْ جَعَلَ عَلَيْهِمُ السَّبَبَ وَ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ السَّبَبِ وَ لَمْ يَسْتَحَلِّ إِنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مِنْ قَوْمٍ ثَمُودَ سَبَقَتْ الْحِيتَانُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ السَّبَبِ إِدْخُلَهَا الْجَنَّةَ وَ مِنْ اسْتَخَفَّ بِحَقِّهِ وَ اسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ إِدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ النَّارَ وَ ذَلِكَ حَيْثُ اسْتَحَلُّوا الْحِيتَانَ، وَ احْتَبَسُوهَا فِي السَّبَبِ فَقَلْنَا لَهُمْ كُونُوا قَرْدَةً خَاسِئِينَ.

فَمَنْ لَاحِظٌ وَ تَأَمِّلْ فِيْمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ بِسَبَبِ طُغْيَانِهِمْ وَ عَصْيَانِهِمْ لِيَعْلَمَ صِدْقَ مَا قَالَهُ ﷺ فِي الْمَقَامِ وَ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ وَ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِانْحِرَافِهِمْ عَنِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَتَابَعَتِهِمُ الشَّيْطَانَ وَ مِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَحَرَّيْ بِالنَّقْمَةِ وَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ.

وَ أَمَّا الْأَصْلُ الثَّانِي وَ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ: حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ...

فَمُجْمَلُ الْقَوْلِ فِيهِ هُوَ إِنْ الْإِنْسَانَ إِذَا أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي الْحَوَادِثِ الْوَاقِعَةِ عَلَى الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ وَ عَلِمَ إِنْ مَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ كَانَ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ الرَّدِيَّةِ وَ أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ الشَّنِيعَةِ فَلَا مَحَالَةَ لَا يَرْتَكِبُ مَا ارْتَكَبُوا وَ لَا يَفْعَلُ مَا فَعَلُوهُ وَ الْمَانِعُ هُوَ التَّقْوَى لَا غَيْرَ فَإِنَّ غَيْرَ الْمُتَّقِي لَا يُعْتَبَرُ أَصْلًا وَ ذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ كَانَ مَتَابِعاً لِهَوَاهُ وَ عَبْدًا لِلشَّيْطَانِ غَافِلًا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ يَعْيشُ دَائِمًا فِي الْغَفْلَةِ وَ لَيْسَ لَهُ تَوَجُّهُ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْغَافِلِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(١) إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ.

وَ الْمُرَادُ بِالشُّبُهَاتِ الْأُمُورَ الْعَاطِلَةَ الْبَاطِلَةَ الشَّبِيهَةَ بِالْحَقِّ وَ حَجَزِيَهُ التَّقْوَى عَنْهُمَا مِنْ حَيْثُ إِنْ الْإِتِّصَافُ بِهَا يَنْفِي ارْتِكَابَ الْمُشْتَبِهَاتِ فَضْلًا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ.

ثُمَّ أَعْلَمَ إِنْ ارْتِكَابَ الْمُشْتَبِهَاتِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مُقَدِّمَةٌ لِلدَّخُولِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ

مَمْنُوعٌ شَرْعاً وَ عَقْلاً بِنَاءً عَلَيَّ أَنَّ الْوَجُوبَ فِي الْمُقَدِّمَةِ غَيْرِي كَمَا هُوَ الْحَقُّ الْمُقَرَّرُ فِي الْأَصُولِ لَا أَنَّ ارْتِكَابَهَا مَن حَيْثُ هِيَ هِيَ مُحْرَمٌ، الْأَعْلَى الْقَوْلُ بِوَجُوبِ النَّفْسِي فِي الْمُقَدِّمَةِ وَ هُوَ كَمَا تَرَى خَالَ عَنِ التَّحْصِيلِ.

فَالرُّوَايَاتُ الدَّالَّةُ عَلَيَّ عَدَمِ جَوَازِ الْأَقْتِحَامِ فِيهَا تُحْمَلُ عَلَيَّ مَا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّ الْأَخْذَ بِالْمُشْتَبِهَاتِ وَ التَّقَحُّمَ فِيهَا مَظَنَّةٌ قَوْعٌ فِي الْحَرَامِ مَن حَيْثُ لَا يُعْلَمُ كَمَا أُشِيرُ إِلَيْهِ فِي الْأَثَارِ.

منها - مارواه في الوسائل باسناده عن فضيل ابن عياض عن ابي عبدالله عليه السلام قال قلت له مَن الْوَرَعُ مِنَ النَّاسِ؟ ...

قال عليه السلام: الَّذِي يَتَوَرَعُ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وَ يَجْتَنِبُ هَوْلَاءُ فَإِذَا لَمْ يَتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ وَ هُوَ لَا يَعْرِفُهُ أَنْتَهَى ...

و منها - مَقْبُولَةٌ عُمَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ عَنْهُ عليه السلام أَيْضاً قَالَ عليه السلام إِنَّمَا الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ بَيْنَ رُشْدِهِ فَيَتَّبَعُ وَ أَمْرٌ بَيْنَ غَيْهِ فَيُجْتَنَّبُ وَ أَمْرٌ مُشْكَلٌ يُرَدُّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ...

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حَلَالٌ بَيِّنٌ وَ حَرَامٌ بَيِّنٌ وَ شُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَمَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ نَجَى فَمَنْ الْمُحْرَمَاتِ وَ مَنْ أَخَذَ بِالشُّبُهَاتِ ارْتَكَبَ - الْمُحْرَمَاتِ وَ هَلَكَ مَن حَيْثُ لَا يَعْلَمُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْوُقُوفَ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ خَيْرٌ مِنَ الْأَقْتِحَامِ فِي الْهَلَكَاتِ، أَنْتَهَى ...

و منها - مَا عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَقُولُ إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمِيٍّ وَ أَنَّ حِمِيَّ اللَّهِ حَلَالُهُ وَ حَرَامُهُ وَ الْمُشْتَبِهَاتُ بَيْنَ ذَلِكَ كَمَا لَوَانٌ رَاعِيًّا رَعَى إِلَى جَانِبِ الْحِمِيِّ لَمْ يَثْبِتْ غَنَمَهُ أَنْ تَقَعَ فِي وَسْطِهِ فَدَعَا الْمُشْتَبِهَاتِ أَنْتَهَى.

اقول: وَ هَذِهِ الرُّوَايَاتُ قَدْ ذَكَرَهَا الشَّارِحُ الْخَوْثِيُّ قَدَّهُ أَيْضاً فِي شَرْحِهِ.

و منها - مَا رَوَاهُ الْمَجْلِسِيُّ (قَدَّهُ) فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَ الْكُفْرِ مِنْ مَجَلَّدَاتِ الْبَحَارِ وَ هُوَ الْمَجَلَّدُ الْخَامِسُ عَشَرَ بِاسْنَادِهِ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ عليه السلام أَوْرَعُ

النَّاسَ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَاعْبَدَ النَّاسَ مِنْ اِقَامِ الْفَرَائِضِ وَازْهَدَ النَّاسَ مِنْ تَرَكَ الْحَرَامَ وَاشَدَّ النَّاسَ اجْتِهَاداً مَنْ تَرَكَ الذَّنُوبَ اِنْتَهَى «ص ٩١، ط كمْپانى»...

و قد نهى الله تعالى: فى كتابه عن الأخذ بالمُشْتَبِهَاتِ حيث قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١)

و هذه الآية صريحة فى عدم جواز الدخول فى المُشْتَبِهَاتِ وارجاع علمها الى اهله فقوله عليه السلام حَجَزَهُ التَّقْوَى الى آخره اشارة الى هذه الآية و مُقْتَبَسٌ منها و قد روت العامة ايضا فى المنع عن العمل بهاروايات - كثيرة نشير الى شَطْرٍ منها. روى السيوطى فى الدر المنثور فى تفسير هذه الآية باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه: قال فى خُطْبَةٍ اِيَّهَا النَّاسُ قَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ فى مُحْكَمِ كِتَابِهِ مَا أُجِلَّ لَكُمْ وَ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ وَ حَرِّمُوا حَرَامَهُ وَ آمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ وَ اعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ وَ اعْتَبَرُوا بِامْثَالِهِ، انتهى «ج ٢، ص ٦»...

و روى ايضا عن البيهقى فى شعب الايمان عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إِعْرَبُوا الْقُرْآنَ وَ اتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ وَ فَرَائِضَهُ وَ حُدُودَهُ فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ حَلَالٌ وَ حَرَامٌ وَ مُحْكَمٌ وَ مُتَشَابِهٌ وَ امْتِثَلُوا بِالْحَلَالِ وَ اجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَ اتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَ آمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَ اعْتَبَرُوا بِامْثَالِهِ اِنْتَهَى «ج ٢، ص ٦»...

و روى فيه ايضا عن طريق الطبرانى عن عمر ابن ابى سلمة انّ النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبدالله ابن مسعود انّ الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد و انّ القرآن نزل من سبعة ابوابٍ على سبعة احرفٍ حلالٍ و

حرام و حرام و محكم و متشابه و ضرب أمثال أمير و زاجر فاحل حلاله و
حرّم حرامه و اعمل بمحكمه و وقف عند الشبهة (متشابهه) و اعتبر امثاله فان
كلام من عند الله و ما يتذكر الآ اولوالالباب انتهى «ج ٢، ص ٦»...

و الحاصل ان ما ذكره ﷺ في المقام مما لا كلام فيه عقلاً و شرعاً بين العامة و
الخاصة فان العبرة مما توجب الاجتناب عن الدخول في المشتبهات و
الاقتحام فيها اذا كان المعتبر مؤمناً ورعاً متصفاً بالتقوى و اما من لا يكون متصفاً
بها فلا يعتبر ابداً لان الغفلة تمنعه منه و المؤمن لا يكون غافلاً و الآيات الدالة
على التفكير و الاعتبار و الأتعاض بالعبر كثيرة و الروايات فيه متظافرة متكاثرة.
اما الآيات:

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَ أَثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ (١)

و: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢)

و: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣)

و: ﴿وَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (٤)

و الآيات و الروايات في الباب كثيرة ذكرنا بعضها منها و نذكر بعضها آخر
فيما سيأتي ان شاء الله تعالى.

□ قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ (صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ ...)

قال المحقق البحراني (قدّه) في شرح هذه العبارة ما هذا الفظه و اشار
ببليتهم الى ما هم عليه من اختلاف الأهواء و تشتت الآراء و عدم الألفة و

٢. التمل-٦٩.

١. غافر-٨٢.

٣. التمل-٣٦.

٤. الفرقان-٧٣.

الأجتماع في نُصرة الله عن شُبّهات يُلقِيها الشَّيْطان على الأذْهان القابلة لَوْسوسته المَقهورَة في يَدِه و ذالك من أعْظَم الفِتْن التي بها يبتلى الله عباده و نَبْلُوكم بالشرِّ و الخيرِ فتنَةً و الينا يرجعون و هي امور تشبه ما كان الناس عليه حال بعثة الرّسول و في ذالك تنبيه لهم على أنّهم ليسوا من تقوى الله في شيء اذ عرفت أنّ مُجانبة الشُّبهة من لوازم التَّقوى فكان وقوعهم فيها مُستلزماً لسلب التَّقوى عنهم، ثمّ لما بيّن وقوعهم في البليّة كما كانت اقسَم بالقَسَم البارّ لينزلن بهم ثمرة ما هم فيه من عدم التناصر و اتباع الأهواء الباطلة الى آخر ما ذكره. ثمّ إنّ الشارح الخوئي (قده) تبعه فيه و اضاف عليه بان قال بعد قوله ليسوا من تقوى الله في شيء ما هذا اللفظه:

ولا على دين الحق ايام خلافة الثلاثة كما أنّهم لم يكونوا من اهل الديانة في ايام الفترة و يوم بعثة النبي ﷺ و اشارة الى أنّهم كما كانوا يومئذ مأمورين بالتمسك بأذيال النبوة كي يخلصوا من الكفر و الضلالة - فكذلك هؤلاء اليوم مأمورون باتباعه و الاقتباس من انواره ﷺ ليهتدوا بها في ظلمات الشبهات و مدلهجات الجهالة، انتهى.

اقول: ما ذكره في شرح العبارة و ان كان تاماً في حد ذاته الاّ أنّه لا ربط له بمراده ﷺ في هذا المقام.

و توضيح ذلك هو أنّ الامور المذكورة و الأوصاف المسطورة و ان كانت موجودة فيهم الاّ أنّه ﷺ كان بصد دبيان شيءٍ آخر غير ما ذكره لانيّ نشئت الآراء و تفرق الاهواء و عدم الألفة و الاجتماع في نصرة الله و غير ذلك مما ذكره لم تكن من الحادثات في زمان خلافته فقط بل كانوا مُتّصفين بها قبل خلافته ايضاً بل في زمان الرّسول ﷺ و هو واضح من ان يخفى على المتأمل المُتدرب فانّ كثرة المنافقين في عهد رسول الله ﷺ و المنكرين عليه بالقلب و اللسان مما هو ثابت قطعاً و كذا بعد موته ﷺ، اذلولاه لما انحرّفوا عنه ببيعتهم لا بي بكر اولاً" ثمّ لعمر ثانياً ثمّ لعثمان ثالثاً كلّ ذالك أدلّ دليل على

اختلاف آرائهم و نفاقهم و عَدَم اجتماعهم، و أَلْفَتهم في نصرَة دين الله.
و بعبارةٍ أُخرى، ائىُّ زمانٍ كانوا بغير هذه الاوصاف حتى صَحَّ له ﷺ ان يقول
ماقال في بدو خلافته.

و الظاهر انه عليه السّلام: قال بهذه المقالة في صدر خلافته و هو مُشعَرٌ بان
عَوْد الهَيْئَة تحقّق بعد خلافته ﷺ لاجلها مع انهم كانوا على هذه الأوصاف من
أوّل الأمر فمفهوم العبارة يشعر بعدم كونهم على هذه الاوصاف قبل خلافته ﷺ
و انما اتّصفوا بها بعدها و هو مخالف لما عليه اطباق العقول و النصوص.
و التّحقيق جسماً يؤدّى اليه النّظر الدّقيق هو انّ المقصود من البليّة التي
عادت ليس ما كانوا عليه من تَشَتّت الآراء و عدم الألفة و غيرهما في زمان
الجاهليّة فانّ هذا كانت سيرةٌ مُستمرّة لهم من اوّل الأمور ولا اختصاص لها
بايام خلافته ﷺ .

بل المراد من البليّة في المقام اجراء العدالة في تقسيم بيت المال و المساواة
بينهم فيه و عدم التّفاضل فيهم من هذه الجهة و بالأخرة اجراء الحكم
او الأحكام عليهم كما كانت في زمن النّبي ﷺ و تعبيره ﷺ بالعود لانّ العدل
بمعناه الواقعي في جميع الشّئون الاجتماعيّة بعد موت النّبي صلى الله عليه
وآله كان مُتفياً كما ترى و نرى في خلافة الخلفاء الثلاثة في الحقوق او غيرها و
لما ولى ﷺ الخلافة أجرى فيهم سنّة النّبي التي قد كانت متروكة في مدّة خمس
و عشرين سنة تقريباً و بعد خلافته عادت و رجعت السنّة النبوية و هذه هي
البليّة التي ابتلاهم الله بهما ليختبروا بها و يدلّ على ما ذهبنا اليه قوله ﷺ كهَيْئَتِها
يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّه و ذلك لأنهم كانوا يوم البعثة على خلاف الحقّ فانقذهم الله
بنبيّه ﷺ عن الضّلالة، و الجهالة ليهلك من هلك عن بنبيّه و يحيى من حى
عن بنبيّه فالنّبي ﷺ قد غير مسيرهم الباطل و اوردتهم مسير الحقّ.

فمنهم من تبعه صلى الله عليه و آله و سلّم واقعاً و منهم من لم يتبعه إلا
لساناً دون قلبه و هذه هي البليّة التي كانت في صدر البعثة التي بها امتحنتهم الله

و اختبرهم للايمان.

فهذه البليّة بعينها قد عادت لهم بعد ما ماتت مدّة مديدة في ايام الخلفاء الثلاثة فمنهم من نجى و منهم غرق و هلك فيها فالناجون هم التابعون له ﷺ و الهالكون هم المُدبرون عنه فما ذكره الخوئي في المقام من الآيات و الروايات لا ربط له بما نحن بصدده اذ ليس كلامنا في البحث عن ماهية البليّة و انها اى شىء هي بل البحث في ان البليّة المُعادة اى شىء هي و بين المعنيين فرق واضح و الله اعلم بحقائق الامور.

□ قوله ﷺ: وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلُبُنَّ بَلْبَةً، وَ لَتُغْرِبُنَّ غَرْبَةً وَ لَتَسَاطُنَّ سَوَاطِ الْقِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ اَسْفَلُكُمْ اَعْلَاكُمْ وَ اَعْلَاكُمْ اَسْفَلَكُمْ، وَ لَيَسْبِقَنَّ - سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوا، وَ لَيَقْصُرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا...

الواو لِلْقَسَمِ وَ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: بَعَثَهُ رَاجِعٌ اِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَ الْمَقْصُودُ اَنَّهُ ﷺ صَدَّرَ كَلَامَهُ بِالْقَسَمِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اَن قَوْلَهُ ﷺ صِدْقٌ وَ حَقٌّ لَامِرِيَةٌ فِيهِ وَ اَن مَاقَالَهُ ﷺ وَ اَخْبَرَهُ لَامِحَالَةٌ وَاقَعٌ وَ هُوَ امْرُؤٌ خَمْسَةٌ مَرْتَبَةً عَلَى عَوْدِ الْبَلِيَّةِ. اَحَدَهَا قَوْلُهُ ﷺ: لَتُبْلُبُنَّ بَلْبَةً...

قال في المنجد. بَلْبَلٌ بَلْبَةٌ وَ بَلْبَالٌ. الْقَوْمُ هَيَّجَهُمْ، اَوْ قَعَهُمْ فِي الْهَمِّ، اَلَا لِسَنَةِ خَلَطُهَا، اَلْاُمْتِعَةُ فَرَقُهَا. الْاِرَاءُ اَفْسَدَهَا.

و عليه فالمعنى لِتَخْلُطَنَّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ تَقْعَنَّ فِي الْهَمِّ، وَ الْاِحْزَانِ وَ وَسَاوِسِ الصُّدُورِ وَ تُصِيرَ اِرَائِكُمْ فاسدةً وَ ذَالِكُ لَانَّهُمْ وَقَعُوا فِي حُكُومَتِهِ وَ خِلَافَتِهِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ دَخَلَ لَهَا لَارَائِهِمْ وَ اَهْوَائِهِمْ وَ اَمِيَالِهِمْ كَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي خِلَافَةِ الْمَاضِيْنَ فَلَامِحَالَةٌ تَتَفَرَّقُ اِرَائِهِمْ فَمِنْهُمْ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ وَ مِنْهُمْ مَنْفِقٌ مُلْحِدٌ فَالْاَوَّلُ تَبَعَهُ وَالثَّانِي خَالَفَهُ وَ مِنْ الْمَعْلُومِ اَن الْمَخَالَفَ يَكُونُ مَوْصُوفًا بِفَسَادِ الرَّأْيِ وَ الْعَقِيدَةِ كَمَا اَنَّ الْمَوَافِقَ الْمُطِيعَ يَكُونُ جَيِّدَ الرَّأْيِ حَسَنَ الرَّوْيَةِ. وَ السَّرْفِيَّةُ اَنَّ النَّاسَ عَبِيدَ الدُّنْيَا وَ الْهَوَى فَاذَا كَانَ الْاِمَامُ وَ الْوَالِي - مِثْلَهُمْ فِي مَتَابَعَةِ الْهَوَى فَتَكُونُ الْكَلِمَةُ بَيْنَهُمْ وَاَحَدَةً بِاِلْخِلَافِ وَ لاشْتِقَاقِ لِانَّ الْوَالِيَّ

يَتَّبِعُهُمْ فِي كُلِّ مَا يَشْتَهُونَ وَ يُوَافِقُهُمْ فِي كُلِّ مَا يَمِيلُونَ.

و بعبارة اخرى: الوالى على الرعية لا يخلوا حاله من قسمين: اما ان يكون ظالماً سفاكاً و جائراً و اما ان يكون عادلاً مُجتنباً عن التعدى و الظلم هذا بحسب الواقع و اما بحسب الظاهر فيمكن فرض كونه مُنافقاً مُتلبساً بلباس العدل ظاهراً و مُتصفاً بالظلم واقعاً و هذا القسم ايضا داخل فيما ذكرناه بحسب الواقع فانّ المنافق ليس قِسماً مُستقلاً فى الواقع و ان كان فى الظاهر كذلك و على اى التقادير الامام اما ان يكون عادلاً واقعاً و ظاهراً اوليس كذلك.

فاذا كان الامام ظالماً او منافقاً فهو اَوْفَق بحال الأكثر من كونه عادلاً ضرورة انه لا يُجِبُّ العدل الا من كان عادلاً فى نفسه و حيث انّ الانسان - المتّصف بالعدالة قلماً يُوجد فى الناس فلاجرم اتباع الامام العادل لا يكون إلا قليلاً و هذا بخلاف الامام الظالم و المنافق حيث انه يُراعى الناس فى اهوائهم و عقائدتهم و آرائهم فىوافقونه و يوافقهم و المخالف للظلم حيث انه يكون نادراً قليلاً فى كل عصرٍ و زمانٍ اما ان يُقتل او يُحبس او يَضْرَب حتى يَسْكُت. فاما اميرالمؤمنين عليه السلام فانه حيث كان عادلاً حَسِناً فى ذات الله غير متوجهٍ الى آرائهم و اهوائهم و اميالهم فلا محالة لم يوافقوه فى اجراء العدل و الحق لكون هذه السيرة مخالفة لما هم عليه من متابعة الشيطان و هذا هو الذى صير الناس سُكارى و ما هم بسُكارى و لكن عدل على لشديد

و ثانيها قوله عليه السلام: وَ لَتَغْرِبَنَّ غَرْبَةً...

و هذه الجملة كسابقتها فى افاده المعنى المقصود فانّ التَّغْرِبُ اما من غَرِبَلِ الدَّقِيقِ اى نَحَلَه او من غَرِبَلَتِ اللَّحْمِ اى قَطَعْتَه.

فعلى الاول، يكون المعنى كالتَّبَلُّلِ لَانَّ غَرْبَةَ الدَّقِيقِ تَخْلِيطُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ. و على الثانى، يكون المعنى انه يَسْتَخْلَصُ الصَّالِحُ مِنْكُمْ مِنَ الْفَاسِدِ وَ يُتَمَيِّزُ

كما يَمْتَنِزُ الدَّقِيقُ عِنْدَ الْغَرْبَةِ هَكَذَا قَالُوا فى شرح العبارة.

والحق انّ المراد به شىءٌ آخر غير ما فهموه فانّ التَّغْرِبُ على المعنى الاول

اعنى غَرَبَلِ الدَّقِيقِ، لا يفيد خلط بعضه ببعض بل يُمَيِّزُ بعضاً من بعض الأثرى
 انَّ الغَرِبَالَ يُقَسِّمُ الدَّقِيقَ الى قسَمين: قسَم يَبْقَى فيه و قسَم يَخْرُجُ من منافذه
 فالرَّدى منه يَبْقَى والجَيِّدُ الحَسَنُ يَخْرُجُ فما يَخْرُجُ منه يَصْلِحُ للخُبزِ و ما يَبْقَى
 لا يَصْلِحُ.

اذا عرفتِ هذا فقولهُ ﷺ هذا استعارة من احسن الاستعارات، و ذلك
 لانه ﷺ شَبَّهَ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ و حُكُومَتَهُ عَلَيْهِمُ بِالْغَرِبَالِ و النَّاسِ بِالدَّقِيقِ فكما انَّ
 الدَّقِيقِ ما لم يَغْرُبَلْ لا يُتَمَيِّزُ جَيِّدَهُ من الرَّدى و ما يَصْلِحُ لِلاَكْلِ من غيرهِ
 فكذلك الرَّعِيَّةُ ما لم تَمْتَحِنُوا بِغَرِبَالِ العَدْلِ و الحَقِيقَةِ لا يُتَمَيِّزُ الجَيِّدُ اعنى
 المؤمن منهم من غير المؤمن هذا بنا على كونِ الغَرَبَلَةِ من غَرَبَلَةِ الدَّقِيقِ.
 و اما على المعنى الآخر اعنى كونها مأخوذة من غَرَبَلَتُ اللَّحْمِ، اى قطعته
 فقد قال الشَّارِحُ المَعْتَزَلِيُّ انه يستخلص الصَّالِحُ منكم من الفاسد و يُتَمَيِّزُ كما
 يَمْتاز الدَّقِيقُ عند الغَرَبَلَةِ انتهى.

اقول: الحقُّ انَّ الغَرَبَلَةَ اذا كانت مِاخُوذَةً من غَرَبَلَتُ اللَّحْمِ فالمراد بها ايضا
 غير ما ذكره لعدم المناسِبة بين القَطْعِ و بين تَمَيِّزِ الفاسد عن غيره الأعلى و جهِ
 بعيد بل المقصود قَطْعُ الحُومِ الفاسدة عن جَسَدِ الأَجْتِمَاعِ و عليه فالجُمْلَةُ ايضا
 استعاره و ذلك لانه ﷺ شَبَّهَ الخائنين الفاسدين باللُّحُومِ الفاسدة المُتَمَيِّنة التى
 لا بَدَ من قَطْعِهَا عن البَدَنِ لئلا تُفْسِدَ سائر الأجزاء اذا الاجتماع بِمَنْزِلَةِ البَدَنِ
 لِلإِسْلَامِ و المنافقين فيهم بِمَنْزِلَةِ الحُومِ الفاسدة، فقولهُ: لَتَغْرَبَلَنَّ غَرَبَلَةً يَمكُنُ ان
 يكون اشارة الى هذا المعنى والله اعلم.

و ثالثها قوله ﷺ: **وَلتَسَاطُنَّ سَوَاطِنُ القَدْرِ، حَتَّى يَعودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَ
 أَعْلَاكُمْ أَسْفَلُكُمْ...**

و هذا هو الأمر الثالث من الامور المُتَرْتِبَةِ قال المحقق البحرانى و تبعه على
 ذلك الخوئى ان تساطوكم تساط القدر الى ان يعود اسفلهم اعلاهم و
 بالعكس و استعار لفظ السَوَاطِنِ هينها مع غايته المذكورة لتصريف أئمة الجور

مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُ بِسَائِرِ اسْبَابِ الْأَهَانَةِ وَتَغْيِيرِ الْقَوَاعِدِ عَلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنْتَهَى.

وَأَنَا أَقُولُ: مَا ذَكَرَهُ (قَدَهُ) أَيْضاً لَا يَرْجِعُ إِلَى مُحْصَلٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْعِبَارَةِ وَسِيَاقَ الْكَلَامِ بِقَرِينَةٍ مَا قَبْلَهُ وَ مَا بَعْدَهُ مُشْعِرٌ بِأَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ عَمَّا سَيَقَعُ بِهِمْ فِي حُكُومَتِهِ وَخِلَافَتِهِ مِنَ الْأَخْتِبَارِ وَالْأَمْتِحَانِ بِالتَّبَلُّبِ وَالتَّغْرُبْلِ، وَامْتَالِهَاءِ، فَحَمَلُ كَلَامِهِ ﷺ عَلَى مَا يَقَعُ بِهِمْ فِي خِلَافَتِهِ الْخِلْفَاءُ بَعْدَهُ ﷺ بَعِيدٌ فِي غَايَةِ الْبُعْدِ وَ لَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ التَّكْلِفَاتِ الْبَعِيدَةِ فِي مَعْنَى الْعِبَارَةِ بَعْدَ امْكَانِ حَمَلِهَا عَلَى ظَاهِرِهَا بِلَا تَكْلِيفٍ .

فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا هُوَ أَنَّكُمْ سَتُقَلِّبُونَ قَلْباً يَشْبَهُ قَلْبَ الطَّعَامِ فِي الْقَدْرِ بِاخْتِلَاطِ بَعْضِ اجْزَائِهِ بَعْضاً حَتَّى يَعُودَ الْأَسْفَلُ إِلَى الْأَعْلَى وَ بِالْعَكْسِ .
وَ حَيْثُ أَنَّ عَوْدَ الْأَسْفَلِ إِلَى الْأَعْلَى وَ بِالْعَكْسِ يَنَافِي فِي الْعَدْلِ، وَ الْعَدَالَةِ فَإِنَّ مَقْتَضَى الْعَدْلِ هُوَ حِفْظُ الشُّيُونَ فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِهَا وَ عَدَمُ التَّعَدِي فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الشُّيُونَ بِنَحْوِ مِنَ الْأَنْحَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَكَيْفَ قَالَ ﷺ بِهَذَا الْكَلَامِ وَ هَذَا الْإِشْكَالُ هُوَ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى صَرْفِ اللَّفْظِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَ حَمَلِهِ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ الْمَتَّفَاهِمُ مِنْهُ فَلَا جَرْمَ ارَادُوا بِهِ مَعْنَى آخَرَ اعْنَى تَحَقُّقَ الْعَوْدِ إِلَى الْأَسْفَلِ أَوْ الْأَعْلَى فِي خِلَافَةِ غَيْرِهِ مِمَّنْ مَضَى أَوْ مِنْ يَأْتِي بَعْدَهُ .
وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ تَحَقُّقَ هَذَا الْمَعْنَى فِي خِلَافَتِهِ ﷺ لَا يَنَافِي مَقَامَهُ وَ عَدْلَهُ بَلْ يُؤَيِّدُهُ وَ يُقَوِّئُهُ .

وَ تَوْضِيحُ ذَلِكَ أَنَّ كَوْنَ الْأَسْفَلِ أَعْلَى وَ كَوْنَ الْأَعْلَى اسْفَلً يَتَصَوَّرُ عَلَى قَسْمَيْنِ: يَحْسِبُ الظَّاهِرُ فِي الْأَجْتِمَاعِ وَأَمَّا يَحْسِبُ الْوَاقِعُ فَلَا يَكُونُ الْأَعْلَى اسْفَلًا وَ بِالْعَكْسِ .

الْأَوَّلُ - أَنْ يَكُونَ هَذَا لِأَنْقِلَابِ بِحَقٍّ كَمَا إِذَا فَرِضْنَا أَنَّ شَخْصاً مِنْ الْأَشْخَاصِ حَازَ مَقَاماً شَامِخاً فِي الْأَجْتِمَاعِ وَ بَلَغَ حَظَّهُ الْأَوْفَى فِيهِ بِمَعَاوَنَةِ الْحُكُومَةِ الْجَائِرَةِ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي امْتَالِ هَذِهِ الْحُكُومَاتِ حَيْثُ أَنْ بَلُوغَهُمْ إِلَى

آمالهم و غاياتهم يتوقف على هذه الأيادي الكثيفة و دوام حكومتهم ظاهراً لا يمكن إلا باعتصامهم بحبل الشيطان و قطع ايادي الموءنين الصالحين عن الامور رأساً كما نرى هذه الروية المستمرة في الحكومات باسرها إلا ماشدً و نذر.

فاذا كان معاوية ابن ابي سفيان مثلاً حاكماً على المسلمين فلا بد من ان يكون زياد ابن ابيه و عمرو بن العاص و امثالهما من حكامه و اياديه حتى يتمكن بهم من اجراء السب و القتل و النهب و غيرها و امّا امثال عمرو ابن الحمق و حُجرا بن عدى فيقتل او يُحبس او يُحقر في الاجتماع ففي مثل هذه الحكومات لا جرم يصير الحَقير شريفاً و الشريف حقيراً فامثال زياد بن ابيه يصير امراً و امثال حُجرا بن عدى قتيلاً او ذليلاً.

فاذا تبدلت هذه الحكومة بالحكومة الالهية الانسانية التي تعطي كل ذي حق حقه فلا بد من الحاكم ان يعكس الأمر يجعله الأعلى اسفل و الأسفل اعلى كما هو مقتضى العدل و هذا هو الذي يعبر عنه بالانقلاب على طريق الصواب.

الثاني - ان يكون الانقلاب بغير حق كما اذا عكس الأمر في الفرض المذكور كما اذا انقرض الحاكم العادل و اسست حكومة الجور ففي هذه الصورة يصير الشريف وضيعاً و الوضيع شريفاً.

اذا عرفت هذا فنقول:

لَمَّا كَانَ الْأَمْر بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى زَمَانِ خِلَافَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِ غَيْرِهِ وَ أَنَّهُمْ لَمْ يُرَاعُوا فِي حُكُومَاتِهِمْ حَقَّ الرَّعَايَةِ فَحَقَّرُوا الشُّرَفَاءَ الْعُظَمَاءَ وَ عَظَّمُوا الْفُسَّاقَ وَ لَا سِيَّمَا فِي حُكُومَةِ عَثْمَانَ فَإِنَّ الْأَرَاذِلَ وَ الْأُوبَاشَ كَمَعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَ ابْنَ عَامِرٍ وَ ابْنَ أَبِي السَّرْحِ وَ وَليدَ ابْنِ عَقْبَةَ وَ مَرْوَانَ ابْنَ الْحَكَمِ وَ امثالهم من الأشقياء قد اصحبوا إعزةً و حُكماً على المسلمين و استولوا على نفوسهم و اموالهم و غير ذلك و امّا الأخيار و الصالحين فقد باتوا في زوايا الخمول و لم يقدرُوا على حفظِ اموالهم و عرضهم و شئونهم كما هو الظاهر من سيرته، و رويته التي

صارت باعثةً على هُجُوم المسلمين عليه و قتلهم آياه و مَنعهم عن دفنه
ثلاثة أيام.

فلما صارت أُمور المُسلمين بيده عليه السلام بعد قتل عثمان و المفروض أنه كان
عادلاً تابعاً لسُنَّة النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله تاركاً لسُنَّة أبي بكر و عُمر و عثمان فأعلمهم و
اخبرهم بهذا الكلام و هو أن من كان في خلافة عثمان و غير عثمان من الأعزّه
بزعمهم فهو يُعود في هذه الحكومة الى ما كان عليه من الذلّة و الحقارة و من
كان في ذلك الزّمان بسبب ايمانه و زهده مُحَقَّراً بزعم الخلفاء الثلاثة كعمار
ابن ياسر و مالك ابن الأشتر و عبدالله ابن عباس و صعصعة ابن صوهان و
امثالهم من الأتقياء فهو يُعود الى ما كان عليه عندالله و رسوله من الشرف و
العزّة اذا العزّة لا تكون الا لله و رسوله و المؤمنين و هذا معنى عود الأسفل
أعلى و عود الأعلى اسفل و لا جل هذه الدقّيقة عبّر عليه السلام بالعود و لم يُقل حتى
يُصير اسفلكم اعلاكم مثلا اذا اسفل لا يُصيرا على حقيقة و بالعكس مع انه
ينافى المقصود فمعنى عود الأسفل أعلى و عود الأعلى اسفل هو رجوع كل
واحدٍ منهما الى ما كان عليه بمقتضى لياقته و دينه و شرفه و العدل لا يقتضى
الا هذا ففي حكومته عليه السلام لا يكون لمعاوية و وليد و طلحة و ابن ابى السرح و
غيرهم نصيب لعدم لياقتهم و العجّب من الشّارح المحقّق البحراني (قده)
حيث لم يتوجّه الى هذه الدقّيقة و حمل الكلام على غير ما هو عليه ظناً منه انه
ينافى عدله و حسن سيرته و لم يتفطن أنّ عود الأعلى الى الأسفل الذى هو من
شئون العدالة غير صيرورة الأعلى اسفل و الأسفل أعلى فالثانى لا يناسب شأنه
دون الاوّل هذا.

ورابعا قوله عليه السلام: و لَيْسَ بَقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرَ و ...

قالو فى شرح الجملة المراد بهم من كان مُقَصِّراً فى نصرته بعد الرسول
صلى عليه و آله و سلّم ثمّ نصرّوه فى ولايته و قاتلوا معه فى سائر
حروبّه، انتهى.

و خامسها قوله ﷺ: وَلْيُقْصِرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا...
قالوا و هم الذين كانت لهم سابقة في الإسلام ثم خذلوه و انحرفوا عنه
كاصحاب الجمل و الشام و اهل النهروان انتهى.

اقول: ما ذكروه في شرح هاتين العبارتين لا بأس به و قد ذهب الشارح
البحراني (قده) بعد نقله ما نقلناه من الشراح ما هذا الفظه قال:
و يشبه ان يكون مراده اعم من ذلك فالمقصرُونَ الذين يسبقون كل من
اخذت الغاية الالهية بيده و قاده زمام التوفيق الى الجد في طاعة الله و اتباع
سائرا و امره و الوقوف عند نواهيه و زواجه بعد تقصير في ذلك و عكس
هوءاء من كان عليه و سلك به الشيطان مسالكة فاستبدل بسبقه في الدين
تقصيراً و انحرفاً عنه انتهى.

اقول: و لا يبعد ان يكون مراده ﷺ ان من كان مقصراً في بيعتي في الأزمنة
الماضية بعد الرسول ﷺ با يعنى و هم جل المهاجر و الأنصار و من كان له
سابقة في الإسلام بكونه من المهاجرين الاولين لم يبا يعنى كسعد ابن ابى
وقاص و عبدالله ابن عمرو و اسامة ابن زيد و غيرهم و الله اعلم بحقائق الامور.
□ قوله ﷺ: وَاللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشِمَّةً وَ لَا كَذِبْتُ كَذِبَةً...

يمكن ان يقرأ (كتمت و كذبت، بضم الكاف و كسر التاء و الذال بالبناء
للمفعول و يمكن التباء على الفاعل فعلى الاول يكون المعنى لم يكتُم منى
رسول الله ﷺ كلمة و علامة كان يجب عليه اظهاره و على الثانى فالمعنى لم
أكتُم شيئاً مما يتعين على اظهاره به من كلمة او اثر او علامة و كذا الكلام في
قوله ﷺ: و لا كذبت كذبة...

والمقصود من هذا الكلام هو الاشعار بان ما اخبرهم به يكون حقاً و انه
واقع لا محالة و ذلك لانه ﷺ قد تلقاها من مصدر النبوة و دوحه الرسالة و لا
جل هذا صدر كلامه بالقسم و ذكر اسم الجلالة.

□ قوله ﷺ: وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ...

اي انبئنى رسول الله ﷺ بهذا المقام و هو مقام اجتماع الخلق عليه بعد قتل عثمان و يوم بيعتهم له ﷺ و فيه ايماء منه ﷺ الى ان سكوته و عدم قيامه بعد النبى ﷺ و قعوده فى بيته كل ذلك كان بعهد منه ﷺ اليه فهو كان عالما بما سيقع بعد الرسول من اعراض الامة عنه و اقبالهم الى غيره.

□ قوله ﷺ: **الْأَوَانُ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمَلٌ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ خُلِعَتْ لُجْمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ...**

و هو من احسن الاستعارات حيث انه ﷺ شبه الخطايا بالفرس الشموس و وجه الشبه هو ان الفرس الشموس التى خلع لجامها كما انها تجرى على غير نظام و تتقحم بصاحبها فى المطالب و المهالك فكذلك الخطيئة تجرى راجها بركوبه على غير نظام الشريعة فتورده اعظم موارد الهكّة و هى نار الجحيم ا لمعدة للمؤمنين والغرض منه هو انه كما ان الفرس الشموس شأنه كذا فالخطايا و المعاصى ايضا كذلك و قد دلت عليه الآيات و الآثار فمن الآيات: قال الله تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (١)

و: **﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسِيهِمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾** (٢)

والآيات الواردة فى باب الوعيد كثيرة:

قال الله تعالى: **﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةٌ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** (٣)

و: **﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾** (٤)

و: **﴿وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾** (٥)

و: **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ**

٢. الاعراف - ٥٠.

٤. النساء - ٦٢.

١. الاعراف - ٣٤.

٣. البقرة - ٨١.

٥. النساء - ١١١.

بِمَا عَصَاوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾

و : ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْأَثَمِ وَ بَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَثَمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢)

و : ﴿وَ لَا يَرِدُ بِأُسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٣)

و : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٤)

و : ﴿كَذَابِ الْفِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (٥)

و : ﴿لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٦)

و : ﴿وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَ جُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧)

و : ﴿وَ مَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (٨)

و غير ذلك من الآيات.

أما الآثار

منها - مارواه المجلسي (قده) باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل فما اصبرهم على النار فقال ما اصبرهم على فعل ما يعلمون انه يصيرهم الى النار، انتهى «بحار الانوار، ج ١٦، ص ١٢٤، باب الذنوب، ط كمياني»...

و منها - ما رواه ايضا في البحار باسناده عن ابي جعفر قال عليه السلام: الذنوب كلها شديدة و اشدّها ما نبت عليه اللحم و الدّم لانه إمّا مرحوم او مُعذب و الجنّة لا يدخلها الا طيب، انتهى «ص ١٢٥»...

٢. الانعام - ١٢٠.

٤. الاعراف - ١٦٦.

٦. الانفال - ٥٣.

٨. الجن - ٢٣.

١. المائدة - ٧٨.

٢. الانعام - ١٤٧.

٥. الانفال - ٥٢.

٧. التمل - ٩٠.

و منها - مارواه باسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول اتَّقُوا الْمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا طَالِباً يَقُولُ احْكُمِ اذْنِبُ، و استغفر الله الحديث «ص ١٢٧»...

و منها - مارواه ايضاً باسناده عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام اذا اذنب خَرَجَ من قلبه نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَاِنْ قَابَ زَالَتْ و ان زاد زادت حتى تَغْلِبَ على قلبه فلا يفلح بعدها ابداً، انتهى «ص ١٢٨»...

و منها - ما عن الصادق عن آباءه عليهم السلام قال رسول الله عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِي من اطعام مَخَافَةِ الدَّاءِ كَيْفَ لَا يَحْتَمِي من الذُّنُوبِ مَخَافَةَ النَّارِ «ص ١٣٤»...

و منها - مارواه ايضاً باسناده عن ابي عبدالله قال عليه السلام كان ابي يقول ما شَيْءٌ افسَدَ للقلب من الخَطِيئَةِ اِنَّ القلبَ لِيَوَاقِعُ الخَطِيئَةَ فما تزال به حتى تَغْلِبَ عَلَيْهِ فيصير اسفله اعلاه و اعلاه اسفله انتهى «ص ١٣٥»...

والاحاديث في هذا الباب ايضاً كثيرة و سيأتي من تفصيلاً منها في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.

تذكرة دينية

اعلم: ان في هذه الجملة من حيث الاستعارة نكات و لطائف لا بأس بالأشارة الى بعضها:

احدها: انه عبّر في المقام بالخطاء يا دون الذنوب و ذلك، لأن الخطايا جمع خطيئة و هي مأخوذة من الخطاء و قيل هي الاسم منه قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^(١)

والخطاء، العُدُولُ عن الجَهَّةِ و ذلك على اقسام:

احدها: ان يريد غير ما تحسن ارادته فيفعله و هذا هو الخطاء التام المأخوذ به الإنسان يقال خطأ بخطأه، قال الله تعالى، اِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً و قال ايضاً

و ان كنا لخطائين.

وثانيها: ان يريد ما يَحْسُن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال اخطأ اخطأ فهو مُخطيء و هذا المَعْنَى بقوله ﷺ رُفِعَ عَنِ امْتِي تِسْعَةٌ وَعَدَّةٌ مِنْهَا الْخَطَاءُ وَالنِّسْيَانُ وَ بِقَوْلِهِ مَنْ اجْتَهَدَ فَاخْطَأَ فَلَهُ اجْرُهُ وَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مُوْءِماً خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (١)

وثالثها: ان يُريد ما لا يَحْسُن فعله و يتَّفَقُ منه خلافه فهذا مخطيء في الأرادة و مصيبٌ في الفعل فهو مذموم بقصده و غير محمودٍ على فعله و هذا المعنى هو الذي اراده في قوله:

اردت مسائتي فأجرت مسرتي

و قد يَحْسُنُ الإنسان من حيث لا يدري

و جُملة الأُمْرَانِ من اراد شيئاً فَاتَّفَقَ مِنْهُ غَيْرُهُ يُقَالُ اَخْطَأَ وَ اِنْ وَقَعَ مِنْهُ كَمَا اراده يُقَالُ اصَابَ ثُمَّ اِنْ الْخَطِيئَةُ وَالسَّيِّئَةُ تَتَقَارِبَانِ لَكِنَّ الْخَطِيئَةَ وَالسَّيِّئَةَ أَكْثَرُ مَا تُقَالُ فِيهَا لَا يَكُونُ مَقْصُوداً إِلَيْهِ فِي نَفْسِهِ بَلْ يَكُونُ الْقَصْدُ سَبَباً لِتَوْلُدِ ذَلِكَ الْفِعْلِ مِنْهُ كَمَنْ يَرْمِي صَيْدًا فَاصَابَ إِنْسَانًا أَوْ شَرِبَ مَسْكَرًا فَجَنَى جُنَايَةً فِي سُكْرِهِ وَ السَّبَبُ سَبَبَانِ سَبَبٌ مُحْظُورٌ فَعَلَهُ كَشَرِبَ الْمَسْكَرَ وَ مَا يَتَوْلَدُ عَنْهُ مِنَ الْخَطَاءِ غَيْرِ مُتَجَافٍ عَنْهُ وَ سَبَبٌ غَيْرِ مُحْظُورٍ كَرَمَى الصَّيْدَ وَالسَّرْفِيَةَ اِنْ الْأَمْتِنَاعَ بِالْأَخْتِيَارِ لَا يِنَافِي الْأَخْتِيَارُ وَالْأَوَّلُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ بِخِلَافِ الثَّانِي كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ الْآيَةَ﴾ (٢)

و قال ايضا و من يكسب خطيئةً او اثماً الآية (والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين) و قوله (تغفر لكم خطاياكم) و امثال ذلك من الآيات قاله الراغب في مفرداته.

اذا عرفت هذا فاعلم ان المراد بقوله ﷺ أَلَا وَ اِنْ الْخَطَايَا الْخُ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ فِي آخِرِ الْجُمْلَةِ فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ وَ مِنْ الْمَعْلُومِ اِنْ

القسمين الاخرين ليسا كذلك.

وثانيها: انه عليه السلام قال ألا و ان الخطايا خيل شمس، و لم يقل كخيل شمس او كالخيل مثلأ بحذف الكاف المفيدة للتشبيه مع ان الكلام استعارة و تشبيه حيث انه شبه الخطايا بالخيل.

والسر فيه هو ان التشبيه ان ادبته بحرف التشبيه نحو زيد كاسد فهو اضعف تشبيهاً من المحذوفة اداتها و يقال زيد اسد و ذلك، لأن الثاني يفيد الحمل بهو هو بخلاف الاول و مفاده ان المحمول عين الموضوع و بالعكس مصداقاً و وجوداً و ان تغايراً مفهومهما فهو من قبيل المبالغة في التشبيه نحو زيد عدل فالكلام مشعر بان الخطايا و الخيل الشمس و ان كان مفهومهما متغايرين الا ان مصداقهما و وجودهما واحد ادعاءً فكأنه لا فرق بينهما و هو كذلك فان الركوب على الفرس الشمس التي خلع لجامها يجعل الراكب عليها في معرض الهلاك و الدثار و كذلك الركوب على الخطايا اعنى متابعة النفس الأمانة حيث انه يوجب دخوله في العذاب السرمد بلا كلام.

و ثالثها: انه شبه الخطايا بالخيل الشمس و لم يشبهها بالأفراس مع ان المراد منها ايضا الأفراس كما ذهب اليه الشراح.

والسر فيه ان الخيل في الاصل ليس اسماً للأفراس وحدها كما توهم بل الخيل في الاصل اسم لها و للفرسان جميعاً و على ذلك قوله تعالى و من رباط الخيل، و يستعمل في كل واحد منهما منفرداً نحو ما روى عن ابن سعد لعنه الله في يوم العاشر من المحرم يا خيل الله اركبي و بالجنة ايشري فهذا للفرسان و قوله عليه السلام: عفوت لكم عن صدقة الخيل يعنى الأفراس.

فقوله عليه السلام: في المقام يحتمل ان يراد منه كلا المعنيين:

اما الاول: اعنى كون المراد الأفراس فقد مر ذكره و عليه حملوا كلامه

عليه السلام.

واما الثاني: اعنى الفرسان فالوجه فيه هو ان الفرسان على قسمين:

قسم منهم اطلق عنان غضبه و تابع النفس الامارة و الشيطان في المعركة تحصيلاً للشهرة كما هو شأن اكثر الفرسان بل جلهم لو لم يكن كلهم و قسم و هم القليلون المعصومون عن الذنوب و متابعة الهوى فانهم لم يطلقوا عنان غضبهم ابداً بل يقتلون و يقتلون قربة الى الله كما روى ان امير المؤمنين عليه السلام مع كمال شجاعته و قدرته حين قتل عمرو بن عبدود و اراد جزأ رأسه تفل لعنة الله عليه في جبينه عليه السلام فغضب و لم يقطع رأسه حين الغضب و قام عن صدره و مشى، ثم عاد ثانياً و قطع رأسه فلما سئل عنه عليه السلام عن علة القيام عن صدره اجاب عليه السلام بما حاصله اني خفت في ذلك الوقت ان يدخل الغضب في عملي فلا يكون قربة الى الله و خالصاً لوجهه الكريم ففعلت ما فعلت.

و عليه فالمعنى ان الخطايا مثلها مثل الشجعان و الفرسان الذين لا يملكون غضبهم و اهوائهم فكما ان الشجاعة مع هذه الأوصاف مسيرها الى النار فكذلك الخطايا والله اعلم.

ورابعها: انه و صف الخيل بقوله شمس و الشمس من الخيل يمنع ظهره و لا يكاد يستقر و الشمس من الرجال الصعب الخلق و على كل حال غرضه ان العاقل لا يركب مركباً كان مسيره الى الفناء و الدثور فان المركب للانتفاع لأستضرار والغرض من الركوب عليه البلوغ الى الغاية و الوصول الى المقصد والغاية من خلقة الموجودات و لا سيما الانسان منهم الوصول الى الكمالات الصورية و المعنوية فلا بد للانسان العاقل ان ينتخب لنفسه مركباً يوصله الى هذه الغاية و هو التقوى لا غير كما ان الغرض من ركوب المراكب الصورية في الدنيا البلوغ و الوصول الى المقاصد المنظورة فاذا ركب الفرس الشمس الموصوف بالصفات المذكورة كيف يمكن له الوصول الى المقصد.

و خامسها: انه قال فتفحمت بهم في النار و لم يقل فتدخلهم النار لأن الاقتحام على ما قال الراغب توسط شدة مخيفة.

قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (١)

هذا فوج مُقْتَحِم. ثم قال وَقَحَمَ الفرس فارسه توَعَّلَ به، ما يخاف عليه، و قَحَمَ فلان نفسه فى كذا من غير رَوِيَةٍ، والمُقَاحِم الذين يَقْتَحِمُونَ فى الأمر.
قال الشاعر: مقاحيم فى الأمر الذى يَتَجَنَّب انتهى.

و عليه فالمقصود إنَّ الرُّكوب على الخيل المَوْصُوف بتلك الأوصاف كما أنه يُورد صاحبه فى الهلكة فكذلك ارتكاب المعاصى يورد صاحبه موارد الهلكة من حيث لا يحتسب و يوقعه فيما يخاف منه و هذا بخلاف الدخول فإنَّ التَّغْيِير به لا يفيد هذا المعنى الذى ذكرناه.

□ قوله ﷺ: أَلَا وَإنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ أُعْطُوا أَرِزْمَتَهَا فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ...

و هذه الجملة كسابقتها فى كونها تشبيهاً و استعارةً و مقابلةً لها طابق النعل بالنعل و حاصل الكلام أنه ﷺ قد شبه التقوى بالمطية الذلول التى زمامها بيد راکبها فكما أنها تتحرك براكبها حيث شاء على رفقٍ و نظامٍ و يصرفها الراکب من اجل كون زمامها بيده عن المهالك و يسير بها الى المقاصد.

فكذلك التقوى فإنَّ صاحبها من حيث كون زمامها اعنى الحدَّ الشرعى بيده فلا جرم يسهل له السلوك الى الصراط المستقيم و التمكن من الفوز بالسعادة الأبدية و الوصول الى اقصى مراتب الكمالات و الدخول فى الجنة التى عرضها السموات و الارض أعدت للمتقين.

ثم انَّ البحث يقع فى مقاصد:

المقصد الاول: فى معنى التقوى و ماهو المراد منها فى الآيات، والآثار.

اعلم: انَّ التقوى حفظ النفس عن مخالفة أمر الله جلَّ جلاله و ارتكاب ما نهى عنه. قال الله تعالى: ما اتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله، و هى جماع الخير كله و لا خير فىمن ليس بمتقى البتة و لما كان

مُتَعَلِّقًا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ فَيَكُونُ لَهَا مَرَاتِبُ أَعْلَاهَا التَّقْوَى فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ بَانَ
يَعْتَقِدَانَهُ تَعَالَى أَحَدًا لَا يُشْنَى وَلَا يُجْزَى قَائِمٌ بِنَفْسِهِ غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ قَدِيمٌ يَتَعَالَى
عَنْ دَرَكِ جَمِيعِ خَلْقِهِ بِكُلِّ وَجْهِ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ
اللطيف الخبير.

و فِي صِفَاتِهِ بَانَ يَعْتَقِدَانَهُ بِوَحْدَتِهِ الْوَاحِدِيَّةِ مُتَجَلٍّ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ لَمْ
يَتَجَلَّ بِهَا غَيْرُهُ وَ لَيْسَ بِمُتَّصِفٍ لَهَا سِوَاهُ وَ لَا خَالِقٌ وَ لَا رَازِقٌ غَيْرُهُ وَ هَكَذَا
فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فَهِيَ أَوْلَى بِكُلِّ كَمَالٍ كَوْنِيٍّ عَامٍّ أَوْ
شَرَعِيٍّ خَاصٍّ مِنْ صَاحِبِهِ وَ يَجْتَنِبُ عَنْ أَنْ يَعْتَقِدَانَهُ يَشْبَهُهُ شَيْءٌ أَوْ يَشْرِكُهُ
شَيْءٌ فِي صِفَتِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ أَوْلَى بِصِفَةِ كَمَالٍ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

فَمَنْ اجْتَنَّبَ عَنْ اعْتِقَادِ بَانَ فِي مَلِكِهِ خَالِقًا غَيْرَهُ وَ رَازِقًا وَ مُحِييًا وَ مُمَيَّتًا
سِوَاهُ فَلَا يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ عِدَاهُ وَ لَا يَرْجُو أَحَدًا غَيْرَهُ وَ لَا يَتَوَكَّلُ عَلَى أَحَدٍ دُونَهُ
وَ لَا يَرَى لِحَاجَتِهِ قَاضِيًا وَ لَا فِي الْمُلْكِ مُحْرَكًا وَ مَغْيِرًا غَيْرَهُ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا
قُوَّةَ الْآيَةِ .

فَلَا مَحَالَةَ يَعْتَقِدُ بَانَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمَطْلُوقُ وَ الْمَقْصُودُ الْحَقُّ فَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ
فَلَا يَشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا وَ لَا يَقْصُدُ شَيْئًا فَيُقِمُّ وَجْهَهُ لَدِينِهِ حَنِيفًا وَ لَا يَعْمَلُ
ابْتِغَاءَ رِضَا غَيْرِهِ وَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَعْبُدُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَ وَ شَاءَ فَيَرَى حَالَ الْعِبَادَةِ انْطَوَاءً
تَحْتَ الْأَحَدِ، ثُمَّ يَقْصُدُ وَجْهَهُ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ فَإِنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ مِمَّا دُونَ
عَرْشِهِ إِلَى قَرَارِ أَرْضِ السَّابِقَةِ السُّفْلَى بَاطِلٌ عَاطِلٌ مَآخِلًا وَجْهَهُ الْكَرِيمُ فَإِنَّهُ اعْزَّ
وَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَصِفَهُ الْوَاصِفُونَ كُنْهَ جَلَالِهِ أَوْ تَهْتَدِي الْقُلُوبُ إِلَى كُنْهِ عَظَمَتِهِ وَ
يَتَوَجَّهُ إِلَى بَابِهِ الَّذِي فَتَحَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَ يَرْفَعُ إِلَيْهِ يَدَ الْأَسْتِكَانَةِ وَالْأَبْتِهَالِ وَ يَشْنَى
عَلَيْهِ بِصِفَاتِهِ وَ يَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَ لَا يَكُونُ قَاصِدَهُ إِلَّا بِلُغَةِ رِضَاهِ وَ
شُكْرِهِ وَ ثَنَائِهِ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَجِيبٌ لِلشُّكْرِ وَالْأَسْتِرْضَاءِ وَ إِدَاءِ حَقِّهِ لِأَجْلِ الْمَزِيدِ
وَالْتَقَرُّبِ إِلَيْهِ لِلْأَسْتِكْمَالِ وَالْإِسْتِيْلَاءِ وَ نَيْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ

الجَّحِيمِ وَ لَا يَصْرَفُ نَظْرَهُ عَنِ جِهَاتِ عِبَادَتِهِ وَ يَجْعَلُهَا نُصَبَ عَيْنِيهِ .
 ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوَى فِي مَعْرِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَرْتَبَةِ الْبَيَانِ بَانَ يَعْرِفُهُ بِأَنَّهُ
 تَوْصِيْفُ اللَّهِ نَفْسَهُ لَخَلْفِهِ بِهِ وَ وَجْهَ مَعْرِفَتِهِ الَّذِي بِهِ يَعْرِفُ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ
 التَّعْرِيفِ بِهِ عُرْفُ اللَّهِ وَ لَوْلَا مَا عُرِفَ فِي عِبَادَتِهِ بِهِ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَ بِأَنَّهُ مَعَانِي
 أَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ ظَوَاهِرُهَا اخْتِرَاعُهُ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ وَ فَوْضُ إِلَيْهِ أُمُورَ عِبَادَتِهِ فَهُوَ
 الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُ وَ الْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُ عَلَيْهِ وَ أَنَّهُ بَابُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ مِنْهُ يَنْزِلُ
 جَمِيعُ مَا يُنْزَلُ مِنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَ بِهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَ مِنْهُ يَصْعَدُ جَمِيعُ مَا يَصْعَدُ مِنْهُمْ
 إِلَيْهِ وَ يَهْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَ إِلَيْهِ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمْ وَ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ
 الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ أَنَّهُ أَمَامُ الْخَلْقِ وَ قُطْبُهُمْ وَ مَرْكَزُ دَائِرَتِهِمْ عَلَيْهِ تَدُورُ
 الرُّوحَى وَ إِلَيْهِ يُشَدُّ الرِّجَالُ فَيَجِبُ امْتِثَالُ أَمْرِهِ، وَ اجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ فَأَنَّهُ ﷺ
 مَظْهَرُهُ أَلَاتِمُ وَ مَجْلَاهُ الْأَكْمَلُ امْتِثَالُ أَمْرِهِ امْتِثَالُ أَمْرِ اللَّهِ وَ نَوَاهِيهِ نَوَاهِيهِ
 إِذْ لَا أَمْرَ وَ لَا نَهْيَ لَهُ غَيْرَ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ وَ يَجِبُ تَصْدِيقُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ وَ أَخْبَرَ عَنْهُ
 مِنْ وَعْدٍ وَ وَعِيدٍ وَ غَيْبٍ فِي أُمُورِ الْمَوْتِ وَ الْبَرَزِخِ وَ الْقِيَمَةِ وَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ وَ
 يَجِبُ التَّأْسَى بِهِ اقْتِدَاءً بِأَثَرِهِ وَ اتِّبَاعَ أَمْرِهِ وَ إِثَارَ ذَاتِهِ عَلَى ذَاتِهِ وَ عِزَّتِهِ
 عَلَى عِزَّتِهِ .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوَى فِي مَعْرِفَةِ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَانَ يَعْرِفُهُمْ بَعْدَ
 نَبِيِّهِ ﷺ فِي الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ عَلَى مَا مَرَّفَاتُهُمْ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ وَ يَعْرِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ
 خُلَفَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهُ وَ أَوْصِيَاءَهُ وَ حُجَجُ اللَّهِ الَّتِي بِهِمْ احْتَجَّ عَلَى خَلْقِهِ
 فِتْيَاسَى بِهِمْ وَ يَقْتَدِي بِهُدْيِهِمْ وَ يُوَالِيهِمْ وَ يُعَادِي أَعْدَائِهِمْ وَ يَتَّبِعُ مِنْهُمْ مَنْ
 ذَوَاتِهِمْ وَ صِفَاتِهِمْ وَ أَعْمَالِهِمْ وَ أَقْوَالِهِمْ وَ أَحْوَالِهِمْ وَ يَجَانِبُهُمْ، وَ
 يَجَانِبُ مَنْ مَالِ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَتَشَبَّهُ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَ بِالْجُمْلَةِ يَتَّبِعُ
 سَادَتَهُمْ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرُوا بِهِ وَ نَهَوْا عَنْهُ .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوَى فِي أَوْلِيَانِهِمْ بَانَ يُوَالِي أَوْلِيَانَهُمْ وَ أَعْدَائِهِمْ وَ يِعَادِي
 أَعْدَائِهِمْ بِانْفَاقِهِ عَلَى الَّذِينَ دُونَهُ مِنْ فَضْلِ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ جَاهٍ، وَ قُوَّةٍ وَ مَالٍ وَ يَبْرَ

عليهم و ينظر اليهم نَظْرَ رَحْمَةٍ و شَفَقَةٍ يَرْفُقُ بِهِمْ و يَعْفُوا عَنْ مَسِيئَتِهِمْ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرُوهُ فِي الْآثَارِ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوَى فِي امْتِثَالِ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ وَالْإِئِمَّةِ مِنَ الْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي فَيَلْتَزِمُ الْفَرَائِضَ وَ يَجْتَنِبُ الْمَحْرَمَاتِ وَ يَعْمَلُ بِالْمُسْتَحَبَّاتِ وَ يَتْرَكُ الْمَكْرُوهَاتِ مَا امْكُنَ وَ يَرْتَكِبُ الْمَبَاحَاتِ لِأَجْلِ إِبَاحَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ رَسُولِهِ أَيَّاهَا.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوَى فِي الْأَخْلَاقِ النَّفْسَانِيَّةِ بِالِاتِّصَافِ بِالسَّمَاخَةِ وَ الشَّجَاعَةِ وَ الْحِلْمِ وَ الرَّفْقِ وَ الصَّبْرِ وَ امْتِثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْمَكَارِمِ الَّتِي هِيَ مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَ الْاجْتِنَابِ عَنْ اضْدَادِهَا مِنَ الشَّيْطَانِيَّةِ وَ الْبَهِيمِيَّةِ وَ النَّبَاتِيَّةِ وَ الْجَمَادِيَّةِ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوَى فِي الْخُلُقِ بَانَ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْعَدْلِ وَ الْإِنصَافِ وَ يَسِيرُ فِيهِمْ بِالْمُرُوءَةِ وَ الرَّأْفَةِ وَ يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الرَّبُّوبِيَّةِ فِي الْمَرْبُوبِينَ فَيُرَافُ بَضِيْفِهِمْ وَ يَشْفَقُ عَلَى صَغِيرِهِمْ وَ يُوقِرُ كَبِيرَهُمْ وَ يَعْطِفُ عَلَى جَمِيعِهِمْ وَ يَعْدِلُ فِي الرَّعِيَّةِ وَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ وَ لَا يَظْلِمُهُمْ قَوْلًا وَ فِعْلًا وَ يُؤَدِّي إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَ يَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يَعْفُوا عَنْ مَسِيئَتِهِمْ وَ يُعْرِضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَذَابِ الَّتِي آدَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَ سَلَكَ بِهَا فِي خَلْقِهِ وَ الْوَجُوهِ فِي التَّقْوَى كَثِيرَةٌ هَذِهِ أَجْمَالُهَا مِنْ تَفْصِيلِهَا وَ بَعْدَ اللَّتَاوِ الَّتِي يَدُورُ جَمِيعُ أَقْسَامِ التَّقْوَى عَلَى ثَلَاثَةٍ هِيَ جَامِعُ الْأَقْسَامِ كُلِّهَا.

أَحَدُهَا: تَقْوَى اللَّهِ فِي مَعَامَلَتِهِ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

ثَانِيهَا: تَقْوَى اللَّهِ فِي نَفْسِهِ.

ثَالِثُهَا: تَقْوَى اللَّهِ فِي عِبَادَتِهِ وَ قَدْ أَشَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ

الْثَلَاثَةَ فِعَالٍ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ .

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَ هِيَ تَقْوَى اللَّهِ فِي اللَّهِ.

ثُمَّ اتَّقُوا وَ آمَنُوا، وَ هُوَ تَقْوَى اللَّهِ فِي النَّفْسِ، ثُمَّ اتَّقُوا وَ احْسَنُوا وَ هُوَ تَقْوَى اللَّهِ

فى عباده، فاذا تصف بهذه الصفات الكريمة التى مر ذكرها و حفظ نفسه عن تركها و فعل اضدادها دخل فى عرصة المتقين الذين اعد لهم جوار رب العالمين واستوجب من الله المحبة كما قال تعالى: ﴿بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين﴾ (١)

و كفى به فخراً للمؤمنين الولاية لقوله تعالى: ﴿ان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين﴾ (٢)

و كفى لهم بها عزاً و شرفاً و كفاية.

معية الله سبحانه بلا نهاية كما قال الله تعالى: ﴿واعلموا ان الله مع المتقين﴾ (٣)

و ذلك مقام لا يساوى و يصير من وفد الرحمن فيستوفى فيه الحمة العامة الشامة فيتصف بها كما قال الله: ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً و نسوق المجرمين الى جهنم وزدا﴾ (٤)

و يستحق الرحمة لقوله تعالى: ﴿وان تصلحوا و تتقوا فان الله كان عفواً رحيماً﴾ (٥)

والفلاح: لقوله تعالى: ﴿واتقوا العلكم ترحمون﴾ (٦)

و دفع الخوف و الحزن - لقوله تعالى: ﴿فمن اتقى و اصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٧)

و النجاة من سجين و دارا البعد لقوله تعالى: ﴿ثم ننجى الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثياً﴾ (٨)

و حصول الفرقان و تكفير السيئات و غفران الذنوب لقوله تعالى: ﴿يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً و يكفر عنكم سيئاتكم و يغفر لكم والله

٢. الجاثية - ١٩.

٤. مريم - ٨٥ و ٨٦.

٦. الانعام - ١٥٥.

٨. مريم - ٧٢.

١. آل عمران - ٧٦.

٣. التوبة - ١٢٣.

٥. النساء - ١٢٩.

٧. الاعراف - ٣٥.

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١)

و : «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا» (٢)

و استحقاق البشارة في الدنيا والآخرة لقوله تعالى : «الَّذِينَ آمَنُوا وَخَانُوا
يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ» (٣)

و يستوجب المخرج من كل ضنك والرزق من حيث لا يحتسب لقوله
تعالى : «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (٤)

والاهلية للدخول في الجنة لقوله تعالى : «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ» (٥)

و قال أذاك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء و قبول
الاعمال لقوله تعالى : «إِنَّمَا يَنْتَقِلَ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» (٦)

وقوله : «وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ» (٧)

والفوز - لقوله تعالى : «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا» (٨)

والمقام الامين لقوله تعالى : «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ» (٩)

وَعَدَهَا اللَّهُ تَعَالَى : مِنْ مَحْكَمَاتِ الْأُمُورِ حَيْثُ يَقُولُ : «إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (١٠)

وَسَبَبًا لِلْأَجْرِ الْعَظِيمِ حَيْثُ يَقُولُ : «وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (١١)

وَسَبَبًا لِدَفْعِ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ حَيْثُ يَقُولُ : «إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
شَيْئًا» (١٢)

و خُصَّ بِهَا أَوْلُو الْأَبَابِ حَيْثُ يَقُولُ : «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ

١. الانفال - ٢٩.

٢. يونس - ٦٣ و ٦٤.

٣. الرعد - ٣٥.

٤. حج - ٣٧.

٥. الذخا - ٥١.

٦. آل عمران - ١٨٦.

٧. الطلاق - ٥.

٨. الطلاق - ٢.

٩. المائدة - ٢٧.

١٠. النبأ - ٣١.

١١. آل عمران - ١٨٦.

١٢. آل عمران - ١٢٠.

تُقَلِّحُونَ» (١)

فعلم من الايات ان التقوى درجة عليّة ومنزلة سنّية وفيها جمع الخيرات والفوز بالكلمات والتقرب الى رفيع الدرجات و لأجل ذلك وصّى الله الأمم بذلك حيث قال تعالى: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ» (٢)

ولاجل ذلك ايضاً كانت الحجج سلام الله عليهم يوصون العباد بها فى مجالسهم و محافلهم واحاديثهم وخطبهم كمالا يخفى على المتامل و نحن نذكر شطرا من الروايات ايضا.

قال الله تعالى: «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا» (٣)
و: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ» (٤)

و: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (٥)

و: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ» (٦)

و: «جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِ الْأَنْهَارِ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ» (٧)

و: «الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (٨)

و: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ» (٩)

١. المائدة - ١٠٠.

٢. النساء - ١٣١.

٣. الفرقان - ١٥.

٤. الزمر - ٣٣.

٥. آل عمران - ١٣٣.

٦. النحل - ٣٠.

٧. النحل - ٣١.

٨. النحل - ٣٢.

٩. الحجر - ٤٥.

و : «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ» (١)

و يَسْتَحَقُّ الْكِرَامَةَ - لقوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ» (٢)

والبَرَكة من السَّماء والارض لقوله تعالى: «وَأَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَمَنُوا وَ اتَّقُوا

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» (٣) واما الاخبار

فمنها - مارواه في الكافي بسنده عن ابي عبيدة عن ابي جعفر قال عليه السلام كان

اميرالمؤمنين عليه السلام يَقُولُ لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَىٰ وَ كَيْفَ يَقِلُّ مَا تُقْبَلُ انْتَهَى...

ومنها - ما عن مفضل ابن عمر قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام فذكرنا الأعمال

فقلت انا ما اضعف عملي فقال مه استغفر الله.

ثم قال لي: انّ قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى قلت كيف

يكون كثير بلا تقوى، قال عليه السلام نعم مثل الرجل يُطعم طَعَامَهُ وَ يَرْفُقُ جِيرَانَهُ وَ

يُؤْطِئُ رَحْلَهُ فَاذَا ارْتَفَعَ لَهُ الْبَابُ مِنَ الْحَرَامِ دَخَلَ فِيهِ فَهَذَا لِعَمَلٍ بِلا تقوى و

يكون الاخر ليس عنده فاذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه انتهى...

ومنها - ما عن يعقوب ابن شعيب قال سمعت ابا عبد الله يقول ما نقل الله

عزّوجلّ من ذلّ المعاصي الى عزّ التقوى الا اغناء من غير مالٍ و اعزّه من غير

عَشِيرَةٍ وَ آنَسَهُ مِنْ غَيْرِ بَشَرٍ انْتَهَى...

ومنها - مارواه عن يزيد ابن عبد الله عمّن حدّثه قال كتب ابو جعفر الى

سعد الخير:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ فِيهَا السَّلَامَةَ مِنَ التَّلَفِ

وَالْغَنِيمَةَ فِي الْمُنْقَلَبِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْقَى بِالتَّقْوَى عَنِ الْعَبْدِ بَعْدَ مَا غَرِبَ عَنْهُ

عَقْلُهُ وَ يُحَلِّي بِالتَّقْوَى عِمَامَهُ وَ جِهْلَهُ وَ بِالتَّقْوَى نَجَى نُوحٌ وَ مِثْلُهَا فِي السَّفِينَةِ

وَ صَالِحٍ وَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّاعِقَةِ وَ بِالتَّقْوَى فَازَا الصَّابِرُونَ وَ نَجَتْ تِلْكَ

العصب من المهالك و لَهُمْ اخوان على تلك الطريقة يلتمسون تلك الفضيلة

٢. الحجرات - ١٣.

١. القمر - ٥٥.

٣. الاعراف - ٩٦.

ومنها - مارواه في البحار عن دعوات الراوندي قال رسول الله ﷺ من اتقى الله عاش قويا وسار في بلا دعوته آمنا «ج ١٥، ص ٩٤، الجزء الثاني»...
ومنها - مارواه فيه ايضا عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال تسخ قال الله تعالى:
﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قوله فاتقوا الله ما استطعتم﴾^(١)

ومنها - مارواه فيه ايضا باسناده عن اميرالمؤمنين قال، قال رسول الله ﷺ المتقون سادة والفقهاء قادة والجلوس اليهم عبادة «ص ٩٦»...
ومنها - مارواه فيه ايضا باسناده عن الصادق عليه السلام قال رسول الله ﷺ من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله و من احب ان يكون اتقى الناس فيتوكل على الله الخبر. «ص ٩٦»...

ومنها - مارواه ايضا باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال الحسب الفعّال والشرف المال والكرم التقوى انتهى «ص ٩٦»...

اذا عرفت معنى التقوى و ما هو المراد منها في الاخبار و الآيات و ان فضلها كثير و اجرها جزيل فلا بأس بصرف الكلام الى ما هو التحقيق في بيان ماهيتها و حقيقتها و ما قالوا في تعريفها في كتب الأخلاق تكميلاً للبحث و تمييزاً للنتج فنقول:

يجب ان يعلم ان التقوى و الورع مترادفان كما ذهب اليه الزاقي (قده) في جامع السعادات و غيره قال (قده) بعد ما فسّر الورع تارة بملكة الشنزه و الأجتنب عن مال الحرام اكلاً و طلباً و اخذاً و استعمالاً.

و تارة بكف النفس عن مطلق المعاصي و منعها عملاً ينبغي، فعلى الأول يكون ضدّ العدم الأجتنب عن المال الحرام و يكون من رذائل قوّة الشهوة. و على الثاني - يكون ضدّ الملكة الولوع على مطلق المعصية و يكون من رذائل القوّة الغضبية و الشهوية جميعاً.

قال بعد هذا التّحقيق ما هذه الفظه:

ثمّ الظاهر أنّ التّقوى مُرادفة لِلُورع فإنّ لها ايضاً تفسيرين:

احدهما: الاتّقاء عن الأموال المُحرّمة و قد اطلقت التّقوى في بعض الأخبار

على هذا المعنى.

والثاني: ملكة الاتّقاء عن مطلق المعاصي خوفاً من سخط الله وطلباً للرضاء.

فعلى الاول: يكون ضدّاً لِعدم التّنزه عن المال الحرام و رذيلة لقوة الشهوة.

و على الثاني: يكون ضدّاً للملكية ارتكاب المعاصي و رذيلة للقوتين معاً.

ثمّ ذكر (قده) بعد ذلك روايات دالة على فضلها و شرفها قريباً، ممّا ذكرناه

فلا نُطيل الكلام بذكر ما ذكره (قده) انتهى.

و بعد ما عرفت التّقوى و معناها و فضلها و شرفها و ماهيتها و حقيقتها

فلنرجع الى شرح المتن و نقول:

□ قوله ﷺ: و انّ التّقوى مطايا دُئل...

كلمة (ألا) حرف تشبيه كما مرّ الكلام فيه مراراً ثمّ قوله هذا استعارة و كناية

كالجملّة السابقة و قد قلنا فيها أنّ حذف اداة التشبيه دأل على عينيته المشبه

والمُشبه به مصداقاً بالادّعاء و هو من اقوى التشبيه كما مرّ الكلام فيه فكذلك

في المقام بلاتفاوتٍ بين الجملتين من هذه الجهة.

و انما شبهه ﷺ بالتّقوى بالمطايا الموصوفة بالذلل لأنّ المطايا جمع مطية و

هي عبارة عن الدابة التي تركب و يستوى فيها المذكر و الموءنث فالبعير مطية

و الجمع مطايا و مُطى.

و تشبيه الخطايا و التّقوى بالمطايا التي هي مطلق المركوب سواء كان خيلاً

او ناقةً او غيرهما لا جل أنّ الخطايا اذا كان الانسان مُتصفاً بها لا يمكن

لراكبها التسلّط عليها بالانقياد و الأطاعة بخلاف ما اذا كان المركوب التّقوى فانه

يشبه البعير او الناقة الذلول المنتقاد و وجهه أنّ التّقوى ليست ألاً الخوف من الله

تعالى و التّوجه اليه في السرّ و العلانية و من كان كذلك فكيف لا يكون مُسلّطاً

على هَوَاهُ.

و أما قوله **عَلَيْهَا**: حُمِلَ عَلَيْهَا إِلَى قَوْلِهِ فَأوردتَهُم الْجَنَّةَ...
فقد ظهر ممّا ذكرناه و حَقَّقْنَاهُ والآيات و الرّوايات التي مرّت ذكرها كانت
صريحه عليه و أنّ مَسِيرَهَا إلى الْجَنَّةِ كيف لا و قدورد (أما الوَرَعُونَ فأتى
استحى أنّ احاسِبَهُم).

و عن الباقر **عليه السلام**: أَعَيْنُونَا بِالْوَرَعِ فَإِنَّ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْكُمْ بِالْوَرَعِ كَانَ لَهُ
عِنْدَ اللَّهِ فَرَجًا إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: «مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصّٰلِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (١)
تكملة: قَسَمَ بعضُ العلماءِ الوَرَعِ وَ التَّقْوَى عن الحرامِ على اربعِ درجات:
الاولى: وَرَعُ العُدُولِ وَ هو الاجتنابُ عن كلّ ما يلزمُ الفسقِ وَ تسقطُ به
العدالةُ وَ يثبتُ به العصيانُ وَ التّعريضُ للنّارِ وَ هو الوَرَعُ عن كلّ ما يحرمه
فتوى المُجتهدين.

الثانية: وَرَعُ الصّٰلِحِينَ وَ هو الاجتنابُ من الشُّبهاتِ ايضاً.

الثالثة: الوَرَعُ عمّا يخافُ اداؤه الى مُحَرَّمٍ او شبهةٍ و ان لم يكن في نفسه
حراماً و لا شبهةً فهو ترك ما لا بأس به مَخَافَةً ما به بأس .

الرابعة: وَرَعُ الصّٰدِقِينَ وَ هو الاجتنابُ عن كلّ ما ليس لله و يتناولُ لغير الله
و غير نيّته التّقوى على عبادته و ان كان حلالاً صِرفاً لا يخافُ اداؤه الى حرام
او شبهةٍ وَ الصّٰدِقُونَ الَّذِينَ هَذِهِ دَرَجَتُهُمْ هُمُ الْمُؤَحِّدُونَ الْمُتَجَرِّدُونَ عَنِ
حُظُوظِ انْفُسِهِمُ الْمُتَفَرِّدُونَ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْقَصْدِ الرَّاوِعِ كُلِّ مَا لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى
حَرَاماً الْعَامِلُونَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: «قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ» (٢)

و قال الصّٰدِقُ **عليه السلام** التّقوى على ثلاثة اوجه:

تَقْوَى مِنْ خَوْفِ النَّارِ وَ الْعِقَابِ وَ هِيَ تَرْكُ الْحَرَامِ.

و تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَ هِيَ تَرْكُ الشُّبُهَاتِ فَضْلاً عَنِ الْحَرَامِ وَ هِيَ تَقْوَى الْخَاصِّ.

و تقوى في الله و هو ترك الجلال فضلا عن الشُّبُهَة و الى هذه المراتب
الثلاثة اشير في الكتاب الالهي بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ
اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)

□ قوله ﷺ: حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ فَلَئِنْ أَمَرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ، وَلَئِنْ
قَلَ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءًا فَأَقْبَلَ...

ثم انه ﷺ لما اشار فيما تقدم الى طريقين مسلوكين احدهما طريق الخطاء
والآخر طريق الصواب ذكر بعدهما انهما حقٌّ و باطلٌ يعنى ان طريق التقوى
حقٌّ و طريق الخطاء باطلٌ والأمور كلها لا تخلو منهما.

والسرفيه هو ان الباطل أمرٌ عَدَمِي لا ذات له اصلاً و انما هو عدم الحق ففي
الحقيقة الحقُّ والباطل من قبيل المتناقضين لا الضدين فان الضدين امران
و جُودِيَان و قد قلنا ان الباطل ليس امرأ و جودياً و انما هو عدم الحق و رفعه و
معلوم ان الحق و رفعه متناقضان فان نقيض كل شىء رفعه.

اذا عرفت هذا فقولته ﷺ: حَقٌّ وَبَاطِلٌ، حيث انه انحصر الطُرقُ المُتصَوِّرة
فيهما لأن كل طريق لا يحلو حاله اما ان يكون حقاً او لا يكون حقاً. و الاول
هو الحقُّ والثاني هو الباطل ولا يمكن فرض طريق ثالث للزومه ارتفاع
النقيضين و لا يمكن فرض طريق متصّف بهما للزومه اجتماع النقيضين و
كلاهما اى اجتماع النقيضين و ارتفاعهما محالان فثبت و تحقّق ان الطريق
منحصر فيهما كما قال ﷺ: حَقٌّ وَبَاطِلٌ.

ثم قوله ﷺ: وَلِكُلِّ أَهْلٍ، فهو اشارة الى ان للحقّ اتباعاً، و اشياءً كما ان للباطل
ايضا كذلك وهذا المعنى سار في كل زمانٍ الا ان اتباع الحقّ قد تغلب على اتباع
الباطل و قد يكون بالعكس. والعكس اولى عند اهل العقل، وقد مرّ الكلام فيه
مفصلاً.

وامّا قوله عليه السلام فلئن أمر الباطل لقد يماً فعَلْ ولئن قلَّ الحقَّ فلربُّما ولعلَّ الى
آخر ما قال عليه السلام ففيه وجوه من المعاني لا بدَّ من الإشارة اليها.

احدها: ما ذهب اليه الشارح البحراني (قدس سرّه) في شرحه و هذا اللفظه:
إردافٌ لذلك بما يشبه الاعتذار لنفسه ولاهيل الحق في قلبه و ذمّ و توبيخ
لأهل الباطل على كثرة الباطل و قلة الحق في ذلك الوقت ليس بدعيّاً حتى
أجهد نفسي في الإنكار عليه (على اهلي).

ثم لا يسمعون ولا ينتهون و في قوله و لرُبُّما و لعلَّ تنبيهٌ على ان الحق وان
قلَّ فربُّما يعود يسيراً ثم اردف حَرَف التَّقْلِيل و هوربُّما بحرف التَّمْنِي و كان في
هذه الاحرف الوجيزه اخباراً بقلّة الحق و وعدبُوتّه مع نوع تشكيك في ذلك
و تَمْنِي لكثرتّه.

ثم قال في قوله عليه السلام: وَلَقَلَّمَا ادْبَرَ شَيْءٌ، فاقبل استعداد لرجوع الحق الى
الكثرة والقوة بعد قلبه و ضعفه على وجه كلي فان زوال الاستعداد للامر
مستلزم لزوال صورته و صورة الحق انما افيضت على قلوب صغّت، و
استعدت لقبوله فاذا اخذت ذلك الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت
قلوبهم و تسود الواح نفوسهم يشبه الباطل فلا بد وان ينقص نور الحق و تكثر
ظلمة بسبب قوّة الأستعداد لها و ظاهراً ن عود الحق، و اضائة نوره بعد ادباره
واقبال ظلمة الباطل امرٌ بعيد و قلماً يعود مثل ذلك الاستعداد لقبول مثل تلك
الصورة للحق و لعلّه يعود بقوّة فيصبح الواح النفوس و ارضها مشرقة
بانوار الحق و يكرّ على الباطل فيدفعه فاذا هو زاهق و ما ذلك على الله بعزيز و
في ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق، و بعث على القيام به كيلا يضمحل
بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم تداركه انتهى كلامه.

ثم ان الشارح الخوئي بعد نقله ما نقلناه في كتابه بعين الفاظه و عباراته قال ما
هذا اللفظه:

ولعلّ الظاهر المناسب في شرح الفقرات الأخيرة اعنى قوله حق و باطل الى

آخر كلامه مذكوره بعض الأخباريين حيث قال حق وباطل خبران لمبتدئ محذوف اي الأمام حق وباطل وهو تقسيم للأمام الى قسمين:

احدهما - الامام بالحق واليه اشير في قوله تعالى: ائى جاعلك للناس اماما وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ اٰئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِاٰمِرِنَا، الْاَيه...﴾^(١)

والثاني - الامام الباطل واليه الاشارة في ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ اٰئِمَّةً يَدْعُونَ اِلَى النَّارِ﴾^(٢) وأمر الباطل من باب نصر و علم وحسن من الأمانة بمعنى الولاية و لقديماً منصوب على الظرفية و عامله فعل بعده على البناء للمجهول و ضميره عائذالى المصدر المفهوم من أمر و حذف فاء الجزاء مع كون الشرط والجزاء ما ضيين لفظاً و معنى اكتفاءً بذكرها فى الجملة التالية.

ولئن قل الحق بضم القاف على البناء للمفعول من باب نصر من القل وهو الرفع قال فى القاموس استقله حملة و رفعه كقله و اقله فلربما ولعل للتقليل و ندره الوقوع و التقدير ربما كان كذلك ولعله كان كذلك و هو اشارة الى ان الحق قديكون غالباً كما فى زمن سليمان و ذى القرنين و المقصود بذلك الاشارة الى كون الحق غالباً فى زمن الرسول و مغلوباً فى ازمته الخلفاء الثلاثة و غالباً فى زمنه ايضا و هو نادرو على هذا معنى كلامه ان الامام حق و باطل و لكل منهما اهله فان صار الباطل اميراً بعد الرسول ﷺ فلقد فعل ذلك اي امره الباطل فى قديم الزمان و ليس بأمر حادث يتعجب منه و لئن ارتفع الامام بالحق بعد خلافة الثلاثة فلربما كان كذلك ولعله كان كذلك و لقلماً ادبر شىء من الحق فاقبل اليه انتهى كلامه.

و اما الشارح المعتزلى فقال فى شرح هذه العبارات و اما قوله: حق و باطل الى آخر الفصل فمعناه كل امر فهو اما حق و اما باطل و لكل واحد من هذين اهل و ما زال الباطل اكثر من اهل الحق و لئن كان الحق قليلاً فرُبما كثر ولعله ينتصراهله.

ثم قال على سبيل التضرع بنفسه و قل ما ادبر شىء فاقبل استبعدان تعود

دولة قوم بعد زوالها عنهم والى هذا المعنى ذهب الشاعر فى قوله:

وقالوا يَعود الماء فى النَّهر بعدما

ذوى بَنَتِ جَنَّتَه و جَفَّ المِشارِع

فقلتُ الى ان يَرجع النَّهر جارىاً

وتعشَب جَنبَاه بموت الضفادع

اقول: قد نقلت ما ذكره الشارحون لكلامه عليه السلام بعين الفاظهم، و عباراتهم

وانت اذا تأملت فيما ذكروه وامعنت النظر فيما سطرؤه لايقنت انهم لم يأتوا

بشيء مفتح وظنى انهم ايضا لم يفهموا ما قالوه كما اتى بعد التأمل الشديد

والغور العميق لست ان افهم مرادهم وائى ربط بين ما حققوه، و العبارة و على

ائى حال غرضنا من نقل ما نقلوه هو انه لعلك تستفيد من تحقيقاتهم مالم

نستقد منها وكم ترك الأوائل للأواخر.

والذى نقول فيما قالوه هو انه صرف الكلام عن ظاهره و حمله

على المستخرجات الظنية والاستنباطات الراهمية مالم يؤيده عقل ولا نقل مع

ان المسلم المقطوع به هو حمل اللفظ على المعنى المتعارف المصطلح وعدم

جواز العدول عن الحقيقة الى المجاز الأفيما دلت قرينته على صحة المجاز و

عدم ارادة المعنى الحقيقي بوجه من الوجوه واما اذا فرضنا صحة ارادة المعنى

الموضوع له وعدم وجود القرينة المصححة للمعنى المجازى كما فيما نحن

فيه فحمل اللفظ على غير ما هو عليه اكل من القفالذى هو من

المحذورات العقلية.

والذى يظهر لى فى المقام ولا أعلم انه حق او باطل هو ان قوله عليه السلام حق و باطل

الى آخر الخطبة ناظر الى قوله عليه السلام الا وان الخطايا خيل شمس و قوله عليه السلام: الا وان

التقوى مطايا ذلل، ولا ربط له بصدر الخطبة ولا انه مستأنف.

وعليه فالمعنى ان ما ذكرته لكم من قولى الا وان الخطايا الى هذا المقام

لا يخلوا حاله من امرين حق و باطل لعدم امكان خلو امر من الامور

منهما لأستلزامه ارتفاع النقيضين قوله: الا وان الخطايا باطل و قوله الا وان

التَّقْوَى حَقٌّ و قوله ﷺ لِكُلِّ اَهْلٍ اى لِكُلِّ وَاَحِدٍ مِنْهُمَا اَهْلٌ فَحُذْفُ المِضَافِ اليه و اَقِيمِ التَّنْوِينَ مَقَامِهِ و لِهَذَا يُقَالُ لَهُ تَنْوِينُ العَوْضِ نَحْوَ حَيْثُذِ فَإِنَّ اَصْلَهُ حَيْثُذِ كَانَ كَذَا فَحُذْفُ المِضَافِ اليه اعْنَى كَانَ كَذَا و عَوْضٌ عَنْهُ التَّنْوِينُ و قِيلَ حَيْثُذِ و هَكَذَا اَمْرٌ فِيمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ فَيَصِيرُ المَعْنَى اِنَّ لِكُلِّ وَاَحِدٍ مِنْهُمَا اعْنَى الحَقِّ و الباطل اَهْلٌ اى اِتْبَاعٌ و اَشْيَاعٌ فَاِتْبَاعُ الحَقِّ اهل التَّقْوَى و اِتْبَاعُ الباطل اهل الخَطَايَا.

و قوله ﷺ: فَلَيْنُ اَمْرِ البَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَّ...

اِشَارَةٌ اِلَى اَنَّ الشَّيْطَانَ و النَّفْسَ الاِمَارَةَ لَوَا مَرَّهْمُ بِالرَّكُوبِ عَلَى الخَطَاةِ كَمَا هُمْ كَذَلِكَ فَلَا غَرَوَ فِيهِ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ اَوَّلُ قَارُورَةٍ كَسَرَتْ فِي الْاِسْلَامِ بَلْ هُوَ سِيْرَةٌ مُسْتَمْرَّةٌ مِنْ بَدْ و الخِلْقَةِ اِلَى زَمَانِنَا هَذَا بِحَسَبِ الْاَكْثَرِ فَإِنَّ الحَقَّ و اِتْبَاعَهُ اَكْثَرًا و دَائِمًا كَانَ تَحْتَ سَحَابِ الظُّلْمَةِ و لَمْ يُوجَدْ زَمَانٌ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنَ البَاطِلِ عَيْنٌ و لَا اَثَرٌ غَالِبًا بَلْ دَائِمًا فَإِنَّ وُجُودَ سَلِيْمَانَ ﷺ اَوْ داوُدَ النَّبِيِّ اَوْ يُوْسُفَ الصِّدِّيقِ اَوْ رَسُوْلَ المَكْرَمِ ﷺ اَوْ اَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ و غَيْرِهِمْ مِنَ الحُكَّامِ العُدُوْلِ لَا يُوْجِبُ اِمَارَةَ الحَقِّ الْمُطْلَقِ و اِمَانَةَ البَاطِلِ و عَدَمَ اِمَارَتِهِ و لَوْ فِي ضِمْنِ الحَقِّ و فِي لِبَاسِهِ كَمَا هُوَ المَطْلُوبُ.

و لَاشْكَ اِنَّ البَاطِلَ كَانَ اَمْرًا نَا فِذَ اَفَى اِتْبَاعَهُ مِنْذُ خَلَقَ اللهُ اَدَمَ اِلَى زَمَانِهِ ﷺ اِلَى زَمَانِنَا اِلَى يَوْمِ ظُهُورِ الحُجَّةِ القَائِمِ المُنْتَظَرِ المَهْدِيِّ ﷺ الَّذِي يَمْلَأُ اللهُ اَلْاَرْضَ بِهِ قِسْطًا و عَدْلًا بَعْدَ مَا مَلَأَتْ ظُلْمًا و جَوْرًا.

و اَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَلَيْنَ قَلَّ الحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَّلَعَلَّ، وَّلَقَلَّمَا اَدْبَرَ شَيْءٌ فَاَقْبَلَ...

يُمْكِنُ اِنْ يَكُوْنُ مَرَادُهُ ﷺ مِنْهُ مَعَ ذِكْرِهِ حَرْفِ التَّقْلِيْلِ و هُوَ رِيْمًا و حَرْفِ التَّمْنَى و هُوَ لَعَلَّ هُوَ اَنَّ الحَقَّ و اِتْبَاعَهُ و اِنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْاَعْصَارِ قَلِيْلًا الْاَنَّهُ يَتَمَنَّى اِشَاعَةَ الحَقِّ و كَثْرَةَ اِتْبَاعِهِ فِي المَسْتَقْبَلِ و لَا يَبْعَدُ كُوْنُهُ اِخْبَارًا بِوُجُودِ الحُجَّةِ المُنْتَظَرِ و قِيَامِهِ ﷺ بِالْحَقِّ فِي حُكُوْمَتِهِ فَإِنَّ اَلْاَرْضَ سَتَمْلَأُ بِهِ قِسْطًا و عَدْلًا بَعْدَ مَا مَلَأَتْ ظُلْمًا و جَوْرًا.

فكانه اخبر بقوله هذا بانّه شيوحد العدل المطلق في زمن المهدي عليه السلام و اما قبله فلا، ولاجل هذه الدقّيقة اردف قوله بعد الاشعار بتقليل الحق بكلمة لعلّ المفيدة للترجى فانّ انتظار الفرج من احسن العبادات و اكمل الطاعات كما وردت به الروايات، و الله اعلم بحقائق الامور.

هذا تمام الكلام في شرح هذه الخطبة الشريفة على ما في الكتاب و قد نقل هذه الخطبة بطريق آخر ابسط و اكمل ممّا في الكتاب و قد ذكرها الشارح البحراني (قده) و تبعه على ذلك الخوئي من مصادرها و اما نحن فلم نذكرها في الكتاب و من اراد الاطلاع عليها فعليه بسائر الشروح و ذلك لاننا لانشرح الأمانقله الشريف الرضى (قده) في اصل الكتاب وهو هذه لاغيرها.

ومن هذه الخطبة

□ شِغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ، سَاعَ سَرِيْعٍ نَجَا، وَ طَالِبٍ بَطِيءٍ رَجَا
وَمُقَصَّرٍ فِي النَّارِ هَوَى، الْيَمِيْنُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيْقُ الْوَسْطَى هِيَ
الْجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَ آثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السَّنَةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيْرُ
الْعَاقِبَةِ، هَلَكَ مَنْ أَدْعَى، وَخَابَ مَنْ أَفْتَرَى، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ،
وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا، أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْحُ أَصْلٍ،
وَلَا يَنْظَمُ عَلَيْهِ أَرْزَعُ قَوْمٍ، فَاسْتَبْرُوا فِي بُيُوتِكُمْ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ،
وَالْتَوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ وَ لَا يَلْمُ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ.

◁ اللّغة

(البطيء) ضد السريع. (الجادّة) معظم الطريق. (الصّفحة) من كلّ شيء جانبه. (السّنج) الاصل. (لا يظمأ) الظماء ضد العطش. (والبين) بالفتح يطلق على الوصل و الفرقة و باقى اللغات واضح.

□ قوله ﷺ: شُغِلَ مَنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ...

شُغِلَ بالبناء للمفعول و كلمة من مَوْصُولَةٌ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ مرفوعان على الأبتداء والمعنى ان من كان امامه الجنة والنار فقد كفى به شُغْلًا فانهما تكفيانه عن كل ما عداهما فيجب عليه ان لا يشتغل الا بهما ثم قسم الناس بهذه الاعتبار الى اقسام ثلاثة:

احدها: ساع الى رضوان الله سريع فى عَدْوِهِ فهو نَجِيٌّ بِرَحْمَةِ رَبِّهِ و اشار اليه بقوله: سَاعٌ سَرِيعٌ نَجَاً.

وثانيها: طالب لرضوانه بطيء فى سَيْرِهِ و سلوكه رجلاً للغفران و اشار اليه بقوله وَ طَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَاً

وثالثها: مُقَصِّرٌ فى طاعته و سالك سبيل الشيطان فهو مُخَلَّدٌ فى النار هوى و اشار اليه بقوله اليمين والشمال مَضَلَةٌ.

ثم اشار عليه السلام الى الطريق الوسطى التى يجب سلوكها و قد اشار اليها بقوله والطريق الوسطى هى الجادة عليها باقى الكتاب و آثار النبوة.

وقوله ﷺ: وَمِنْهَا مَنَقَذُ السَّنَةِ، فالضمير يرجع الى الطريق الوسطى والمقصود ان الوصول بحقيقه السنة لا يمكن الا بها كما ان مصير العاقبة اليها.

واما قوله ﷺ: هَلَكَ مَنْ أَدْعَى، وَخَابَ مَنْ أَفْتَرَى فيمكن ان يكون المراد به الامامة كما ذهب بعض الشراح اليه و يمكن ان يكون المراد ادعاء الوصل الى حقيقه السنة من غير جادة الوسطى والمآل واحد.

وقوله ﷺ: مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ، عند جهلة الناس فالمقصود به ان رد الجهال من جهالاتهم الى الحق صعب عسير وصاحب الرديكون فى معرض الهلاك بايديهم والسنتهم.

وقوله ﷺ: وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا، أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، فقد اشار عليه السلام به الى ان عدم معرفة الانسان قدره يؤجب خروجه عن حده وهو يكون منشاء

للعجب والكبر والغرور وهو من اعظم المهلكات.
قوله لا يهلك على التقوى سنخ أصل، يعنى من كان اصل بناء دينه
واعتقاده على التقوى فهو لا يهلك ابداً.

وقوله ﷺ: وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهِمْ أَزْرَعُ قَوْمٍ، الغرض من هذ الكلام هو ان من زرع
فى ارض قلبه زرعاً صيلاً وسقاه بماء التقوى فلا يظمأ ذلك الزرع ابداً.
و اما قوله ﷺ: فَأَسْتَتِرُوا فِي بُيُوتِكُمْ قَالُوا فِيهِ اى لكيلا يجتموا على
المنافرات والمفاخرات ولذلك عقبه بقوله: وَ اصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...
ثم قال ﷺ: وَالتَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِكُمْ - حتى تتوبوا عن خطاياكم - فانه لا يحمدا
حامداً الا ربه فانه يليق به لا غيره و لا يلئم لائم الا نفسه - اى يجب ان يكون لوم
كل لائم على نفسه لكونها منشأ الشرور والخطيئات هكذا قالوا فى شرح هذه
العبارات و سيتضح لك فى الشرح ما تشتهي و تطلبه.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ اَمَامَهُ - وفيه وجوه من المعنى:
احدها: ما ذهب اليه المحقق البحرانى (قده) و غيره من الشارحين
لكلامه ﷺ و هو ان يكون المراد منه ان من كانت الجنة والنار امامه فقد كفى
بهما شغلاً فى الاعراض عن كل ما عداهما و عدم التوجه الى الدنيا، و
زخارفها وذلك لان مسير الانسان فى الدنيا لا يخلوا اما ان يكون الى الجنة
او الى النار وكفى به شغلاً بالنسبة الى كل واحد منهما فان كان الى النار فيعمل
على مقتضاها وان كان الى الجنة فكذلك ولا يمكن له المسير الى غيرهما.
و ثانيها: ما ذكره الخوئى بعد نقله ما ذكرنا و هو ان يكون (شغل) مسنداً الى
الضمير المستتر العائد الى الثالث السابق فى كلامه على ما حكاه من الكافى و
عليه فكلمة (من) بكسر الميم جار ومجرور.

ثم قال (قده) ويؤيده ما فى رواية الكافى من تبديل كلمة من بكلمة (عن) و
عليه فالمعنى شغل الثالث يعنى عثمان عن الجنة والحال ان النار امامه.

وثالثها: ما حَطَرَ ببالي القاصر و هو ان يكون (شَغَلَ) بفتح الشين على البناء للفاعل و الفاعل فيه هو الضمير المستتر الراجع الى من ركب الخطايا و عليه فالمعنى ان الراكب للخطايا شَغَلَ من الجنة و اعرض عنها و الحال ان النار امامه و هو لا يدري ان الشاغل منها مسيره الى النار لعدم الوسطة سوا كان الشاغل عثمان او غيره و الجمع مهما مكن اولى من الطرح.

ثم ان قوله ﷺ هذا يرشدنا الى قوله تعالى: في كتابه حيث يقول: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا نَئِيسُ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (١)

و: ﴿ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ (٢)

روى المفضل ابن عمر عن الصادق ﷺ عن ابيه عن جده ﷺ قال قيل للحسن ابن علي ﷺ كيف اصحبت يا ابن رسول الله ﷺ قال ﷺ اصحبت ولى رب فوقى، و النار امامى، و الموت يطلببنى، و الحساب مُحَدِّقُ بى، و انامرتيهن لاجد ما حُبَّ و لا ادفع ما كره و الامور بيد غيرى فان شاء عذبنى و ان شاء عفى عني فاي فقير افقر منى، انتهى...

□ قوله ﷺ: سَاعٌ سَرِيعٌ نَجَا...

و هذا هو القسم الاول من الاقسام الثلاثة المذكورة و ساع بالجَر كرام اصله ساعى من سعى يسعى نحو رمى يرمى حذف الياء فى اسم الفاعل و انتقل التنوين الى ما قبلها للدلالة على حذفها لثقله على الياء و قيل ساع و راع و رام و امثالها.

و سريع مرفوع على انه وصف له او خبر و لا منافاة بين الخبرية و الوصفية فان الخبر فى الواقع وصف للمبتداء و نجا فعل ماضٍ من نجى ينجوا و المقصود منه على ما ذكره هو انه ساع الى رضوان الله سريع فى عدوه

واليه الاشارة «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» (١)

قال المحقق البحراني (قده) في هذا المقام ان وجه الحصر في هذه القسمة هو ان الناس لا يخلوا اما ان يكونوا من الطالبين لله او لا يكونوا كذلك والاول اما بغاية جدهم واجتهادهم وبذل وسعهم وطاقاتهم في الوصول الى رضوانه او بالبطء والتأني فهذه ثلاث اقسام لا مزيد عليها وان كان قسما الطالبين على مراتب ودرجات متفاوتة انتهى.

واقول: هذا القسم بعينه هو المشار اليه في «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (٢)

□ قوله ﷻ: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»

وهذا هو القسم الثاني من الاقسام الثلاثة وهو الذي يطلب المقصود بالبطء والفرق بين هذين القسمين انما هو في سرعة السير وبطوئه نحو المطلوب لا غير فان كليهما طالبان الا ان احدهما يطلبه ويمشي نحوه بطيئا والاخر سريعا فالذي يسير سريعا عد من السابقين ويدخل فيه الانبياء والاصياء والذي يسير بطيئا عد من اصحاب اليمين المشار اليه بقوله تعالى: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» (٣)

□ قوله ﷻ: «مُقَصَّرٌ فِي النَّارِ هُوَى...»

هذا هو القسم الثالث الذي يتبع النفس الامارة بتقصيره وظلمه على نفسه فلا جرم سلك مسلك الشيطان فمصيره الى النار وعد في لسان القرآن باصحاب المشئمة المشار اليه بقوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْمَشْئِمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئِمَةِ» (٤)

والى هذه الاقسام الثلاثة اشار في كتابه حيث يقول:

«كُتِبَ لَكُمْ مِنْكُمْ ثَلَاثَةٌ: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئِمَةِ»

أَصْحَابِ الْمَشْنَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (١)

ولاشكَّ أنَّ السَّابِقِينَ هُمُ الْفَائِزُونَ الْحَائِزُونَ لِقِصْبِ السَّبْقِ، لِأَنَّهُمْ يَسْبِقُونَ الْخَلْقَ إِلَى الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسَمَ اللَّهُ الْخَلْقَ قِسْمَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ هِمَا قِسْمَا فَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢)

فَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ

ثُمَّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ اثْنَلَاثًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا ثَلَاثًا فَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٣) وَأَنَا مِنْ خَيْرِ السَّابِقِينَ.

ثُمَّ جَعَلَ الْإِثْلَاقَ ثَلَاثَ قِبَائِلٍ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا بَيْتًا فَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٤)

وَذَهَبَ بَعْضُ الشَّرَاحِ إِلَى خُرُوجِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَإِرَادَتِهِ ﷺ بِاللِّسَاعِ السَّرِيعِ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ وَالنَّقَبَاءَ مِنْ شِيعَتِهِ كَسَلْمَانَ وَابِي ذَرٍّ وَالْمَقْدَادَ وَبِالطَّلَبِ الْبَطِيءِ سَائِرِ الشَّيْعَةِ وَبِالْمُقَصَّرِ الْجَاحِدِ لِوِلَايَتِهِ وَقَدْ فَسَّرَ السَّابِقُونَ فِي الْآيَةِ بِذَلِكَ كَمَا رَوَاهُ فِي غَايَةِ الْمَرَامِ مِنْ أَمَالِي الشَّيْخِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ.

فَقَالَ ﷺ: قَالَ لِي جِبْرَائِيلُ ذَلِكَ عَلَيَّ وَ شِيعَتِهِ هُمُ السَّابِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ الْمُقَرَّبُونَ مِنَ اللَّهِ بِكَرَامَةٍ لَهُمْ أَنْتَهَى...

ثُمَّ آيَدًا مَا ذَكَرَهُ (قَدَهُ) بِمَارَوَاهُ عَلِيُّ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ (٥)

قال وهم النقباء أبوذر و المقداد و سلمان و عمار و من آمن و صدق و ثبت على ولاية امير المؤمنين انتهى ما ذكره (قده) في المقام.

اقول: لوجه لخروج الأنبياء من السابقين بهذه الاستدلالات فإن اطلاق السابقين على علي و شيعة لا ينافي اطلاقهم على الأنبياء كما هو ظاهر على المتأمل ولا سيما بعد ما ثبت ان علياً و رسول الله خُلِقَا مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ وَالاثمة خُلِقُوا مِنْ نُورِهِمَا وَ شِيَعَتُهُمْ خُلِقُوا مِنْ فَاضِلِ طِينَتِهِمْ الْأَنْ لِسَبْقِ مَرَاتِبٍ كَمَا سِيظْهَرُ لَكَ وَ لِتَحْقِيقِ الْمَقَامِ نَقُولُ.

اعلم: انه قد تبين في العلم الطبيعي ان للنفس الناطقة قوتين:

اولاهما: قُوَّةُ الْاِدْرَاكِ.

والثانية: قُوَّةُ التَّحْرِيكِ. وَ لِكُلِّ مِنْهُمَا شُعْبَتَانِ:

الشَّعْبَةُ الْاُولَى: لِلْاُولَى الْعَقْلَ النَّظْرِيَّ وَ هُوَ مَبْدَأُ التَّأَثُّرِ عَنِ الْمَبَادِي الْعَالِيَةِ

بِقَبُولِ الصُّورِ الْعِلْمِيَّةِ.

وَ الشَّعْبَةُ الثَّانِيَّةُ: لَهَا الْعَقْلَ الْعَمَلِيَّ وَ هُوَ مَبْدَأُ تَحْرِيكِ الْبَدَنِ فِي الْاَعْمَالِ

الْجُزْئِيَّةِ بِالرَّوِيَّةِ.

وَ الشَّعْبَةُ الْاُولَى، لِلثَّانِيَةِ قُوَّةُ الْغَضَبِ وَ هِيَ مَبْدَأُ دَفْعِ غَيْرِ الْمَلَائِمِ عَلَى وَجْهِ

الْغَلْبَةِ.

وَ الشَّعْبَةُ الثَّانِيَّةُ، لَهَا قُوَّةُ الشَّهْوَةِ وَ هِيَ مَبْدَأُ جَلْبِ الْمَلَائِمِ وَ بَعْبَارَةً أُخْرَى، اِنَّ

لِلنَّفْسِ النَّاطِقَةِ قَوْتَيْنِ: قُوَّةُ الْاِدْرَاكِ وَ قُوَّةُ التَّحْرِيكِ وَ لِكُلِّ مِنْهُمَا شُعْبَتَانِ: فَلِاُولَى

وَلِيَ الْعَقْلَ الْعَمَلِيَّ وَ الْعَقْلَ النَّظْرِيَّ وَ اِنْ شِئْتَ قَلْتَ الْعَاقِلَةَ وَ الْعَامِلَةَ فَالْعَالِمَةَ

مَبْدَأُ التَّأَثُّرِ وَ التَّحْرِيكِ.

وَ لِلثَّانِيَةِ: الشَّهْوَةُ وَ الْغَضَبُ وَ الْحَقُّ اِنَّ التَّحْرِيكَ لَيْسَ فِي الْاِنْسَانِ قُوَّةٌ بِرَأْسِهَا

بَلْ هُوَ تَابِعٌ لِلْعَاقِلَةِ فَتَرْجِعُ قُوَى النَّفْسِ كُلِّهَا إِلَى الْعَالِمَةِ وَ الْعَاقِلَةَ الْمُعْبَّرَ عَنْ

الْاُولَى بِالْعَقْلِ النَّظْرِيَّ وَ عَنِ الثَّانِيَةِ بِالْعَقْلِ الْعَمَلِيَّ وَ قَدْ حَقَّقَ فِي مَحَلِّ اِنَّ كُلَّ

وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَا يَتَّفَكَ عَنِ الْاُخْرَى.

اِذَا ثَبِتَ هَذَا فَنَقُولُ اِنَّ الْاِنْسَانَ فِي مَرَاتِبِ سَيْرِهِ وَ سُلُوكِهِ لَا يَخْلُو اِحْوَاحَهُ اِمَّا اَنْ

يكون كاملاً في الحكمتين العِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ وَاَمَّا ان لا يكون كذلك و على
الثاني اما مُتَوَسِّطَةً فِيهِمَا او كَامِلٌ فِي الْعَمَلِيَّةِ دُونَ الْعِلْمِيَّةِ او فِي الْعَمَلِيَّةِ دُونَ
الْعِلْمِيَّةِ او نَاقِصَةً فِيهِمَا وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ لَا تَخْلُو عَنْ اقسام خمسة:

احدها: ان تكون كاملة في الحكمتين العِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ و هو الكامل في
السَّعَادَةِ و يُعَدُّ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُقْرَبِينَ.

وثانيها: ان تكون مُتَوَسِّطَةً فِيهِمَا و هو المتوسِّط في السَّعَادَةِ.

وثالثها: ان تكون كاملة في العِلْمِيَّةِ دُونَ الْعَمَلِيَّةِ و هو ايضا متوسِّط في
السَّعَادَةِ.

ورابعها: ان تكون كاملة في الْعَمَلِيَّةِ دُونَ الْعِلْمِيَّةِ و هو من اصحاب اليمين.

وخامسها: ان تكون ناقصة فيهما و هو الكامل في الشقاوة و من اصحاب
الشَّامِلِ هَذَا بِحَسَبِ تَقْسِيمِ الْعُرْفَاءِ وَالْفَلَّاسِفَةِ و ان للبحث فيه مجال واسع
كما قلنا في موضعه.

و على اى التقادير فقولہ ﷺ سَاعَ سَرِيحٍ نَجَى اشارة الى المقر بين الاثم
لئسوا على حد سواء في القرب فان القرب والبعد عنه تعالى لهما مراتب
متفاوتة في الكمال والنقص لانهما من الامور الاضافية الاعتبارية.

واما قوله ﷺ: طَالِبُ بَطِيءٍ رَجَا- فهو اشارة الى اصحاب اليمين الذينهم
ايضاً من المقر بين والسعداء الصالحين الا ان مرتبتهم في القرب اليه تعالى
ليست كالمرتبة التي للمقربين وهم اتباع الانبياء والمرسلين والائمة المعصومين
سلام الله عليهم اجمعين. في مرتبتى العلم والعمل.

واما قوله ﷺ: مُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هُوَ اشارة الى اصحاب الشمال و عليه
فالناس على اقسام ثلاثة.

احدها: المقربون، وهم الانبياء والمرسلون والائمة.

وثانيها: اصحاب اليمين و هم اتباعهم و شيعتهم في العلم، والعمل كائناً من

كان الى يوم القيمة.

وثالثها: اصحاب الشمال و هم غير هذين القسمين كما عرفت و هو عليه السلام اشار في كلامه هذا الى هذه الاقسام الثلاثة فتبصر.

□ قوله ﷺ: اليمين و الشمال مَضَلَّةٌ، والطريق الوسطى هي الجادة...

ثم انه بعدما قسم الناس الى الاقسام المذكورة قال ﷺ اليمين و الشمال مَضَلَّةٌ الى آخره.

ان قلت: هذا الذي ذكره ﷺ في المقام من كون اليمين و الشمال مَضَلَّةٌ ينافي ما ذكرته تبعا للقوم حيث انهم عدوا واصحاب اليمين من السعداء الصالحين قريبا من المقربين فكيف عبر ﷺ عنهم بالمضلة.

قلت: ليس المراد باليمين في المقام اصحاب اليمين واصحاب الميمنة ضرورة انهم ليسوا في الضالين المضيلين بل المراد به في المقام هو اليمين في مقابل الشمال بالنسبة الى الوسط وان شئت قلت اليمين و الشمال هنا بمعنى الافراط و التفريط في العبودية وكلاهما مذمومان.

و توضيح البحث ان العبد في سلوكه و طي منازل لا تخلوا حاله من اقسام ثلاثة:

احدها: ان يسلك سبيل الافراط في العبادة بان اشتغل بها في تمام الاوقات ليلا و نهارا فقام بالليل و صيام بالنهار و ترك اللذات الجسمانية من الأكل و الشرب و الجماع و سائر ما حله الله عليه و اكتب على الآخرة و اعرض عن الدنيا و نُعِبَ عنه بالرهبانية المذمومة في الشريعة المقدسة.

وثانيها: عكس ذلك بان يتوجه الى الدنيا و اعرض عن الآخرة و ترك العبادات برأسها او ببعضها وهذا ايضا مذموم.

وثالثها: ان يأخذ بالطريق الوسط بين هذين الطريقين و الجمع بين الدنيا و الآخرة وهذا هو الممدوح شرعا.

فقوله ﷺ اليمين و الشمال مَضَلَّةٌ اشارة الى ذم الافراط و التفريط و قوله في الطريق الوسطى هي الجادة، اشارة الى وجوب الاخذ بالثالث و قد اشير اليه في

الكتاب حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ﴾ (١)

والآية الكريمة أقوى شاهد على كون أمة محمدٍ أمةً وسطاً فإن الإسلام هو الدين الجامع المُعرض عن الإفراط والتفريط وبهذا يمتاز عن سائر الأديان. ثم إن الطريق الوسطى هي بعينها الصراط السوى والطريق المستقيم والفرق بينهما بالأعتبار فمن حيث كون الطريق ليست بيمين ولا شمال سميت بالوسطى ومن حيث أنه لا اعوجاج فيها بالطريق المُستقيم والسوى ومن حيث أنها مطابق للواقع بالطريق الحق، قال الله تعالى في كتاب: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٢)

ولهذا نقول في سورة الحمد في كل ركعة اهدنا الصراط المستقيم و على اى حال فلا شك ان الصراط المستقيم هي المطلوبة والمقصوده لكل سالك الى الله تعالى.

ولا يبعد ان يكون المراد بالجادة الوسطى طريق الاعتدال فى ولايته و محبته ﷺ حيث ان المحب له ﷺ ان بلغت محبته الى حد الغلو فهو مذموم لانه افراط فى المحبة وان لم يكن محباً له ﷺ با الكلية فهو فى حد التفريط المذموم ايضاً والطريق الوسطى فى محبته و ولايته هى الجادة كما قال ﷺ: فى بعض كلماته هلك فى اثنان محب غال و مبغض عال.

واحسن من الكل ان يحمل قوله ﷺ هذا على المعنى الاعم من الدين والولاية بان يقال الافراط والتفريط المعبر عنهما فى قوله تعالى باليمين والشمال مذمومان سواء كانا فى العبادة او فى الولاية او فى كل امر من الامور الدنيوية والاخروية وبالجملة يجب على الانسان ان يسلك سبيل الوسط فى جميع اموره حتى الاكل والشرب والجماع والنوم والعبادة، وغيرها، فان الافراط والتفريط مذمومان مطلقاً، وبهذا يجمع بين الاقوال كلها وان الطريق

الْوَسْطُ طَرِيقٌ عَلَيَّ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ.

ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَنَا الطَّرِيقَ الوَسْطِيَّ وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ بِهَا فِي الْأُمُورِ وَ
لَا سِيَّمَا فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ رَتَّبَ عَلَيْهَا أُمُورًا لَا يَدْمُنُهَا فَقَالَ ﷺ:

قَوْلُهُ ﷺ: عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَ آثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السَّنَةِ، وَإِلَيْهَا
مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ...

فهذه امور اربعة:

احدها قوله ﷺ: عليها باقى الكتاب، اى باقى الكتاب يتوقف على الطريق
الْوَسْطِيَّ، وَ قَدْ ذَكَرُوا فِيهِ وَجُوهًا مِنْ الْمَعَانِي:

احدها: ان يكون المراد بباقي الكتاب هي ما يبقى من أثر مشيه
و موضع قدمه كأنه مشى على الطريق الوسطى.

و ثانيها: كون المراد به باقى الكتاب اعنى ما لم يُنسخ منه.

و ثالثها: ما ذكره الخوئي و هو ان المراد به ما بقى بعد التحريف فيه و هذا
القول ضعيف.

رابعها: ان المراد به الكتاب الباقي بين الامّة و الثقل الاكبر الذى خلفه رسول
الله فيهم و هذا القول منه ايضا.

و خامسها: ما خطر ببالي الفاتر و هو ان المراد ان بقاء الكتاب و دوامه
يتوقف على الجادة الوسطى اذا الأفراط و التفريط فى الدين يوجبان هدم
الكتاب و جعله وراء ظهورهم.

و سادسها: ما خطر ببالي ايضا و هو ان يكون اصل النسخة ما فى الكتاب
لا مكان زيادة نقطة فى تحت الماء و نقطة (فى) من النساخ او الطبع و عليه
فالمعنى ان ما فى الكتاب فهمه يتوقف على الاخذ بالجادة الوسطى و الله اعلم.
و ثانيها قوله ﷺ: و آثَارُ النُّبُوَّةِ...

و هي ايضا لا اشكال فى توقفها على الطريق الوسطى و المراد منها فى
المقام الامور التى دلت على نبوة نبينا ﷺ و ليست الآثار هى السنة وذلك لان

السنة صارت مقابلة لها كما سيأتى.

فالآثار الدالة على نبوته ﷺ هي المعجزات و الكرامات و خوارق العادات، و هي كثيرة جداً إلا أنه يمكن انقسامها الى قسمين: قسم منها كان مَوْجُوداً فى وجوده ﷺ و قسمٌ خارجٌ عن وجوده من اعماله و افعاله.

اما القسم الاول: اعنى ما وجد فى جسمه و روحه فالحق ان يقال ان شراشر وجوده كان دالاً على نبوته ﷺ لانه ﷺ كان واجداً للكمالات و الصفات اعلاها و أسنها كيف و هو اشرف المخلوقات و اكمل الموجودات فى عالم الأمكان و خليفة الله الاعظم و قطب دائرة الامكان بحيث قيل فيه لولاك لما خلقت الأفلاك و من كان كذلك يكون مظهر الأكمل الأتم و المجلئ الأشرف الأعظم لاسماء الله و صفاته و لا يدينه احدٌ ممن تقدمه و من تأخر عنه فى ظاهر الوجود فهو كان عدل الناس و أعلم الناس و أقدر الناس و بالجُملة اكمل الناس خلقاً و احسنهم خلقاً.

و حيث انه ﷺ فاق جميع الموجودات الأمكانية من الاولين، و الآخرين فى الأوصاف الكمالية و النعوت الجمالية الجلالية و لم يكن لأحد الا تصاف بها كما اتصف ﷺ بها فهو يدلنا على انه انسان ملكوتى فى صورة الانسان المُلكى و لا نعنى بالاعجاز الأ هذا اذ لو لم يكن وجوده مُعجزاً فالوصول الى مقامه و البلوغ الى جنبه ينبغى ان يكون مُمكناً لغيره و حيث انه لا يمكن فهو ﷺ فوق المخلوق و تحت الخالق و هو المطلوب مضافا الى خصائصه التى ذكروها فى كتب الآثار.

واما القسم الثانى: و هو الآثار الدالة على نبوته فى الخارج ايضا كثير كشق القمر و تسبيح الحصاة فى كفّه و احيائه الموتى و ابرائه الأكمه و الأبرص و غير ذلك ممّا صدر عنه ﷺ و يكفيك منها معجزته الباقية اعنى القرآن فانه من اقوى المعجزات على نبوته كما مرّ الكلام فيه سابقا و سيأتى فيه ما ينفعك انشاء الله تعالى.

و اما ان آثار النبوة تتوقف على الجادة الوسطى فلعل الوجه فيه ان الغالى فيه ﷺ فقد اخرج من النبوه و انه عبد من عباد الله و رسول من عنده و المفرط فيه كالمشركين الذين لم يعتقدوا بنبوته فقد جحدوا حقه و انكروا مقامه ففي الحقيقه المفرط و المفرط كلاهما ينفيان رسالته و يحجدان آثار نبوته و انما يعتقد برسالته من كان خالياً عن التعصب معرضاً عن الأفرط و التفريط و هو الذى يرى الأشياء على ما هى عليه و الله اعلم بحقائق الامور.
و ثالثها قوله ﷺ: وَمِنْهَا مَنَقَدُ السَّنَةِ...

و هذا هو الحكم الثالث المترتب على الجادة الوسطى و المقصود ان الجادة الوسطى هى طريق النفوذ و الوصول الى السنة و السنة فى اللغة هى الطريقة و سنة النبى ﷺ طريقته و الغرض ان المتعصب العنيد فى طرفى الأفرط و التفريط كيف يمكن له البلوغ الى طريقته ﷺ و الوصول الى كيفية مشيه و ذلك لانه ﷺ كان معتدلاً متوسطاً فى جميع احواله و اموره و لذلك سميت الامة فى الكتاب المجيد بالامة الوسطى حيث قال عز من قائل و كذلك ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١)

و من المعلوم ان النبى لو لم يكن فى حد الاعتدال و التوسط لما سميت أمة بالامة الوسطى و عليه فمدار النفوذ الى طريقته و معرفته على الاعتدال و التوسط فالمفرط و المفرط بمعزّلين عن درك الاعتدال و هو ظاهر.
و رابعها قوله ﷺ: وَإِنَّهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ...

و هذا هو الحكم الرابع المتوقف على الجادة الوسطى و ذلك لان الله تعالى قال فى كتابه و العاقبة للمتقين.

و قال ايضا، انما يتقبل الله من المتقين و من المعلوم ان المتقين هم الذين مشيهم على الجادة الوسطى فان المفرط فى الامور و المفرط فيها ليس من اهل التقوى و المغفرة فالغالى لمحمد ﷺ و آله و المنكر له ﷺ و لأولياء الله و

اوصيائه مَصيره الى الدَّرَك الاسفل من النار و المعتقد برسالته و امامتهم مُعرضاً
عن الغلو فيهم و الأنكار عليهم هو الذي يمشى على الطريق المُستقيم.
□ قوله ﷺ: هَلَكَ مَنْ ادَّعَى، وَخَابَ مَنْ افْتَرَى...

قال الشَّارح البحراني (قده) يَحْتَمَل ان تكون القضيَّتان دُعاءً وَ يَحْتَمَل ان
تكونا اخباراً اي هَلَكَ من ادَّعَى ما ليس له اهلاً و عنى الهلاك الأخرى و
خاب من كذب اي لن يحصل مطلوبه اذا جعل الكذب وسيلة اليه انتهى
موضع الحاجة منه.

ثمَّ قال (قده) في آخر كلامه قال بعض الشَّارحين اراد هلك من ادَّعَى
الأمامة من غير استحقاق و خاب من افتري في دعواه لها لانَّ كلامه في هذه
الخطبة كثيراً ما يعرض فيه بامر الامامة انتهى.

ثمَّ انَّ الشَّارح الخوئي (قده) قد اخذ في شرحه لهذه العبارة بهذا الأخير و
قال اي هَلَكَ من ادَّعَى الامامة اي آخر ما قال.
و ذكر في آخر كلامه انَّ الجملتين يمكن حملهما على الاخبار و الدَّعاء
انتهى.

و انا اقول: لا بأس بما ذكره الأنا انَّ الاولى حمل العبارة على المعنى الأعم
منه و من غيره و المعنى انه هَلَكَ من حيث لا يحتسب من ادَّعَى ما ليس باهل
له سواء كان المُدَّعَى الامامة او الرِّسالة و الألوهية او غيرها حتى الأمور
الأجتماعية و المناصب و المقامات الدنيوية و الحاصل انَّ من ادَّعَى شيئاً و لم
يكن اهلاً له من غير اهلية له فهو هالك.

و هكذا الكلام في قوله ﷺ و خابَ من افْتَرَى فانَّ الكذب و الافتراء قبيح
عقلاً و شرعاً سواء كان الافتراء على الله و الرِّسول او الائمة او غيرهم الأنا
القبح الذي هو منشاء للعقاب الأخرى له مراتب متفاوتة فالافتراء على الله و
رسوله ليس كالافتراء على الناس من حيث القبح و العذاب و لاجل هذا عدَّ من
المُبطلات للصوم دون غيره فانه ليس من المبطلات و المفترون على الله و

رسوله مَقْرَهُمْ فِي الْأَخْرَةِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ وَ عَلَى أَيْ حَالٍ مَا ذَكَرَهُ ﷺ مَقْتَبَسٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَ قَدْ ذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ:

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١)

و : ﴿فَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ (٢)

و : ﴿فَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٣)

و : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاءَ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...﴾ (٤)

و الآيات و الاخبار في ذم الكذب و الافتراء و الادعاء بما ليس اهلا له كثيرة سنشير الى بعض منها في محله انشاء الله.

ثم ان الفرق بين الجملتين اعنى قوله ﷺ (وهلك من ادعى) و قوله ﷺ و خاب من افتري، هو ان الانسان اذا اثبت لنفسه ما ليس فيه فهو المراد بالجملة الاولى و يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالادِّعَاءِ الْكاذِبِ او ما ليس باهلٍ له و ان اثبت لغيره ما لا يكون منه فهو من قبيل الثاني و يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْمُفْتَرِي و انما عَبَّرَ ﷺ عَنْ الْاَوَّلِ بِقَوْلِهِ هَلَكَ و عَنْ الْثَانِي بِقَوْلِهِ خَابَ؟

لان الاول يوجب هلاك صاحبه من حيث تجاوزه عن الحد و جعله نفسه في غير حده.

و الثاني: يُوجِبُ خُرُوجَهُ عَنِ الْاِيْمَانِ فَاِنَّ الْاِفْتِرَاءَ اَشَدَّ اَنْوَاعِ الْكَذِبِ وَ قَدْ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْبَهْتَانِ فَصَحَّ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ خَابَ مِنْ افْتَرَى. □
قوله ﷺ: مَنْ اَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ...

و المقصود ان من اظهر في مقابل الباطل و اراد رد الجهال من جهالتهم و حملهم على الحق في كل وقت من الاوقات فهو في معرض الهلاك بأيديهم و سنتهم و هذا الذي ذكره ﷺ حكم عام و اصل ثابت في كل عهد و زمان فقول بعض الشراح انه ﷺ اراد نفسه لا وجه له الا من باب انه ﷺ اكمل الافراد و

المصاديق و على اى تقدير فهو ممّا لا كلام فيه.

و الوجه فيه انّ الحقُّ مُرُّ عند الجَهْلَةِ و لا يمكن لَهُمْ تَحَمُّله لجهلهم بحقيقته و الجُهَال في كلّ زمانٍ اكثر من غيرهم و الباطل غالبٌ على الحقِّ ظاهراً و ان كان مغلوباً واقعاً و من المعلوم انّ هذه المفاصد كلّها تترتب على اظهار الحقِّ و اعلانه و اما فى صورة عدم اظهاره و اعلانه فليس الأمر كذلك.

الا ترى انّ النّبى ﷺ ما لم يظهر دَعْوَتَه بقوله لا اله الا الله كان مُوجَّهاً مُفخِّماً عند قومه مَوْصُوفاً بالامانة و الصّدّاقة بحيث كان ﷺ مُلقباً بالامين عندهم، فلما اظْهَرَ الحقُّ بدعوته صار مَجْنُوناً، كذّاباً، ساحراً و امثالها من الأراجيف، و من المعلوم انه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ كان داعياً الى الحقِّ فقط.

و قد نقلوا انّ عمر ابن عبد العزيز لما اراد منع الناس عن سَبِّ على خالفوه بل هَدَّدُوهُ من كلّ جانب ثُمَّ قتلوه بالسّم و هكذا معاوية ابن يزيد لما خلع نفسه عن الخلافة و تَبَرَّء من آبائه و أسلافه قالوا فيه ما قالوا.

و قد روى الشّارح الخوئى (قده) فى شرحه لهذا العبارة حديثاً لا بأس بذكره قال (قده):

و يشهد بذلك ما رواه السيّد المُحدّث الجزائرى (ره) مرفوعاً فى كتابه المُسمّى بزهر الرّبيع انّ الصّادق عليه السلام سئل عن الخلفاء الاربعة بعد رسول الله ﷺ ما بال الشّيخين قد انتظمت لهما امور الخلافة و جرت على ايديهما فتوح البلاد من غير معارضة احدٍ من المسلمين و ما بال عثمان و امير المؤمنين لم تنتظم لهما امور الخلافة بل انكر المسلمون على عثمان و حصروه فى داره و قتلوه وسط بيته و اما امير المؤمنين فثارت الفتن فى زمان خلافته حتى قتل النّاكثين و القاسطين و المارقين.

فاجاب عليه انّ امور تلك الدّنيا و الخلافة فيها لا يجرى بباطل بحتٍ و لا بحقٍّ خالص بل تجرى بحقٍّ و بباطلٍ ممزُوجين.

فاما عثمان فاراد ان يجرى امور الخلافة بمحض الباطل فلم يتم له الأمر.

و اما امير المؤمنين عليه السلام فاراد ان يَجري احكامها على الطريفة المستقيمة و السنن النبوية فلم يحصل له ما اراد.
و اما الشيخان فاخذوا قبضةً من الحق و قبضةً من الباطل فجرت لهما الأمور كما ارادا انتهى.

اقول: و كفاك في هذا الأمر السيره المُستمرّة من بدو الخلقة الى زماننا هذا حيث انه ما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ و ما صُلِبَ و ما سُتِمَ و ما ضُربَ من الاخيار و الصلحاء بل و غير هم بايدي الظلمة الا لإظهارهم الحق قولاً و فعلاً فانّ التّقوّه بالحق من اعظم الجرائم و الجنائيات و اكبر الذنوب عند هؤلاء القوم في كلّ زمانٍ.
ألم يكن فرعون مُخالفاً لموسى بن عمران و مقاتلاً اياه لأجل انه عليه السلام قد ابدى صفحته للحقّ و كذلك ثمرود مع ابراهيم و المشركون مع محمّد، و الخلفاء مع الائمة المعصومين اليس من قُتِلَ منهم لاجل هذه الدّعوة و لا غرو فيه فانّ الناس الى اشباههم أميل و هذا هو السرفى ركود الحقّ و ظهور الباطل في كلّ عصرٍ و زمانٍ و تفصيل الكلام موكول الى محله.
قال الله تبارك و تعالى: ﴿افمن يهدى الى احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى مالكم كيف تحكّمون﴾ (١)

□ قوله عليه السلام: وَ كَفَى بِالْمُرءِ جَهلاً أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ...

و فيه اشارة الى انّ الانسان يجب له ان يعرف قدره و حدّه و من لا يكون عازفاً بقدره فهو من الجهال و لا يحتاج الى دليل آخر و اى دليل ادلّ على جهل الانسان و عدم معرفته حدّه و طوره كيف و هو منشأ العجب و الكبر و الغرور و الأنيّة و ادعاء ما ليس له باهل و ان شئت قلت هو منشأ الشرور و الآفات و الشرك و النفاق و الكفر و الألحاد و الظلم و العدوان و محصل الكلام انه ما من معصية الا و هو منشأها و ما من باطل الا و هو مبدئه فهو الأصل للانحرافات الأخلاقية و الأنصاف بالصفات الرذيلة و الأعراض عن الحقّ و الاقبال الى

الباطل فكانه ﷻ أستدل على كون الإنسان جاهلاً بعدم معرفته قدره و اشار ﷻ بهذه الجملة الى عليّة الجهل لجميع ما تقدّم من النقائص و هو كذلك اذا الباطل معلول له بل هو عينه و لولا الجهل و الجهلة لما كان من الباطل عين و لا اثر و لم يقع في العالم ظلم و لا معصية و لا نفاق فان هذه ليست الا شرورا و آفات و من كان جهله اكثر كان اتصافه بها او فرو اكثر و من كان جهله اقل بالعكس الا ترى ان الانبياء و الأوصياء و الأولياء و من يحدوا حدوهم لبرائتهم عن الجهل تقدسوا عن جميع لوازمه و آثاره و جنوده و اتباعه و لتوضيح المقال لا بد لنا من التّكلم فيه و بيان حقيقته.

اعلم: ان الجهل المبحوث عنه في المقام و هو عدم العلم عمّا من شأنه العلم و قد يُعبر عنه بالجهل البسيط و هذه الجهل ليس مخلوقاً مجعولاً لله تعالى لكونه امراً عدماً و الأعدام لا تستند الى علة و جوديّة بل يكيفيها عدم العلة.

فالمقصود بالجهل في المقام هو عدم العلم عمّا من شأنه العلم و بهذا يستحق صاحبه الذم اذ لو لم يكن له العلم شأناً و كان مخلوقاً من المخلوقات فكيف يصحّ الذم على من اتصف به و المفروض انه صار مخلوقاً كذلك و عليه فلا بد للمرء السعي في الخلاص عنه و الاتصاف بالعلم المظهر للغير، و الظاهر بالذات فان لم يفعل فهو مذموم مقدوح.

اذا اعرفت هذا فلا بد لك ان تعلم ان العلم و الجهل ممّا لا يجتمعان للزومه اجتماع النقيضين فالعالم لا يكون جاهلاً بالنسبة الى معلومه و ان كان جاهلاً بالنظر الى غير ما هو معلوم له و كذا العكس و حيث ان العلم ظاهر بذاته مظهر لغيره فلا خفاء فيه من حيث هو هو اذا الظهور، و الشهود ذاتي له و الذاتى ليس بمعلّل بل هو بيّن الثبوت لمزومه - فالأنكشاف و الظهور و التجلى و البروز من ذاتياته و لهذا صحّ حمل الذاتيات عليه و يقال العلم هو الأنكشاف و الظهور.

و الجهل خلافه فإنه عدم العلم و العدم خفاءٌ كلّه يُساوق البطلان و اللّيسية الصّرفة بحيث قيل لا تمايز في الأعدام من حيث كونها اعداماً و أنّما التّمايز بينها باضافتها الى المملكات كما حُقّق في محلّه.

و من المعلوم أنّ الوصول الى المقاصد العالية و البلوغ الى المدارج القاصية لا يمكن لأحدٍ إلاّ بتّور العلم و المعرفة فمن لم يكن له هذا النّور فكيف يصل الى المقصد و من جملة المقاصد بل أهمّها و أشرفها معرفة الانسان قدره فإنّ هذه المعرفة سببٌ و علةٌ لمعرفة سائر الأمور الخارجة عن حيطة وجوده و من لم يعرف قدره فكيف يمكن له المعرفة بغيره.

ثمّ أنّه قد ثبت و تحقّق عندنا أنّ لكلّ موجود من الموجودات الأمكانية حدّ مُعيّن لا يمكن للموجود التّجاوز عنه و تُعبّر عنه بوجوده الخاصّ او هويّته الشخصيّة إلاّ أنّ هذه الحدود و الهويات متفاوتة بحسب مراتب الوجود للموجودات فمن كان وجوده أقوى و أتمّ و أكمل كانت هويّته الشخصيّة أتمّ و من كان وجوده أضعف فهوّيته أضعف و لذلك ترى الموجودات و لا سيّما افراد الانسان متفاوتة الحدود و المراتب من نبيّ او وصيّ او وليّ او عالم على تفاوت مراتب العلم فإنّ الصّفات كلّها من شؤونات الوجود و العلم ايضاً ليس إلاّ شأناً من شؤونه.

و بعد تمهيد هذه الأمور فقد علمت أنّ من لم يعرف قدره فهوّ ليس بعالم به و من لم يكن عالماً به فلا محالة يكون جاهلاً به لعدم الواسطة و استحالة ارتفاع التّقيضين فثبت أنّ من لم يعرف قدره فهوّ جاهل و هو المطلوب.

ثمّ أنّ من لم يعرف قدره و صار جاهلاً فكيف يتوقع منه ان يعرف الله تعالى او يعرف النّبيّ مع أنّ معرفة الوصي تتوقف على معرفة النّبيّ هي على معرفة الله و هي على معرفة قدره، ففي الحقيقة عدم معرفته قدره يوجب عدم معرفة الله و رسوله و الأمام و الأحكام بل، و سائر الموجودات و منشاء هذه الضّلالات كلّها هو الجهل كما علمت.

□ قوله ﷺ: لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنٌّ أَصْلٍ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعٌ قَوْمٍ...
 هذان اصلان عليهما مدار الانسانية و الخروج من حضيض الناسوت الى
 اقصى الكمالات و حاصلهما ان الانسان اذا بنى كل ما يصدر عنه من فعل و
 قول و اعتقاد على التقوى فقد اسس البنيان على ما هو المرضي عند الله و
 رسوله فكيف يهلك؟

قال الله تعالى في كتابه ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ
 مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾^(١)

و اما الاصل الثاني و هو قوله (وَلَا يَظْمَأُ الْخُ) فقالوا في معناه ان من ذرع في
 ارض قلبه زرعاً آخر وياً كالعقائد الحقّة و المعارف الالهية و الملكات الفاضلة و
 سقاها بماء التقوى فلا يلحق ذلك الذرع ظمأً ابداً و الحاصل ان الانسان اذا
 اتصف بالتقوى و جعل عليها مدار افعاله و اقواله الناشئة عنها فقد ابتنى ببناء
 افعاله و اعماله على اصل اصلي و ركن ركين من غير تزلزل و اضطراب قال الله
 تعالى: ﴿الَا بَذَرَ اللَّهُ تَطْمِئِنَّ الْقُلُوبَ﴾^(٢)
 ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾^(٣)

□ قوله ﷺ: فَأَسْتَتِرُوا فِي بُيُوتِكُمْ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...
 اشار ﷺ الى اصلين آخرين: احدهما استتارهم في بيوتهم و الآخر اصلاح
 ذات البين.

اما الاصل الاول فقال الخوئي في معناه انه و ارد مقام التهديد، و التوعيد و
 اشارة الى انه ﷺ لا يأخذه في الله لومة لائم و انه لا يشفع عنده في اقامة الحدود
 و السياسات و لا يعطل الاحكام بالشفاعة و الهوادة كما عطّلها من تقدّم عليه
 فالاستتار في البيوت في قوله كناية عن الاعتزال حسماً لمادة الفتن انتهى ما
 ذكره ملخصاً و قد سبقه في هذا المعنى المحقق البحراني (قدّه) في شرحه لهذا

العبارة.

وانا اقول: ما ذكروه فى معنى العبارة لا اشكال فيه بناءً على اثبات كلمة (فى) فى اكثر النسخ واما فى بعض النسخ لا يوجد هذه الكلمة والعبارة هكذا، فاستترق يتوبكم، و عليها فما ذكروه يحتاج الأضمار و هو خلاف الاصل والله اعلم بحقائق الأمور.

□ قوله ﷺ: و أصلحوا ذات بينكم...

هذا حكم آخر و هو أنه أمرهم باصلاح ذات البين الذى هو من الأمور المرغبة شرعاً كما اشار اليه فى الكتاب فى موارد عديدة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (١)

و: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٢)

و: ﴿إِنْ تَبَرَّأُوا وَتَتَّقُوا وَتَصْلَحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٣)

و: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا...﴾ (٤)

و: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (٥)

و: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا الْآيَةَ...﴾ (٦)

و: ﴿فَإِنْ قَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ (٧)

و: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (٨)

و: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ (٩)

و قد روى الكليني (قده) فى الكافى باسناده عن حبيب الاحول قال سمعت ابا عبد الله ﷺ يقول صدقةٌ يُحبها الله اصلاحُ بين الناس اذا تفاسدوا او تقارب بينهم اذا تباعد و انتهى «مرآة العقول، ج ٢، ص ١٩٠»...

٢. الشورى - ٤٠.

٤. النساء - ١٢٨.

٦. الحجرات - ٩.

٨. الحجرات - ١٠.

١. البقرة - ١٨٣.

٣. البقرة - ٢٢٤.

٥. الانفال - ١.

٧. الحجرات - ٩.

٩. النساء - ١٢٨.

و فيه ايضاً عن هشام بن سالم عن ابي عبدالله عليه السلام قال عليه السلام لأن أصلح بين اثنين أحب إلي من ان تصدق بدينارين انتهى...

و فيه ايضاً، باسناده عن مفضل قال قال ابو عبدالله عليه السلام اذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فأفتدها من مالي انتهى «ص ١٩٠»...

و ايضاً، قد روى فيه باسناده عن ابي حنيفة سائق الحاج قال مررنا بالمفضل وأنا وختي متشاجر في ميراث فوقف علينا ساعة، ثم قال لنا تعالوا الى المنزل فاتيناها فأصلح بيننا باربعمائة درهم فدفعها الينا من عنده حتى اذا استوتق كل واحد منا من صاحبه قال اما انها ليست من مالي ولكن ابو عبدالله امرني اذا تنازع رجلان من اصحابنا في شئٍ ان اصلح بينهما وافتديها من ماله فهذا من مال ابي عبدالله عليه السلام انتهى «ص ١٩٠»...

و فيه ايضاً عليه السلام باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام قال عليه السلام المصلح ليس بكاذب انتهى. «ص ١٩٠»...

و باسناده ايضاً عن اسحق ابن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل ولا تجعلوا لله غرضة لأيمانكم ان تبرؤوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس قال عليه السلام اذا دُعيت أصلح بين اثنين فلا تقل على يمين ان لا أفعل انتهى (الأفعل) «ص ١٩٠»...

و في حديث آخر قال عليه السلام نعم ان المصلح ليس بكذاب انما هو الصلح ليس بكذب انتهى «ص ١٩٠»...

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله افضل الصدقات اصلاح ذات البين...

وقال ايضاً - اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيمة...

وقال صلى الله عليه وآله: ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فيسمى خيراً...

وقال صلى الله عليه وآله: الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين ليصلح بينهما...

و الروايات فيه كثيرة ولا شك انه من اعظم مصاديق النصيحة ولا غاية

لمثوبته عند الله و بهذا ظهر لك انه واجب من الواجبات لان ترك الكذب واجب و لا يسقط الواجب الا بواجب أكد منه.
 □ قوله ﷺ: وَالتَّوْبَةُ مِنْ زَرَائِكُمْ...

نبه ﷺ العصاة على استدراك عصيانهم بالرجوع الى التوبة و قد امرنا الله تعالى بها في مواضع من كتابه.

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ (١)
 و: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ (٢)
 و: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٣)
 و: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ (٤)
 و: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (٥)
 و: ﴿وَإِنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ (٦)
 و: ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (٧)
 و: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٨)
 و: ﴿أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (٩)

و الآيات في التوبة كثيرة و كفي في اثباتها ان في القرآن سورة اختصت بها و هي سورة التوبة.

و اما الروايات من العامة و الخاصة فيها متظافرة لو لم تكن متواترة و لذلك ترايهم في كتبهم جعلوا بابا لها و سموه باب التوبة و لا سيما كتب الاخلاق و نحن قبل ذكر الروايات الواردة فيها لا بد لنا في التكلم فيها على سبيل الاجمال

٢. التور - ٣١.

٤. هود - ٦١.

٦. هود - ٣.

٨. المائدة - ٧٤.

١. التحريم - ٨.

٣. هود - ٩٠.

٥. هود - ٥٢.

٧. البقرة - ٤٥.

٩. التوبة - ١٢٦.

ليُتضح الحال بعون الله و الكلام فيها يدور على مقاصد:

المقصد الاوّل: فى بيان حقيقه التّوبه و ماهيتها و انها ما هى و لم سُميت التّوبه بها.

المقصد الثّانى: فى آدابها و شرائطها الواردة فى الآثار، و الآيات.

المقصد الثّالث: فى كيفيّة التّوبه و ذكر اقسامها و بيان ما يناسب فيها على طريق الاجمال.

المقصد الرّابع: فى بيان وقت التّوبه.

اما الكلام فى المقصد الاوّل فنقول:

اعلم: انّ التّوبه على ما عرّفوها فى كتب الاخلاق هى الرجوع من الذّنب القولى و الفعلى و الفكرى.

و بعبارة اخرى: هى تنزيه القلب عن الذّنب و الرجوع من بُعد الى القرب. و بعبارة ثالثة، ترك المعاصى فى الحال و العزم على تركها فى الاستقبال و تدارك ما سبق من التقصير.

و يمكن ان يقال انّ التّوبه هى الرجوع عن الذّنب و هو من ثمرات الخوف و الحُبّ فانّ مقتضى الحُبّ امثال مراد المحبّوب و عدم عصيانه و على التقديرين تكون من فضائل الغضب و الشهوة كما ان الاصرار على العصيان الذى هو ضدّها من رذائل القوتين.

و تارة يقال بانّ التّوبه عن مجمّوع العلم بضرر الذّنوب و كونها حجاباً بينه و بين الله و النّدم الحاصل منه و المقصد المتعلّق بالترك حالاً و استقبالاً و التّلافى للماضى و النّدم و القصد بالترك و التّلافى من فعل القوتين او فعل النفس بواسطة القوتين و انقيادهما للعاقلة و العلم المذكور من العاملة فتكون من فضائل القوى الثلاثة.

و توضيحها، انّ العبد اذا اعلم علماً يقينياً بانّ ما صدرت عنه من الذّنوب حائلة بينه و بين محابه فيتألم القلب بسبب فوات المحبوب و صار متأسفاً على

ما صدر عنه من الذنوب سواء كانت افعالاً او تُروكا لِلطَّاعَاتِ، و يُسَمَّى تَأْلَمَهُ بسبب فعله او تركه الْمُفْعُولُ لمحبوبه نَدِماً و اذا غلب هذا النَّدَمُ على القلب انبَعثت منه حالة اخرى تُسَمَّى ارادةً و قصداً الى فعلٍ له تَعَلُّقٌ بالحال بترك الذَّنْبِ الَّذِي كان ملابساً له و بالاستقبال يعرفه على ترك الذَّنْبِ الْمُفْعُولُ لمحبوبه الى آخر عمره و بالماضي بتلافيه مافات بالجبر و القضاء.

فالعلم يعنى القضاء (اعنى اليقين) بكون الذنوب مَسْمُوماً مُهْلِكَةً هو مطلع البواقى اذ مهما اشرق نور اليقين على القلب اثمر نار النَّدَمِ على الذَّنْبِ فيتألم به القلب حيث ينظر بأشراق نور الايمان و اليقين انه صار مَحْجُوباً عن محبوبه فالعلم و النَّدَمُ و القصد المُتَعَلِّقُ بالترك فى الحال و الاستقبال و التلافي للماضى ثلاثة معان مترتبة فى الحصول يطلق اسم التوبة على مجموعها.

و ربّما أُطْلِقَتِ التُّوبَةُ على مُجْرَدِ النَّدَمِ و جعل العلم كالسابق و المقدمة و التُّرْكُ كالثمرة و التابع للتاخر و الى هذا الاعتبار يشير قوله ﷺ النَّدَمُ توبة اذ لا يَخْلُو النَّدَمُ عن علم أو جبه و اثمره او عن عزم يتبعه و يتلوه فيكون النَّدَمُ مَحْفُوظاً بطرفيه و بهذا الاعتبار قيل فى حَدِّهَا أَنَّهَا ذَوْبَان. الحشا لما سبق من الخِطَاءِ، او ناراً فى القلب تلتهب و صدع فى الكبد لا ينشعب.

و ربّما اطلقت على مُجْرَدِ ترك الذنوب حالاً و العزم على تركها استقبالاً و بهذا الاعتبار قيل فى حَدِّهَا، أَنَّهَا خَلَعُ لِبَاسِ الْجَفَاءِ و نشر بساط الوفاء، و انها تبديل الحَرَكَاتِ المذمومة بالحَرَكَاتِ المحمودة، او انها ترك اختيار الذَّنْبِ حالاً و توطين القلب و تجريد العزم على عدم العود اليه استقبالاً و عليه لا يكون النَّدَمُ داخلاً فى حقيقتها و قد صرح بعض الأعاظم بخروجه عنها مُحْتَجِجاً بانَّ النَّدَمَ و هو تَأْلَمُ الْقَلْبِ و حُزْنُهُ على الذَّنْبِ غير مَقْدُورٍ و لذا ترى تَقَعُ النَّدَامَةُ على امورٍ فى قلبه و هو يُرِيدُ أَلَّا يَكُونَ ذَالِكُ فلا يكون النَّدَمُ مَقْدُوراً و انما المَقْدُورُ تحصيل اسبابه اعنى الأيمان و العلم بفوات المحبوب و تحقيقهما و عليه فلا يكون النَّدَمُ من التُّوبَةِ اذ هى مقدورة للعبد مأمورة بها

فاللّازم فيها التّندّم ذون النّدم و السّر فيه هوان النّدم كغيره من صفات النّفس فان أمكن ازالة الصّفات النّفسية و كسبها فالندم كذاك و الّا بطلان علم الأخلاق بالكلّيّة فما ذكره بعض الاعاظم لا يرجع الى مُحصّلٍ لانه اذا امكن تحصيل سبب النّدامة اعنى العلم بفوات المحبوب لزم ترتّب المُسبّب اعنى النّدامة عليه فما معنى عدم كونه مقدوراً و لا يهمنّا البحث فى التّوبة اكثر ممّا ذكرناه و ان كانت الأقوال فيها كثيرة و من شاء التّفصيل فعليه بكتب الاخلاق. و قد بيّن الصادق عليه السلام حقيقة التّوبة بقوله عليه السلام التّوبة جعل الله و مدّد عنايته، و لا بُدّ للعبد من مداومة التّوبة على كلّ حالٍ و كلّ فرقةٍ من العباد لهم توبة فتوبة الأنبياء من اضطراب السّر، و توبة الأولياء من تلوين الخطّرات، و توبة الأصفياء من التّنفيس، و توبة الخاصّ من الأشتغال بغير الله، و توبة العامّ من الذّنوب و لكلّ واحد منهم معرفةٌ و علمٌ فى اصل توبته و مُنتهى امره و ذلك يطول شرحه هنا.

المقصد الثّانى: فى شرايطها و آدابها.

و من شرائطها القدرة على الذّنوب السّابق و لهذا قيل انّ التّوبة انما تكون عن ذنبٍ سبق مثله اما تركٌ و ذنبٌ لم يسبق مثله حالاً و العزم على تركه استقبالاً لا يسمّى توبة بل يسمّى تقوى و يُسمّى صاحبه متّقياً لا تائباً و لذا يصحّ القول بانّ النّبى كان متّقياً عن الكفر و لا يصحّ القول بانه صلى الله عليه و آله و سلّم تائبٌ عنه.

ثمّ المراد بالمثل السّابق اعمّ من ان يكون مثلاً فى الصّورة او المنزلة فالشيخ الذى سبق منه الزّنا و قطع الطّريق و لم يقدر الساعة على فعلهما اذا اراد التّوبة عنهما فينبغى ان يتوب عمّا يماثلها صورةً اعنى نفس الزّنا و قطع الطّريق مع عدم قدرته عليهما و الّا لزم ان يكون باب التّوبة مسدوداً بالنّسبة الى مثله و كل من صدر منه معصيته و الان لا يقدر عليها و الأُسداد غير معقول لأنفتاح باب التّوبة الى الموت.

و نقل عن بعض المشايخ انه قال في حدّ التوبة انها ترك اختيار ذنبٍ سبق مثله منزلةً لا صورةً تعظيماً لله وَ حَذراً من سَخَطه.

فقوله: سبق مثله احتراز عن ترك ذنبٍ لم يسبق مثله فإنه لا يسمّى توبة بل تقوى ٧ و قوله منزلة لا صورةً لأدخال التوبة عمّا سبق، و لا يقدر الآن على فعله و عليه فتوبة العيّنين عن النظر و اللمس و امثال ذلك يكون توبة عن الزنا الذي فارقه قبل طريان العنية.

قال ابو حامد الغزالي - ان قلت هل تصحّ توبة العيّنين من الزنا الذي فارقه قبل طريان العنته.

قلت: لا، لأنّ التوبة عن ندمٍ يبعث العزم على التّرك فيما يقدر على فعله و ما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه.

ثمّ قال: و لكنى اقول لو طرأ عليه بعد العنة كشفٌ و معرفةٌ تحقّق به ضرر الزنا الذي فارقه و ثار منه احتراق و تحسُّرٌ و ندمٌ بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكانت حرقه الندم تقمّع تلك الشهوة و تغلبها فائى ارجو ان يكون كذلك مكفراً لذنبه و ما حياً عنه سيئته اذ لاخلاف فى انه لو تاب قبل طريان العنة و مات عقيب التوبة كان من التائبين و ان لم تطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة و تيسّر اسباب قضاء الشهوة و لكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغاً اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستحيل ان تبلغ قوّة الندم فى حقّ العيّنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فانّ كلّ من لا يشتهي شيئاً يقدر نفسه قادر على تركه بأدنى خوف و الله مُطلّع على ضميره و على مقدار ندمه فعساه يقبله منه. انتهى موضع الحاجة منه.

و انا اقول: اعلم انّ الاستغفار ليس محض قول المُذنب استغفر الله بل هو عبارة عن التّعري و التّبرى من الذنب بالأعراض عنه و الأقبال الى الله عزوجلّ بصدق النية فالواجب ان لا يكون المُستغفر حين استغفاره مُستظهاً بذنبه مُتمسكاً به معتمداً عليه متوجّهاً اليه فانّ ذلك ارتكاب ذنب لا استغفار و هو

يَتَحَقَّقُ بِشُرُوطٍ:

الأول: الندم عَمَّا سَلَفَ وَ التَّبَرُّى عَمَّا فَعَلَ وَ الأَدْبَارَ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ.

والثاني: العزم على التَّرك فيما بقى من عُمره فَيَعِزُّمُ عَلَى ان لا يَرْتَكِبُ ذَنْباً وَ ان عاش عُمر الدُّنْيَا اذ لو كان له عزم على العود لم يُعْرَضْ عن الذَّنْبِ بِنَفْسِهِ الدَّهْرِيَّةِ وَ ان أَعْرَضَ بِيَدِنِهِ الآنَ فى الزَّمانِ.

الثالث: ان يَتَدَبَّرَ فى الذَّنُوبِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا قَبْلُ وَ اعْرَضَ عَنْهَا الآنَ هل لها آثار باقية ام لا فان كان لها آثار باقية ينبغى رفعها بما جعله الشَّارِحُ رافعاً لها فان كان ذنبه السَّابِقُ بالنَّسْبَةِ الى المخلوقين و لزمه حقوق بسببه من قضاءٍ او كَفَّارَةٍ فليبادر اليه و يؤدِّيهِ فانه صفة النَّادمِ الصَّادِقِ عَلَى نِدْمِهِ هذا هو العزم على ترك الحقوق و الآثار اللّازمة بنفسه ذَنْبٌ مُسْتَمِرٌّ وَ هُوَينا فى التَّوبَةِ هذا.

و سيأتى فى هذا الكتاب الذى نحن بصدد شرحه انشاء الله تعالى ان ساعدنا الله عليه، ان قائلًا قال فى حضور امير المؤمنين عليه السَّلام استغفر الله. فقال عليه السَّلام، ثَكَلْتِكَ اُمَّكَ اَتَدْرِى ما الأَسْتَغْفَارُ؟ انَّ الأَسْتَغْفَارَ دَرَجَةٌ العَلِيِّينَ وَ هُوَ اسْمٌ واقِعٌ عَلَى سِتَّةِ معانٍ:

القدم: على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود اليه ابدًا.

والثالث: ان تُؤدَّى الى المخلوقين حقوقهم حتَّى تَلْقَى الله ليس عليك تَبِعَةٌ.

والرَّابِع: ان تَعْمَدَ الى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَعَتْهَا فَتُؤدَّى حُقُوقَهَا.

والخامس: ان تَعْمَدَ اللَّحْمَ الَّذِى بَنَتْ عَلَى السَّحْتِ فَتُذَيِّبُهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى يَلْصِقَ الجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَ يُنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ.

والسادس: ان تُذَيِّقَ الجِسْمَ المَّ الطَّاعَةَ كَمَا اذَقْتَهُ حَلَاوَةَ المَعْصِيَةِ فعند ذلك تقول استغفر الله انتهى.

و قد روى عن النَّبِيِّ ﷺ انه قال التَّائِبُ اذا لم يَسْتَبِينَ عَلَيْهِ اثر التَّوبَةِ فليس بتائبٍ يَرْضَى الحُصْمَاءَ وَ يعيد الصَّلَاةَ وَ يتواضع بين الخلائقِ وَ يَقْبَى

نفسه عن الشهوات و يهزل رقبته بصيام النهار و يصفر لونه بقيام الليل و
يخمص بطنه بقلّة الاكل و يقوس ظهره من مخافة النار و يذيب عظامه شوقاً
الى الجنة و يرق قلبه من هول ملك الموت و يجفف جلده على بدنه بتفكر
الآخرة فهذا اثر التوبة فاذا رأيتم العبد على هذه الصفة فهو تائب ناصح
لنفسه انتهى...

و غير خفى عليك ان الشرائط المذكورة كلها فى هذه الرواية و امثالها
يرجع الى ما ذكرناه من كون الشرائط فيها ثلاثة - الندم - و العزم على الترك فى
المستقبل - و التدبر فى الذنوب و اداء كل حق حقه.

و السرفيه هو ان التوبة كما قلنا فى صدر البحث هى الرجوع و من المعلوم
ان الرجوع عما مضى و الاقبال الى غيره لا يتحقق الا بامور ثلاثة.

الاول: الندم اذ لولاء لما رجع واقعاً فان المنشاء للرجوع ليس الا الندم عما
ارتكبه فى الماضى، ثم اذا ندم على ما فعله فلا محالة يعزم على تركه و العزم
على تركه يستلزم فعل ضده فى الاستقبال لا استحالة اجتماع الضدين و امتناع
خلو العبد عن فعل من أفعال و به يتحقق الشرط الثانى.

ثم ان هذين الامرين لا يمكن تحققهما الا بعد التدبر فى الذنوب و اداء كل
ذى حق حقه و به يتحقق الشرط الثالث.

و يمكن ان نقيم البرهان على المدعى بالدليل العقلى و حاصله ان العبد اذا
صدر عنه شيئاً من الأشياء و فعلاً من الأفعال او قولاً من الأقوال فلا يخلو امره
من كون ما صدر عنه مطابقاً للقوانين الشرعية موافقاً للنواميس الالهية او غير
مطابق لها .

فعلى الاول فلا مجال للقول بالتوبة فيه و هو ظاهر.

و على الثانى، فاما ان يندم على ما صدر عنه اولا يندم و على الثانى لا توبة

ايضا فيه.

و اما على الاول - اعنى كونه نادماً على فعله الذى فعله فيما مضى فاما ان

يعزم على تركه في الأستقبال او لا يعزم عليه.
لا سبيل الى الثاني لأنه لو لم يعزم على ترك ما صدر عنه سابقاً فلا محالة
يصدر عنه ثانياً ما صدر عنه أولاً من حيث عدم كونه مطابقاً للشرع و هو خلف
اذ المفروض كونه نادماً على ما مضى فلو اتى به في المستقبل يكشف منه كونه
غير نادم عليه و إلا لما فعله و المفروض تحقق الندم هف.
فظهر لك ان الندم على ما مضى يلزمه العزم على تركه في الاستقبال و عدم
الاتيان به و اذ اثبت هذين الركنين في صححة التوبة يثبت الثالث ايضاً كما
هو واضح.

المقصد الثالث: في كيفية التوبة و ذكر اقسامها و ما يتعلق بها فالبحث يقع
في جهات.

الجهة الاولى: في كيفية التوبة و قد ذكرنا في المقصد الثاني ان التوبة لا
تتحقق الا بامور ثلاثة لا محيص عنها و تدل عليها بعد دلالة العقل عدّة روايات
وآيات.

اما الآيات:

فمنها - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (١)

تقريب الاستدلال فيها ان الله تعالى امر عباده بالتوبة و قيدها بكونها نصوحاً
و هذه الآية متكفلة للامرين اللذين مر ذكرهما اعنى الندم و العزم على الترك.
فقوله توبوا الى الله معناه ارجعوا عما كنتم فيه من المعاصي و هو بدون الندم
على ما مضى غير معقول اذ لو لم يندم لا يرجع البتة.

و قوله توبة نصوحاً، يرشدنا الى الركن الثاني و هو العزم على الترك و ذلك
لان معنى التوبة اذا كانت نصوحاً عدم الرجوع الى ما مضى و هو لا يعقل الا اذا
كان عازماً قاصداً مُريداً على عدم الرجوع، فان عدم الرجوع من غير عزم و
قصد لا يتحقق عن الفاعل المختار.

ومنها - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (١)

علق التكفير عن السيئات على الاجتناب عن المنهيات الشرعية و من المعلوم ان الاجتناب عنها لا يمكن الا بعد تحقق الندم و العزم على الترك فى المستقبل و الا فالاجتناب بدون العزم من الفاعل المختار غير معقول قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (٢)

و: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا وَيَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٣)
و: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّٰهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللّٰهُ الذُّنُوبَ اِلَّا اللّٰهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٤)
دلّت الآيات على انه تعالى يغفر الذنوب اذا رجع العبد عنها و تاب و لم يُصر على ما فعله سابقاً فى المستقبل وهو المطلوب.

واما الاخبار فكثيرة ايضاً فلنذكر شطراً منها.
فمنها - ماروى انه سئل رسول الله ﷺ عن خيار العباد فقال ﷺ الذين اذا حسنوا استبشروا و اذا ساءوا و استغفروا و اذا اعطوا شكروا اذا ابتلوا صبروا و اذا غضبوا غفروا انتهى...

ومنها - ما عن ابى عبد الله عليه السلام انه عليه السلام قال ما من مؤمن يقترف فى يوم و ليلة اربعين كبيرة فيقول و هو نادى استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم بديع السموات و الارض ذا الجلال و الاكرام و اسئله ان يتوب على الاغفر الله له الحديث...

و عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيراً فاذا نبت ذنباً اتبعه بنعمة يذكره الاستغفار و اذا اراد الله بعبد شراً فاذا نبت ذنباً اتبعه بنعمة فنسيه الاستغفار و يتمادى به

وهو قول الله عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون بالنعم عند المعاصي انتهى...

وعن النبي ﷺ لكل داءٍ دواءٌ ودواءُ الذنبِ الأستغفار انتهى.

وعن ابي جعفر عليه السلام قال ﷺ: كان رسول الله ﷺ و الأستغفار لكم حصنين: من العذاب فمضى اكبر الحصنين انتهى (١)

وعن النبي ﷺ طوبى لمن وجد في صحيفه عمله يوم القيمة تحت كل ذنبٍ استغفرؤ الله، انتهى...

وعن ابي جعفر ﷺ التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمقيم على الذنب وهو مُستغفرٌ منه كاللْمُسْتَهْزِئِ، انتهى...

وعنه ﷺ والله ايتجو من الذنب الا من اقر به، انتهى...

وقال ايضا كفى بالندم توبة...

وعن ابي عبدالله ﷺ قال ﷺ لا والله ماخرج عبداً من ذنبٍ باصرارٍ وماخرج عبداً من ذنبٍ الا باقرارٍ، انتهى...

وقال امير المؤمنين ﷺ لا شفيع انجح من التوبة...

وعن موسى ابن جعفر ﷺ من سرته حسنته وسائبه سيئته فهو مؤمن فمن يندم على ذنبٍ يرتكبه فليس بمؤمنٍ ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول ماللظالمين من حميمٍ ولا شفيعٍ يطاع...

فقلت له يا بن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنبٍ يرتكبه فقال يا ابا احمد ما من احدٍ يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم انه سيعاقب عليها الا ندم على ما ارتكب ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة ومتى لم يندم عليها كان مصراً والمُصْر لا يُغفر له لانه غير مؤمنٍ بعقوبة ما ارتكب ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم.

وقد قال النبي ﷺ لا كبيرة مع الأستغفار ولا صغيرة مع الأصرار واما

قول الله عز وجل ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، فانهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله والذين الأقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة انتهى...

وعن النبي ﷺ أنه قال - أيها الناس توبوا إلى الله توبةً نصوحاً قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا واصلحوا بينكم وبين ربكم تسعدوا، واكثروا من الصدقة ترزقوا الحديث...

وعنه ﷺ أنه قال اذا ذنب العبد ذنباً كان نكته سوداء على قلبه فان هو تاب واقلع واستغفر صفا قلبه منها وان هو لم يتب ولم يستغفر كان الذنب على الذنب والسواد على السواد حتى يغمر القلب فيموت بكثرة غطاء الذنوب عليه وذلك «كُلُّ بَلِّ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (١)

وروى عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال من اعطى اربعاً لم يحرم اربعاً من اعطى الدعاء لم يحرم الأجابة ومن اعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن اعطى التوبة لم يحرم القبول منه ومن اعطى الشكر لم يحرم الزيادة وذلك في كتاب الله عز وجل...

وروى عن بعضهم عليهم السلام اكثر و الاستغفار ان الله لم يعلمكم الاستغفار الا وهو يريد ان يغفر لكم انتهى...
فتحقق مما ذكرناه ان كيفية التوبة ماهي وانها لا توجد الا بعد وجود اركانها الثلاثة.

الجهة الثانية: في التائب واقسامه وشرائطه.

اعلم ان التائب على اربعة اقسام:

احدها: من سكنت نفسه عن الشروع الى الذنوب فلا يحومها باي وجه كان.

وثانيها: من بقي في نفسه الشروع اليها والرغبة فيها وهو يجاهد ويمتنعها

واكثر التوابين من هذا القبيل.

وثالثها: من نسى الذنب من دؤن اشتغال بالتفكر فيه.

ورابعها: من جعل الذنب نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندماً

عليه.

ولاشك ان الأول افضل من الثانى والثانى من الثالث والثالث من الرابع الآ انه ربما يقال بان التذكّر والأحترق بالنظر الى المبتدى ومن يخاف عليه العود افضل لانه يسدّه عنه والنسيان بالنظر الى المنتهى السالك والواصل الى مرتبة الحبّ والأنس الواصل من نفسه انه لا يعود افضل لانه شغل مانع عن سلوك الطريق وحاجب من الحضور بلا فائدة ولا ينافيه بكاء الانبياء وتناجيهم من الذنوب لانهم قد ينزلون فى اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة بالامة فانهم بعثوا لارشادهم فعليهم التلبس بما تنفع الامة بمشاهدته وان كان نازلاً عن ذروة مقامهم.

ولذا قال رسول الله ﷺ على ما نقل عنه (اما انسى لانسى ولكن انسى لأشرع) ولا تعجب من هذا فان الأمم فى كنف شفقة الانبياء كالصبيان فى كنف شفقة الآباء وكالمواشى فى كنف الرعاة والأب اذا اراد ان يستنطق ولده الصغير ينزل الى درجة نطق الصبى والرعى لشاة او طائر يصوت به رغاء او صغيراً شبيها بالبهيمة والطائر.

ثم ان التائب لا بد له من ان يتغير عما كان قبل التوبة والا لم يكن تائباً.

روى عن النبى ﷺ قال اتدرون ما التائب؟ قالوا اللهم لا قال: اذا تاب العبد ولم يرض الخصماء فليس بتائب ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير مجلسه وطعامه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير خلقه ونيته فليس بتائب، ومن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسع كفه فليس بتائب ومن تاب ولم يقصر أمّله ولم يحفظ لسانه فليس بتائب، ومن تاب ولم يقدم فضل قوته من بدنه فليس بتائب واذا استقام على هذه الخصال فذاك التائب انتهى...

ومن هذه الرواية يظهر وجوب تدارك مافات وجبر كسره بما جعله الله جبراً حتى تكون التوبة توبة واقعية فتأمل.

ثم إنَّ التائبَ أما يتوب عن المعاصي كلها ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط ولا يعود الى ذنوبه ولا يصدر عنه معصية الا الزلات التي لا يخلو عنها غير المعصومين وهذه التوبة هي المسماة بالتصوح في قوله تعالى توبة نصوحاً، والنفس التي صاحبها هي النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية كما قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (١)

وإما يتوب عن كبائر المعاصي والفواحش ويستقيم على امهات الطاعات الا انه لا ينفك عن ذنوب تصدر عنه في مجارى احواله غفلة وسهولة وهفواً عن محض العمد وتجريد القصد و اذا أقدم على ذنب لام نفسه ونديم وتأسف وجدد عزمه على ان لا يعود الى مثله ويستمر للأحتراز عن اسبابه التي تؤدي اليه والنفس التي هذه مرتبتها هي النفس اللوامة التي خيرها يغلب على شرها ولها من الوعد من الله تعالى بقوله ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّحَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (٢)

واليه الاشارة في قوله ﷺ خياركم كل مفتن توأب.

وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة يفيء أحياناً ويميل أحياناً.

وفي خبر آخر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفنية بعد الفنية، اي العجين بعد العجين.

وثالثاً - يتوب ويستمر على الاستقامة مدة، ثم تغلبه الشهوة في بعض الذنوب فيقيد عليه عمداً وقصداً لعجزه عن قهر الشهوة وقمعها الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك لأكثر الذنوب مع القدرة، والشهوة وانما قهره بعض الشهوات بحيث يغفل عند هيجانها ويرتكب مقتضاها من دون

مجاهدةً وندامةً وعند قضاء هذه الشهوة والفراغ عنها يندم ويقول سأتوب
عنها الكنه يسؤل نفسه ويسوف توبته يوماً بعد يوم والنفس التي هذه درجاتها
هي التي تسمى النفس المسؤلة المسؤل صاحبها واليها الاشارة بقوله تعالى:
﴿وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(١)

فربما اختطفها الموت قبل التوبة ويقع امرها في المشيئة فيدخل في زمرة
السعادة او يسلك في سلك الاشقياء.

ورابعاً: يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى الذنوب عمداً وقصداً
من غير ان يحدث نفسه بالتوبة او يتأسف ويتندم بل ينهمك انهماك الغافل في
الذنوب واتباع الشهوات وهذا معدود من المضرين ونفسه محسوبة من
النفس الامارة بالسوء الضرارة من الخير قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي أَنْ
النَّفْسُ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٢)

الا ما رحم ربي، ومثله ان مات على التوحيد وختم له بالحسنى وغلبت
طاعته على سيئاته كان من اهل الجنة وان ختم له بالسوء كان من اهل النار وان
مات على التوحيد ولكن ترجحت سيئاته على حسناته فامر به الى الله.

الجهة الثالثة: اعلم ان التائب بالنسبة الى ماتاب عنه له حالات لان ما يتوب
عنه يختلف وهو لا يخلوا عن ترك الطاعات وفعل المحرمات والذنوب التي
بينه وبين العباد ويُعبّر عنها بحقوق الناس فما يتوب عنه على ثلاثة اقسام.

القسم الاول: ترك الطاعات الواجبة من الصلوة والصوم والزكاة والخمس
والحج والكفارة وغيرها من الواجبات وطريق التوبة عنها ان يجتهد في قضائها
بقدر الامكان وهو ظاهر.

والقسم الثاني: المحرمات التي بينه وبين الله تعالى اعني المنهيات التي
هو حقوق الله كشرّب الخمر والكذب والزنا وغيرها من المحرمات وطريق
التوبة عنها ان يندم عليها ويؤطن قلبه على ترك العود الى مثلها ابدأ.

القسم الثالث: الذنوب التي بينه وبين العباد وهي المُعْتَبَر عنها بحقوق الناس
والأمر فيها أصعب وأشكّل وهي توجد في أمور خمسة في المال، والنفس،
والعرض، والحُرمة، والدين.

أما المال - فيجب عليه ان يرّده الى صاحبه ان امكّنه فان عجز عن ذلك
لعدم اوفقيّ وجب ان يستحلّ منه وان لم يحلّه او عجز عن الايصال لغيبه الرجل
غيبته منقطعةً او موته وعدم بقاء وارث له فليتصدق له ان امكّنه والآ فعلية
بالتضرع والأبتها الى الله ان يُرضيه عنه يوم القيمة وعليه بتكثير حسناته
وتكثير الأستغفار له ليكون يوم القيمة عوّضاً عن حقه.

وأما النفس، فان كانت جنائية جرت على خطأ وجب ان يُعطى الدية وان
كان عمداً وجب عليه ان يُمكن المَجْنِيّ عليه او اوليائه مع هلاكه من القصاص
حتى يُقتص منه او يُجعل في حلّ وان عجز عن ذلك فعليه بكثرة اعتاق
الرقاب لأن ذلك نوع ايجاد واحياء لا يقدر الإنسان على اكثر منه وعليه الرجوع
ايضاً الى الله تعالى بالتضرع والأبتها ان يُرضيه عنه يوم القيمة.

وما كان في العرض، بان شتمه او قذفه او بهته او اغتابه فحقه ان يكذب
نفسه عند ما قال ذلك لديه ويستحلّ من صاحبه مع الامكان ان لم يخف
تهديده وزيادة غيظه وهيجان فتنته من اظهاره فان خاف ذلك فليكثر
الأستغفار له ويبتهل الى الله يُرضيه عنه يوم القيامة.

وما كان في الحُرمة - بان أخاف مسلماً في أهله وولده او نحوهما فلا وجه
للأستحلال اذا اظهار ذلك يورث الغيظ والفتنة لأن من له شوب الرجولية
لا يمكن ان يحلّ من خان في حُرمة ووطىء زوجته كيف ولو احلّ آياه ورضى
بذلك كان فيه عرق من الديانة فاللزام لمثله التضرع والأبتها الى الله المتعال
والمواظبة على الطاعات والخيرات لمن خانته في مقابل خيانتته وان كان حياً
فليفرحه بالأحسان والانعام وبذل الأموال وغيرها من الامور.

وما كان من الدين - بان نسب مسلماً الى الكفر او الضلالة او البدعة فليكذب

نفسه بين يدي من قال ذلك عنده ويستحل من صاحبه مع الامكان وبدونه يستغفر له ويكثر الابتهاال الى الله ليرضيه عنه يوم القيمة ومجمل القول فى هذه الامور الخمسة التى من حقوق الناس ارضاء الحضور مع الامكان وبدونه التصدق وتكثير الحسنات والاستغفار والرجوع الى الله بالتضرع والابتهاال ليرضيه عنده يوم القيمة هكذا قالوا وحققوا علماء الاخلاق فى المقام.

الجهة الرابعة: لاختلاف ولااشكال فى انه يصح التبعيض فى التوبة بمعنى صحة التوبة عن بعض الذنوب دون بعض الا أنهم اشترطوا فى صحتها بالنسبة الى البعض ان لا تكون الذنوب التى يتوب عنها مخالفة بالنوع للذنوب التى لا يتوب عنها كان يتوب عن الكبائر مثلاً دون الصغائر او عن القتل والظلم ومظالم العباد دون بعض حقوق الله او عن شرب الخمر دون الزنا، او بالعكس او عن بعض الصغائر دون الكبائر الذى يتوب عن الغيب دون شرب الخمر. واستدلوا عليه بأن العبد اذا علم ان الكبائر اعظم اثمًا عند الله واجلب لسخط الله وممقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليها فلا يبعد ان يتوب عن الأعظم دون الأصغر وكذا اذا تصور ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله من بعض فلا يبعد ان يتوب عن الأغلظ دون الاخف فالتوبة عن بعض المعاصى دون بعض مع اختلافها نوعاً باي نحو كان ممكن وصحيح جداً هكذا قررو الامر فى المقام.

اقول: ماذكروه لابس به بل يؤيده ان التوبة من حيث المفهوم لا يمتنع فرض صدقها على كثيرين فهى امر عام قابل للانطباق على كثيرين وقد ثبت فى علم الميزان ان الكلى يوجد بوجود احد افراده ويعدم بانعدام الأفراد جميعاً وعليه فاذا تاب عن بعض دون بعض فالكلى اعنى التوبة قد وجد وهو المطلوب.

الجهة الخامسة: اعلم ان العاصى يجب عليه ان يتوب عن المعاصى باسرها ولا يجوز له تأخير التوبة واستدلوا عليه بالاجماع والعقل والنقل.

أما الأجماع، فلا ريب في انعقاده.

(١) وأما النقل، فلقوله تعالى: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾

(٢) و: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وامثال ذلك من الآيات والأمر للوجوب.

وأما العقل، فهو أن من علم معنى الوجوب ومعنى التوبة فلا يشك في ثبوته له وقد بينوه بأن الواجب ما هو وسيلة و ذريعة إلى سعادة الأبد و النجاة من هلاك السرمند ولولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن معنى لوجوبه ولا ريب أنه لا سعادة في دارالبقاء إلا في لقاء الله أو الأُنس به فكل من كان محجوباً عن اللقاء والوصول محروماً عن مشاهدة الجلال والجمال فهو شقي لا محالة محترق بنارالفراق ونار جهنم ثم لا يُبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات النفسية والغضب والأُنس بهذا العالم الفاني كما أنه لا يُقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب من زُخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلباً للأُنس به ولا ريب في أن الأنصراف عن طريقة البعد الذي هو الشقاوة واجب للوصول إلى القرب الذي هو السعادة ولا يتم ذلك إلا بالتوبة التي عباره عن العلم والندم والعزم وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب فالتوبة واجبة انتهى.

المقصد الرابع في وقت التوبة:

وقد ظهر مما ذكرناه نقلاً عن القوم من أن التوبة واجبة فإن ما ذكره لو تمَّ فالتوبة واجبة على الفور لا من باب دلالة الأمر على الفور كما ذهب إليه بعض الأجلة لأن صيغة الفعل وما في معناها لا تدل على أكثر من طلب الطبيعة كما قرر في الأصول والفور والتراخي خارجان عن مفهوم الطلب كما لا يخفى وتحقيقه في الأصول.

(٣) بل لوجود القرينة الدالة على الفور وهي ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

ولأن التوبة لو ثبتت وجوبها كما هو المفروض فالعقل يحكم بوجوب

١. التحريم ٨.

٢. النور - ٣١.

٣. آل عمران - ١٣٣.

المبادرة اليها فإن في التأخير آفات والموت يأتي بغتة فيجب الاستباق اليها
دفعاً للضرر المُحتمل وهو احتمال عدم توفيقه للتوبة.

وعليه فالوقت فيها حين الفراغ عن المعصية كما قال لقمان لابنه، يا بني
لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة اليها بالتسوية يقع بين
خطرين عظيمين:

احدها: تراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير ديناً وطبعاً فلا يقبل
المحق.

والثاني: ان يعامله المرض والموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو كما ورد
ان اكثر صياح اهل النار من التسوية قال شيخنا البهائي (قده) على ما نقل عنه،
لا ريب في وجوب التوبة على الفور فإن الذنوب بمنزلة السموم المضرة للبدن،
وكما يجب على شارب السم المبادرة الى الاستفراغ تلافياً لبدنه المشرف على
الهلاك كذلك يجب على صاحب الذنوب المبادرة الى تركها والتوبة منها
تلافياً لدينه المشرف على الأضمحلال.

قال (قده) ولا خلاف في اصل وجوبها سمعاً للامر الصريح بهافي القرآن
والوعيد والحتم على تركها فيه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (١)

وقال ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وإنما الخلاف في وجوبها عقلاً،
فالمعتزلة اثبتوها دفعاً لضرر العقاب الى آخر ذكره (قده).

ولنختم الكلام في التوبة وما يتعلق بها في المقام حذراً من الاطناب وخوفاً
من الاطالة والحمد لله رب العالمين.

بقي من المقام شيء لا بد لنا من التعرض له لمناسبته بالمقام ولئلا يخلو
كتابنا هدامه وهو ان التوبة على ما علمت هي الرجوع عن الذنب صغيراً كان
او كبيراً وبدونه لا معنى لصدق التوبة وعلى هذا فما معنى التوبة بالنسبة الى

الانبياء والمعصومين سلام الله عليهم اجمعين مع أنهم كانوا معصومين عن الذنوب مطلقاً على ما قرّر في محله ويستفاد من معنى العصمة.
 أما صدور التوبة عنهم فهو ممّا لاخلاف فيه وقد شهد القرآن والنصوص به.
 قال الله تعالى: في آدم - ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١)

و: ﴿عن ابراهيم - ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة وارنا مناسكنا وثب علينا انك انت التواب الرحيم﴾ (٢)

و: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ (٣)

و: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ (٤)

و: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ (٥)

و: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ﴾ (٦)

وأما الآثار فكثيره.

قال الصادق عليه السلام ان رسول الله ﷺ كان يتوب الى الله ويستغفره في كل يوم وليلة ماء مرة من غير ذنب...

وروى ايضاً انه عليه السلام لم يكن يجلس مجلساً ولو كان خفيفاً الا استغفر خمسا وعشرين مرة.

وقال سيّد السّاحدين وزين العابدين في الصّحيفة في دعائه في ذكر التّوبة...

اللّهمّ انّه لا وفاء لى بالتّوبة الا بعصمتك ولا استمساك بى عن الخطايا الا عن قوتك الى آخره...

وقال ايضاً، الهم واني اتوب اليك من كلّ ماخالف ارادتك الى ان قال عليه السلام توبة تسلم بها كلّ جارحة على حياها من تبعاتك...

٢. ابراهيم ١٢٨.

٤. الرعد ٣٠.

٦. الفتح ٣.

١. البقرة ٣٧.

٣. النصر ٣.

٥. هود ١١٢.

وقال ﷺ ايضاً فيها - واقبل توبتي ولا ترجعني مرجع الخيبة من رحمتك
 انك انت التّواب على المُذنبين والرّحيم للخاطئين المُنيبين...
 وقال ايضاً، اللّهم ان يكن النّدم توبة فأنا اندمّ النّادمين وان يكن التّرك
 لِمَعْصِيَتِكَ إِنْابَةً فانا أول المُنيبين. وان يكن الاستغفار اليك حطّة للذّنوب فاني
 لك من المُستغفرين وامثال ذلك ممّا روى عن المعصومين فنقول قال بعض
 المحقّقين فى المقام ما هذا الفظه.

اعلم: انّ الله جلّ جلاله نورٌ لا ظلّمة فيه وكمالٌ لا نقص فيه احدٌ لا يُثنى
 واحدٌ لا يجرى فهو هكذا ولا هكذا غيره وجميع ما خلق من مبدء الوجود الى
 منتهى الشّهود مُركّبٌ من جهتين جهة ربّ وجهة نفس حتى روى عن
 الرّضاء ﷺ انّ الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته فكلّ ماسواه له جهة ربّويّته
 وجهة عبوديته فجهة الربّويّته نورٌ وخيرٌ وكمالٌ تدلّ على الربّ اذ وصف للعبد
 نفسه بها.

وامّا اجتهته العبوديّته فهو خلاف جهة الربّويّته كما فى الحديث القدسي
 رُوِحَ من رُوْحِي وطبيعتك على خلاف كينونتي فهي ظلّمة وشرٌّ ونقصٌ
 فكلّ مخلوق فيه هاتان الجهتان غاية الامران درجات هاتين الجهتين مختلفة
 اذ قاعدة النور ورأس مخروط الظلّمة عند المبدء وقاعدة الظلّمة، ورأس
 مخروط النور عند المنتهى فكلتا هما فى كلّ مخلوقٍ والتّفاوت فى الزيادة
 والنّقصية ولما كانت الثانية ضدّ للأولى وعلى خلافها كانت بنفسها عصياناً
 وذنباً كيف لا والعمل بمقتضاها وهواثرها عصيانٌ فالمؤثر اصل العصيان
 ومبدئه وكلّ مخلوق يرى فى نفسه تلك الجهة سارية فى جميع مراتبه، و
 اعضائه فيقرّ على نفسه انى عصيتُ بعيني وأذنى ولساني ويدي وفرجى
 ورجلى ورُوْحِي ونفسي وهكذا فكلّ احدٌ يرى فى نفسه هذه الجهة مخالفة
 للجهة الاولى التى هى محبوبة للربّ فيريها مبعوضة فيعتذر منها وانما مثل
 هذه الجهة كان يكون مع احدٍ نجاسة ويدخلها المسجد فان اثرت فى المسجد

فهو ذنبٌ وان لم تؤثر فوجودها ذنبٌ كذلك حال النفس ولنعم ما قاله الشاعر.
 اذا قلت ما اذنبتُ قالت مُجيبه وجودك ذنبٌ لا يقاس به ذنبٌ
 هذا وان كان جهة نفس المُقرب انور من جهة ربّ الا بَعْدَمَنه كما قيل
 حَسَنات الأبرار سيئات المقربين وهذا وجه واقعى صدقٌ وبتضرّعهم وبكائهم
 وتوبّتهم واستغفارهم يرتقون دائماً هذه الجهلة ويُلطّفونها و يجعلونها مطيعة
 للجهة العليا حتى يَرْتَضِيها الله سبحانه فى الدّعاء غير ضنين بنفسى فيما
 يرضيك عنى اذبه قدر ضيئتي فهذا وجه واقعى لا اَحْدُ الاحتمالات.
 و وجه آخر وهو ان الله عزّ وجلّ خلق شيعتهم من شعاعهم كما روى انما
 سميت الشيعة شيعة لانهم خلّقوا من شعاع نورنا والشعاع لا وجود له الا بالمُنير
 يعنى انه نور اذا راي فيه المُنير والا فهو ظلمة.

وبعبارة اخرى، ان النور بنفسه ظهور المُنير ولا اعتبار له الا باعتبار المُنير
 اذ هو بنفسه كمال المُنير وتمثله ووجوده الثانى بحيث يصحّ للمُنير ان ينسب
 النور الى نفسه ويقول انا هو كما روى عن على عليه السلام انا الامل و المأمول وانا نحن
 النذر الاولى ونذر الآخرة والاولى ونذر كل زمانٍ وأوانٍ ومن هذا الباب امثال
 ما صدر عنهم انا آدم وشيث وانا نوح وسام وانا ابراهيم واسماعيل وهكذا ومن
 هذا الباب ان ذكر الخير كنتم اوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه.
 وكذا انا صلوة المؤمنين وصيامهم.

وكذا ان لنا مع كل ولى اذناً سامعةً وعينا ناظرةً ولساناً ناطقاً فليس الا همهم
 وظهورهم الذى لا اعتبار له الا من حيث الظاهر والظاهر اولى بالظهور من نفس
 الظهور والظهور منطوق تحت احدىة الظاهر فليس الا الظاهر اذ ذاك ظاهر فاذاً
 جميع ما يصدر عن شيعتهم من طاعة هو عملهم وطاعتهم ولهم ثوابه وهذا
 معنى قوله اليكم التفويض وعليكم التعويض ومعنى ما تقول فى الزيارة:
 اشهداتك قد اقامت الصلوة وآتيت الزكوة وامرت بالمعروف، ونهيت عن
 المنكر واطعت الله ورسله حتى اتيتك اليقين فجميع الطاعات عملهم وهم

مُثَابُونَ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَفَضَّلُونَ عَلَىٰ شِيَعَتِهِمْ بِمَا شَاءُوا فَإِنَّ عَلَيْهِمُ التَّعْوِيضَ تَفَضُّلاً لَا
اسْتِحْقَاقاً قَاكْقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(١)

اي هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا المغفرة وكذلك من كان له الغنم
فعلية الغرم. فجميع معاصي شيعتهم محمولة وإن الله سبحانه حمل جميع
ذنوب الشيعة على رسوله. ثم قال:

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ:

اي ما تقدم من ذنبك من الشيعة السابقين السالفين وما تأخر من الشيعة
اللاحقين فاذا هم يستغفرون للشيعة الذين يحملون العرش و من حوله
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم.

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾^(٢)

وهم سلام الله عليهم حملة العرش و من حوله الانبياء والاصياء يستغفرون
لذنوب شيعتهم والنبي ﷺ يستغفر لكل واستغفر لذنبك، و للمؤمنين
والمؤمنات فجميع الذنوب التي ينسبونها الى انفسهم ذنوب شيعتهم فما صدر
من عينهم صادر عن عينهم فانهم اولى بعين شيعتهم من انفسهم.

النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم، و من كنت مولاه فهذا علي مولاه،
وما صدر عن اذنهم فهو الصادر عن اذنهم وما صدر عن لسانهم فهو الصادر عن
لسانهم وهكذا.

وهم الذين يجب عليهم ان يستغفروا من تلك الذنوب فالعبد وما يملكه
كان لمولاه.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَاهُ﴾^(٣)

ففي كنز الدقائق عن ابي الحسن الثالث انه سئل عن قول الله تعالى ﴿يَغْفِرْ

لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَهُ (١)

قال عليه السلام وائى ذنب كان لرسول الله متقدماً او متأخراً وانما حمّله الله ذنوب شيعته عليّ عليه السلام ممّن مضى منهم وبقي ثم غفرها الله له...

فان قلت: ان صحّ غفرانه فما وجه الاستغفار؟

قلت: ان المؤمن لا يترك الاستغفار للذنب غفرها الله له وان ترك الاستغفار اثبت لنفسه ثانياً ايّته هي اصل ذنب ثان ولاجل ذلك قال عليه السلام لقد كان عليه السلام يبكي حتى يغطي عليه فقيل له يا رسول الله اليس الله قد غفر لك ماتقدّم من ذنبك وما تأخّر؟

قال: بلى، افلا كؤن عبداً شاكراً (شكورا) انتهى.

ثم قال (قدّه). وهذا ايضاً من مبشرات الشيعة ومما يزيد في رجائهم ووثوقهم بالمغفرة فان ذنوبهم محمولة على رسول الله عليه السلام وهو مغفور له.

فمن الصادق عليه السلام: والله ما كان له ذنب ولكن الله ضمّين له ان يغفر ذنوب

شيعة عليّ عليه السلام ماتقدّم من ذنوبهم وما تأخّر انتهى...

قل بفضل الله وبرحمته عليه السلام فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون من

الأعمال والتوبة والاستغفار.

ووجه آخر.

ان العبد كائناً ما كان وبالغاً ما بلغ في الترقى والسير الى الله بأقدام الامثالات

وبكل امثال يتقرب الى الله سبحانه على حسب سعة امثاله وخلوصه وكمال

توحيدته فأسرع السائر الى الله سبحانه محمداً عليه السلام وآله يسيرون في كل

خطوة ما لانهاية له ويتقربون الى الله سبحانه بما لا نهاية له وكلما تقربوا الى

الله جلّ وعزّ اشتد استنارتهم وتوحيدهم، وتوحدتهم فيرون ما كانوا عليه

بعداً وظلمة وكثرة وخلاف محبة الله ورضاه وكيونته وتخلقاً بغير اخلاق

فيستغفرون ويتضرعون الى الله سبحانه في غفرانه لهم ازالة مقتضيات ذلك

البُعدِ عنهم فبكلِّ خطوة استغفارهم يشتدُّ نورهم وبكلِّ اشتداد يرون ما كانوا عليه اشدَّ ظلمةً فيُعيدون الاستغفار، و يُلحِّون في التضرُّع والأستغفار (والاستعفاء) والتَّوبة اعظمَ من الأوَّل فيتزايد تضرُّعهم وهكذا في الدَّعاء تدلِّح بين يدي المُدلِّج من خلقك فلا يخرجون من هذا التَّقصير ابداً.

وفي الدَّعاء اللهم لاتجعلني من المُعارين ولا تخرجني في حدِّ التَّقصير، بل هم في كلِّ آن يرون انفسهم اشدَّ ذنباً وهو محسوس، إنَّ الكاتب مثلاً كلما يشتدُّ سعيه في حُسن الخطِّ ويحسن خطه اشدَّ يطلِّع على معائب خطوطه السابقة اكثرَ وهكذا وكذا الأنسان اذا كان في قبة يربها ضيئة فاذا ذهب في الشمس ورَمَق اليها، ثمَّ نظر الى القبة يربها ظلمانية لا يميِّز مافيها من متاع، اذا اخرج يده لم يكديرايها، فهذا ايضاً وجه وجهه في اصرارهم في العبادة والطاعة والأتابة والأستغفار وَجَهٌ آخِر.

أنهم سلام الله عليهم لا يعبدون الله خوفاً من النار ولا طمعا في الجنة انما يعبدونه حُباً والمَحَبَّة انما تتحقَّق بين شيئين بالمناسبة وكلما تَقَلَّ المناسبه تَقَلَّ المَحَبَّة وكلما تزداد تزداد، والشَّيْثان ليسا بشيئين اثنين الا بالامتياز ولا امتياز الا بالمخالفة والمخالفة تخالف المَحَبَّة وتوجب المباينة والمشاقة فالحبيب كلما يجد في نفسه نيَّةً وله وجود يعتذر عند الحبيب وينسب الى نفسه المَخالفة والمشاقة والمعصية فيستغفر حبيبه كي يُغنى باستغفاره انيَّته ويطلب سرَّ الحبيب اياها بافنائها واعدامها ولما كانوا سلام الله عليهم لا يتحدون مع الله ابداً ولا يخرجون عن مقام العبودية اصلاً ويمتنع ان يصير الحادث قديماً يرون في انفسهم مشاقة لله ومحادة وهي ام المعاصي ورأس كلِّ خطيئة عندهم فيديمون الأستغفار وطلب التَّكفير والأستعفاء والتَّوبة لكي يَفنُّو جهة المشاقة يرفقوها ويلطفوها ويرون انهم لو امسكوا عنها غلظت المشاقة والبيئونة وذلك ان الماهية لا تضعف بالعمل بمقتضى الوجود فلا يزالون في تشديد العمل بمقتضاه ولا يألون جهداً في نفيها وينسبون انفسهم الى النقصان في المَحَبَّة

والى المعاصى المؤبقة المهلكة من جميع جهات وجودهم اذ لكلها ائية وماهية هي اصل المشاقه فلذا لك يقولون عَصِيَّتْكَ بعينى وأذنى ولسانى ويدي وفرجى وهكذا ومع ذلك سيئاتهم حَسَنَاتِ جَمِيعِ من سواهم ولا حَيِّبَ الأهو واهله فافهم وبهذا الوجود وامثالها يَدِيمُونَ الأستغفار صلوات الله عليهم مَدَدَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَنْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَمَنْ ابْصَرَ مِنْهُمْ بِجِهَاتِ الأُمْنِيَةِ ودقائق الماهية.

اللَّهُمَّ اِنِّى اسئلك بحق محمد واهل بيته الطيبين الطاهرين ان تغفر لى ذنوبى وتستتر على عيوبى ولا تفضحنى بين الخلائق فانك اهل الاحسان والجلود والمغفرة يا ارحم الراحمين.

انتهى ما ذكره (قده) من الوجوه فى حل الاشكال وقد اتعب نفسه وبذل جهده فى المقام والانصاف انه (قده) قد اتى بما هو الحق ونحن قد ذكرنا ما ذكره بطوله وتفصيله لما فيه من الفائدة والنفع العميم ما لا يوجد فى غير هذا الكتاب فافهم واغتنم والحمد لله رب العالمين.

تذنيب: قال المحقق البحراني (قده) فى شرح هذه العبارة اعنى قوله والتوبة من ورائكم، وكونها من وراء لأن الجواز ب الألهية اذا اخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه نفسه الى ما كان معرضاً عنه من الندم على المعصية والتوجه الى القبلة الحقيقية فانه يصدق عليه اذن ان التوبة ورائى وتراء عقلياً وهو اولى من قول من قال من المفسرين ان ورائكم بمعنى امامكم، انتهى.

اقول: بيان المقصود من هذه العبارة لا يحتاج الى هذه التدقيقات الفلسفية والتخريجات العرفانية التى تحمّلها (قده) وذلك لوضوح المعنى فان قوله لا اله الا الله والتوبة من ورائكم، هو ان التوبة من وراء المكلفين دون سائر جهاتهم من اليمين والشمال و الامام لان التوبة كما فصلنا القول فيها من تاب اى رجع، فكل من اراد ان يتوب لا بدله من الرجوع الى ماضى وما صدر عنه فى سالف

الزّمان بتأديته حقوق النَّاس وحقوق الله التي قد فوّتها وهذا هو معنى التّوبة
فصّح ان يقال أنّها من ورائكم.

و بعبارةٍ اخرى: غرضه ﷺ ان التّوبة ليست الا الرجوع الى الورااء اعنى ما
سلف و هذا ظاهر.

□ قوله ﷺ: وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَلْمُ لَائِمٌ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ...

جملتان خبريتان فى معنى الانشاء و المعنى انه يجب ان يكون حمد كل
حامدٍ لله سبحانه لكونه مبدء جميع المحامد والخيرات و يجب ان يكون لوم
كل لائم على نفسه لكونها منشاء الشرور و الخطيئات كما قال الله تعالى فى
كتابه.

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (١)

هكذا قالو فى شرح العبارة

وانا اقول: حمل الجملتين الخبريتين على معنى الانشاء لوجه له الا فيما اذا
لم يمكن حملها على الخبر و ما نحن فيه ليس من هذا القبيل فان حملهما على
الأخبار كما هو ظاهر اللفظ أولى و اقوى من الحمل على الانشاء ضرورة ان
الرجوع فى كل المحامد اليه تعالى مما لا سبيل للإنكار اليه سواء أنشاء أم لم
ينشاء اذ هو معتضد با الادلة العقلية و البراهين اليقينية و الانشاء انما هو فيما لم
يكن كذلك كيف و اجماع العقلاء و اطباق الفضلاء عليه فالحق فى المقام
انه ﷺ اخبر بهاتين الجملتين الى حكم قطعى عقلى و هو ارشاد النقل الى العقل
و قد مر منا الكلام فى صدر الكتاب ما يناسب المقام و حيث ان الحوالة توجب
الملاحة فنشير اليه اجمالا فنقول:

اعلم: ان الحمد هو الثناء على ذى علم بكماله ذاتياً كان كوجوب الوجود
والاتصال با الكمالات و التنزه عن النقائص.

و وصفاً ككون صفاته كاملة واجبة او فعلياً ككون افعاله مشتملة على

الحكمة فتختص حقيقة الحمد به تعالى لأنَّ النُّعوت الكمالية كلها ترجع اليه سبحانه لأنه فاعلها ومفيضها على الممكنات كما هو شأن العلة التامة بالنسبة الى معلولها فوجود المعلول رشح من رشحات وجود العلة و صفاته ايضا كذلك كيف وقد حققنا في محله انَّ المعلول بما هو معلول ليس الا صرف الربط والتعلق بالعلة لا ان له وجود في جنب وجود العلة و عليه فالمعلول مع جميع مراتبه و شئونه التي من توابع وجوده و لوازم حقيقته يرجع الى العلة فذاته و اوصافه متعلق بذات العلة و اوصافها و لذلك نقول انَّ الا و صاف في الممكنات اوصاف لها بحال متعلقها لا بحال نفسها فكل ما ثبت للمعلول فهو في الحقيقة ثابت للعلة بل ثبوته لها اصلي و له تبعي و تطفلي.

اذا عرفت ذلك فقد دريت انَّ اوصاف الممكنات التي تمدح بها مستغرقة في اوصافه تعالى فكل قدرة لها مستغرقة في قدرته و علمها في علمه و حياتها في حياته و هكذا فاذا الماحم كلها راجعة اليه و عمم بعض المحققين الثناء في تعريف الحمد بكونه قالاً او حالاً بطريق عموم المجاز لادخال حمد الحق سبحانه نفسه و ذلك حيث بسط بساط الوجود على الممكنات لا تعدو ولا تحصى و وضع عليه موائد كرمه التي لا تنتهي فكل ذرة من ذرات الوجود لسان حال ناطق عنه بحمده و مثل هذا الحمد لا يحيط به نطاق النطق ثم قال عليه السلام لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك.

و الى ما ذكرناه من رجوع الماحم كلها اليه تعالى اشار ابو جعفر الباقر فيما رواه عنه ابنه الصادق عليه السلام قال عليه السلام فقد ابي بغلة له فقال لئن ردها الله تعالى لأحمدته بمحامد يرضيها فما لبث ان اتي بها بسرجها و لجامها فلما استوى عليها و ضم اليه ثيابه رفع رأسه الى السماء و قال الحمد لله و لم يزد. ثم قال عليه السلام: ما تركت و ما ابقيت شيئاً جعلت كل انواع المحامد لله عز وجل ما من حميد الا هو داخل فيما قلت انتهى...

و لذلك قال بعض العرفاء الحمد ليس عبارة من قول القائل الحمد لله

فقط بل هو عبارة عن اظهار كمال المحمود و ابانة اتصافه بنعوت الجمال والجلال باحدى الالسنه الخمسة او الثمانية التي هي لسان الدات والاستعداد و الحال و المرتبة و الحكم و احديه الجمع الكمالى او هي مع لسان الوصف. والفعال والقال و احديه الجمع الكمالى.

و لو قيل بمقالة ارباب الظاهر من اختصاصه بالفواضل ففي حقه تعالى يصح الحمد بالنسبة الى جميع صفاته لأن صفاته تقدست اسمائه عين ذاته و فضائله عين فواضله و كلها يرجع الى اصل واحد و مصداق فارد كما ان صفاته الثبوتية ترجع الى وجوب وجوده الذى هو تأكيد وجوده و صفاته السلبية الى سلب الامكان الذى مرجعه الى ضرورة الوجود و صفاته الاضافية الى الاضافة واحدة اشراقية فمع ان ذاته عين الاختيار و كله الاختيار و جميع فضائله الوجودية و كمالاته الالهية يترشح منه الى ما دونه من جهة سراية فيضه الذى هو صورة ذاته و كمالات ذاته فى كل الأشياء و تمام الهويات بحكم رحمتى وسعت كل شىء.

و لما كان الحمد على ما اشار اليه بعض ابناء المعرفة و حمله التحقيق مرتبا على الكمال و لا كمال الا لله المتعال و من الحق المنعم المفضل يكون الحمد له تعالى خاصة و هو قولى و فعلى و حالى.

فالاول: حمده تعالى بما اثنى به على نفسه على لسان انبيائه، و اوليائه.

والثانى: حمده بالأتیان بالأعمال الخيرية و العبادات و النسك الالهية ابتغاء لوجهه الكريم و توجهها لجنابه العظيم.

والثالث: هو الذى يكون بحسب الجوانح من الروح و القلب بالانصاف بالكمالات العلمية و العمليّة و التخلق بالأخلاق الالهية و هذا هو حمد الخلق له تعالى الذى مرجعه ايضا الى حمده نفسه فى مقام تفصيله و لنعم ما قيل: لقد كنت دهراقبل ان يكشف الغطاء

اخالك انى ذاكرلك شاكر

فلما اضاء الليل اصبحت شاهداً

بانك مذكور و ذكر و ذاكراً

و لما كان الحمد بكمال معرفة الحامد بالمحمود و فضائله و بكمال لسان المظهر له و مؤرده فاكمل مراتب الحمد حمده تعالى ذاته بذاته في مرتبة جمعه و تفصيله.

و بعده حمد الأنسان الكامل المُكْمَل باعتبار روحه الذي هو فاتحة الكتاب و نفسه الشريفة التي هي خاتمة كتاب الأنفس و غاية سر الوجود و الأيجاد بجميع الألسنة.

ثم حمد سائر الموجودات الطولية و العرضية حتى الهيولى الاولى و مادة المواد كما اشير اليه في الكتاب التدويني بقوله و ان من شئ، الأ يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم الآية فظهر و تحققت مما ذكرناه ان المحامد كلها ترجع اليه سبحانه بل هو الحامد و المحمود و الشاكر و المشكور و الذاکر و المذكور فليس في الوجود الا هو انتهى.

و اما قوله ﷻ: **وَلَا يَلْمُ وَلَا يُلْمُ إِلَّا نَفْسَهُ...**

ففيه اشارة الى ان الافعال و الأقوال و الأعمال التي تستحق اللوم و القدرح انما هي من قبل نفسه و مستندة اليها لان الله تبارك و تعالى أجل شأننا من ان يستند القبيح اليه و ذلك لانه خير محض و لا يفعل الا خيراً و قد اشار الى هذا المعنى في كتابه حيث قال: **﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** (١)

و: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾** (٢)

و: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ﴾** (٣)

و: **﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْوَاهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** (٤)

- و : «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^(١)
- و : «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^(٢)
- و : «سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ أَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ»^(٣)
- و : «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^(٤)
- و : «مَا أَضَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ مَا أَضَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ...»^(٥)
- و غيرها من الآيات .

و لا شك عند ذوى الالباب ان الشرور لا تستند اليه تعالى والخيرات تستند اليه و تحقيق ذلك على سبيل الاجمال هو انه قد ثبت فى الفلسفة ان وجود كل شىء هو نحو ظهوره با فاضة نور الوجود عليه من القيوم الواجب بالذات المنور للماهيات و مخرجها من ظلمات العدم الى نور الوجود و قد ثبت ايضا ان المَجْعُول بالذات انما هو الوجودات الخاصة الامكانية دون الماهيات فانها ليست بمجعولة الا بالعرض .

و قد ثبت ايضا ان الوجود خيرٌ محض فان معنى الخير ما يوءثر عند العقلاء و يشتاق اليه الاشياء و يطلبه الموجود، و يدور عليه طبعاً و ارادةً و جبلةً .

و اما الماهيات الامكانية و الأعيان الثابتة فى العقول فهى فى حدود انفسها لا يوصف بخيرية و لاشرية لانها لا موجودة و لا معدومة باعتبار انفسها فالوجود خيرٌ محضٌ و العدم شرٌ محضٌ فكل ما وجوده اتم و اكمل فخيريته اشد و اعلى مما هو دونه فخير الخيرات من جميع الجهات و الحثيات حيث يكون وجود بلا عدم و فعل بلا قوّة و حقيقة بلا بطلان و وجوب بلا امكان، و كمال بلا نقص و بقاء بلا تغيير و دوام بلا تجدد و هو لا يكون الا وجود الواجب المنزه عن النقائص الامكانية، ثم ان الوجود الذى هو اقرب الوجودات اليه

١. العنكبوت - ٤٠.
٢. الروم - ٩.
٣. الاعراف - ١٧٧.
٤. آل عمران - ١١٧.
٥. النساء - ٧٩.

١. العنكبوت - ٤٠.
٢. الروم - ٩.
٣. الاعراف - ١٧٧.
٤. آل عمران - ١١٧.
٥. النساء - ٧٩.

تعالى خير الخيرات الاضافية و هكذا الأقرب فالأقرب و الأبعد فالأبعد و الأتم فالأتم الى الأنقص فالانقص الى ان ينتهي الى أقصى مراتب النزول و هو الهيولى الأولى التى حظها من الوجود عريها فى ذاتها عنه و فعليتها هى كونها قوة و جودات الاشياء و تمامها نقصانها و شرفها خستها و فعلها قبولها و مُحصلها ابها مها فهى منبع الشرور و الأعدام و معدن النقائص و الألام.

ولا شك ان الوجودات باقية على خيريتها الأصلية والعرضية ايضا مادامت هى غير نازلة الى عالم التصادم و التضاد و لم ينته سلسلتها الى حيز المكان و الزمان.

واما اذ انجرت سلسلة الوجود الى عالم الاجسام و الظلمات، و مضائق الاكوان و الأزد حامات فبعض الوجودات مع انه خير محض بالذات و بالعرض بحسب ذاته و بالقياس الى ما لا يستضر به بل ينتفع منه لكنه بالقياس الى ما يستضر به او يتأذى منه او ينعدم به يوصف بالشرية لانه يودى الى عدم ذات او عدم كمال لذات فيكون الشر الغير الحقيقى مقضى بالعرض للزومه لما هو خير حقيقى و مقضى بالذات و هو الوجود بسنخه و طبيعته و قد ثبت ان الماهيات و لوازمها غير مستندة الى الجاعل و الشرور منبعها قصور الأمنيات و نقصانات الوجود عن الكمال الأتم و الجمال الاعظم هكذا قرره فى الأسفار.

اذا احطت خبراً بما تلوناه عليك فقد علمت ان الواجب تعالى لكونه وجوداً محضاً منزهاً عن النقائص الامكانية و الشوائب الظلمانية مبرأً عن الماهيات و لوازمها لا يكون الا خيراً محضاً لما ثبت ان الوجود خير محض و حيث ان الشرور اعدام و نقائص فهى مستندة الى الماهيات و لوازمها لكونها منبعها و منشأها فلاجرم لاتستند اليه تعالى الشرور بانواعها و اقسامها بل لا بد من استنادها الى الماهيات الممكنة على حسب مراتبها و شئونها من حيث القرب الى المبدء و بعده فكل ممكن اياً ما كان لا يخلوا من شراً ما و لا اقل من الامكان الذى هو نقص و عدم فلاخير على الاطلاق الا هو.

فقوله ﷺ: وَلَا يَلْمُ لَأَيِّمٍ إِلَّا نَفْسَهُ...

اشارة الى ان اللائم لا بد من ان يلوم نفسه و ذلك لان اللوم، و القدح لا يكون الا على الافعال الموجبة له و تلك الافعال لا بد ان تكون قبيحة مُسيئة حتى يصح اللوم فيها اذ اللوم لا يكون الا على القبائح و السيئات و حيث ان القبيح من الشرور و الاعدام لانه عدم كمال او عدم ذات و قد ثبت ان الشرور تستند الى الماهيات و لا ربط لها بالوجود الذي هو خير محض فلا محالة يكون القبح مُستنداً الى نفسه فلا لوم الا عليها و لذلك قال ﷺ ما قال و حاصل كلامه عليه السلام: ان الافعال السيئة القبيحة و الاقوال الرديئة الكاذبة و الأعمال الشنيعة الباطلة كلها مستندة الى نقائص الامكان و مضائق الأكوان و لاتستند الى الله تعالى الذي هو خير محض.

و هذا معنى قوله تعالى: ما اصابك من حسنة فمن الله و ما اصابك من سيئة فمن نفسك.

والحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الطاهرين.

﴿ وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ ﴾ (١٧)

□ إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَفْتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنْ أَقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ. حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوَضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ. عَارٍ فِي أَعْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمَّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ. قَدَسَّمَاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ بَكْرٌ فَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ. حَتَّى إِذَا أَرْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ وَ أَكْتَرَّ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا أَلْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ. فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمَبْهَمَاتِ هَيَّأَلَهَا حَشَوًّا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ فَهُوَ مِنْ لُبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ. وَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَ إِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ جَاهِلٌ خَبَّاطٌ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَّابٌ عَشَوَاتٍ. لَمْ يَعْضَ عَلَى الْعِلْمِ بِضَرْسٍ قَاطِعٍ يَذْرُؤُ الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ لَأَمَلِيٍّ وَ اللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ وَ لَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ لِأَيْحَسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ. وَ لَا يَرَى أَنَّ مَنْ وَرَاءَ مَا بَلَغَ مِنْهُ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ وَ إِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ أَكْتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءَ وَ تَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ. إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعْيشُونَ جُهَالًا وَ يَمُوتُونَ ضُلَالًا لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى

حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَ لَا سِلْعَةً أَنْفَقُ بَيْعاً وَ لَا أَعْلَى ثَمناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ لَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفٌ مِنَ الْمُنْكَرِ انْتَهَى...

◁ اللغة

(وكَلَهُ) وَ كَلَّ يَكُلُ وَ كَلَّأُ وَ وَكُولاً تَرَكَهُ وَ نَفْسَهُ. (جَائِرٌ) اسم فاعل من جَارَ يَجُورُ وَ هُوَ الْمُتَعَدِّي وَ الْمُتَجَاوِزُ. (مَشْغُوفٌ) بِالغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ أَوْ الْمَهْمَلَةِ فَعَلَى الْأَوَّلِ مَاخُودٌ مِنْ شِغَافِ الْقَلْبِ وَ هُوَ حِجَابُهُ أَوْ سُوَيْدَاهُ. وَ عَلَى الثَّانِي مِنَ الشَّعْفِ اعْنَى شَدَّهُ الْحُبَّ. (الْبِدْعَةُ) اسم من ابْتَدَعَ الْأَمْرَ إِذَا أَحْدَثَهُ. (الْهَدْيُ) بِفَتْحِ الْهَاءِ وَ سَكُونِ الدَّالِ الطَّرِيقَةُ أَوْ بِالضَّمِّ وَ الْقَصْرِ وَ هُوَ الرَّشَادُ. (خَطَايَا) جَمْعُ خَطِيئَةٍ وَ هِيَ الذَّنْبُ. (رَهْنٌ) الرَّهْنُ الْأَخْذُ. (قَمَشٌ) قَمَشٌ يَقْمِشُ قَمِشاً، الْقَمِشُ الْجَمْعُ. (غَارٌّ) بِالغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ الْمَشْدُودَةُ الْغَافِلُ. (وَالْأَغْبَاشُ) جَمْعُ غَبَشٍ كَسَبَبٍ وَ اسْبَابٍ. (ظَلْمَةٌ) آخِرُ اللَّيْلِ. (عَمٌّ) الْعُمَى ذَهَابُ بَصَرِ الْقَلْبِ. (بَكَّرٌ) أَيْ دَخَلَ فِيهِ. (أَرْتَوَى) الْأَرْتَوَاءُ هُوَ الْأَمْتَلَاءُ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ. (أَجِنٌ) مُتَغَيِّرُ الطَّعْمِ وَ اللَّوْنِ مِنَ الْمَاءِ. (اِكْتَنَزَ) الْأَكْتِنَازُ الْأَجْتِمَاعُ. (طَائِلٌ) أَيْ نَفْعٌ وَ فَائِدَةٌ. (حَشَوًّا) الْحَشْوُ الْفُضُولُ فِي الْكَلَامِ. (رَثًّا) الرَّثُّ ضَدُّ الْجَدِيدِ. (خَبَّاطٌ) الْخَبِيطُ، الْأَشْتَبَاهُ وَ الْغَلَطُ. (عَاشٌ) أَيْ ضَابِطٌ فِي ظَلَامٍ. (عَشَوَاتٌ) الْمُتَلَبِّسَاتُ مِنَ الْأُمُورِ. (الْهَثِيمُ) النَّبْتُ الْيَابِسُ الْمُنْكَسِرُ. (مَلِيءٌ) الْمَلِيءُ الثَّقَةُ الْغَنَى. (تَعَجَّجَ) الْعَجَجَ رَفَعَ الصَّوْتُ. (السِّلْعَةُ) الْمَتَاعُ. (أَبَوْرٌ) أَيْ أَفْسَدَ. (نَفَقٌ) رَاجَ وَ بَاقِيَ اللَّغَاتُ وَاضِحٌ.

◁ المعنى

هذه الخطبة أوردتها عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة من دون اهليته له.

قال عليه السلام: (إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ رَجُلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ تَرَكَهُ (اللَّهُ تَعَالَى) وَ وَكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ) وَ اعْرَضَ عَنْهُ اعْرَاضاً وَ مِنْ

كان كذلك فلا محالة يتصّف بصفات كلّها غير مرضية عنده تعالى و هي سبعة.
احدها: التّجاوز عن الصّراط المستقيم و المشى على طريق العدل و اليه
اشار بقوله (جَائِزٌ عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ).

وثانيها: كونه مَحْجُوباً عن الحقّ و مَشْغُوفاً مُبْتَهَجاً بما لا يليقّ و اليه اشار
بقوله: (مَشْغُوفٌ بِكَلَامٍ بِدُعَاةٍ).

وثالثها: دَعَوَتُهُ النَّاسَ الى الضّلاله و الغواية و بها صار فتنة لغيره و هو قوله
(دُعَاءُ ضَلَالَةٍ الى قوله أَفْتَنَنَ بِهِ).

ورابعها: ضلالته عمّا كان عليه مَن قبله من السّيرة المُستقيمة و اليه اشار
عليه السّلام بقوله (ضَالٌّ عَنِ هُدًى مَن كَانَ قَبْلَهُ).

وخامسها: كونه مُضِلًّا لِمَن اقتدى به في حياته و مماته و اليه الاشارة (مُضِلٌّ
لِمَن أَقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَ بَعْدَ وَفَاتِهِ).

وسادسها: اَنْ وَرَرَ مَن اقتدى به و تبعه عليه و اليه اشار بقوله: (حَمَالٌ خَطَايَا
غَيْرِهِ).

وسابعها: اَنَّهُ يَكُونُ مَأْخُوداً به في اعماله يوم القيامة و اليه اشار بقوله (رَهْنٌ
بِخَطِيئَتِهِ).

وثانيهما: رَجُلٌ جَمَعَ و قَمَشَ جهلاً و سَمَاهُ عِلْمًا و به استقرّ في الجهال و هو
قوله (رَجُلٌ قَمَشَ الى فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ) و له ايضا اوصاف و علامات و هي
ستة.

احدها: اَنْ مَن كَانَ كَذَلِكَ يَكُونُ غَافِلاً عمّا هو عليه من انعماره في ظلّمة
الجهل فقال عليه السّلام (عَارٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ).

وثانيها: عدم تَفَقُّهه و دركه الحقائق و اَنَّهُ على الباطل دون الحقّ فقال عليه
السّلام: (عَمٌّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ).

وثالثها: غروره بتسمية الجهال اياه عالماً و ليس بعالم واقعا. فقال عليه
السّلام: (قَدَسَمَاءُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ).

ورابعها: جَمَعَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْمَوْهُومَاتِ مَا عَدَّ مِنْ خَيْرٍ مِنْ وَجُودِهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (بَكَرًا فَأَسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ).
 وخامسها: امتلأته من الجهالات كمن ارتوى من ماءِ آجِنٍ مُتَغَيَّرِ اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ فَقَالَ (حَتَّى إِذَا أَرْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ).
 وسادسها: جَمَعَهُ مَا لَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ أَصْلًا، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ).

ثم قال ﷺ: من كان شأنه هذا فكيف يليق بالتصدي للقضاء لتخليص ما التبس على غيره من الأحكام والمفروض أنه جاهل فقال ﷺ (جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا إِلَى قَوْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ). ثم استدلل ﷺ بعدم صلاحيته للحكم بأنه ان ورد عليه حكم من الاحكام المبهمة لا يدري ما يقول بل يقول فيه برأيه الفاسد و زعمه الكاسد و يحمله على المحامل البعيدة و اليه اشار بقوله (فَأَنَّ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ) الى قوله (ثُمَّ قَطَعَ بِهِ). ثم افاد ﷺ بان ما ذهب اليه و اعتقد به من حيث بطلانه كبيت العنكبوت لأنه اوهن البيوت فقال عليه السلام (فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسِجِ الْعَنْكَبُوتِ).

و حيث أنه لا يعلم بان ما حكم به حق او باطل قال ﷺ (لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ إِلَى قَوْلِهِ قَدْ أَصَابَ). و بعد ذلك وصفه ﷺ بأنه (جَاهِلٌ خَبَّاطٌ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَّابٌ عَشَوَاتٍ). لركوبه على الجهالات و الأمور المُشْتَبِهَةِ المُبْهَمَةِ الغير المفيدة لليقين و لاجل ذلك قال عليه السلام: بعد ذلك (لَمْ يَعْضُ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ). و لعدم علمه بمصادر الروايات و منابعها و معناها يقول فيها بما يشاء كما قال (يَذُرُّو الرُّوَايَاتِ إِذْ رَأَى الرِّيحَ الْهَشِيمَ) و لجهله بالاحكام لا يثق بان ما صدر عنه حق لعدم اهليته بهذا المنصب فقال لاملأ الى قوله فوض اليه. و حيث أنه جاهل يتصور بان العلم ليس الا ما عنده و لا يرى لغيره فضل و منقبة و اطلاع على الحقائق اصلا كما هو شأن هذه الافراد فلا جرم ان اظلم عليه شىء من الأمور لا يقر بجهله بل يكتمه و اليه

اشار بقوله: (لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ إِلَى قَوْلِهِ أَكْتَمَ بِهِ) وَالسَّرْفِ فِيهِ هُوَ جِهْلُهُ كَمَا قَالَ ﷺ (لَمَّا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ نَفْسِهِ). ثُمَّ اِشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ بِأَثَارِ الْفَاسِدَةِ الْمَتْرَبَةِ عَلَى حُكُومَةٍ مِنْ لَمْ يَكُنْ بَاهِلًا لَهَا وَقَالَ ﷺ (تَضْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ وَتَعَجُّ مِنْهُ الصَّوَارِيثُ). أَي هَذِهِ الْقِضَاوَةُ وَالْحُكُومَةُ ثَمَرَتَاهَا إِرَاقَةُ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَضْيِيقُ الْحَقُوقِ وَالْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ. ثُمَّ أَنَّهُ ﷺ شَكَى (إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعْيشُونَ جُهْلًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا)، فَإِنَّهُ لَافْقَرُ أَشَدَّ مِنَ الْجَهْلِ فِي الْحَيَاةِ وَالضَّلَالَةَ فِي الْمَمَاتِ فَهَوَّءَ لَأَنَّ لَوْ تَلَى لَهُمُ الْكِتَابَ حَقًّا تَلَاوَتَهُ أَشَدَّ وَأَضْرَّ عَلَيْهِمْ إِذَا تَلَى الْكِتَابَ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِمُخَالَفَةِ الْكِتَابِ الصَّحِيحِ لِأَرَائِهِمُ الْفَاسِدَةَ وَمُوَافَقَةِ الْكِتَابِ الْمُحَرَّفِ لِأَرَائِهِمُ الْبَاطِلَةَ فَلَا جَرَمَ يَصِيرُ الْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَعْرُوفًا وَالْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا وَإِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ إِشَارَ بِقَوْلِهِ: (لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ) أَي آخِرَ الْخُطْبَةِ.

◁ الشرح

اعلم: أن هذه الخطبة الشريفة مشتملة على أمهات مسائل القضاء، و فصل الأمور و نحن نتكلم فيها بعون الملك الوهاب. قسم ﷺ الحكام على الناس على قسمين: حاكمٌ بالأمانة و الخلافة و السلطنة و حاكمٌ بالقضاء بين الناس لفصل أمورهم. و لكل منهما شرائط و اقسام فى الشريعة المقدسة لا بد له من الاتصاف بها و لاجل هذه قال ﷺ: أن ابغض الخلق الى آخرة. فقوله: أن ابغض الخلق الى قوله رهن بخطيبته اشارة الى القسم الاول. و قوله ﷺ رجل قمش الى آخر الخطبة الى الثانى و كلاهما مبغوضان لدى الحق المتعال و مصيرهما الى النار و ساءت مصيراً. □ قوله ﷺ: إن أبغض الخلاق إلى الله رجلاًن...

والمقصود من الأبغض الأبعد من رحمته تعالى لأن الحُبَّ و البغض فيه تعالى ليس كالحُبِّ و البغض فينا من صفات النفس لعدم التركيب هناك و عدم

معقولية جلب المنافع و دفع المَضَارِّ فيه تعالى فكون الشيء محبوباً له اى قريباً من رحمته و كونه مبغوضاً له اى بعيداً من رحمته.

□ قوله ﷺ: رَجُلٌ وَ كَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ...

و هذا هو القسم الاوّل اعنى الحاكم على الناس و الوالى عليهم من غير ان يكون احلاً له و انما قال ﷺ و كَلَهُ اللهُ الى نفسه للإشارة الى ان الرجل الموصوف بتلك الصفات الآتية لا يكون الا موكولاً الى نفسه غير مرتبط به تعالى و ذلك لان الانسان اذا كان مطيعاً لربه مُتَقَاداً لأوامره و نواهيه تابعا لا حكامه المُتَزَلَّة بسبب الانبياء و الرسل فلامحالة لا يكون ممن و كَلَهُ اللهُ الى نفسه بل هو ممن و كَلَهُ اللهُ الى ربه.

و تحقيق ذلك ان العبد فى جميع افعاله و اعماله و اقواله لا تَخْلُوا حاله من وجهين:

اما ان يكون مطيعاً لنفسه الامارة و هو اجسه النفسانية فيفعل ما يشاء و يَحْكُم ما يريد من دون توجّه منه الى ربه و التفات الى جنبه هل هو راض ام لا و ان ما صدر عنه موافق لما امر به و مخالف لما نهى عنه ام لا يكون كذلك. و اما ان يكون مطيعاً له تعالى فى اعماله و افعاله و اقواله فيفعل و يَحْكُم و يقول و يعمل بما امر الله به و امضاه فا الاوّل من الاوّل و الثانى من الثانى.

و التعبير منه ﷺ بالأيكال الى نفسه للدلالة على ان هذا من أعظم المهلكات و اشد العقوبات و اى عقوبة اقبح من هذه العقوبة اعنى اعراض الحق المتعال عن العبد كما ان اى مَثُوبَةٍ احسن من توجّه الرب الى العبد و قد وَرَد فى المأثور، اللهم لا تكلنا الى انفسنا الخ.

□ قوله ﷺ: فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ...

ثم انه ﷺ اشار الى الآثار المترتبة على ان يكون الرجل ممن و كَلَهُ اللهُ الى نفسه فقال ﷺ: جائر عن قصد السبيل، و ذلك لان لازم قطع الارتباط و اعراض الحق عنه هو التجاوز عن قصد السبيل فان الانسان فى هذه الحالة

يكون مُطيعاً لنفسه الامارة لامحالة و هي تدعوه الى الشُرور و الآفات كما قال تعالى:

و ما ابْرئىء نفسى انّ النفس لأمارة بالسوء إلا ما رَجِمَ رَبّى و لذلك تقول فى سورة الحمد: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ﴾

فلو كان السلوك على الطريق المستقيم ممّا هو تحت قدرة العبد و اختياره لما كان لهذا الدّعاء معنى، فثبت انّ السلوك على الحق لا يمكن الا بتوقيفه و تأييده تعالى و هذا التّوفيق شامل لعباده الصّالحين و لا يكون لاتباع الشيطان فيه نصيب فينتج انّ من وكلّه الله الى نفسه و اعرض عنه لا تشمله عنايات البارى تعالى و اذا لم يكن مَشْمُولاً لها فهو مشمول لعنايات الشيطان و هي لا تكون الا باطلا سخيفاً و هو معنى قوله عليه السّلام جائزٌ عن قصد السبيل.

و ترتيب القياس هكذا- هذا وكلّه الله الى نفسه- و كلٌّ من وكلّه الله الى نفسه فهو جائزٌ عن قصد السبيل ينتج انّ هذا الشخص جائزٌ عن قصد السبيل.

اما الصّغرى فلا كلام لاحدٍ فيه كما هو المفروض. واما الكبرى فقد اثبتناه و الا يلزم الخلف فانّ الشيطان، بنفسه متجاوزٌ و مطرودٌ و من كان كذلك فكيف تكون اتباعه غير متجاوزين. واما النتيجة فهي ثابتة.

□ قوله ﷺ: مَشْغُوفٌ بِكَلَامٍ بِدْعَةٍ...

و هذا هو الاثر الثانى المترتب عليه و المَشْغُوفُ اما بالعين المهلة من الشَّعْفِ و هو شدة الحبّ او بالغين المُعْجَمَة من شفاف القلب اى حجاباه او سُويداه كما قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾^(١)

وعلى الاوّل: فمعنى العبارة انّ هذا الانسان يحبّ البدعة حبّاً شديداً كما

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٢)

وعلى الثانى: انّ البدعة والضلالة صارت حاجبةً بينه وبين الحقّ وعلى كلا

التفديرين فهو مُبَعَّد عن قرب الجوار.

وإنما وصف عليه السلام كلامه بالبدعة لأن الكلام اذا لم يكن على مقتضى الشرع فهو بدعة اذ البدعة كل امر حادث والمفروض ان هذا الكلام حادث من حيث كونه مسبقاً بالعدم.

□ قوله عليه السلام: وَ دُعَاءِ ضَلَالَةٍ...

وهذه الجملة كسابقته فان الدعوة الى الضلالة والغواية من ثمرات البعد عن الحق ومن لم يكن كذلك فلا يدعو الناس الى خلاف الحق قال الله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِيْ ضَلٰلٍ﴾^(١)

و: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَ مَلٰٓئِكَتِهٖ وَ كِتٰبِهٖ وَ رُسُلِهٖ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا﴾^(٢)

و: ﴿اُولٰٓئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَ اَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيْلِ﴾^(٣)

و: ﴿وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللّٰهِ﴾^(٤)

والآيات فيه كثيرة.

والبرهان العقلي على ما ذكره عليه السلام هو ان الدعوة لاتخلو حا لها اما ان تكون دعوة بالهداية او دعوة بالضلالة وبعبارة اخرى كل دعوة اما ان يكون مسيرها الى الله وهو الهداية او الى الشيطان وهو الضلالة فلا تكون الدعوة خاليه عنهما لاستحالة ارتفاع النقيضين ولا جامعة لهما لاستحالة اجتماع النقيضين فلا محالة تكون واحدة لأحديهما واذا لم تكن الهداية على ما هو المفروض فلا جرم تكون الدعوة ضلالة وهو المطلوب.

□ قوله عليه السلام: فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَفْتَنَّ بِهِ...

يمكن ان تكون الفاء في قوله فهو للفريح وعليه فالمعنى ان الانسان اذا كان كذلك فهو فتنة لمن افتنن به والفتنة تارة يراد بها الاختيار والأمتحان وتارة يراد بها الفساد وكلا المعنيين محتمل فان الحاكم الجائر عن قصد السبيل

كما يكون فتنة و فساداً في الأرض كذلك يكن سبباً لأختيار الناس وابتلائهم
وقد اشار الله تعالى الى المعنيين في كتابه:

اما الاول:

قال الله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(١)

و: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَاعِلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾^(٢) اي اختبرناه.

و: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جَانَهُمْ رَسُولَ كَرِيمٍ﴾^(٣) اي اختبرناهم.

و: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ الشَّامِرِيُّ﴾^(٤)

اي اختبرناهم.

ومن الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٥)

اي الفساد.

و: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾^(٦) اي

الفساد.

و: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٧) اي اتقوا فساداً.

و: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾^(٨) اي الفساد. و ﴿الْأَ

تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ فِسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٩)

والآيات في المعنيين كثيرة.

اذا عرفت هذا فقوله الَّذِينَ ظَلَمُوا فهو فتنة لمن افتتن به، يصح حمله على كلا
المعنيين وذلك لان الحاكم الذي لا يليق بالحكم والحكومة اذا تصدى لهما
فهو في الحقيقة مفسد لان الحكومة اذا لم تكن على محور العدل، والأستقامة

٢. ص ٢٤.

٤. طه ٨٥.

٦. آل عمران ٧.

٨. الانفال ٣٩.

١. العنكبوت ٢.

٣. الدخان ١٧.

٥. البقرة ١٩١.

٧. الانفال ٢٥.

٩. الانفال ٧٣.

توجب الأختلاف بين الافراد وذلك لعدم مراعاته في حكومته حقوق الناس كما هو حقّه.

و توضيح ذلك انّ الحكومة على الناس لا تخلو حالها من وجهين:

احدهما الحكومة الالهية:

وثانيهما الحكومة الشيطانية: وان شئت قلت حكومة الحقّ وكومة الباطل ولائث الأ بالأعتبار.

اما الاولى: فالحاكم فيها لا بدّ من ان يكون رجلاً إلهياً ملكوتياً عادلاً لا تأخذه في اللومة لائم كالأنبيا و الأوصياء سلام الله عليهم اجمعين، وهى ممّالا كلام لنا فيها فاذا كانت فلا اختلف فيها بين الناس لأن اساسها وبنيانها على العدالة الاجتماعية والناس فيها شرع سواء ومن المعلوم انّ تساوى الحقوق فى الافراد واجراء العدالة فيهم من غير تفاوت يوجب ان يكون على حالة واحدة لعدم امكان تجاوز بعضهم الى بعض آخر.

و بعبارة اخرى: العدل عبارة عن وضع كل شى في محله من غير افراطٍ وتفريطٍ فاذا فرضنا فى الحكومة وضع كل فردٍ فى الاجتماع فى محله و المنع من التجاوز كائناً من كان فى جميع الشؤون الاجتماعية والدينية فلا يعقل اختلاف فى الاجتماع لأن منشاء الأختلاف هو التجاوز عن الحد فهذه الحكومة اصلاحية وحاكمها مصلح بالمعنى الواقعى فانّنا نعى بالاصلاح الأ هذا.

اما الثانية: وهى الحكومة الباطلة فليست كذلك لأن الحاكم اذا كانت حكومته بغير حقّ منه و هو لا يلىق بها على الفرض فلا بدّله من ايجاد علة مبقية لأدامة حكومته وهى لامحالة تكون باطلا اذ الباطل معلول الباطل ولازم هذا استعانتة و استمداده من الأراذل والأوباش فى دوام حكومته واسكات المؤمنين بالقتل والنهب و الحبس اذ هو يعلم انهم لا يعينوه ولا يوافقوه ففى هذه الحكومة يصير الدليل عزيزاً والعزيز ذليلاً والعلماء فى زوايا الخمول والجهال يَسُدّون مسدّهم فى جميع الامور وبالأمال يساق الاجتماع الى الفساد

ورواج المنكرات فالمعروف يصير منكراً والمنكر معروفاً وهذا الذي ذكرناه من اعظم المفسد فان المقصود بالفساد في المقام هو الفساد الديني والاجتماعي وكلاهما حاصلان كما نشاهدنا في زماننا هذا بالحس والعيان اللهم العن من اسس اساس الظلم والجور والبدعة على هذه الامة بحق محمد وآله. فقد ظهر مما ذكرناه ان الحاكم الجائر عن قصد السبيل الذي لا يليق بالحكومة هو بنفسه مُفسِد للأجتماع و فاسدٌ في حد ذاته وهذا معنى قوله ﷺ: **فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَفْتَنَ بِهِ** وإنما قال لِمَنْ افْتَنَ به لا مطلقاً لأن المؤمن الصالح لا يكون تابعاً له حتى يفسد بفساده بل هو مخالف له وان لم يظهر المخالفة تقيّةً ونحوها.

واما المعنى الثاني وهو ان تكون الفتنة في كلامه ﷺ بمعنى الاختبار والامتحان فهو ايضا صحيح وذلك لان الحاكم اذا كان ممن لا يليق بالحكم متصفاً بالجور والاعراض عن الحق فالناس يُختبرون به من حيث موافقتهم له في اعماله وافعاله ومبدعاته ومخالفتهم له فان وافقوه فالموافق له كاشفة عن عدم ايمانهم واقعاً بالله ورسوله واليوم الآخر وان خالفوه بلسانهم، او قلبهم فهو دليل على ايمانهم وصحة اعتقادهم ولا شك ان الله تبارك و تعالی لا زال يختبر الناس بأمور متفاوتة كما قال في كتابه **«أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُفْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ»** (١)

□ قوله ﷺ: **ضَالٌّ عَنِ هَدْيٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ...**

وهذه ثمرة اخرى مترتبة على عدم لياقة الحاكم بالحكومة وجوره في الحكم فان لازم ذلك ضلاله عن هدى من كان قبله من الحكام العدول.

□ قوله ﷺ: **مُضِلٌّ لِمَنْ أَقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ...**

وهذا ايضا واضح فان الحاكم في الامور اذا كان جائراً ضالاً عن طريق الهدى فمن يقتدى به في اموره ومحدثاته فهو اولى بالضلالة وكذلك الحال

بعد موته فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

□ قوله عليه السلام: **حَمَلُ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ...**

هذان الوصفان ايضا مترتبان على من لا يليق بالحكم وهو جائر عن قصد السبيل، احدهما كون الحاكم الجائر حملاً لخطايا غيره و ذلك لأنه صار باعثاً على الخطايا فلا جرم كان شريكاً لهم في كل ما صدر عنهم الى يوم القيمة. **وثانيهما: أنه رهنٌ بخطيئته** وذلك لأنه صار مؤجّباً لاغواء الناس وضلالتهم وتعديهم على الفرض فيكون مأخوذاً بخطيئته قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾^(١)

وبعد شرح الكلمات الشريفة لأبأس بالاشارة الى ماورد من الآثار والآيات في ذمّ الحاكم الجائر الذي لا يليق به كما هو شأن الاكثرين منهم لولا كلهم. اما الآيات الواردة في قدح الظلم والجور والحكم بغير ما انزل الله فكثيرة في القرآن الكريم وقد مضى شطراً منهما فلانحتاج الى تفصيلها.

واما الروايات الواردة ايضا كثيرة ونشير الى بعض منها و قبل ذكر الروايات لا بد لنا من ذكر مقدمة توضيحا للمرام.

اعلم: ان الحكومة و الولاية على الناس باي نحو كانت لا تجوز لأحد من الافراد الأئبي او وصي او من قام مقامهما بالحق باذنٍ منهما فمن ولي امور المسلمين بغير اذنٍ من النبي في حياته ومن الوصي ايضا كذلك فهو ظالم جائر بل كافر بالله ورسوله سواء عدل في حكمه ام لا يعدل فلا جرم يكون مسيره الى النار فان الحكومة على عباد الله من وظائف النبي والوصي او من اجازاله بنفسها او بسبب من قام مقام الوصي في زمن الغيبة ولاجل ذلك نقل ان الشاه طهما سب الصفوى استجاز في حكومته وسلطته عن الشيخ المحقق على ابن عبدالعالي الكركي المشهور بالمحقق الكركي (قده) فاجازله نيابة عن

الامام الحجّة المنتظر سلام الله عليه.

اذا عرفت هذا فالمقصود من كلامه عليه السلام في المقام في قوله رجل وكَلَّه الله الى نفسه الى آخر ما ذكره من الآثار المترتبة عليه هو مُطلق من تصدّي لِامرّ الحكومة في الامّة بالقهر والغلبة بغير اجازة من اولياء الله تعالى كائناً من كان فالغرض من الايكال الى النفس هو لتصدّي لها من قبل نفسه خلافاً لما فهموه من العبارة ومن المعلوم انّ من تصدّي لها من عند نفسه من دون رضاية صاحب الشريعة فهو لا يليق ومن كان غير لائق فلامحالة يتصفّ بلاوصاف المذكورة في العبارة من قوله عليه السلام جائر عن قصد السبيل، مشعوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة وغير ذلك من الاوصاف فانّ الامور المذكورة كلّها من اوصاف الحاكم اذا لم يكن لائقاً به اذ لو كان لائقاً لاستجاز من صاحب الامر ومن قام مقامه وحيث ليس فليس والسرف فيه هو انّ الحكومه في الاسلام وظيفه النبي اوّلاً والوصى ثانياً ومن قام مقام الوصى في غيبته ثالثاً والحكومة والامامة مُتلازمان ومن قال بانّ الحكومة - تفترق الامامة فقد اخطأ خطأ فاحشاً فكلّ من كان اماماً يكون حاكماً، وبالعكس الا انّ الامام لو كان ظاهراً بين الناس فهو الحاكم عليهم واما في صورة غيبته الامام كما في زماننا هذا فكما انّ امور المسلمين من جهة الأخذ بالأحكام موكول الى ثوابه العامة ويجب عليهم التقليد منهم باذن واجازة منه عليه السلام حيث قال عليه السلام من كان من الفقهاء حافظاً لدينه صائناً لنفسه مخالفاً لهواه مطيعاً لامر مولاه، فللعوام ان يقلّدوه.

فكذلك من حيث الحكومة والولاية بلافرق بينهما فنائبه الخاص في غيبته الصغرى ونائبه العام في غيبته الكبرى اعنى زماننا هذا هو الحاكم المطلق على المسلمين في الامور الشرعية والسياسية باذن منه عليه السلام فالحاكم على الناس لا بد من ان يكون هو الامام او من عينه هو او نائبه العام باذنه واليه الاشارة في «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»، لا ما زعمه العامة العمياء من وجوب اطاعة كلّ حاكم فاسقٍ او ظالمٍ بل كافرٍ كما هو المرسوم بينهم

بالنسبة الى كل من غلب على الأمور محصل الكلام ان في مذهبنا وهو الحق ليس للحاكم حق على الرعية الا الحاكم المأذون له من قبل النبي والوصي ومن قام مقامه ولا تجب على الرعية اطاعة له شرعاً الا فيمن هو كذلك واما الحكام الذين تسلطوا على الناس بالقهر والغلبة والقتل والنهب والشتيم من دون اجازة من صاحب الشريعة فلا محل لهم عند العقل والشرع

هذا اذا كان الحاكم عادلاً واما اذا كان جائراً ظالماً فاسقاً كما هو شأن الاكثرين فالأمور واضحة والمتابعة له اختياراً والمعاونة له في الامور في حد الشرك بالله كما سيأتي الكلام منافيه مفضلاً، انشاء الله تعالى.

ويذكر على ما ذكرناه من عدم الفرق بين الحاكم على المسلمين وبين الامام وانهما على حد سواء ان الروايات وارادة فيمن ادعى الامامة وليس لها باهل او من جحد الامامة واثبتها لمن لها باهل، او من دان الله بغير امام، وامثال ذلك من العناوين.

وليس لنا في الآثار المروية عن النبي واوصيائه روايات في باب الحكومة على الناس مع قطع النظر عن اذن النبي والوصي سواء كان الحاكم عادلاً ام لم يكن وليس ذلك الا بسبب عدم اعتناء الشارع بالحكام اذا كان غير منصوب من قبل صاحب الشريعة، الا ترى ان عمر ابن عبد العزيز كان عادلاً في المروانيين في حكومته وطعامه ولباسه وغير ذلك من الأمور باتفاق المؤرخين ومع هذا الكونه غاصباً للخلافة غير مأذون من الامام في عهده فكان مسيره الى النار نعم لا يبعد كون عذابه في اليوم الآخر أهون واخف من عذاب معاوية ويزيد ومن الخلفاء قبله وبعده وذلك لانهم كانوا غاصبين للخلافة وظالمين على الناس وهو كان غاصباً فقط فذنبه اقل.

وبعد ما عرفت معنى الحكومة في الاسلام و انها الامامة بعينها فاستمع لما يوحى اليك من مصادر الوحي والعصمة.

روى ثقة الاسلام (قدّه) في الكافي باسناده عن سورة ابن كليب عن ابي

جعفر، قال قلت: قول الله عز وجل حيث قال: «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ» (١)

قال عليه السلام: مَنْ قَالَ أَنِّي إِمَامٌ وَلَيْسَ بِإِمَامٍ قَالَ قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ عَلَوِيًّا، قَالَ عليه السلام وَإِنْ كَانَ عَلَوِيًّا قُلْتُ وَإِنْ كَانَ مِنْ وُلْدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ وَإِنْ كَانَ أَنْتَهَى «مِرَاةُ الْعُقُولِ، ج ١، ص ٢٧٦»...

و روى فيه أيضا باسناده عن الفضيل عن ابي عبدالله قال من ادعى الأمامة وليس من أهلها فهو كافر «ج ١، ص ٢٧٦»...

وباسناده أيضا، عن الحسين ابن المختار قال قلت لأبي عبد الله جعلت فداك، ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله قال عليه السلام كَلَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ إِمَامٌ وَلَيْسَ بِإِمَامٍ، قُلْتُ وَإِنْ كَانَ فَاطِمِيًّا قَالَ عليه السلام وَإِنْ كَانَ فَاطِمِيًّا عَلَوِيًّا أَنْتَهَى «ص ٢٧٦»...

باسناده عن ابن ابي يعفور عن ابي عبدالله قال سمعته عليه السلام يقول ثلاثه لا يكلهم الله يوم القيمة ولا يزيكهم ولهم عذاب اليم من ادعى امامة من الله ليست له - ومن جحد اماما من الله. ومن زعم ان لهما نصيبا في الاسلام، انتهى «ص ٢٧٦»...

وباسناده عن الوليد ابن صبيح قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول ان هذا الامر لا يدعيه غير صاحبه الا تبر الله عمره «ص ٢٧٦»...

و باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام قال عليه السلام من أشرك مع امام امامته من عند الله من ليست امامته من الله كان مشركا بالله «ص ٢٧٧»...

و باسناده عن محمد ابن منصور قال سئلته عن قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله مالا تعلمون.

قال: فقال هل رأيت احدا زعم ان الله امر بالزنا وشرب الخمر وشيء من

هذه المحارم فقلت لا.

فقال: ما هذه الفاحشة التي يدعون أن الله أمرهم بها.

قلت: الله أعلم ووليّه.

فقال عليه السلام: فإنّ هذا في أئمة الجور ادّعوا أنّ الله أمرهم بالأيتام بقوم لم يأمرهم الله ذلك عليهم فاخبر أنّهم قد قالوا عليه الكذب وسمّى ذلك منهم فاحشة، انتهى «ص ٣٧٧»...

و بإسناده عن محمد ابن منصور قال سئلت عبد الصالحا (موسى بن جعفر عليه السلام) عن قول الله عزوجل قل انما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال فقال: إنّ القرآن له ظهرٌ وبطنٌ فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور وجميع ما احلّ الله تعالى في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق، انتهى...

و بإسناده عن حبيب السجستاني عن ابي جعفر عليه السلام قال عليه السلام قال الله تعالى لأعدبن كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ امام جابر ليس من الله تعالى وان كانت الرعية في اعمالها برّة تقية، ولا عفون كلّ رعيّة في الاسلام دانت بولاية كلّ امام عادل من الله وان كانت الرعية في انفسها ظالمة مسيئة انتهى «ص ٣٨١»...

والروايات في اباب كثيرة من ارادها فيطلبها من مظانها.

اقول: وهذه الروايات دالة بل صريحة في أنّ المقصود بالحكومة في الاسلام هو الحكومة المعتدلة المستقيمة وهي لا تكون الا للنبي والامام ومن يتخذ حذو هما من الثواب وبالجملة لا يليق بالحكم الا الرسول والوصي ومن قام مقامه ودونه خرط القتاة ولنذكر في الخاتمة ما روى عن الصادق عليه السلام في تفسير معنى الولاية في حديث مفصل رواه في تحف العقول ونقل شطرا منه الشيخ الانصاري (قدّه) في اول المكاسب والحديث المذكور بتمامه في تحف العقول ونحن نأخذ موضع الحاجة منه.

قال عليه السلام: فى تفسير معنى الولايات، وهى جهتان فاحدى الجهتين من الولاية ولاية ولاة العدل الذين أمر الله بولايتهم وتوليتهم على الناس وولاية ولاته و ولاية ولاته الى ادناهم باباً من ابواب الولاية على من هو والٍ عليه.

والجهة الاخرى من الولاية ولاة الجور و ولاة ولاته الى ادناهم باباً من الابواب التى هو والٍ عليه.

فوجه الحلال من الولاية ولاية الوالى العادل الذى امر الله بمعرفته و ولايته والعمل له فى ولايته وولاية ولاته و ولاة ولاته بجهة ما أمر الله به الوالى العادل بلا زيادة فيما انزل الله به ولا نقصان منه ولا تحريف لقوله ولا تعد لامره الى غيره و معونته فى ولايته وتقويته حلالٌ مُحلَّلٌ وحلالٌ الكسب معهم وذلك ان فى ولاية والى العدل و ولاته احياء كل حق وكل عدل وامانة كل ظلم وجور وفساد فلذلك كان الساعى فى تقوية سلطانه والمعين له على ولايته ساعية الى طاعة الله مقويًا لدينه.

واما وجه الحرام من الولاية فولاية الوالى الجائر و ولاية ولاته الرئيس منهم واتباع الوالى فمن دونه من ولاة الولاية الى ادناهم باباً من ابواب الولاية على من هو والٍ عليه والعمل لهم والكسب معهم بجهة الولاية لهم حرامٌ ومحرَّمٌ معذبٌ من فعل ذلك على قليل من فعله او كثير لان كل شئ من جهة المعونة معصية كبيرة من الكبائر وذلك ان فى ولاية الوالى الجائر دُروس الحق كله و احياء الباطل كله و اظهار الظلم والجور والفساد و ابطال الكتب و قتل الانبياء و المؤمنين و هدم المساجد و تبديل سنته الله و شرائعه فلذلك حرم العمل معهم و معونتهم الكسب معهم الا بجهة الضرورة، الى الدم والميتة انتهى، موضع الحاجة منه.

اقول: وانت ترى ما فى هذه الرواية التى هى أدل دليل على المدعى وان الغرض ممن لا يليق بالحكم هو ولاة الجور التى لم يأمرهم الله بالولاية والتولية على الناس كما صرح به عليه السلام فى اول قوله حيث قال ولاية ولاة العدل الذين

امرهم الله بولايتهم وتوليتهم على الناس.

دلّت العبارة بمفهومها على أنّ كلّ من لم يأمره الله تعالى بالولاية و التولية على الناس فولايته ولاية غير صحيحة جائزة فاسدة ومن المعلوم أنّ كلّ من لا يكون مأموراً بالولاية من قبل الله تعالى فهو داخل في غير ولاية العدل وحيث أنّه ﷺ قيّد العدل بكونه مأموراً من قبل الله تعالى ولا يكفي العدل اذالم يكن مأموراً عن الله تعالى فقد ظهر أنّ عدالة الحاكم فقط لا تكفي في دخوله في سلك ولاية العدل في الشريعة المطهرة بل لا بد مضافاً الى كونه عادلاً مأذوناً فيه وهو لا يكون الاّ النبي او الوصى او من امرأه بالولاية والحكومة ومن هنا قلنا بسقوط وجوب الاطاعة للرعية باتسبة الى غير هؤلاء من الحكام والأمراء في صورة الاختيار وعدم التقيّة كائناً من كان الى يوم ظهور الدولة الحقّة كيف وأنهم مصاديق قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) فاولئك هم الفاسقون فاولئك هم الظالمون، والكافر والفاسق والظالم لا تجب طاعته بل حرام في غير الضرورة والتقيّة.

وقدر وى عنه ﷺ مرفوعاً أنّه قال مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ.

ومن دعى لظالم بالبقاء فقد أحبّ ان يعص الله في ارضه...

كتب بعضهم الى اخ له يشكوا جور السلطان، فاجابه من عمل المعاصي لا ينكر العقوبة.

وقال رسول الله ﷺ الويل لظالم اهل بيتي عذابهم مع المنافقين في الدرك الاسفل من النار، وائى ظلم اقبح من غصب الحكومة والخلافة.

وقال رسول الله ﷺ اذا كان يوم القيامة نادى مناد ادين الظلمة واعوان الظلمة واشياع الظلمة حتى من برئ لهم قلماً اولاق بهم دواة فيجعلون في تابوت حديد، ثم يرمى بهم في نار جهنم انتهى...

وقال رسول الله ﷺ ان من اعظم الناس عذاباً يوم القيمة من اشركه الله في سلطانه فجار في حكمه...

والذى يسهل الختم هوان الولاية والتولية بدون اذن من الله ورسوله فساد في الأرض وظلم على عباد الله لأنها توجب اراقة الدماء بغير الحق ونهب الاموال وهتك النواميس وبالجملة صيرورة المنكر معروفاً والمعروف منكراً ومن كان كذلك فشأنه وشأن اتباعه الدخول في النار وبئس المصير وتفصيل الكلام فيه موكول الى محلة.

□ قوله ﷺ: وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مَوْضِعُ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ...

و هذا هو الرجل الثاني من الرجلين اللذين اشار اليهما في صدر الخطبة وهو قوله ان ابغض الخلائق الى الله رجلان.

والمقصود منه من تصدّى لمنصب القضاء بدليل قوله ﷺ بعد سطر جلس بين الناس قاضياً الخ.

وقد قلنا ان الحكومة على قسمين: لأنها تارة في الأمور الدنياوية من السياسات وتقسيم الفئ بينهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالجملة ارشاد الناس الى ما هو صلاح لهم من اجراء العدالة واعطاء كل ذي حق حقه وامثال ذلك مما هو منوط بالحكومة وان شئت عبر عنها بالقوة المجريّة.

وتارة، في الأمور الشرعيّة اعنى الدعاوى والخصومات والمرافعات والديات والقصاص وسائر ما يتعلّق بها من الأحكام ويُعبر عن الاول بالوالى او السلطان او الحاكم وامثال ذلك و عن الثانى بالقاضى والحاكم الشرعى وكلاهما اصلان اصيلان فى سوق الأجماع الى الانسانية ولا يمكن اصلاح الجامعة الا بعد اصلاح هذين الرجلين اعنى الحاكم العرفى والحاكم الشرعى فان احدهما مبيّن للاحكام والآخر مجريها ولذلك يقال بأنهما متلازمان لا يمكن انفكاك احدهما عن الآخر فان الحكم الشرعى لا بد له من المجرى له والآفلا

فائدة في ذكره وبيانه ولذا قال رسول الله ﷺ صنفان من أمتي اذا صلحا
صلحت أمتي واذا فسدت افسدت أمتي.

قيل: يا رسول الله و من هم؟ قال: الفقهاء والامراء انتهى...

والتعبير بالقَمْش في العبارة من احسن التعبير والطفها وذلك لان القَمْش
في اللغة الجمع من هنا وهنا والمقصود ان الرجل جمع بعض المطالب
والاصطلاحات وظن انه به صار عالماً وليس كذلك هذا ما ذهب اليه القوم في
شرح كلامه ﷺ وقد رأيت في بعض كتب اللغة ان القَمْش يطلق على الردي من
كل شيء وعلى هذا فقوله ﷺ اشارة الى ان ما جمعه من الاقوال ليس من الاقوال
الصحيحة بل هو من الأوهام والخرافات والشذوذ.

ثم انه ﷺ اشار الى انه صار من العلماء لدى الجهال و ذلك لان العقلاء
لا يعتنون بشانه فلا جرم يستمدون الأراذل والأوباش والجهال وهم يحومون
حوله ويطوفون حول كعبة وجوده وامثال هؤلاء كثيرة في كل عهد وزمان هذا
اذا كان الموضوع بكسر الضاد وفتح الميم واما بناء على كون الموضوع بفتح
الضاد كما احتمله البحراني (قده) وحمل الكلام عليه فالمعنى ان كونه موضعاً
في جهال الأمة مطرَحاً ليس من اشراف الناس وقال يفهم من هذا الكلام انه
خرج في حق شخص معين وان عمه وغيره والله اعلم بحقائق الامور.

□ قوله ﷺ: عَارٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ...

وهذا وصف آخر له وهو كونه سائراً في ظلماتها بناء على قراءة قوله غَارٌ،
غارياً، واما على ظاهر العبارة فالمقصود انه غافل في ظلمات - الخصومات
لا يهتدي بوجه تحليفها.

□ قوله ﷺ: عَمَّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ...

وهذا وصف آخر له وهو كونه اعمى البصيرة بمصالح الناس ونظام امورهم
وما في عقد الصلح والمسالمة بينهم وبالجملة لا يدري ما هو صلاح له ولهم
ومن كان هذا شأنه فهو كما قال الشاعر.

إذا كان الغراب دليل قوم

سَيَهْدِيهِمْ سَبِيلَ الْهَالِكِينَ

قال رسول الله ﷺ شرار علماء امتنا المٌضَلُّونَ عَنَّا الْقَاطِعُونَ لِلطَّرِيقِ
الْبِئْسَاءِ الْمَسْمُومُونَ اضدادنا بأسمائنا، المُلَقَّبُونَ اندادنا بالقابنا يُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ
وَهُمْ لِللَّعْنِ مُسْتَحِقُّونَ، وَيَلْعَنُونَا وَنَحْنُ بِكِرَامَاتِ اللَّهِ مَعْمُورُونَ وَبِصَلَوَاتِ اللَّهِ
مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ عَن صَلَوَاتِهِمْ عَلَيْنَا مُسْتَعْتَبُونَ انتهى...

وسئل امير المؤمنين (عليه السلام) من خير خلق الله بعد أئمة الهدى و مصابيح
الدجى قال العلماء اذا صلحوا، قيل و من شر خلق الله بعد ابليس وفرعون
ونمرود وبعد المتسمين باسمائكم وبعد المتلقين بالقابكم، والآخذين
لإكليتكم و المتأمرين فى ممالككم.

قال (عليه السلام): العلماء اذا فسدوا هم المظهرون للأباطيل الكاتمون للحقائق وفيهم
قال الله عز وجل ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ النَّاسُ عِنْدَ﴾^(١)
□ قوله (عليه السلام): قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَ كَيْسَ بِهِ...

و هذا وصف آخر له وهو كونه من العلماء عند اشباه الناس مع انه ليس
بعالم حقيقة.

قال رسول الله ﷺ سيأتى على أمتى زمان لا يبقى من القرآن الا رسمه
ولا من الاسلام الا اسمه يُسمون به وهم ابعد الناس منه مساجدهم معمورة
(عامرة) وهى خراب من الهدى فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء
منهم خرجت الفتنة و اليهم تعود. انتهى...

وعنه (عليه السلام) الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا قيل يا رسول الله
وما دخولهم فى الدنيا قال اتباع السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على
دينكم. وقال (عليه السلام): مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِيَمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ
يَعْرِفَ بِهِ النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ يَقُولُ أَنَا رَيْسُكُمْ فَلْيُنَبِّئُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ

الرِّيَاسَةَ لِاتِّصَالِهَا بِالْأَهْلِ فَمَنْ دَعَى النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ
لَمْ يُنْظَرْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...

□ قوله ﷺ: بَكَرٌ فَأَسْتَكْتَرُ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ...

و هذا وصف آخر له وذلك لأنه حيث لا يكون عالماً في الحقيقة فلا جرم ما
جمعه وسمّاه نفسه عالماً أو سمّاه الناس عالماً عدمه خيراً من وجوده وقليله
خير من كثيره إذا المفروض أنّ ما جمعه لا يغنى ولا يُسمن بل يضر ولا ينفع
أما عدم نفعه فلأن المفروض أنّه ليس بعالم حتى يستفيد بعلمه وأما كون ما
جمعه مضرّاً به فلأنّ مثله مثل الحمار يحمل أسفاراً.

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ
يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾^(١)

□ قوله ﷺ: حَتَّى إِذَا أَرْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ وَ أَكْتَرْتَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ...

و هذان وصفان آخران له على سبيل الاستعارة فأنه ﷺ شبه ما جمعه من
الأقوال و اعتمد عليها بالماء المتغير من حيث اللون و الطعم فكما أنّ الإنسان
العاقل لا يرتوى منه ان امكّن له الأرتواء من الماء الصافي فكذلك العاقل لا
يقنع و لا يعتمد على المستخرجات الظنية و الأقوال الفاسدة الكاذبة.
و كما أنّ الانسان لا يكتنز إلا ماله قيمةً و فائدةً كالذهب و الفضة و امثالهما
من الجواهر لا ما لا فائدة فيه كما الأجر و الجصّ و الخزف و امثالها فكذلك
العاقل لا يكتنز من الأقوال إلا الأقوال الصحيحة الموثوقة بها لا ما جمعه من
المهملات و الموهومات التي لا فائدة فيها إلا الوزر و الوبال، و تشتت الآراء و
تفرقت الأحوال.

□ قوله ﷺ: جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا أَلْتَبَسَ عَلَيْهِ غَيْرِهِ...

و ذلك لأنّ من لا يكون عالماً بالأحكام الشرعيّة والآثار المروية فكيف
يقضى بين الناس و يصير ضامناً لتخليصهم عن المشتبهات و المعضلات مع

أَنَّ الْمُعْطَى لِلشَّيْءِ لَا يَكُونُ فَاقِدَ لَهُ وَلَا سَيِّمًا فِي الْقَضَاءِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهَمِّ
الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَقَدْ وَرَدَ فِي ذِمِّ مَنْ لَا يَكُونُ لَانْتِقَاءَ بِهِ أَخْبَارَ كَثِيرَةٍ وَلَا بِأَسْ
بِالْإِشَارَةِ إِلَى بَعْضِ الْأُمُورِ اللَّائِقَةِ بِهِ فَنَقُولُ.

اعلم: أَنَّ الْقَضَاءَ هُوَ فَصْلُ الْأُمُورِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَقَالَ بَعْضُ آخِرِ فِي تَعْرِيفِهِ أَنَّهُ
أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى أَحْكَامِ أَمْرٍ وَاتِّقَانِهِ وَانْفِذِهِ وَفِي الشَّرْعِ وَلايَةِ الْحُكْمِ
شَرْعًا لِمَنْ لَهُ أَهْلِيَّةُ الْفَتْوَى بِجَزْئِيَّاتِ الْقَوَانِينِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى أَشْخَاصٍ مُتَعَيَّنَةٍ
يَتَعَلَّقُ بِإِثْبَاتِ الْحُقُوقِ وَاسْتِيفَائِهَا لِمُسْتَحَقِّهَا وَلَا تَثْبُتُ تَوَلِيَّتُهُ - عِنْدَنَا إِلَّا بِإِذْنِ
الْأَمَامِ أَوْ نَائِبِهِ فَإِنَّ لَهُ الرِّيَاسَةَ الْعَامَّةَ وَلا رِيَاسَةَ لِأَحَدٍ، إِلَّا بِإِذْنِهِ بِتَوَسُّطِ أَوْلِيَاءِ
حَاضِرًا كَانَ أَوْ غَائِبًا وَلَا تَثْبُتُ بِنَصْبِ أَهْلِ الْبَلَدِ وَلا غَيْرِهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: اتَّقُوا الْحُكُومَةَ فَإِنَّ الْحُكُومَةَ إِنَّمَا هِيَ لِلْأَمَامِ الْعَالَمِ
بِالْقَضَاءِ الْعَادِلِ فِي الْمُسْلِمِينَ كُنْتَبِي أَوْ وَصِيَّ نَبِيٍّ...

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لِشَرِيحٍ، يَا شَرِيحٍ قَدْ جَلَسْتَ مَجْلِسًا لَا يَجْلِسُهُ إِلَّا
نَبِيٌّ أَوْ وَصِيُّ نَبِيٍّ أَوْ شَقِيٌّ...

وَلَكِنْ لَوْ تَرَاخَى الْخَصْمَانِ بِحُكْمِ بَعْضِ الرِّعِيَّةِ فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا جَازَ عِنْدَنَا وَ
إِنْ كَانَ الْأَمَامُ حَاضِرًا أَوْ هُنَاكَ قَاضٍ مَنصُوبٌ مِنْهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (١)

وَلِلدَّخُولِ فِي عُمُومِ مَا دَلَّ عَلَى وَجُوبِ الْأُمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَلِنَحْوِ قَوْلِ الصَّادِقِ عليه السلام لِأَبِي خَدِيجَةَ أَيَّاكُمْ أَنْ يُحَاكِمَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِلَى
أَهْلِ الْجَوْرِ وَلكِنْ انظُرُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ قِضَائِنَا فَاجْعَلُوهُ
بَيْنَكُمْ الْحَدِيثَ.

وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: مَنْ حَكَمَ بَيْنَ الْأَثْنَيْنِ فَتَرَاضِيَا بِهِ فَلَمْ يَعْدِلْ فَعَلَيْهِ
لَعْنَةُ اللَّهِ...

وَقَالَ الصَّادِقُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ لِعِمْرَانَ حَنْظَلَةَ انظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ مِنْكُمْ قَدْ

رَوَى حَدِيثَنَا وَنَظَرَ فِي حَلَالِنَا وَحَرَامِنَا وَعَرَفَ أَحْكَامَنَا فَارْضُوا بِهِ حَكْمًا
فَأَنَّى قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِمًا فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فَإِنَّمَا بِحُكْمِ اللَّهِ
اسْتَحْفَافٌ وَعَلَيْنَا رَدُّ وَالرَّادُ عَلَيْنَا الرَّادُ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى حَدِّ الشَّرْكِ بِاللَّهِ، وَ
أَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الرِّوَايَاتِ، وَهَذَا مِمَّا لَا كَلَامَ لَنَا فِيهِ. إِنَّمَا الْكَلَامُ فِي الْقَاضِي
الشَّرْعِيِّ وَمَا تَجِبُ مِرَاعَاتُهُ فِيهِ وَشُرَائِطُهُ سَبْعَةٌ...

أحدها: البلوغ، فَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ شَرْعًا لَا يَجُوزُ لَهُ التَّصَدِيُّ لِلْقَضَاءِ

ثانيها: العقل، فلا يجوز للمَجْنُونِ الْقَضَاءَ وَلَا يَنْفِذُ حُكْمَهُ.

ثالثها: الذُّكُورَةُ، فَالْمَرِيئَةُ لَا تَكُونُ قَاضِيَةً.

رابعها: الأيمان، فلا تجوز القضاة للكافر.

خامسها: العدالة، فلا تجوز قضاة الفاسق.

سادسها: طهارة المولد، بمعنى عدم كونه ولد الزنا فان كان ولد الزنا لا يجوز

عليه القضاء.

سابعها: العلم، بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية بمعنى كونه

مُجْتَهِدًا مُسَلِّمًا لَا يُقَلِّدُ غَيْرَهُ بَلْ كَانَتْ لَهُ أَهْلِيَّةُ الْفَتْوَى بِجَزْئِيَّاتِ الْقَوَانِينِ

الشَّرْعِيَّةِ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ وَاجِدًا لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ السَّبْعَةِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا فَالْقَضَاءُ عَلَيْهِ

حَرَامٌ مُحَرَّمٌ وَمَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ حَتَّى لَوْ أَخْلَى بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا لَا يَصْلِحُ لِلْقَضَاءِ وَهَذَا

أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ لَمْ يُخَالَفْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ عُلَمَاءِ - الْمَذْهَبِ كَمَا اعْتَرَفَ بِهِ فِي

كُشْفِ اللَّثَامِ وَغَيْرِهِ فِي غَيْرِهِ.

أِذَا عَلِمْتَ شُرَائِطَ الْقَاضِي فَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْقَضَاءَ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ فِي

الْأَجْتِمَاعِ إِذَا بِهِ تَنْتَظِمُ الْأُمُورُ وَيَصِلُ كُلُّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ وَبِهِ يُؤَخَذُ الظَّالِمُ

بِظُلْمِهِ وَبِهِ يَنْتَصَفُ الْمَظْلُومُ.

وَإِلْجُمْلَةً بِهِ قِوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَلِأَجْلِ ذَلِكَ نَقُولُ فِيهِ أَنَّ شَرَفَهُ عَظِيمٌ وَ

حِظُّهُ عَمِيمٌ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّ الْقَاضِيَّ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ.

رَوَى فِي الْوَسَائِلِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ الْقَضَاءُ أَرْبَعَةٌ ثَلَاثَةٌ فِي

النار و واحدا فى الجنة.

رجل قَضَى بِجَوْرٍ و هو يَعْلَمُ فهو فى النار.

و رجل قَضَى بِجَوْرٍ و هو لَا يَعْلَمُ فهو فى النار.

و رجل قَضَى بِالْحَقِّ و هو لَا يَعْلَمُ فهو فى النار.

و رجل قَضَى بِالْحَقِّ و هو يَعْلَمُ فهو فى الجنة، انتهى.

و قال ابو جعفر عليه السلام من افترى الناس بغير علمٍ و لاهدئى من كتابِ الله (من

الله) لعنته ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب و لِحَقِّهِ و زُرُّ مَنْ عَمِلَ بِفُتْيَاهُ،

انتهى...

و عن الصادق عليه السلام: انه عليه السلام قال اِيَّاكَ عن خِصْلَتَيْنِ: فِيهِمَا هَلَكَ الرَّجَالُ ان

تُدِينُ اللهُ بِالْبَاطِلِ و تُفْتَى النَّاسَ بِمَا لَا تَعْلَمُ انتهى...

و عنه عليه السلام: قال مَنْ حَكَمَ فى دِرْهَمَيْنِ بغير ما انزل الله عزَّوجلَّ مِمَّنْ له

سَوَاطِئُ او عَصَا فهو كافر بما انزل الله على مُحَمَّدٍ عليه السلام، انتهى ...

و فى حديث آخر عنه عليه السلام: مَنْ حَكَمَ فى دِرْهَمَيْنِ بغير ما انزل الله فهو كافرٌ

بالله العظيم، انتهى...

و فى حديث آخر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ حَكَمَ فى دِرْهَمَيْنِ بِحُكْمِ جَوْرٍ،

ثُمَّ جَبَرَ عَلَيْهِ كان من اهل هذه الآية و من لَمْ يَحْكَمْ بما انزل الله فألئك هم

الكَافِرُونَ. فقلت: كيف يُجَبَّرُ عَلَيْهِ؟

فقال عليه السلام: يكون له سَوَاطِئُ و سِجْنٌ فَيَحْكُمُ عَلَيْهِ فان رضى بحكمه و الّا

ضَرَبَهُ بِسَوَاطِئِ و حَبَسَهُ فى سِجْنِهِ. انتهى...

و عن معاوية بن وهب عن ابي عبد الله عليه السلام قال سمعته عليه السلام يقول اى قاضٍ

قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ فاخطأ اسقط اَبْعَدَ من السَّمَاءِ انتهى.

و عن النبى صلى الله عليه وسلم قال و مَنْ حَكَمَ بِمَا لَمْ يَحْكَمْ بِهِ اللهُ كان كَمَنْ شَهِدَ بِشَهادَةِ

زُورٍ و يَقْدَفُ بِهِ فى النَّارِ و يُعَذَّبُ بِعَذَابِ شَاهدِ الزُّورِ انتهى...

و امثال ذلك من الروايات كثيرة و ما ذكرناه نقلناه عن الوسائل كتاب

□ قوله ﷺ: فَأَنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمَبْهَمَاتِ هَيَّأَلَهَا حَشْوًا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ...

و المقصود إنَّ القاضي اذا لم يكن واجداً للشرائط المذكورة و لاسيما العلم منها فان نزلت به احدي الأمور المبهمة الغير المعينة لايدري مايقول فيها فلاجرم يقول فيها برأيه الفاسد لعدم وقوفه فيها على ما هو الحق ثم يقطع بهذا الرأي الكاسد والقول الباطل و هذا من العجائب لان من لم يتيقن بالحكم فكيف يحكم به و يجعله من المقطوعات و على كل حال غرضه ﷺ من هذا الكلام ابطال القول بالرأي و القياس و الاخذ - بالظن الذي لم تثبت حجتيه فهذا كله باطل و قد وردت في منع الاخذ بالرأي الآيات و الروايات اما الآيات.

فمنها - قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١)

و: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٢)

و: ﴿وَأِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا﴾^(٣)

و: ﴿وَ مَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٤)

و: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٥)

و: ﴿ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٦)

و: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾^(٧)

و: ﴿وَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَ جُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾^(٨)

و: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ...﴾^(٩)

و الآيات الواردة في المقام الدالة على نهى الأخذ بغير علم في الاحكام

١. آل عمران - ٧٨.

٢. يونس - ٦٠.

٣. ص - ٢٧.

٤. الزمر - ٦٠.

١. آل عمران - ٧٥.

٢. المجادلة - ٢.

٣. يونس - ٦٦.

٤. النجم - ٢٣.

٥. الانعام - ٢١.

الشَّرعيَّة كثيرة و فيما ذكرناه كفاية. أمَّا الاخبار:

فمنها - قال رسول الله ﷺ من أفتى بغير علمٍ لعنَّته ملائكة السموات والارض. انتهى «بحار الانوار، ج ١، ص ١٠٠، ط كمياني»...

ومنها - مرواه فيه ايضا باسناده قال رسول الله ﷺ اتقوا تكذيب الله.

قيل: يا رسول الله و كيف ذلك؟

قال: يقول احدكم قال الله فيقول الله عزوجل كذبت لم أقله و يقول لم يقل الله

فيقول عزوجل كذبت قد قلته انتهى «ص ١٠٠»...

ومنها - ماوراه ايضا باسناده عن ابيعبدالله عليه السلام قال الكذب على الله

عزوجل و على رسوله و على الأوصياء من الكبائر و قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار انتهى. (١)

ومنها - ما عن الرضا عليه السلام قال ﷺ والله ما أحد يكذب علينا الا و يذيقه الله

حرَّ الحديد انتهى «ص ١٠٠»...

ومنها - مرواه فيه ايضا باسناده عن اميرالمؤمنين قال عليه السلام

ايها الناس ثلاث لادين لهم، لادين لمن دان بجحود آية من كتاب الله ولادين

لمن دان بفرية باطل على الله ولادين لمن دان بطاعة من عصى الله تبارك

وتعالى، الحديث «ص ١٠٠»...

ومنها - مرواه باسناده عن ابيعبدالله عليه السلام حيث سئله زرارة عن حق الله

على خلقه قال ﷺ حق الله على خلقه ان يقولوا ما يعلمون و يكفوا عما

لا يعلمون فاذا فعلوا ذلك فقدوا الله ادوا اليه حقه، انتهى «ص ١٠٠»...

ومنها - ماوراه ايضا باسناده عن ابيعبدالله عليه السلام حيث قال ﷺ انهاك عن

خصلتين فيهماهلك الرجال ان تدين الله بالباطل و تفتي الناس بما لاتعلم، و

في آخر اياك و خصلتين، و ساق الحديث كما مرَّ انتهى «ص ١٠٠»...

ومنها - مرواه ايضا باسناده عن ابن الحجاج قال: سئلت ابا عبدالله عن

مجالسة اصحاب الرأى، فقال جالسهم و اياك و خصلتين هلك فيهما الرجال ان تدين بشيء من رأيك او تفتى الناس بغير علم انتهى «ص ١٠٠»...
 ومنها - ما عن ابن شبرقة قال: ما أذكر حديثاً سمعته من جعفر ابن محمد الا كاد يتصدع قلبي، قال قال ابى عن جدى عن رسول الله قال ابن شبرقة و اقسّم بالله ما كذب ابوه على جدّه ولا كذب جدّه على رسول الله فقال ﷺ قال رسول الله من عمل بالمقائيس فقد هلك و اهلك و من افتى الناس و هو لا يعلم الناسخ من المنسوخ و المحكم من المتشابه فقد هلك و اهلك. انتهى «ص ١٠١»...

ومنها - مارواه عن زرارة عن ابى جعفر قال ﷺ لو أن العباد اذا - جهلوا و قفوا لم يجحدوا و لم يكفروا، انتهى «ص ١٠١»...

ومنها - مارواه فى المستدرک باسناده عن جعفر ابن محمد ﷺ انه قال نهى رسول الله ﷺ عن الحكم بالرأى و القياس و قال أول من قاس ابليس و من حكم فى شيء فى دين الله برأيه خرج من دين الله انتهى «المستدرک الوسائل، ج ٣، ص ١٧٥»...

ومنها - مارواه فيه ايضا عن منية المرید عن النبى ﷺ انه قال من افتى بفتياء من غير تثبّت و فى لفظ بغير علم فانما اثمه على من افتاه - انتهى. (١)
 و قال على ﷺ: ايها الناس اتقوا الله و لا تفتوا الناس بغير علم (بماتعلمون) «ص ١٧٤»...

و عنه ﷺ قال تعمل هذه الامّة برهة بالكتاب و برهة بالسنة و برهة بالقياس فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا، انتهى «ص ١٧٥»...

و عنه ﷺ - قال و اياكم و اصحاب الرأى فانهم اعيتهم السنن ان يحفظوها فقالوا فى الحلال و الحرام برأيهم فأحلوا ما حرم الله و حرّموا ما حلّ الله فضلوا و اضلوا، انتهى «ص ١٧٦»...

وعنه عليه السلام - قال ستفترق أمتي على بضيع و سبعين فرقة اعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرمون الحلال و يحللون الحرام انتهى. (١)

و عن سلمان الفارسي انه ما هلكت امة حتى قاست في دينها انتهى «ص ١٧٦»...

و عن المعلّى ابن خنيس عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل و من أضلّ ممّن اتبع هواه بغير هدى من الله ، يعنى من يتخذ دينه رأيه بغير امام هدى من الائمة. (٢)

و قد روى فيه ايضا باسناده عن عكرمة قال قال الحسين ابن على عليه السلام من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر فى الأرتماس قائلاً عن المنهاج طاعناً فى الأعوجاج ضالاً عن السبيل قائلاً غير الجميل الخبر «ص ١٧٦»...

و روى فيه ايضا باسناده عن محمد ابن حكيم قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ان قوماً من اصحابنا قد تفقهوا و اصابوا علماً و رَووا احاديث فيرد عليهم الشئ فيقولون برأيهم، فقال عليه السلام لا، و هل هلك من مضى الا بهذا و اشباهه انتهى «ص ١٧٧»...

اقول: انما ذكرت هذه الروايات مع ان المذكور من المتروك - كالقطرة من البحور لتعلم ان العمل بالرأى فى الشريعة المقدسة ممنوع مردود فان أول من قاس إبليس لعنة الله عليه.

روى ابو نعيم - ان اباحنيفة و عبد الله ابن ابي شبرقة و ابن ابي ليلى دخلوا على جعفر ابن محمد عليه السلام فقال: لابن ابي ليلى من هذا الذى معك؟

قال: هذا رجل له بصير و نفاذ فى الدين.

قال عليه السلام: لعنه يقيس امر الدين برأيه. قال: نعم.

فقال جعفر لابي حنيفة ما اسمك؟ قال: نعمان

قال: ما اراك تحسن شيئاً، ثم جعل يوجه اليه اسئلة فكان جواب ابي حنيفة عدم الجواب عنها فاجاب به الأمام عنها...

ثم قال: يا نعمان حدّ ثنى ابي عن جدّي أنّ رسول الله ﷺ قال أوّل من قاس إبليس في أمر الدين برأيه.

قال الله تعالى له اسجد لآدم فقال انا خير منه خلقتني من نارٍ، و خلّقتة من طينٍ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله يوم القيمة بأبليس لانه اتبعه بالقياس...

قال ابن شبرقة، ثم قال جعفر ايّهما اعظم قتل النفس او الزنا؟

قال ابو حنيفة: قتل النفس. قال الصادق عليه السلام فان الله عزوجل قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا الا اربعة.

ثم قال عليه السلام ايّهما اعظم الصلوة ام الصوم؟

قال ابو حنيفة: الصلوة.

قال الصادق عليه السلام فما بال الحائض تقضي الصوم و لا تقضي الصلوة -

فكيف؟ ويحك يقوم لك قياسك إتق الله و لا تقس الدين برأيك، انتهى وقد روى هذه المناظرة في المستدرک ايضا الا انه في آخرها قال عليه السلام فانما نحن وانت غداً اذا اختلفنا بين يدي الله عزوجل و نقول قال رسول الله ﷺ و تقول انت و اصحابك فسمعنا و رأينا فيفعل بنا و بكم ماشاء الله انتهى.

و في ابي حنيفة و اصحابه من اهل الرأى و القياس قال مساور و هو من

شعراء عصره.

قال:

كنا من الدين قبل اليوم في سعة

حتى بلينا بأصحاب المقائيس

قاموا من السوق اذا قامت مكاسبهم

فاستعملوا الرأى بعد الجهد والبؤس

فلقيه ابو حنيفة فقال هجوتنا يا مساور نحن نرضيك فوصله بدراهم فقال

مُساورة:

اذا ما الناس يوماً قايُسونا بأبدةٍ من الفُتيا طَريقة
أَتيناهُم بمقياسٍ صَحيح قِلاذٍ من طرازِ ابى حنيفة
اذا سمعَ الفقيه بهاوعاها واثبتها بجبرٍ من صحيفة

و ابو حنيفة كان من اصحاب الرأى و القياس و قيل هو اول من قاس فى
الدين كما ان ابليس اول من قاس فى الخلق و لذلك قد اصبح من المَطعُونين
فى الاسلام حتى فى السنة العامة و زعمائهم.

عن الوليد ابن انس اَيذكرُ ابو حنيفة فى بلادكم ؟
قلت: نعم. قال: لا ينبغى لبلادكم ان تُسكَن، انتهى «مِيزانُ الشُعراى»، ج ١،
ص ٥٩...»

و عن الأوزاعى يقول انا لانتقمُ على ابى حنيفة انه رأى كلنا يرى و لكننا
نمنتقم عليه انه يجيئه الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله و سلم فيخالفه الى
غيره، تأويل مختلف الحديث لأبن قتيبة. «ص ٦٣...»

و قال ابن عبد البر و ممن طعن عليه و جرّحه محمد ابن اسماعيل البخارى
فقال فى كتابه الضعفاء و المتروكين، ابو حنيفة النعمان ابن ثابت الكوفى، قال
نعيم ابن حمّاد حدّثنا يحيى ابن سعيد و معاذ ابن معاذ سمعنا سفيان الثورى
يقول استُتِيب ابو حنيفة من الكفر مرّتين.

و قال نعيم الفزارى كنت عند سفيان ابن عيينة فجاء نعى ابى حنيفة فقال كان
يهدم الاسلام عروة عروة و ما وُلد فى الاسلام مَوْلوداً شرّ منه هذا ما ذكره
البخارى، الانتقاء لابن عمر ص ١٥٠

و قال ابن الجارود فى كتابه الضعفاء و المتروكين، النعمان ابن ثابت جُلّ
حديثه وَهْمٌ.

و قد روى عن مالك انه قال فى ابى حنيفة نحو ما ذكره سفيان انه شرّ مَوْلودٍ
وُلد فى الاسلام، و انه لو خرّج على هذه الامّة بالسيف كان أهون.
و روى عنه انه سئل عن قول عمر ابن الخطّاب، بالعراق الداء العِضال، فقال

مالك ابو حنيفة.

و عن وكيع ابن الجراح انه قال وجدت اباحنيفة خالف مائتي - حديث عن رسول الله.

وقيل لابن المبارك كان الناس يقولون انك تذهب الى قول ابى حنيفة قال ليس كل ما يقولون الناس يصيبون فيه كنا نأتيه زماناً و نحن لا نعرفه فلما عرفناه. الانتفاء لابن عبدالبر. ص ١٥٠

و قال ابو صالح الفراء سمعت يوسف ابن اسباط يقول ردّ ابو حنيفة على رسول الله اربعمئة حديث او اكثر؟ قلت له يا ابامحمد تعرفها؟

قال: نعم. قلت: فاخبرني بشيء منها قال.

قال رسول الله ﷺ للفرس سهمان و للرجل سهم واحد، قال ابو حنيفة انا لاجعل سهم بهيمة اكثر من سهم المؤمن و اشعر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و اصحابه البدن، و قال ابو حنيفة: الاشعار مثله.

و قال ﷺ البيعان بالخيار مالم يفترقا، و قال ابو حنيفة: اذا وجب البيع فلا خيار.

و كان النبي ﷺ يقرع بين نسائه اذا اراد ان يخرج الى سفر و اقرع اصحابه و قال ابو حنيفة: القرعة قمار.

و قالوا انه كان في عصره اربعمئة من الصحابة و لكن لم يهتم للقائهم.

١. و قد تبعه على القياس و العمل بالرأى القاضى ابو يوسف.

٢. و محمد ابن الحسن الشيباني.

٣. و الحسن ابن زياد اللؤلؤ الكوفي.

٤. و زفر ابن الهذيل. و هؤلاء الأربعة كانوا من خواصه، و اصحابه و رواة

آرائه و الناشرين لمذهبه و لاسيما القاضى ابو يوسف لمكانته و شخصيته لدى الخلفاء و حيث ان اباحنيفة قام بنفقته و نفقة عياله عشر سنة فلما توفي

ابوحنيفة و زفرابن الهذيل استقلّ ابويوسف برآسة - اصحابه و ساعدته
الظُرُوف السِّيَاسِيَّة و اقبَلت الدُّنيا عليه و وقع موقع القبول عند الخلفاء و ولى
القضاء لثلاثة منهم. للمهدى. والهادى و الرشيد. و قد نال عند الرشيد حظاً
مكيناً و قربته و هو الذى نشرَ مذهب ابى حنيفة فى الرأى و القياس فى الأقطار
على ايدى القضاة الذين كان يُعيّنهم ابويوسف من اصحابه فكان نفوذ
المذهب يستمدّ من نفوذ سلطته و هو أوّل فقهاء اهل الرأى و ابى حنيفة و
زفرابن الهذيل الذى كان من خواصّه.

قال احمد ابن المُعدّل المالكى فى هجو هما و زفر هذا هو الذى توّلى
القضاء فى زمن ابى حنيفة فى البصرة فهجاهما و قال:

ان كنت كاذبةً بما حدّثتنى فعليكِ اثمُ ابى حنيفة او زفر
المائلين الى القياس تَعَمِّداً والراغبين عن التمسك بالخبر

ثم انّ ما ذكرناه من الاقوال فى ابى حنيفة و أنّه كان من اصحاب الرأى فهو
من باب المثل فانّ اباحنيفة فى هذا المضمار ممّن يُضرب به الامثال لانه
المُبدع و المُخترع لهذه الرؤية الباطلة ظاهراً و تبعه عليه غيره من الائمة و
غيرهم، ثمّ البسوا على هذه الأوهام و الخرافات لباس المذهب بل انحصروا
المذاهب فى الأربعة، و اسقطوا غيرها عن الاعتبار بزعمهم الفاسد و الأفاصل
العمل بالرأى و الاعراض عما جاء به النبى صلى الله عليه و آله و سلم قد نشأ
بعد النبى ﷺ و طلّع نجمه من السقيفة و قالوا بآرائهم فى الدين ما قالوا و قد
نقلنا شطراً من مطائن الخلفاء الثلاثة فى صدر الاسلام فى موضعه فانّ ما ثبت
فى حقهم من المطاعن كلّها من الاخذ بالرأى فبالحقيقه هم اسسوا اساس الظلم
و الجور و البدعة، و العمل بالرأى فى الإسلام لا ابوحنيفة الذى كان من اتباعهم
و اشياعهم و كذلك الى يوم القيمة.

□ قوله ﷺ: **فَهُوَ مِنْ نَبْسِ الشُّبُهَاتِ فى مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ...**

قال الله تبارك و تعالى: **﴿وَإِنْ أَوْهَنْ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا**

قال البحراني (قدّه) في شرحه لهذه العبارة أنّ وجه هذا التمثيل أنّ الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حلّ قضية تكثر فيلتبس على ذهنه وجه الحقّ منها فلا يهتدى له لضعف ذهنه. فتلك الشبهات في الوهن تشبه نسيج العنكبوت و ذهنه فيها يشبه ذهن - الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكّن الذباب من خلاص نفسه من شباك - العنكبوت لضعفه، فكذا ذهن هذا الرجل لا يقدر على التخلص من تلك الشبهات.

ثمّ أنّ الشارح الخوئي بعد نقله ما نقلناه بعبارة قال.

وقال المحدث المجلسي بعد نقله كلام البحراني هذا أقول: و يحتمل ايضاً ان يكون المراد تشبيه ما يلبس على الناس من الشبهات بنسيج العنكبوت لضعفها و ظهور بطلانها لكن تقع فيها ضعفاء العقول فلا يقدرّون على التخلص منها لجهّهم و ضعف يقينهم و الاوّل انّسب بما بعده. انتهى.

اقول: ما ذكره عليه السلام اوضح من ان يخفى و لا يحتاج الى ما ذكره من التّجسّم في حلّ العبارة و ذلك لأنّ من لا يكون عالماً بمعنى عدم انكشاف الواقع لديه فلا محالة يكون مضطرباً و متزلزلاً في آرائه فانّ الظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً و لا خفاء في كون هذا الرجل غير ثابت في أقواله و آرائه و هو يدلّ على عدم استقامته في الأمور فما جمعه و سمّاه علماً ليس بعلم بل هو او هنّ من بيت العنكبوت من جهة وهنه و عدم الاعتماد عليه.

و عليه فوجه التمثيل في كلامه عليه السلام أنّما هو عدم الاعتماد على ما يصدر عنه من الأقوال كما أنّ العنكبوت يجب ان لا يعتمد على بيته لوهنه.

و السرّ فيه هو أنّ العلم من الكمالات النفسانية و حقيقته ليست الا حضور المعلوم لدى النفس او احضار النفس اياه، هذا في العلم الحضورى و اما الحصولى منه فهو الصورة الحاصلة من الشئىء عند العقل، او حصول المدرك

لدى المدرك و لا بد لكل علم ان يطابق العلم مع المعلوم و اذا فرضنا عدم انكشاف الواقع للنفس فاي علم هناك و ما نحن فيه من هذا القبيل و ما كان هذا شأنه فليس من العلم بشيء فكيف يُعتمد عليه فبيت هذا العلم لا اساس له كما ان بيت العنكبوت كذلك و لتحقيق العلم مقام آخر سيأتي انشاء الله.

□ قوله ﷺ: لا يدري اصاب أم اخطأ. و فإن اصاب خاف أن يكون قد اخطأ و إن اخطأ رجاً أن يكون قد اصاب...

و هذا هو بعينه شأنه من لا يكون على يقين فيما يقول و ذلك لان الانسان في كل ما صدر او يصدر منه من الأقوال و الأعمال لا يخلوا اما ان يكون عالماً به قاطعاً بكونه من الواقعيات الثابتة من دون شك و ريب في صحته و اما ان لا يكون كذلك بل يتردد في صحته و قطعته.

اما الاول فلا كلام لنا فيه لانه خارج عن مورد البحث فان الكلام ليس في العالم الحقيقي.

و اما الثاني - فهو الذي تارة يصيب و أخرى لا يصيب و مع ذلك فهو لا يدري اصاب ام اخطأ فان اصاب واقعاً خاف ان يكون قد اخطأ لعدم علمه بالواقع و انه اصابه، و ان اخطأ واقعاً رجاً ان يكون قد اصاب لان الواقع مجهول لديه و بالجملة عدم علمه بالواقع اوقعه في التردد بين النفي و الاثبات فان الحكم لا يخلوا في الواقع عن الأصابة و عدمها و لالث و هذا الذي نتكلم فيه هو الذي سمّوه بالجهل المركب دون البسيط و ذلك لان الانسان فيما احتفظه له حالات.

الحالة الأولى - ان يكون ما احتفظه مطابقاً للواقع بمعنى كون الواقع منكشفاً عنده فهذا هو العالم الحقيقي و هو تارة مع كونه عالماً واقعاً يعلم و يقطع بانه عالمٌ فنسميه العالم بالعلم المركب، و تارة لا يعلم فهو العلم البسيط و الأول اشرف.

الحالة الثانية - ان لا يكون ما احتفظه من الاقوال مطابقاً للواقع و هو ايضاً

على قسمين:

أحدهما: علمه بعدم المطابقة و بعبارةٍ أخرى يَعْلَمُ بآنهُ لَا يَعْلَمُ فهو الجاهل بالجهل البسيط.

وثانيهما: عَدَمُ عِلْمِهِ بِهِ وَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ وَ هُوَ الْجَهْلُ الْمُرَكَّبُ وَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ إِذْ لَوْ كَانَ جَاهِلًا بِالْجَهْلِ الْبَسِيطِ لَا يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ وَ لَا يَجْعَلُ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ وَ حَيْثُ أَنَّهُ تَصَدَّى لِهَذَا الْمَنْصَبِ فَهُوَ كَاشِفٌ عَنِ عَدَمِ عِلْمِهِ بِكَوْنِهِ جَاهِلًا، وَ لَانْعْنَى بِالْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ غَيْرَ هَذَا الْمَعْنَى.

وَ مُحْصَلُ الْكَلَامِ فِيهِ هُوَ أَنَّ الْقَاضِيَ وَ الْمُفْتَى وَ كُلٌّ مِنْ يَقُولُ مِنَ اللَّهِ وَ مِنْ الرَّسُولِ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِصُدُورِ الْحُكْمِ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ قَطْعًا مِنْ غَيْرِ تَرْدِيدٍ فِيهِ وَ لَا تَكْفِيهِ الْأَصَابَةُ الْإِحْتِمَالِيَّةُ فَإِنَّ الْوُقُوفَ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ خَيْرٌ مِنَ الْأَقْتِحَامِ فِي الْهَلَكَاتِ.

قال رسول الله ﷺ مَنْ عَمِلَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ...

وَ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى السَّرَابِ بَقِيْعَةٌ لَا يَزِيدُهُ سُرْعَةُ مَسِيرِهِ إِلَّا بُعْدًا...

وَ قَالَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْمُتَعَبِّدُ عَلَى غَيْرِ فِقْهِ كَالْحِمَارِ عَلَى الطَّاحُونَةِ (كحمار الطَّاحُونَةِ) يَدُورُ وَ لَا يَبْرَحُ وَ رَكَعَتَانِ مِنْ عَالَمِ خَيْرٍ مِنْ سَبْعِينَ رَكَعَةً مِنْ جَاهِلٍ لِأَنَّ الْعَالِمَ تَأْتِيهِ الْفِتْنَةُ فَيُخْرِجُ مِنْهَا بَعْلَمَهُ وَ تَأْتِي الْجَاهِلَ فَتَنْسِفُهُ نَسْفًا وَ قَلِيلِ الْعَمَلِ مَعَ كَثِيرِ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعَمَلِ مَعَ قَلِيلِ الْعِلْمِ وَ الشُّكِّ وَ الشُّبُهَةِ، انْتَهَى...

وَ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحْسِنُوا النَّظَرَ فِيمَا لَا يَسَعُكُمْ جَهْلُهُ وَ انصَحُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَ جَاهِدُوا فِي طَلَبِ مَعْرِفَةٍ مَا لَا عُذْرَ لَكُمْ فِي جَهْلِهِ فَإِنَّ لَدَيْنَ اللَّهِ أَرْكَانًا لَا يَنْفَعُ مَنْ جَهْلُهَا شِدَّةُ اجْتِهَادِهِ فِي طَلَبِ ظَاهِرِ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَضُرُّ مَنْ عَرَفَهَا فِدَانًا بِهَا حَسَنَ اقْتِصَارِهِ وَ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بَعَوْنَ اللَّهِ انْتَهَى...

والأحاديث الأربعة نقلناها عن البحارج ١، ص ٦٥.

ولنعلم ما قيل:

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فِضْحَتَهُ شَوَاهِدُ الْأَمْتِحَانِ
وَإِذَا قَلَّلَ الدَّعَاوَى لِمَا فِيهِ أَضَافُوا إِلَيْهِ مَا لَيْسَ فِيهِ
وَمَحَّكَ الْفَتَى سَيَظْهَرُ لِنَا سَ وَ إِنْ كَانَ دَائِبًا يَخْفِيهِ
يَحْسَبُ الَّذِي ادَّعَى مَا عَدَاهُ أَنَّهُ عَالَمٌ بِمَا يَغْتَرِبُهُ
وَ قَالَ بَعْضُ الْمُتَحَلِّينَ:

يُجْهَلُنِي قَوْمِي وَ فِي عَقْدِ مِثْرَى تَمَنُّونَ أَمْثَالَ لَهُ مُحْكَمِ الْعِلْمِ
وَ مَا عَنِّي لِي مِنْ غَامِضِ الْعِلْمِ غَامِضٌ مَدَى الدَّهْرِ الْأَكْنُتُ مِنْهُ عَلَى فَهْمِ
جاء كيسان الى الخليل ابن احمد يسئله عن شىء ففكر فيه الخليل ليحييه فلما

استفتح الكلام قال له لا ادري ما تقول فانشاء الخليل يقول:

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَّرْتَنِي أَوْ كُنْتُ أَجْهَلُ مَا تَقُولُ عَذَّلْتُكَ
لَكِنْ جَهِلْتُ مَقَالَتِي فَعَذَّلْتَنِي وَ عَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَّرْتُكَ
□ قوله ﷺ: جَاهِلٌ خَبَاطٌ جَهَالَاتٌ عَاشٍ رُكَّابٌ عَشَوَاتٍ...

و هذان و صفان آخران له:

احدهما: أَنَّهُ خَبَاطٌ جَهَالَاتٌ وَ الْخَبَاطُ مَا خُوِذَ مِنَ الْخَبِطِ وَ هُوَ الْغَلَطُ وَ
الْأَشْتِبَاهُ وَ الْغَرَضُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا فِي الْوَاقِعِ يَكُونُ جَاهِلًا، وَ
الْجَاهِلُ خَبِطُهُ كَثِيرٌ وَ إِنَّمَا مَثَلُهُ مِثْلُ النَّاقَةِ الَّتِي فِي بَصَرِهَا ضَعْفٌ، تَخْبِطُ بِيَدِهَا
كُلَّ شَيْءٍ إِذَا مَشَتْ.

و ثانيهما: أَنَّهُ عَاشٍ رُكَّابٌ عَشَوَاتٍ، يَعْنِي أَنَّ بِهِ عَشَاوَةً وَ سُوءَ بَصَرٍ بِاللَّيْلِ
وَ النَّهَارِ وَ أَنَّهُ كَثِيرُ الرُّكُوبِ عَلَى الْأُمُورِ الْمُتَلَبِّسَةِ الْمُظْلَمَةِ.

□ قوله ﷺ: لَمْ يَعْضْ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ...

وَ ذَلِكَ لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِالْأَحْكَامِ عَلَى مَا هُوَ الْمَفْرُوضُ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا فَكَيْفَ
يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَعْضَ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ.

□ قوله عليه السلام: يَذْرُؤُ الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ يَذْرَى الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ.

شَبَّهَ عليه السلام صُدُورَ الْأَفْعَالِ إِذَا كَانَتْ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَ عِلْمٍ كَمَا فِيهَا نَحْنُ فِيهِ بِالرِّيحِ الَّتِي تَذْرَى الْهَيْشِمَ مِنْ حَيْثُ عَدَمُ الْفَائِدَةِ مِنْهَا فَانَّهُ كَمَا لَا نَفْعَ فِي إِذْرَاءِ الرِّيحِ الْهَيْشِمِ لَهَا فَكَذَلِكَ لَا نَفْعَ لِمَنْ تَصَفَّحَ الرِّوَايَاتِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِهَا وَ هَذَا ظَاهِرٌ.

وَ فِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ تَصَفُّحَ الرِّوَايَاتِ وَ حِفْظَهَا مِنْ دُونِ التَّدْبِيرِ فِيهَا وَ الْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهَا بَعْدَ الْعِلْمِ بِهَا لِإِفَادَتِهِ فِيهِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ بَعْدَ الْعِلْمِ كَمَا هُوَ شَأْنٌ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَ ظَنِّي أَنَّ قَوْلَهُ هَذَا رَدٌّ عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِنَ الْعَامَّةِ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ فِي مَا مَضَى (فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ أَحَدَى الْمُتَّبِعَاتِ هَيَاءً لَهَا حَشَوًّا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ جَزَمَ بِهِ كَانَ رَدًّا عَلَى أَصْحَابِ الرَّأْيِ وَ الْمَقَائِيسِ كَمَا مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الْعَامَّةِ وَ اتَّمَّتْهُمْ أَمَّا مِنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَ مَنْ تَبِعَهُ وَ أَمَّا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ كَمَا لَكَ ابْنُ أَنَسٍ وَ مُحَمَّدُ ابْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِي وَ أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ فَهُوَ عليه السلام فِي هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى بَطْلَانِ الْفَرِيقَيْنِ وَ مَا تَمَسَّكَ بِهِ، أَمَّا الْأَوَّلُ، فَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِيهِ وَ أَمَّا الثَّانِي فَلِأَنَّ الْحَدِيثَ وَ إِنْ كَانَ مِنَ السُّنَّةِ وَ يَجِبُ الْأَخْذُ بِهِ إِذَا هُوَ نَصٌّ وَ الْأَجْتِهَادُ فِي مَقَابِلِ النَّصِّ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا أَنَّهُ يَشْتَرَطُ فِي الْأَخْذِ بِهِ تَمْيِيزَ صَحِيحِهِ عَنْ سَقِيمِهِ أَوَّلًا وَ الْأَحْاطَةَ بِمَفَادِهِ وَ مَعْنَاهُ، ثَانِيًا فَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ الْحَدِيثَ كَيْفَ يَأْخُذُ بِهِ.

وَ تَوْضِيحُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَامَّةَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِالرَّأْيِ وَ الْقِيَاسِ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِالْحَدِيثِ وَ يُسَمَّى الْأَوَّلُونَ بِأَصْحَابِ الرَّأْيِ وَ الْآخَرُونَ بِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَ قَدْ قُلْنَا أَنَّ الْأَخْذَ بِالرَّأْيِ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُبْدِعَاتِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَ مُخْتَرَعَاتِهِ كَمَا ظَنَّ مِنْ لَا خَبْرَةَ لَهُ بَلْ هُوَ مِنْ مَبْدِعَاتِ الْخُلَفَاءِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ فَكَذَلِكَ الْأَخْذُ بِالْحَدِيثِ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُبْدِعَاتِ مَالِكٍ وَ مَنْ تَبِعَهُ بَلْ هُوَ أَيْضًا كَانَ مِنْ صَدْرِ الْإِسْلَامِ سَارِيًّا جَارِيًّا فِيهِمْ إِلَّا أَنَّ حَرَكَةَ هَذَيْنِ الْمَسْلُوكَيْنِ وَ نَشُوهُمَا وَقَعَتْ فِي

دولة العباسيين لمصلحة سياسية و هي تضعيف مذهب الشيعة و تخريب بيوت العلم من آل محمد ﷺ.

و لذلك ترى الخلفاء من العباسيين و لا سيما المنصور لعنة الله عليه قد بذلوا جهدهم في ايجاد الاختلاف و لا سيما من حيث المذهب بين المسلمين عموما و اصحاب النبي و التابعين خصوصا بابداعهم الآراء المختلفة و الاهواء المتشقة بسبب الأيادي و العلماء الظاهريين من قبيل مالك ابن انس و الشافعي و احمد ابن حنبل و ابي حنيفة و امثالهم و غرضهم في هذه السياسة لم يكن الأحياء الباطل و امارة الحق فاحيوا سنن الجبارين و اطفؤوا سنن المرسلين. و ذلك لأنهم قد علموا ان الأئمة المعصومين عليهم السلام لا يوافقونهم بل يخالفونهم في كل الامور واقعا وان سكتوا ظاهرا تقيّة كيف و العترة لطاهرة كانوا يرونهم غاصبين للخلافة و من المعلوم ان الحق و الباطل لا يجتمعان و الا فابو حنيفة و مالك و امثالهما لا وقع لهما مع وجود الباقر و الصادق و غيرهما من المعصومين و يدلّك على ما ذكرناه ان مالك ابن انس و كذلك ابو حنيفة مع رفعة شأنهما عند الخلفاء كانوا يفتخران بالباقر و الصادق من جميع الجهات فهذا مالك ابن انس يقول في الصادق ما عين رأت و لا اذن سمعت افضل من جعفر ابن محمد و حيث انجز الكلام الى هنا فلا بد لنا ان نتكلم في الأئمة الأربعة و كيفية ظهور اصحاب الحديث و الرأى فنقول:

اما ابو حنيفة و اصحابه كانوا من اصحاب الرأى و الثلاثة الاخرى اعنى مالك و احمد ابن حنبل و الشافعي من اصحاب الحديث.

الكلام في نسب ابي حنيفة و اساتذته و علمه و شخصيته:

اما نسبه - فهو النعمان ابن ثابت ابن زوطى ابن ماه ولد سنة ثمانين ممن الهجرة و توفى ببغداد سنة مائة و خمسين و كان جدّه زوطى (بضم الزاء و سكون الواو و فتح الطاء) من اهل كابل و قيل من مدينة نساء او من اهل بابل و قد أسير عند فتح العرب لتلك البلاد و استرق لبعض بنى تيم ابن ثعلبة ثم أعتق

فكان و لائه لهذه القبيلة.

و قد وقع الخلاف فى نسبه فالمُتَعَصِّبُونَ له يَنْفُونَ عنه الرِّق و يَدْعُونَ له نَسَباً عَرَبِيًّا مرّةً و فارسياً لم يقع عليه الرِّق اخرى و الصَّحِيح انه فارسى النّسب يَتَمَّى الوِلاء - كُوفَى النِّشاء.

و كذلك وقع الخلاف فى محلّ ولادته، فقيل تَرِمِذ و قيل نساء و قيل الأنبار، و قيل الكوفة.

ثم انّ العامّة فى كتبهم المؤلّفة قالوا فيه ما فالوا من الكرامات و المعجزات الباهرات ما يفضى منه العَجَب العجّاب.

قال فى كتاب الامام الصّادق و المذاهب الاربعة بعد نقله ما نقلناه من جهة نسبه ما هذاالفظه.

يقول الاستاذ السيّد عفيفى عند ذكره لوالد ابى حنيفة. هو ثابت بن نعمان ابن المرزبان و كان ثابت هذا يرجع الى دين و عقل و مروّة تصدر عن جدّ، فقد روى انه كان فى شبابه ورعاً زاهداً و كان يوماً يتوضّاء من جدول فجاءت تُفاحة فى الماء فأمسكها و اكلها بعد الفراغ من الوضوء ثم بصق فراى بصاقه دماً فقال فى نفسه لعل ما اكلته حراماً و الألما تغير بصاقى، فتبع رأس الجدول فوجد شجرة تُفاحها مثل ما أكل فطلب صاحبها و قصّ عليه القصة و اعطاه درهما و قال اجعلها فى حلٍ فلما راى صاحب التُّفاحه و رَعَه و صلابته فى دينه احبة و قال لا ارضى بدرهم و لا بألف درهم و لا بأكثر.

فقال ثابت فبم ترضى قال ان لى ابنة لا ترى و لا تنطق و لا تسمع و لا تمشى فان تزوجتها اجعلك فى حلّ و الا اخاصمك يوم السّئوال و الحساب فلبث ثابت فى التّفكر ساعة، ثم قال فى نفسه عذاب الدنيا اسهل و ينقضى و عذاب الآخرة أشدّ و ابقى و تزوج بها فلما دخل عليها تقبلته بقبولٍ حسنٍ فأشبهته على ثابت الأمر لانه و جدها حسناء سمیعة بصيرة ناطقة فقالت له انا زوجتك بنت فلان قال و جدتك على خلاف ما وصفك ابوك.

قالت: نعم، فأنى كنت من سنين لم اطأ خارج البيت ولم أنظر الأجنب و لم أسمع كلامهم و لم يسمعوا كلامى فعرف ثابت الحال وقال الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور.

ثم قال الاستاذ اسد حيدر:

يقص علينا الاستاذ المحامى هذه القصة غير الملتفت إلى المؤخذات التى يؤخذ بها بصفته مثقفاً من ابناء القرن العشرين و يتولى مهنته المحاة الشرعية فيعلق عليها بقوله:

هيات لاياتى الزمان بمثل ثابت ولا بمثل صاحبه فلا عجب ان يتولد فيهما ولد فى صورة الأنسان و سيرة الملك و يحيى الله به دينه القويم و يشيع مذهبه فى الأقطار و علمه فى الأمصار.

ثم يقول من هذاالوالد الورع الزاهد و هذه الأم الطاهرة و لد الامام الاعظم ابوحنيفة النعمان فى مدينة الكوفة فى سنة ثمانين من الهجرة فى عصر الدولة الأموية فى خلافة عبدالملك ابن مروان و يقول بعد ذلك.

ان اسمه النعمان و هو منقول من اسم جنس و قيل انه الدم، و قيل انه الروح فيكون اتفاقاً حسناً لأن اباحنيفة روح العفة وقوامه و منه منشائه ونظامه انتهى. قال مؤلف الكتاب بعد نقله ما نقلناه ما هذاالفظه:

و نحن نسأل الأستاذ المحامى عن الاسباب التى دعت له لنقل هذه الأسطورة فى مقدمة كتابه (حياة الامام ابى حنيفة) أكان إنتصار الأمام ليعلن فضله و فضل آبيه و أمه و هل ضاقت عليه المسالك فى مناقب ابى حنيفة فالتجأ الى اساطير العجائز فى ليالى الشتاء وليته ترك هذه الأسطورة الى آخر ما ذكره فى رده، انتهى.

و انا اقول: مضافا الى ما ذكره فى جوابه لو كان ما نقله العفيفى فى مناقب ابى حنيفة و آبيه و أمه حقاً لا يكون من المدح بشىء و ذلك لأن ما ذكره من اكل آبيه الرمانة التى وجدت فى الماء الى آخر ما ذكره ينحل الى حكمين احدهما اكله

الرَّامَةَ وَ أَنَّهُ هَلْ كَانَ جَائِزاً أَكْلُهُ أَمْ لَا يَجُوزُ وَ الثَّانِي طَلَبُهُ صَاحِبِهَا وَ جَلْبَهُ رِضَايَتِهِ.
أَمَّا الْحُكْمُ الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ فَلَاشِكًا فِي أَنَّ التَّفَاحَةَ أَوْ الرَّامَةَ أَوْ مَا شِئْتَ فَسَمَّهَ إِذَا وَجِدَ
فِي الطَّرِيقِ أَوْ فِي الْمَاءِ الْجَارِيِ فَيَجُوزُ أَكْلُهَا شَرْعاً وَ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِمَّنِ الْفُقَهَاءُ
بِعَدَمِ جَوَازِهِ وَ حَرَمَتِهِ.

وَ بِذَلِكَ ظَهَرَ لَكَ وَجْهُ الْحُكْمِ الثَّانِي أَيْضاً فَإِنَّهُ إِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ كَانَ حَلَالاً فَلَا
مَعْنَى لِقَوْلِهِ فَتَبَعَ رَأْسَ الْجَدْوَلِ إِلَى قَوْلِهِ: فَطَلَبُ صَاحِبِهَا، أَلَا لِمَنْ كَانَ جَاهِلاً
بِالْمَسْئَلَةِ الشَّرْعِيَّةِ فَمَا ذَكَرَهُ عَلَى فَرَضِ صِحَّتِهِ يَدُلُّ عَلَى حِمَاةِ أَبِيهِ وَ جَهْلِهِ
بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَ الْجَهْلُ لَيْسَ مِنَ الْمَدْحِ وَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ
آلِهِ وَ سَلَّمَ قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ: جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ وَ عَالِمٌ مُتَهْتِكٌ فَظَهَرَ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ
مِنَ الْجُهَالِ الْمُتَنَسِّكِينَ.

وَ أَمَّا مَا ذَكَرَهُ فِي أَوْصَافِ أُمَّهُ فَهُوَ أَيْضاً مِنَ الْمُهْمَلَاتِ الْمَجْعُولَاتِ وَ قَدْ شَهِدَ
العقلُ بِكُذْبِهِ وَ امْتِنَاعِهِ عَادَةً إِذْ كَيْفَ يَعْقِلُ إِنَّ امْرَأَةً لَمْ تَطَّأْ خَارِجَ الْبَيْتِ وَ لَمْ
تَنْظُرْ إِلَى الْأَجَانِبِ وَ لَمْ تَسْمَعْ كَلَامَهُمْ وَ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَهَا مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكَرْ
مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي أَزْوَاجِ النَّبِيِّ وَ بِنْتِ النَّبِيِّ الصَّدِيقَةِ الطَّاهِرَةِ الْمُعْصُومَةِ.

فَإِنْ يَقُولُ بِأَفْضَلِيَّةِ أُمِّ أَبِي حَنِيفَةَ عَنِ بِنْتِ النَّبِيِّ كَمَا هُوَ كَذَلِكَ بِرِزْعِهِ فَمَا
يَقُولُ فِي عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ
بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ لِخُرُوجِهَا فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ عَنِ بَيْتِهَا وَ لِأَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلِيَّتُهُ أُمِّ أَبِي
حَنِيفَةَ عَلَى عَائِشَةَ وَ هُوَ لَا يَقُولُ بِهَا بَلْ عَلَى أَمْنَةَ بِنْتِ وَهْبِ أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهَا
أَيْضاً لَمْ تَكُنْ كَمَا ذَكَرَهُ وَ إِذَا كَانَتْ أُمَّهُ أَفْضَلَ مِنْ أُمِّ النَّبِيِّ فَلَا مَحَالَةَ ابْنِهَا أَعْنَى
أَبَا حَنِيفَةَ أَيْضاً يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ النَّبِيِّ فَإِنَّ الْقَائِلَ اسْتَنْتَجَ هَكَذَا حَيْثُ قَالَ هَيْهَاتَ
لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِ ثَابِتٍ وَ لَا بِمِثْلِ صَاحِبِهِ فَلَا عَجَبُ أَنْ يَتَوَلَّدَ مِنْهُمَا وَلَدٌ فِي
صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَ سِيرَةِ الْمَلِكِ الْخ.

ثُمَّ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ فِي أُمَّهِ وَ أَبِيهِ لِأَرْبَطِ لَهُ عَلَى فَرَضِ صِحَّتِهِ بَوْلِدَهُمَا أَعْنَى
أَبَا حَنِيفَةَ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ نَرَى بَعْضَ الْآبَاءِ وَ الْأُمَّهَاتِ مِنَ الْأَتْقِيَاءِ وَ أَوْلَادِهِمَا لَيْسُوا

كذلك و بعضهم من الاشقياء بل الكفار و اولادهم من الصالحاء.
قال الله تعالى فى كتابه: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ (١)
و يدلّك عليه الانبياء و اولادهم.

فما جعله منقبة لآبيه و امه لامدخلية له بما ذكر له من المناقب، و المفاخر
فثبتت و تحققت فيما ذكرناه ان ما وصفه بمدحه و منقبته ليس كما زعمه و ستطالع
على سر ما ذكرناه بعد انكشاف الحقيقة لذيك فانتظره.

هذا الذى نقلناه من اتباعه و اشياعه انما هو من جهة انعقاد نطفته فى رجم امه
وانها كانت بحيث وجد هذا الرجل منها مع وفور علمه و زهده كما ستعلم.
و اما البشائر من صاحب الشريعة فى حقّ ابي حنيفة و حقّ الائمة الثلاثة
الاخري فقد اتعبوا نفوسهم بوضعها و ضبطها فى كتبهم و قد ألف كل من
علماء المذاهب الاربعة كتاباً فى مناقب امامهم.

فمنها - عقود المرجان فى مناقب ابي حنيفة النعمان.
مختصر قلائد عقود الدرر و العقيان، لآبى جعفر الطحاوى.
و مناقب ابي حنيفة للخوارزمى موفق الدين احمد المكي.
و البستان فى مناقب النعمان، للشيخ محى الدين عبدالقادر بن ابي الوفاء، و
شقائق النعمان للزمخشري، و مناقب ابي حنيفة لمحمد ابن الكردي.
و كذلك فعل بعض الشافعية فى الشافعى و المالكية فى مالك و الحنبلية
فى الامام احمد ابن حنبل، و من اجل ذلك صعب على الباحث معرفة التاريخ
الصحيح لكل امام و نحن نشير الى بعض ما نقلوه فيهم.
اما الامام الاعظم ابوحنيفة فقد نقلوا له مناقباً كثيرة.

منها- قوله ﷺ يكون فى أمتى رجل يقال له ابوحنيفة هو سراج أمتى.
منها- قوله ﷺ يكون فى أمتى رجل اسمه النعمان و كنيته ابوحنيفة.
منها- قوله ﷺ يكون فى أمتى رجل يقال له النعمان ابن ثابت يكنى بابى

حَنِيفَةَ يُحَى اللَّهُ بِهِ سُنَّتِي وَ امثال ذلك حتى رَوَّ و افيه فيه انما اباحنيفة بشرت به التواراة.

و نحن لانتكلم في هذه الاحاديث من جهة السند وانهما من الموضوعات المخترعات فان كتابنا هذا ليس موضوعاً للبحث في هذه الامور و ان شئت ان تعرف حقيقة الحال فعليك بكتاب الامام الصادق، و المذاهب الأربعة تأليف المتتبع الخبير الحافظ، اسد حيدر، فانك تجده بحراً زاخراً ودواءً شافياً كثر الله سعيه و اجزّل اجره قداتي في كتابه بما هو شفاء للصدور جزاء الله عن صاحب الشريعة خير الجزاء.

و العجب ان محمد ابن سعيد البورقي الذي نقل الحديث الأول مرفوعاً عن ابي هريرة عن النبي قال ابن حجر فيه انه أحد الوضّاعين لانه زاد في رواية اخرى و سيكون في امتي رجل يقال له محمد ابن ادريس الشافعي فتنته على امتي اضرّ من فتنة ابليس، و لذلك قال حمزة السهمي و الحاكم بأن حديثه ليس بشيء و انه كذاب حدّث ببلاد خراسان الى آخر ما قال فيه.

و من هذا القبيل ما نقل ابوالبختري لعنه الله عليه قال دخل ابوحنيفة على جعفر ابن محمد الصادق فلما نظر اليه قال كاتى انظر اليك و انت تُحَى سُنَّتَهُ جَدِّي بعد ما اندرست و تكون مفرعاً لكل ملهوف و غيائناً لكل مهموم.

و ابوالبختري احد الكذابين الوضّاعين في عصر الرشيد و بهذه المنقبة نال مانال من منصب القضاة ببغداد ثم صار قاضي القضاة و هو الذي قيل فيه.

ويل و عول لابي البختري اذا ثوى للناس في المحشر
من قوله الزور و اعلانه بالكذب في الناس على جعفر
و قال آخر:

انا وجدنا ابن وهب حين حدّثنا من النبي اضاع الدين و الورعاً
يروى احاديث من افك فجمعة اف لوهب و ما يروى و ما جمعا

و ابن وهب هو ابوالبختري فان اسمه وهب و اسم ابيه ايضاً وهب و اسم

جده ايضاً وهب فهو وهب ابن وهب القرشي ابوالبختري قاضي بغداد.
وروى الخطيب في تاريخه ان ابابختري دخل على الرشيد و هو قاض
يوم ذاك و هرون يطير الحمام فقال هل تحفظ في هذا شيئاً فقال حدثني هشام
عن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبي ﷺ كان يطير الحمام.
فهذا ابوالبختري الذي روى حديث السراج في منقبة ابي حنيفة وسائر
الاحاديث الموضوعة في مناقبه من هذا القبيل و من اطرف ما نقلوه ما يرويه
صاحب مفتاح السعادة ان ثابنا توفي و تزوج الامام الصادق عليه السلام ام الامام ابي
حنيفة و كان ابو حنيفة صغيراً و تربى في حجر الامام عليه السلام و اخذ علومه منه.
و قال اسد حيدر و كيف يتأتى و يستقيم وقد كانت ولادة ابي حنيفة سنة
٨٠ و ولادة الامام الصادق سنة ٨٣.
ثم قال: ولا يستعبدان يكون المد والجزر في الاعمار كما هو في البحار
انتهى.

ولنكتف بما ذكرناه و لا نتعرض لتلك الادعاءات الكاذبة فقد ادعوا ان
التوراية بشرت به و ان صفة مكتوبة فيها و ان الله ناداه يا ابا حنيفة انى قد
غفرت لك و لمن هو على مذهبك الى يوم القيمة، و ان النبي غبط داوود لان
في امته لقمان فبشره جبرائيل بابي حنيفة و ان حكمته اعظم من حكمة لقمان
و ان الخضر درس عليه خمس سنين في حياته و اكمل دراسته عليه و هو في
قبره و امثال ذلك من الموهومات والباطيل التي لافائدة في ذكرها الا تسويد
الأوراق و اشمزاز القلوب.

ثم ان اباحنيفة على ما قالوا فيه لم يكن صاحب حديث و لكن كان قياساً
سلك في القياس مسلكاً استوجب شدة الانكار عليه و على اصحابه و قال ابن
خلدون بلغت رواية ابي حنيفة الى سبعة عشر حديثاً.
نشأته و نبوغه.

ولد ابو حنيفة سنة ٨٠ في خلافة عبدالملك ابن مروان الاموي و عاش الى

سنة ١٥٠ و قيل ١٥١ و قيل ١٥٣ فقد ادرك من العصر الأموي اثنتين وخمسين سنة و من العباسيين ثمانى عشرة سنة.

نشأ فى الكوفة فى عهد الحجاج و من حسن طالعہ ان يقع فى عصره الخلاف بين اهل الحديث و اهل الرأى اوبين العرب والموالى و تشدد الخصومة و يكثر بينهم التهاجى و هو فى حلقة استاذہ حماد و هى احدى حلقات العلم بالكوفة فى الحقيقة يرجع القول بالحديث و القول بالاخذ بالرأى و القياس اختلاف العرب والموالى فالموالى هم القاتلون بالرأى و العرب هم القائلون بالحديث و قد نفذ الأمويون هذه السياسة بشدة و غدوا هذه النزعة باعمالهم التى عاملوبها الموالى و قد شرعها لهم معاوية ابن ابى سفيان لانه عرف عدل الامام على ابن ابيطالب و مساواته فى الرعية فاراد معاوية استمالتهم و تحويلهم اليه.

روى المدائنى ان طائفة من اصحاب على شكوا اليه فقالوا يا امير المؤمنين اعط هذه الاموال و فضل هؤلاء الاشراف من قريش و العرب على الموالى و العجم واستميل من تخاف خلفه على الناس كما يصنع معاوية، فقال لهم انا مروتنى ان اطلب النصر بالجور و حوادث التاريخ مملوءة بالشواهد على ذلك التى بعثت المنكرين من الموالى الى الحقد على العرب.

وقد نقلوا ان الدولة العباسية كانت اذا قبلت العربى من السوق و معه شىء فرأى مولى دفعه اليه ليحمله عنه فلا يمتنع.

تزوج رجل من الموالى بنتاً من اعراب بنى سليم فركب محمد بن بشير الخارجى الى المدينة و اليها يومئذ ابراهيم ابن هشام ابن اسماعيل فشكى اليه فارسل الوالى الى المولى ففرق بينه و بين زوجته و ضربه مائتى سوط و حلق رأسه و حاجبه و لحيته فقال محمد ابن بشير فى هذا المعنى.

قضيت بسنة و حكمت عدلاً ولم ترث الحكومة من بعيد و هذه السيرة كانت مستمرة فى عهد الامويين الى ان انقضت خلافتهم و

وصلت النوبة الى العباسيين و حيث ان خلافة العباسيين كانت تدور مدار
الموالى و نصرتهم لهم و ذلك لان ابامسلم الخراساني هو الذى كان
يدعوا اليهم و هو المشيد لاركان خلافتهم و هو من الموالى فاجتمعت الموالى
حواله و نصره و قاتلوا بين يديه حتى ماتت الخلافة الاموية و ظهرت الخلافة
لبنى العباس فكان العباسيون يعدونهم من خلص انصارهم واعوانهم و ابو
حنيفة كان من رؤسائهم و ساداتهم، و علمائهم لانه كان ذافطنة و لياقة و له
سيرة خاصة فى معالجة مشاكل الحياة و لذلك ترى القضاة كلهم من تلامذته
كقاضى ابويوسف و الشيباني و زفر ابن الهذيل و ابوالبختري و امثالهم كل
ذلك يدلنا على عناية الخلفاء بموالى ولا سيما ابى حنيفة كيف والبرامكة مع
نفوذهم و قدرتهم فى عصر العباسيين كانوا من الموالى و لاجل ما ذكرناه
اقتضت السياسة فى الدولة العباسية الحماية للموالى من حيث المال و القدرة و
النفوذ و الرئاسة و هذه السياسة هى التى صارت باعثة لنفوذ ابى حنيفة و اتباعه
من الموالى و اصحاب الرأى فلولا حكومة العباسيين لما كان من ابى حنيفة
وفقهه اثر فى عالم الوجود كما انه لم يبق اثر من علماء زمانه حتى اساتذته مع
الاتفاق على انهم كانوا علم و اوزع من ابى حنيفة بمراتب كثيرة كما لا يخفى
على المتتبع البصير
واما اساتذته.

فقالوا انه حضر على عطاء ابن رباح فى مكة و هو من الموالى و على نافع
مولى ابن عمر فى المدينة، و اخذ عن عاصم ابن ابى النجود، و عطية العوفى، و
عبدالرحمن ابن هرزم مولى ربيعة ابى الحارث و زياد ابن علاقة، و هشام ابن
عروة و امثالهم و اشهر اساتذته هو حماد ابن ابى سليمان الأشعري و قد نقل
عنه انه قال صحبته ثمانى عشرة سنة.

وانا اقول: فقد ظهر مما ذكرناه ان منشاء الاختلاف بين اصحاب الرأى و
الحديث هو العرب و الموالى و لكن الاختلاف بينهما لم يكن من مبدعات

بنى امية كما يترأى من كلماتهم بل هو من مبدعات عُمر ابن الخطاب كما ذكرنا فى مطاعنه و هذا معنى قولنا ان ابا حنيفة و مالك و غيرهما لم يكونوا من المبدعين بل كانوا من اشياء السلف و اتباعهم فتدبر فى المقام فانه من مزال الاقدام.

و اما تلاميذه فمنهم من كان يرحل اليه و يسمع منه و منهم من لازمه ملازمة تامّة و منهم من يقول هؤلاء ستة و ثلاثون رجلا منهم ثمانية و عشرون يصلحون للقضاء و ستة يصلحون للفتوى و اثنان ابو يوسف و زفر. و محمد ابن الحسن الشيبانى و الحسن ابن زياد اللؤلؤى.

و تفصيل حالاته و حالات تلاميذه يطلب من التواريخ و الكتب الموضوعه لهذا الفن، هذا تمام الكلام فى اصحاب الرأى و القياس على طريق الاجمال و قد علمت ان هؤلاء حيث كانوا عملوا بالرأى و القياس لم يعتنوا بالأحاديث المروية فى الأبواب المتفرقة و لأجل ذلك ترى مذهب ابى حنيفة مخالفا لمذهب رسول الله فى كثير من الأحكام كما اوء مانا اليه سابقا.

و اما اصحاب الحديث اعنى العرب فرؤء سهّم ثلاثة:
مالك ابن أنس.

و محمد ابن ادريس الشافعى.

و احمد ابن حنبل.

سير اجمالى فى حالات مالك ابن انس.

قال فى كتاب الامام الصادق و المذاهب الاربعة ما هذا نصه:

الامام مالك ابن أنس

و هو مالك ابن انس ابن مالك ابن ابى عامر الاصبهى ولد سنة ٩٣ بالمدينة و حملت به امه سنتين و قيل اكثر و توفى سنة ١٧٩.

و كان من نتائج النزاع الذى حدث بين اهل العراق و اهل المدينة و اهل الحديث و اهل الرأى ظهور شخصية ابى حنيفة فى العراق و مالك فى الحجاز

و كانت السُّلطة تُؤيد جانب اصحاب ابى حنيفة و تُشدُّ ازرهم و تُقدِّم الموالى
لنحطُّ من قيمة العرب لما ذكرناه من نُصرة الموالى للعباسيين فى بدو ظهورهم
بخلاف العرب لانهم فى نظر السُّلطة اعداء يتكتمون فلا يأمنون جانبهم من
وثبته يوماً لميلهم للعلويين و انهم ليشرفونها فى غالب الأحيان فهم دائماً فى
خدرٍ و كان مالك ممن انضمَّ لجانب العلويين و اخذ العلم عن الامام
الصادق عليه السلام و اُفتى بوجوب الخروج مع مُحَمَّدٍ فَأَهْبِنَ لِدَالِكِ و ناله الأذى و
تعصَّب له قوم، و ناصروه و اصحبت له مكانة فى المجتمع و لحظت السُّلطة
اهميتة مكافئة فرأت من اللازم ان تجعله تحت عنايتها لتوجد منه شخصية
علمية توجه اليه المجتمع طوعاً او كرهاً فاصبح مُحترماً الى ابعد
حدود الأحرار.

ثم قال المؤلف:

ويعطينا الامام الشافعى صورة عن عظم منزلته عند ما دخل المدينة يحمل
الى و اليها كتاباً من والى مكة توصية منه بالشافعى و يطلب منه ابصاله الى
مالك فأبلغ الكتاب الى الوالى فلما إن قرأه قال يافتى ان المشى من جوف
المدينة الى جوف مكة راجلاً أهونٌ إلى من المشى الى باب مالك ابن انس
فلست ارى الذلة حتى اقف على بابه قال الشافعى فقلت اصلح الله الاميران
راى توجه اليه ليحضر قال هيئات ليت انى اذاركبتُ انا و من معى و اصابتنا من
تراب العقيق نلنا بعض حاجاتنا قال فواعده العصر وركبنا جميعاً فوالله لكان
كما قال فتقدم رجل ففرع الباب فخرجت الينا جارية سوداء فقال لها الأمير
قولى لمولاك انى بالباب.

قال: فدخلت فأبطأت ثم خرجت. فقالت: ان مولاى بقروك السلام و يقول
ان كانت لك مسألة فأرفعها فى رقعة يخرج اليك الجواب و ان كان للحديث
فقد عرفت يوم المجلس فانصرفت فقال الأمير قولى له معى كتاب و الى مكة
اليه فى حاجة مهمة قال فدخلت و خرجت و فى يدها كرسي فوضعت ثم اذا انا

بمالك قد خَرَجَ وعلية المهابة فرفع اليه الوالى الكتاب ثم قال:
ونحن اذا نُقيس منزلة مالك بين العهدين نجد الفرق بيّناً فنراه فى عهد احد
الولاية مغضوباً عليه يُسحب و يُجرّر من ثيابه و يُعزّر خمسين سوطاً و يُهان و
نراه فى العهد الثانى يُتهيب الوالى ان يكلمه فمالك فى حاله يُعطينا درساً فى
معرفة اعراض السياسة مع رجال الأمة و ان لهما الواناً من المعاملة مع
الأشخاص الذين تُريدان تستخدمهم بالمغريات ثم قال.

والغرض ان نجم مالك بزَعِ بذلك الأفق فأصبحت له شخصية مرقوقه دون
غيره من شيوخه الذين هم اعلم و افقه منه كربيعة الرأى و غيره فأمتاز بتلك
المنزلة و اكتسبت شخصيته ايراد العظمة و حاول العباسيون ان يجعلوا منه
مرجعاً عاماً للأمة فى الفتوى و لكنها محاولة لم تنجح، و قد امره المنصور
بوضع كتاب يحمل عليه الناس بالقهر فكلمه فى ذلك و امتنع فقال المنصور
ضعه فما أحد اليوم اعلم منك فوضع الموطاء.

وهذه الكلمة لها مكانتها فى نظر الاعتبار فالمنصور حينما يعلن بأن مالكا
اعلم الناس و يلزمه بوضع كتاب تصادق عليه الدولة فيكون نظامها المتبع و
تطلب الاستحقاق بقافلة الدين و ما بعدها عن ذلك فمن يستطيع ان يتخلف
من الاعتراف بمنزلة مالك و انه اعلم الأمة و الرشيد يأمر عامله على المدينة
بان لا يقطع امراً دون مالك و كان الرشيد يجلس على الارض امامه
لاستماع حديثه.

وكيف لا يكون لمالك ظهور و سُمعة و منادى السلطان يهتف ايام الحج ان
لا يفتى إلا مالك فأصبحت له مكانة فى المجتمع و هيبة فى النفوس و تقرب
الناس اليه بشتى الوسائل و التفتوا حوله و تزاخموا على مجلسه الذى عين له
وقتها خاصاً فى يوم معين يزدهم الناس فيه لاستماع الحديث و اخذ الفتيا و له
كاتب بين يديه يقرأ للناس و ليس لأحد ان يدنو منه و لا ينظر فى كتابه و لا
يستفهمه فى شىء و بذلك لا يستطيع أحد مناقشته و كان على رأسه سودان

يأتَمرون بأمره.

قال اسماعيل الفزاري - دَخَلت على مالك و سَأَلْتُهُ ان يُحَدِّثَنِي فَحَدَّثَنِي
اثنى عَشْرَ حَدِيثًا ثُمَّ امْسَكَ فَقُلْتُ زِدْنِي اِكْرَمَكَ اللهُ وَ كان له سُودان قِيام على
رأسه فاشار اليهم فَأَخْرَجُونِي مِنْ دَارِهِ.

ويحدِّثنا ابوبكر ابن عبدالله الصَّنْعَانِي قال آيْتنا مالِك ابن انس فَحَدَّثنا عن
رَبِيعَةَ الرَّأْي فَكُنَّا نَسْتزِيدُه فَقَالَ لَنَا ذات يَوْم ما تَصْنَعون بِرَبِيعَةَ وَ هو نائم في
ذاك الطَّاق فَأتينا رَبِيعَةَ فَقُلنا كَيْف يَخْطِي بِكَ مالِك وَلَمْ تَخْطِ اَنْتِ بِنَفْسِكَ
فَقَالَ أَفْما عَلِمْتُمْ اَنْ مَثقالاً مِنْ دَوْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ جِمَلٍ عِلْمٍ.
ثُمَّ قال.

و مَهْمَا يَكُنْ مِنْ اَمْرٍ فَقَدْ اسْعَدَه الخَطُّ فَكان له شَأْن و لمذهبه قبول و لكتابه
مَنْزِلَةٌ حَتَّى قالوا: ما على ظَهْر الارض كتابٌ بَعْدَ كتابِ اللهِ اصْحَحْ مِنْ كتابِ مالِك
و في لَفْظٍ آخَرَ ما على الارض كتابٌ هو اقْرَبُ الى القُرْآنِ مِنْ كتابِ مالِكِ اَنْتَهي.
وَ انا اقول: هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ صاحِبُ كتابِ الامامِ الصَّادِقِ وَ المذاهبِ الأربعة
في مالِكِ يُرشدنا الى كَيْفِيَّتِهِ نُضجِ الحَدِيثِ في مَقابِلِ الرَّأْيِ وَ القِياسِ فسياسة
الخلفاء اَوْجَبَتْ تَقْوِيَةَ هَذَيْنِ المذاهِبِ بِالعِراقِ وَ الحِجازِ حَتَّى لا يَنْتَشِرَ حَدِيثُ
وَ لا فتوى مِنْ الاثْمَةِ المَعْصُومِينَ.

الامام الشافعي: و من اصحاب الحديث والزواية محمد ابن ادريس
الشافعي و هو ابو عبدالله محمد ابن ادريس ابن العباس ابن عثمان ابن شافع
ابن السائب ابن عبد يزيد ابن هاشم ابن عبد المطلب ابن عبد مناف.

ولد سنة مائة و خمسين بعد الهجرة في نهار الجمعة آخر يوم من رجب و
قيل في اليوم الذي مات فيه ابو حنيفة و قيل غير ذلك و اختلفوا في محل
ولادته فقيل: بغزة و قيل: عسقلان و قيل: اليمن و قيل: بمكة و هو شاذ.

اما وفاته فكانت سنة ٢٠٤ بمصر و حمل على الاعناق من فسطاط حتى
دُفِنَ في مقبرة بنى زهرة و تُعرف بتربة ابن عبد الحكم و فيه يقول الشاعر:

أَكْرَمَ بِهِ رَجُلًا مَا مِثْلُهُ رَجُلٌ مُشَارِكٌ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي نَسَبِهِ
 أَضْحَى بِمَصْرُوفُتِيَا فِي مُقَطَّمِهَا نِعَمَ الْمُقَطَّمِ وَالْمَدْفُونِ فِي تَرْبِهِ
 وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قُرَشِيًّا بِالنَّسَبِ بَلْ كَانَ قُرَشِيًّا بِالْوَلَاءِ فَهُوَ مَوْلَى لَهُمْ وَ
 لَيْسَ مِنْهُمْ لِأَنَّ شَافِعًا جَدَّهُ كَانَ مَوْلَى لِأَبِي لَهَبٍ فَطَلَبَ مِنْ عَمْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
 قُرَيْشٍ (مِنْ مَوَالِي قُرَيْشٍ) فَامْتَنَعَ فَطَلَبَ مِنْ عَثْمَانَ ذَلِكَ فَفَعَلَ فَعَلَى
 هَذَا التَّقْدِيرِ يَكُونُ الشَّافِعِيُّ مِنْ مَوَالِي قُرَيْشٍ كَمَا ذَكَرَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنِيفِيَّةِ.
 وَأَمَّا أُمُّهُ فَعَلَى الْمَشْهُورِ مِنَ الْأَزْدِ وَكُنِيَّتُهَا أُمُّ حَبِيبَةَ وَ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْقُرَيْشِ
 وَانْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى ذَلِكَ.

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ حَضَرَ عَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ مَكَّةَ لَطَلَبِ الْفِقْهِ كَخَالِدِ الزَّنْجِيِّ وَ
 سَعِيدِ بْنِ سَالِمِ الْقَدَاحِ وَ مَالِكِ بْنِ أَنَسِ عَلَى مَا مَرَّ ذَكَرَهُ.
 وَقِيلَ: أَنَّ مَلَازِمَتَهُ لِمَالِكٍ كَانَتْ أَرْبَعَ سِنِينَ كَمَا أَنَّ مُدَّةَ تَوَقُّفِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ
 أَيْضًا كَانَتْ أَرْبَعَ سِنِينَ وَعَدُّوْهَا مِنْ كِرَامَاتِهِ فَافْهَمُ.

قَدِمَ الْعِرَاقَ الشَّافِعِيُّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: الْأُولَى سَنَةَ ١٨٤ حَمَلٌ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى
 بَغْدَادٍ بِسَبَبِ اتِّهَامِهِ بِالْمَيْلِ لِلْعَلَوِيِّينَ. وَالثَّانِيَةَ سَنَةَ ١٩٥ بَعْدَ مَوْتِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
 وَالثَّلَاثَةَ سَنَةَ ١٩٨.

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَ زَوْيُ صَالِحِ الْعَجَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ سَدَّوَسِيُّ
 بَصْرِيُّ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ وَوُلِدَ بِبَغْدَادٍ وَنَشَأَ بِهَا.

أَمَّا أُمُّهُ فَيُقَالُ أَنَّهَا شَيْبَانِيَّةٌ وَاسْمُهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ مَيْمُونَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ
 الشَّيْبَانِيِّ وَ قِيلَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْبَانِيَّةٍ.

نَشَأَ أَحْمَدُ بِبَغْدَادٍ وَ تَرَبَّى بِهَا تَرْبِيَتَهُ الْأُولَى وَ كَانَتْ بَغْدَادُ حَاضِرَةَ الْعَالَمِ
 الْإِسْلَامِيِّ وَ عَاصِمَةَ دَوْلَتِهِ وَ هِيَ تَمُوجُ بَانَانَاسٍ اخْتَلَفَتْ مَشَارِبَهُمْ وَ قَدْ تَوَّجَّهَ إِلَى
 عِلْمِ الْحَدِيثِ بَعْدَ أَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَ تَعَلَّمَ اللُّغَةَ وَ الْكِتَابَةَ.

ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَ هُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً وَ بَعْدَ ذَلِكَ رَحَلَ إِلَى
 الْأَقْطَارِ وَ أَخَذَ عَنِ الشَّافِعِيِّ وَ اتَّصَلَ بِهِ اتِّصَالًا وَثِيقًا وَ قَوِيًّا بَيْنَهُمْ عُرَى الْمُوَدَّةِ

ولازمه مدة اقامته في بغداد و كان يعترف للشافعي بعلو المنزلة.

و كان اول تلقية العلم على القاضي ابي يوسف صاحب ابي حنيفة و روى عنه انه قال اول من كتب عنه الحديث ابو يوسف و ابتداء رحلاته لتلقى الحديث في سنة ١٨٦ فرحل الى الحجاز والبصرة واليمن والكوفة و على اى تقدير فلا شك انه كان من اصحاب الحديث و اركانها و كفاك في ذلك كتابه المسند في الحديث.

هذا اجمال القول في الائمة الاربعة و نسبهم و اساتذتهم و تلاميذهم و كتبهم و من ارا الاطلاع على تفاصيل الاقوال منهم فعليه بالمراجعة بكتب الموضوعه و غرضنا من هذه المذكورات هو ان السياسة العباسية اقتضت الترويج عن هؤلاء الاربعة من اصحاب الراى و الحديث و الا فظهور الراى و الحديث كان من صدر الاسلام.

اذا عرفت ذلك كله فقد دريت ان القول بالقياس و الراى و التمسك بالحديث من دون العلم بصحته و سقمه و ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و مجعوله و غير مجعوله كل ذلك من الاوهام و الاباطيل فان الاخذ بالسنة ليس معناه الاخذ بكل حديث وصل اليها من دون تحقيق في سنده و متنه.

و هؤلاء القوم بين قائل بالراى و قائل بالحديث و كلا الفريقين على خبط و اشتباه كيف و لم يكن لواحد من هؤلاء الائمة الاربعة فضلاً عن غيرهم العلم بالكتاب و السنة و لم يفهموا الا ظواهر الحديث و الآيات و لذلك تراهم رَووا احاديثاً في كتبهم من دون ان تكون لهم قُوَّة التدبُّر في معانيها و كذلك الاحاديث المجعولة الموضوعه التي كتبهم الصحاح مشحونة بها كصحيح البخارى و صحيح مسلم و موطاء مالك و مسند ابن حنبل و لعله ياتى لنا مقام يقتضى البحث فيها ففي الحقيقة هذه الكتب المدونة المملوءة بالاحاديث الموضوعه هي مصداق قوله ﷺ يذرى الروايات اذراء الريح الهيشم كما هو غير

اَكْرَمَ بِهِ رَجُلًا مَا مِثْلُهُ رَجُلٌ مُشَارِكٌ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي نَسَبِهِ
 اَضْحَى بِمَصْرُوفُتِيَا فِي مُقَطَّمِهَا نِعَمَ الْمُقَطَّمِ وَالْمَدْفُونِ فِي تَرْبِهِ
 وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قُرَشِيًّا بِالنَّسَبِ بَلْ كَانَ قُرَشِيًّا بِالْوَلَاءِ فَهُوَ مَوْلَى لَهُمْ وَ
 لَيْسَ مِنْهُمْ لِأَنَّ شَافِعًا جَدَّهُ كَانَ مَوْلَى لِأَبِي لَهَبٍ فَطَلَبَ مِنْ عَمْرٍ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ
 قُرَيْشٍ (مِنْ مَوَالِي قُرَيْشٍ) فَامْتَنَعَ فَطَلَبَ مِنْ عَثْمَانَ ذَلِكَ فَفَعَلَ فَعَلَى
 هَذَا التَّقْدِيرِ يَكُونُ الشَّافِعِيُّ مِنْ مَوَالِي قُرَيْشٍ كَمَا ذَكَرَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنِيفِيَّةِ.
 وَأَمَّا أُمَّهُ فَعَلَى الْمَشْهُورِ مِنَ الْأَزْدِ وَكُنِيَّتُهَا أُمُّ حَبِيبَةَ وَ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْقُرَيْشِ
 وَانْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى ذَلِكَ.

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ حَضَرَ عَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ مَكَّةَ لَطَلَبَ الْفَقْهَ كَخَالِدِ الزَّنْجِيِّ وَ
 سَعِيدِ ابْنِ سَالِمِ الْقَدَاحِ وَ مَالِكِ ابْنِ أَنَسِ عَلَى مَا مَرَّ ذَكَرَهُ.
 وَقِيلَ: أَنَّ مَلَازِمَتَهُ لِمَالِكٍ كَانَتْ أَرْبَعَ سِنِينَ كَمَا أَنَّ مُدَّةَ تَوَقُّفِهِ فِي بَطْنِ أُمَّهُ
 أَيْضًا كَانَتْ أَرْبَعَ سِنِينَ وَعَدُّوْهَا مِنْ كَرَامَاتِهِ فَافْهَمُ.

قَدِمَ الْعِرَاقَ الشَّافِعِيُّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: الْأُولَى سَنَةَ ١٨٤ حَمَلَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى
 بَغْدَادٍ بِسَبَبِ اتِّهَامِهِ بِالْمَيْلِ لِلْعَلَوِيِّينَ. وَالثَّانِيَةَ سَنَةَ ١٩٥ بَعْدَ مَوْتِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
 وَالثَّلَاثَةَ سَنَةَ ١٩٨.

أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ وَرَوَى صَالِحُ الْعَجَلِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَحْمَدَ ابْنَ حَنْبَلٍ سَدُّوسِيُّ
 بَصْرِيُّ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَوُلِدَ بِبَغْدَادٍ وَنَشَأَ بِهَا.

أَمَّا أُمَّهُ فَيُقَالُ أَنَّهَا شَيْبَانِيَّةٌ وَاسْمُهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ مَيْمُونَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ
 الشَّيْبَانِيِّ وَقِيلَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْبَانِيَّةٍ.

نَشَأَ أَحْمَدُ بِبَغْدَادٍ وَتَرَبَّى بِهَا تَرْبِيَتَهُ الْأُولَى وَكَانَتْ بَغْدَادُ حَاضِرَةَ الْعَالَمِ
 الْإِسْلَامِيِّ وَعَاصِمَةَ دَوْلَتِهِ وَهِيَ تَمُوجُ بِأَنَاسٍ اخْتَلَفَتْ مَشَارِبَهُمْ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَى
 عِلْمِ الْحَدِيثِ بَعْدَ أَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ وَالْكِتَابَةَ.

ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً وَبَعْدَ ذَلِكَ رَحَلَ إِلَى
 الْأَقْطَارِ وَأَخَذَ عَنِ الشَّافِعِيِّ وَاتَّصَلَ بِهِ اتِّصَالًا وَثِيقًا وَقَوِيَّتَ بَيْنَهُمْ عُرَى الْمُوَدَّةِ

ولازمه مدة اقامته في بغداد و كان يعترف للشافعي بعلو المنزلة.

و كان اول تلقية العلم على القاضي ابي يوسف صاحب ابي حنيفة و روى عنه انه قال اول من كتب عنه الحديث ابو يوسف وابتداء رحلاته لتلقي الحديث في سنة ١٨٦ فرحل الى الحجاز والبصرة واليمن والكوفة و على اى تقدير فلا شك انه كان من اصحاب الحديث واركائها وكفاك في ذلك كتابه المُسند في الحديث.

هذا اجمال القول في الائمة الاربعة ونسبهم و اسانذتهم و تلاميذهم و كتبهم و من ارا الاطلاع على تفاصيل الاقوال منهم فعليه بالمراجعة بكتب الموضوعة و غرضنا من هذه المذكورات هوان السياسة العباسية اقتضت الترويج عن هؤلاء الاربعة من اصحاب الراى والحديث والافظهور الراى والحديث كان من صدر الاسلام.

اذا عرفت ذلك كله فقد دريت ان القول بالقياس والراى والتمسك بالحديث من دون العلم بصحته وسقمه و ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و مجعوله و غير مجعوله كل ذلك من الاوهام والاباطيل فان الاخذ بالسنة ليس معناه الاخذ بكل حديث وصل اليها من دون تحقيق في سنده و متنه.

و هؤلاء القوم بين قائل بالراى و قائل بالحديث و كلا الفريقين على خبط و اشتباه كيف و لم يكن لواحد من هؤلاء الائمة الاربعة فضلاً عن غيرهم العلم بالكتاب و السنة و لم يفهموا الا ظواهر الحديث والآيات و لذلك ترايهم زوا احاديثاً في كتبهم من دون ان تكون لهم قوة التدبر في معانيها و كذلك الاحاديث المجعولة الموضوعة التي كتبهم الصحاح مشحونة بها كصحيح البخارى و صحيح مسلم و موطاء مالك و مسند ابن حنبل و لعله ياتى لنا مقام يقتضى البحث فيها ففي الحقيقة هذه الكتب المدونة المملوءة بالاحاديث الموضوعة هي مصداق قوله عليه السلام يذرى الروايات اذراء الريح الهيشم كما هو غير

شخفى على الناقد البصير.

□ قوله عليه السلام: لَأَمَلِيٌّ وَاللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ وَ لَأَ هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ:

هذا ان وصفان آخران مترتبان على الجهل بالأحكام الشرعية.

احدهما - كونه عاجزاً على اصدار الأجوبة عما يرد عليه من المسائل العويصة كما علمت من مناظرة الامام الصادق مع ابي حنيفة وسكوته عن الجواب و كما نرى الأسئلة التي سئلوا بها الخلفاء ولم يقدر و على الجواب فكانت بلا جواب من قبلهم وكفاك شاهدا على ما ذكرناه قول عمر ابن الخطاب في اكثر من سبعين مرة لولا على لهلك عمر.

روى ان يحيى ابن اكرم قاضى القضاة لما انكر فضل الأمام الجواد عليه السلام و علمه و انه لا يليق بما راه المأمون في حقه لكونه صغير السن فانه عليه السلام كان يومئذ ابن تسع سنين واشهر فقال المأمون و هو كان يعرف فضله و علمه ليحيى و من تبعه ان شتم فامتحنوا ابا جعفر حتى يتبين لكم ما وصفته عليه السلام به.

قالوا: قدرضينا لك يا امير المؤمنين ولأنفسنا بامتحاننا فخل بيننا وبينه لننصب من يسئله بحضرتك عن شىء من فقه شريعة فان اصاب فى الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض فى امره وظهر للخاصة والعامّة سديد راي امير المؤمنين فيه وان عجز عن ذلك فقد كفيناه الخطب فى معناه.

فقال لهم المأمون شأنكم وذلك متى اردتم فخر جوامن عنده و اجتمع رأيهم على مسألة يحيى ابن اكرم و هو يومئذ قاضى الزمان على ان يسئله مسألة لا يعرف الجواب منها و وعدوه باموال نفيسة على ذلك و اجابهم المأمون الى ذلك فاجتمعوا فى اليوم الذى اتفقوا عليه و حضر معهم يحيى ابن اكرم.

فقال: يحيى ابن اكرم لمأمون يأذن لى امير المؤمنين ان اسال ابا جعفر

عن مسألة؟

فقال المأمون استأذنه فى ذلك فاقبل عليه يحيى ابن اكرم فقال اتأذن لى

جعلت فداك فى مسئلة؟ فقال عليه السلام: سئل ان شئت.

قال يحيى مانقول جعلت فداك فى مُحْرِمٍ قَتَلَ صَيْدًا.

ج. قال ابو جعفر عليه السلام: فى جوابه قتله فى حُلٍّ او حَرَمٍ؟ عالماً كان المُحْرِمِ او جاهلاً؟

قتله عمدًا او خطأً حُرًّا كان المُحْرِمِ او عبدًا صغيراً كان او كبيراً؟ مبتدأ بالقتل او مُعيداً؟ من ذوات الطير كان الصيّد او من غيرها. من صِغار الصيّد ام من كبارها؟ مصرّاً على فعله او نادماً؟ فى اللّيل كان قتله للصيّد ام فى النهار مُحْرِمًا كان بالعمرة اذا قتله او بالحجّ كان مُحْرِمًا.

فلما استمع يحيى هذه الشقوق الكثيرة فى المسئلة التى كان ذهنه عنها خاليه فتخيروبان فى وجهه العجزو الأنكسار و لجّلج حتى عرف اهل المجلس امره وعجزه عن الكلام فبُهِت الذى كفرو والله لا يهدى القوم الكافرين.

قال المأمون بعد عجز يحيى عن التكلّم معه عليه السلام لابي جعفر عليه السلام ان رأيت جعلت فداك ان تذكر الفقه الذى فصلته من وجوه من قتل المحرم لتعلمه و نستفيده.

فقال عليه السلام: ان المُحْرِمِ اذا قتل صيداً فى الحُلِّ و كان الصيّد من ذوات الطير و كان من كبارها فعليه شاة فان اصابه فى الحَرَمِ فعليه الجزاء مضاعفاً و اذا قَتَلَ فزحاً فى الحُلِّ فعليه جَمَلٌ قد فِطْمٌ من اللّبن و اذا قَتَلَ فى الحَرَمِ فعليه الجَمَلُ و قيمة الفرخ فاذا كان من الوَحشِ و كان حمار و حش فعليه بقرة و ان كان نعامة فعليه بدنة و ان كان ظيبا فعليه شاة و ان كان قَتَلَ شيئاً من ذلك فى الحَرَمِ فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة و اذا اصاب المُحْرِمِ ما يَجِبُ عليه الهدى فيه و كان احرامه بالحجّ نَحَرَهُ بمنى.

وان كان بالعمرة نَحَرَهُ بمكة و جزاء الصيّد على العالم و الجاهل سواء و فى العمد عليه المأثم و هو موضوع عنه فى الخطاء و الكفارة على الحُرِّ فى نفسه و

على السيد في عبده و الصغیر لا كفارة عليه و هي على الكبير واجبة والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة.
فقال المأمون احسنت يا ابا جعفر احسن الله اليك فان رأيت ان تسأل يحيى عن مسألة كما سئلك.

فقال ابو جعفر عليه السلام: ليحيى أسئلك؟

قال: ذلك اليه جعلت فداك فان عرفت جواب ما تسئلني عنه والأستفدته منك.

قال عليه السلام له: اخبرني عن رجل نظر الى امرئة في أول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فاذا دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له ما حال هذه المرئة وبماذا حلت له و حرمت عليه.

فقال يحيى لا والله لا اهتدى الى جواب هذا السؤال و لا اعرف الوجه فيه فان رأيت ان تفيدناه.

قال عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس نظر اليها اجنبى في أول النهار فكان نظره اليها حراماً ما عليه فلما ارتفع النهار اتباعها من مولاها فحلت له فلما كان عند الظهر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر من الظهر فحلت له فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

فاقبل المأمون على من حضره من اهل بيته و قال لهم هل فيكم من يجيب هذه المسئلة بمثل هذا الجواب او يعرف القول مما تقدم من السؤال قالوا لا والله يا امير المؤمنين الى آخر الرواية.

اقول: انظر الى هذا الرجل الأحمق الذي جعله المأمون قاضي القضاة في

امور المسلمين وامثاله ممن كانوا قبله و بعده فان من لا يعلم هذه المسئلة الواضحة فكيف يليق بمقام القضاة وكيف يدعى البحث مع الأمام الذى هو عالم بما كان وما يكون و ما هو كائن الى يوم القيمة و ليس هذا اول قارورة كسرت فى الاسلام و نظير هذه القضايا كثير فى متون الاخبار والآثار و كتب التواريخ و السير هذا حال يحيى ابن اكثم فما ظنك بغيره ممن تصدى لأمر الخلافة و القضاة من الجهلاء الحمقاء الذين لم يعلموا الجز من البر و هو من اعظم الدواهي فى كل عصر و زمان.

وثانيها: قوله عليه السلام: ولا هو اهل لما فوض اليه...

وهذا الوصف يظهر معناه من الوصف الذى مر ذكره فان من لا يقدر على الجواب عما ياتيه من السئوال فكيف يليق بالحكم بين الافراد و الحكم لا يكون الا بعد العلم.

فقوله عليه السلام: هذا اشارة الى ان لكل امر من الأمور رجال فللقضاء رجل وللأمانة وللحكومة رجل آخر فرجل يصلح للتدريس ورجل للتدريس ورجل يكون إماماً و الآخر مأموماً فالطبيب مثلاً غير المفتى و المفتى غير البناء و البناء غير المهندس و هو غير النجار و هلم جزاً.

و اذا كان الأمر فى الاجتماع على هذا المنوال اعنى اعطاء كل ذى حق حقه فهو الموافق للعقل و النقل و تُنظّم به الأمور و يجرى العدل المطلق فان العدل لا معنى له الا إعطاء كل ذى حق حقه.

واما اذا لم يكن كذلك فتختل الأمور و يقع الهرج و المرج و غير ذلك من المفساد الاجتماعية.

و توضيح ذلك ان الاجتماع فى كل زمان و عصر مثله مثل البناء الواحد او بدن واحد او سيارة واحدة و غير ذلك من الموجودات المركبة او المؤلفّة من الاعضاء و الجوارح او الاجزاء التركيبية.

فكما ان المركب من الأجزاء و الأعضاء لا قوام له الا بوجود اجزائه

واعضائه فيوجد بوجودها و يُعَدُّم بَعْدَمِهَا بل التَّحْقِيقُ أَنَّ المَرْكَبَ مع قَطْعِ النَّظَرِ
عن اجزائه لا وجود له اصلاً.

وبعبارةٍ أُخْرَى: ليس لنا وجود ان وجود الاجزاء ووجود المركب بل الوجود
وجود الاجزاء لا غير و وجود المركب وجود انتزاعي اعتباري يدور مدار
مَنشأ انتزاعه اعنى الاجزاء وجوداً و عدماً فان كان الوجود في الاجزاء ناقصاً و
ضعيفاً فالوجود فيه كذلك و ان كان قوياً كاملاً فكذلك فيه ايضاً.

فبَدَنِ الْاِنْسَانِ مثلاً من حيث جسمه و عُنصره مُرَكَّبٌ من الاعضاء و
الجوارح من اليد والرجل والعين والانف والسمع والضرس والقم واللسان
والحاجب والرأس و غيرها من الاجزاء والاعضاء و مجموع هذه الاعضاء
يُسَمَّى انساناً و مجموع الاجزاء يسمي بدنه.

ثم انه لا شك ان لكل واحد منها خصوصية ليست لغيره و موقِعاً ومَحَلّاً و
منزلةً لا يكون لغيره و شأناً لا يكون لغيره من حيث الوجود في البدن فكذلك
لكل واحد منها آثار لا توجد في غيره.

فكما ان الرجل او اليد لو وُضِعَا في غير مكانهما يَخْتَلِ امر البدن فان الرجل
للمشي و مكانه مكانه والعين مثلاً للرؤية و مكانه مكانه والقم للاكل والشرب
ومكانه مكانه وهكذا.

فكذلك لكل واحد منها آثار لا يتجاوز عنها فان السمع لا يبصر والعين
لا تسمع و الرجل لا يتكلم واليد لا تعلم و هكذا الأمر في كل واحد منها من
حيث المكانة والمحل او الفعل والاثر وانتظام البدن و كماله و صحته مترتب
على انتظام الاجزاء و صحتها و لذلك فقد الاجزاء او نقصه يسرى الى فقد
الكل بالنسبة اليه و نقصه و هذه القاعدة سارية في كل المركبات عنصرية كانت
او غيرها حقيقته كانت او غيرها فان المركب اياً ما كان شأنه هكذا و السرفيه
ما ذكرناه من عدم وجود و قوام له الا باجزائه و اعضائه.

اذا عرفت هذا فنقول: و من جملة المركبات حكماً في عالم الوجود

الأجتماع الآ أنه من المُركبات الاعتبارية و حُكم الامثال فيما يجوز و فيما لايجوز واحد فلاوجود له الآ بوجود افراده فى كل زمان فالأجتماع عبارة عن مجموع الأفراد عالمها و جاهلها عزيزها و ذليلها أمرها و مأمورها امامها و مأمومها، زارعها و تاجرها و امثال ذلك و لكل فرد من الافراد جنبتان: جنبه الوضع و جنبه الأثر و ان شئت قلت المكانة - والأثر والاول تابع للثانى و لاعكس ولابد لنا من تشريح المنزلتين.

المكانة: فهى عبارة عن الوضع الطبيعى الإجتماعى لكل موجود لوخلى و طبعه مع قطع النظر عن الكمالات الحاصلة لها فان الموجودات لكل واحد منها كمال بحسبه به يختلف الآثار المترتبة عليه.

مثلا الإنسان له جهتان: جهة وضعيته طبيعته و جهة اجتماعية ثانوية و لكل واحد منهما حد مخصوص.

فالأولى: اعنى جهة الوضعيته التى نُعبر عنها بالمكانة عبارة عن حده باعتبار أنه انسان و له حد من جهة الأنسانية و تشخص خاص يجب مراعاته فلايجوز لأحد التجاوز بماله و عرضه و نفسه و سائر ما يتعلق به من حيث أنه أحد الأفراد فى الاجتماع سواء كان اسوداً و ابيضاً و احمرأ و مسلماً و كافراً و مؤمناً و فاسقاً و عالماً و جاهلاً و غير ذلك من الامور والعناوين الخارجة عن مقام ذاته من حيث هو هو فهو من هذه الجهة محترم عقلاً و شرعاً و لا فرق فى افراد الإنسان من هذه الجهة و ذلك لأن حكم العقل او الشرع بأن الإنسان مُحترم او يحرم الظلم عليه او ماله و عرضه و دمه مأمون و امثال ذلك من الأحكام العقلية بل الشرعية لا تقبل التخصيص فهذه الأحكام على الأفراد على سبيل القضية الحقيقه لا تختص بفردي دون فردي و شخص دون شخص و ملّة دون ملّة و هذا من الواضحات.

اما الجهة الثانية: اعنى الأثر.

فهى أيضاً بمكان من الوضوح و ذلك لأن الإنسان باعتبار بلوغه الى الغايات

و حصول الكمالات له يترتب عليه أثر لم يكن قبل بلوغه الى الكمال فأن الانسان العالم او الطبيب او المهندس او التاجر و غيرها من الأوصاف له آثار خاصة في الأجماع من حيث الاحتياج الى هذه الافراد بخلاف غيرهم من الافراد فأن الحاجة اليهم ليست بهذه المثابة مثلاً اذامات عالم من العلماء او طبيب من الاطباء او شخص آخر ممن له موقع في الحاجة فليس تأسف الأفراد و تأثرهم عليه مثل ما اذامات منهم حمالاً او بقالاً او خادم و نحو ذلك و هذا مما لاينكر والسير فيه هو ان الجامعة ترى احتياجهم الى امثال العلماء والاطباء وسائر الافراد المفيدة بحالهم اشد من احتياجها الى غيرهم و ليس هذالتفاوت الأ من جهة تفاوت الآثار و الكمالات ضرورة أنهما اى العالم والجاهل من حيث البشرية على حد سواء و أما الفرق بينهما فى العلم و عدمه ولا نعى بالآثار الأ هذا و لذلك ورد ان العالم اذا مات ثلم فى الإسلام ثلثة لا يسدّها شيء و لم يزد هذا و امثاله فى غيره لأنه لاشرف و لافضيلة اعلى و احسن من العلم كما ثبت فى محلّه و سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى.

اذاظهر ذلك لك فاعلم ان نظام الامور و حفظ مراتب العدل فى كل اجتماع انما هو بحفظ هذين الحدين و مراعات هذين الحقين والأ فمسيّر الاجتماع الى السقوط و طريقه الى الهبوط والنزول فكل قانون من القوانين الشرعية او العرفية اذا لم يكن متكفلاً بحفظ الحقين فهو ناقص و موجب لظهور الاختلاف و تشتت الآراء و بروز الهرج والمرج و حيث ان مراعاة الجهتين معاً كما هو حقه لا يمكن لأحد من افراد لبشر لعدم علمه بالسرائر و الضمائر و مراتب الكمالات فى الافراد فنقول ان المقتن للقانون لا بد من ان يكون هو الله تعالى لأنه محيط و ماسواه محاط وهو العالم بالخفيات والواقف على السرائر والضمائر و هو المحيط بكل ماسواه و صفاته الباطنة والظاهرة و لا يمكن لأحد غيره هذه الأحاطة والسلطة فيجب عليه من باب قاعدة اللطف بعث الأنبياء و جعل الشرائع والاديان ليصل كل ذى حق الى حقه والأ يلزم إختلال النظام المرام وعن هذا القانون الذى وضعه الله تبارك و تعالى نُعبّر بالدين.

فكّل دينٍ من الأديان كانت دائرته أوسع و قوانينه أشمل وانفع و اكمل فهو أشرف و احقّ بالاتباع و اذا فتشنا الأديان السالفة و حقّقنا احكامها و قوانينها نجدها غير وافيه بالمقصود في هذا الزمان لانقص فيها فائها اديان سماءوية جاء بها الأنبياء والرّسل من قبل الله تعالى بل لانها لم توضع لهذا الزمان والافراد بل وضعت للزمنة السالفة والافراد و الشرائط المقتضية له و هو تعالى احقّ بتلك المراععات العقلية من غيره فلاجرم نقول انّ الاديان السالفة حيث انها وُضعت مع مراعات هذه الجهات لمدة معينة من الزمان فلاتصلح لكل زمان حتى زماننا هذا و هذا بخلاف الإسلام فانه دين جامع غير محدودٍ بحدّ معين و زمان مُشخّص لا يقبل النسخ الى يوم القيمة و ذلك لانه واجد لجميع مراتب الكمال في كل عصر و زمان منطبق على كل الشؤون في مقامات السير والسلوك و العرفان جامع لكلتا الجهتين في حفظ نظام الاجتماع و اذا كان الدين وافياً بالغرض فيجب اتباعه عقلاً كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)

فالإسلام يُعطى كل ذي حق حقه و يحذف العناوين الاعتبارية وينادي باعلى صوته: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ الْآيَةَ...﴾^(٣)

وهذه الآية اشارة الى كلتا المترتبين فان قوله انا خلقناكم من ذكرٍ و انثى وجعلناكم شعوباً و قبائل اشارة الى الجهة الاولى و هى المكانية اوالوضع الطبيعي الذي كل الناس فيه على حد سواء كما نسب الى على عليه السلام حيث قال ﷺ:

الناس من جهة التمثال اكفاء ابوهم آدم و الأم حواء

و اشار الى القسم الثاني من القسمين المذكورين و هو الأثر المترتب على وجوده بقوله لتعارفوا انّ اكرمكم عند الله اتقىكم و ذلك لأن التقوى من اعلى

الكمالات للإنسان المُتَّقَى غير الإنسان من حيث هو و أثره غير أثره فأختصاصه بمزيد الشرف ليس إلا من جهة تقواه لا من حيث البشريّة فللإنسان من حيث هو إنسان محلٌّ ومكانةٌ و من حيث التقوى له أثرٌ آخرو مكانةٌ آخرا في الدنيا والآخرة و هذا عين العدل والإستقامة و من هذا القبيل ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)

و : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)

و امثال ذلك من الآيات.

وإنما قلنا هذا عين العدل لأن في هذه الآيات تشويقٌ للسُّوقِ الى الكمالات و الغايات هذا كله في نظر الشارع بحسب القانون الإلهي.

وإنما بحسب العرف فالأمر لا يخلو من وجهين:

احدهما: ان يكون العرف تابعا للقانون الشرعي.

و ثانيهما: ان لا يكون.

أما الصورة الأولى: فلا كلام لنا فيها وذلك لأن العرف والأجتماع اذا كان تابعا لما جعله الشارع فلا محالة يكون في حفظه الحدود و المراتب ايضا تابعا له و حيث انّ الدين عيّن مراتب الأشخاص من جميع الجهات فهو ايضا يراعيها فيكون الإجتماع سالما عن كل عيب و شينٍ و خالياً عن كل نقصٍ و مبین. فلانزاع فيه ولا جدال ولا ظلم ولا عُدوان و ليس فيه تضييعٌ لحقوق الأفراد و التجاوز باموالهم و نفوسهم و بالجُملة يعطى كل ذي حق حقه اللهم ارزقنا حلاوته في اليقظة و من المعلوم انّ الغرض الاصلى من جعل الشرايع و ارسال الرّسل و انزال الكتب هو هذا الاخير.

و اما الصورة الثانية: و هي عدم متابعة العرف للشرع كما في اكثر القوانين الموضوعية في زماننا هذا لولا كلهم فان هذه القوانين وضعت على طبق الأهواء و الأميال النفسانية قلما توجهوا فيها الى الأحكام الشرعية ظاناً منهم انّ الشرايع

إلا لهيئة ولا سيّما احكامها الجزائية والجنايية والحقوقية لاتنطبق على الزمان الحاضر و العرف المتمدين المتجدد و ليس الأمر كما زعموه فإن الشرايع الالهية عموما والشريعة الاسلامية خصوصاً روعى فيها جميع المصالح نعم الأديان السالفة حيث أنها وضعت للأمم الماضية والقرون السالفة الغابرة فإنها لاتنفي بمصالح الموجودة فى هذا الزمان لأنها ليست لهذا العصر واما الاسلام فليس كذلك.

فمن زعم ان الاسلام ايضا لايفى بالمقاصد العقلية فقد اخطأ خطأ فاحشاً ولولا اطالة الكلام و اطناب المقال الموجب للملال والخروج عن موضوع البحث لأشبعنا الكلام فيه الا ان قطع الكلام فعلاً أولى والذي لا بد لنا من ذكره هو ان علة متابعة العرف الخاص للقوانين الشرعية ليست ما خيلوه باؤها مهم الفاسدة من عدم مطابقة الشرع للزمان بل العلة الاصلية هي عدم مطابقة الشرع لأهوائهم و أميالهم وهو مسلم لا كلام فيه فان القانون الالهى متكفل لحفظ منافع الأشخاص من دون استثناء و تفاوت بين صغيرهم و كبيرهم و وضعيهم و شريفهم و عالمهم و جاهلهم وهكذا وهؤلاء لا يرونه صحيحاً لأنهم اعنى العرف الخاص فى كل ملة واجتماع لا يرون للضعفاء والطبقة النازلة من الناس حقاً فى الاجتماع بل الحقوق الانسانية والمزايا الاجتماعية كلها يرونها لأنفسهم و لذلك ثريهم دائماً يتجاوزون الى حقوق الضعفاء واعراضهم و اموالهم و ليس فى الناس أحد يسئلهم عن هذه الأعمال الشنيعة وان أحد تكلم فيه و طالب حقه المسلم او حق اخيه ضربوه او شتموه او حبسوه و بالآخرة قتلوه و هذا هو التمدن العصر الحاضر الذى اوجب عدم اجراء القوانين السماوية لا ما يلقون الى اوليائهم من عدم انطباقها على مقتضيات.

الاترى ان الدولة الامريكية التى هى من اعظم الدول فى العصر الحاضر واكملها و اقدرها مع كونها فى اعلى مرتبة الترقى والتعالى فى جميع الشؤون الاقتصادية و السياسية والعلمية و هى التى ارسلت السفينة الفضائية الى كرة

القَمَرُ وفيها فَعَلٌ مافَعَلٌ ومع ذلك كله لم ترض نفسها بمعرفة الأفراد اعنى
الأسود منهم بالإنسانية وهذا عجيبٌ.

اذ اى دليلٍ من العقل و النقل دَل على الفرق بين الأسود و الأبيض فى اصل
الإنسانية أليس الأسود او الأحمر من افراد الإنسان؟
واما القانون السماوى كما ذكرنا فقد سَوى بين الأفراد من هذه الجهة و
مَيَّزَهُم من جهةٍ اخرى وهى الكمالات و الآثار.

وبعد اللتيا والتى لوكان فى الاجتماع حق و عدالة وإعطاء كل ذى حق حقه
لكان احرى واولى الأأنه مُشكَل لأن وضع الشىء فى محله لا يوافق الظلم
والعدوان والمفروض ان اولياء الامور فى كل عصر و زمان حيث ان حكومتهم
ليست من قبل الله و رسوله فلامحالة يَضَعُونَ الأشياء فى غير محالها و الافراد
فى غير مواضعها حتى امكن لهم اجراء الباطل واطفاء الحق و بهذا ظهر لك ان
بقاء الحكومة الجائرة انما هوفى وضع الشىء فى غير محله ولم يَعْلَمُوا ان
للحق دولة وللباطل جولة و قوله عليه السلام الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى
مع الظلم.

فالحاكم الجائر فى كل عصر و زمان يُعَيَّن و ينتخب للمناصب الإجتماعية
افراداً غير لائقين بهالعلمه بكون الافراد الصالح و الرجال العامل المتقى غير
مطعنين له فى كل ماتقتضيه نفسه الامارة بالسوء بل يَعْلَمُونَ بمقتضى دينهم و
عقلهم ويقولون مافيه رضى لله و رسوله وهذه الرؤية لاتنفع للظالم كما هو
ظاهر.

و لتوضيح المقام نذكر لك قضية من قضايا قاضى القضاة ابوالبختري
لتعرف اهليته لهذه المنزلة و هى ان الرشيد قد اعطى ليحيى ابن عبدالله ابن
الحسن ابن الحسن ابن على ابن ابيطالب عليه السلام كتاب الأمان ثم ابطله فسئل محمد
ابن الحسن الشيبانى صاحب ابى حنيفة فقال هذا امان صحيح ودمه حرام
فدفع الكتاب الى الحسن ابن زياد فقال بصوتٍ ضعيف امان.

فدخل ابوالبختري وهب ابن وهب القاضي واخرج من خفه سكيناً فقطع الكتاب من غير ان يسأل عنه و قال هذا اماناً منسوخٌ وكتاب فاسدٌ ودمه في عنقِي وبارتكابه لهذه الجريمة وارقته دماً طاهراً من احفاد رسول الله ﷺ نال درجة الرقي في مناصب الدولة و خطأ خطوات واسعة اذ قال له الرشيد بالف الف و ستمائة الف درهم فقد اصبح بعد ان كان واحداً من القضاة رئيسهم الاول و مرجعهم الأعلى تناط به امورهم اذ قال له الرشيد انت قاضي القضاة الامام الصادق والمذاهب الاربعة ج ١ ص ٢٩٠. انتهى.

و نظير هذه القضية في الادوار والأزمنة اكثر من ان تعدو تحصى ولاسيما في زماننا هذا و هذى الجهة اعنى اجراء المنويات الشيطانية والأوهام والوساوس الكثيفة هي التي دعت الحكام الى تفويض الأمور الى من ليس بأهل لها و تسليطهم على رقاب الناس لاجراء المقاصد كما رأيت من ابى البختري وانه لم يوافق الرشيد في ما اراده الأ هذا الشيطان المجسم فلا محالة لا يفوض الرشيد امور القضاء بيد غيره لعدم موافقته له.

و قد علمت ان المنصور امر مناديه ان ينادى في ايام الحج ان لا يفتى الأ مالك ابن انس و ان الرشيد كان يجلس بين يديه جلوس العبد الذليل بين يدي سيده ومولاه والامام الصادق مثلاً موجود في المدينة.

و هل يظن عاقل ان المنصور او الرشيد و امثالهما لم يعلموا موقعه ﷺ في الإسلام والعلم و الزهد او يظن أحد أن الأمر كان مشتبهاً على المنصور و الرشيد بأن الامام الصادق مثلاً اعلم و اصلى من مالك ابن انس و امثاله لا والله ليس الأمر كذلك و من ظن هذا فقد ظن ظن السوفان العاقل العالم يعلم بأن الامام الصادق ﷺ و كذلك سائر المعصومين لا ينبغي قياسهم مع أحد من الاولين و الآخرين فضلاً عن مالك و اشباهه و نظائره و هذا امر لا يخفى على احد من ادنى الافراد فضلاً عن المنصور و الرشيد و غيرهما من الخلفاء الذين كانوا معاصرين لهم محشورين معهم الا أنه منعهم عن تفويض حقهم اليهم

المُلْك و السَّلْطَنَة فَانَ الْمَلِك عَقِيمٌ وَ نَحْنُ لَانَحْتَاجُ اِلَى ذِكْرِ الْقَضَايَا التَّارِيخِيَّةِ لِأَثْبَاتِ الْمَدْعَى فَانَ الْأَمْرَ وَاضِحٌ مِنْ اَنْ يَخْفَى كَيْفٌ وَ الْمَنْصُورُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ اَنْ فِي كُلِّ زَمَانٍ مُحَدَّثٌ بَيْنَ النَّاسِ وَ مُحَدَّثُنَا الْيَوْمَ جَعْفَرُ ابْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام .

وَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ اَيْضًا اِنِّي لَا اَرَى عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ اَعْلَمُ وَ اَفْقَهُ مِنْ جَعْفَرِ ابْنِ مُحَمَّدٍ فَكَيْفَ يَقُولُ لَا يُفْتَى إِلَّا مَالِكٌ اَتَّظَنُّ اَنَّهُ نَسِيَ جَعْفَرَ ابْنَ مُحَمَّدٍ اَمْ غَفَلَ عَنْهُ لِأَهْذَا وَ لِأَذَاكَ وَ لَكِنَّهُ يَحْتَاجُ فِي تَشْيِيدِ مَبَانِيهِ وَ تَقْوِيَةِ اَرْكَانِ حُكُومَتِهِ الْبَاطِلَةَ اِلَى مَنْ يُوَافِقُهُ وَ يُصَحِّحُ خَطَايَاهُ وَ يَنْطَبِقُ الْآيَاتُ وَ الْاَثَارُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَيَّ اَعْمَالِهِ الْقَبِيحَةَ وَ اَفْعَالِهِ وَ اَقْوَالِهِ . وَ يَقُولُ اَنْ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى اطِيعُوا اللَّهَ وَ اطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . هُوَ مُطْلَقُ الْحَاكِمِ وَ الْوَالِيِّ عَلَيَّ النَّاسِ سِوَاءَ كَانَتْ وَ لَايَتُهُ مَنْ قَبْلَ اللَّهِ اَوْ مِنْ قَبْلِ الشَّيْطَانِ حَتَّى اصْبَحَ الْمَنْصُورُ الظَّالِمَ الْجَابِرَ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَ لَوْلَا هَذِهِ الْأُمُورُ لَمَا كَانَ مَالِكٌ اَعْلَمَ النَّاسِ وَ اَبُو الْبَخْتَرِيِّ وَ امثاله اَقْضَى الْقَضَاةَ وَ هَذَا ظَاهِرٌ لِاخْتِفَاءِ فِيهِ .

وَ هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ عليه السلام وَلَا هُوَ اَهْلٌ لِمَا فُوِضَ اِلَيْهِ .

□ قَوْلُهُ عليه السلام : وَلَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ :

وَ هَذَا وَصِفَ آخِرَ لَهُ وَ هُوَ اَنْ مِنْ لَا يَكُونُ عَالِمًا وَ اِقْعًا بَلْ يَكُونُ جَاهِلًا بِالْجَهْلِ الْمُرْكَبِ يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي مَا جَمَعَهُ لِاِغْيَابِ وَ ذَلِكَ لِعَدَمِ اِعْتِقَادِهِ بِجَهْلِهِ وَ اَنَّهُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا اَوْ لَا يَعْلَمُ اَلْقَلِيلَ فَلَا مَحَالَةَ يَنْكُرُ كُلَّ مَا لَا يَعْلَمُهُ بِأَشَدِّ الْاِنْكَارِ اِذْ لَوْلَمْ يُنْكَرْ مَا لَا يَعْلَمُهُ يَكُونُ غَيْرَ مَا هُوَ الْمَفْرُوضُ وَ هَذَا خَلْفٌ .

□ قَوْلُهُ عليه السلام : وَلَا يَرَى اَنْ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِنْهُ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ ...

وَ هَذَا اَيْضًا مَعْلُومٌ كَسَابِقَةٌ فَانَ الْجَاهِلُ يَظُنُّ اَنَّهُ بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ مَا بَلَغَ وَ لَيْسَ بَعْدَ مَا بَلَغَ اِلَيْهِ عِلْمٌ وَ فِكْرٌ وَ لَا مَوْضِعٌ تَفَكُّرٍ وَ مَذْهَبٌ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ بِخِلَافِ الْعَالَمِ فَانَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ كَمَا هُوَ شَأْنُ الثُّورِ وَ الظُّلْمَةِ .

□ قَوْلُهُ عليه السلام : وَ اِنْ اُظْلِمَ عَلَيْهِ اَمْرٌ اَكْتَمْتُمْ بِهِ ...

وَ هَذَا اَيْضًا مِنْ اَوْصَافِ الْجَاهِلِ بِالْجَهْلِ الْمُرْكَبِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ

عالمًا بين الناس فلولم يكتتم بما خفى عليه يكون مُظهرًا بجهله مُعلنًا له لعدم لياقته و هو خلاف ما اشتهر به بين الجُهاال من كونه عالمًا.

□ قوله ﷺ: لَمَّا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ نَفْسِهِ...

و هذا تعليل لما قاله ﷺ في الجملة السابقة اعنى قوله وان اظلم عليه امراكتتم به لانه وصف آخر له.

و وجه التعليل بعد دلالة لأم التعليل في قوله (لما) هو انه من الجُهاال واقعا وان كان من العلماء ظاهرا الا ان جهله بالحكم لا يخفى على نفسه وان يخفى على غيره من الجُهاال فهو لعلمه بجهله يكتتم بما اظلم عليه حتى لا يقف عليه غيره فلولم يكن عالمًا بجهله لم يكتتم به و هذا ظاهر و في الكلام اشارة الى انه ليس كلما يكتتم به مستندا الى جهل صاحبه بل كثيرا ما يستند الى علمه الا انه يكتتم به لثلا ينكشف امره و لعمرى هذا حق حقيق ويدلك على صحة ما ذكره ﷺ بعد المشاهدات في كل الاجتماعات قول هشام ابن عبد الملك ابن مروان في المسجد الحرام حين ما دخله زين العابدين عليه السلام في ازدحام الناس و تعظيم الناس له ﷺ و سؤال الشامي عنه بانه من هذا و جوابه بقوله لا اعرفه و اشعار الفرزدق في المقام كما سبق مفصلا.

اكان هشام ابن عبد الملك لم يعرفه واقعا او كان يعلم بانه ﷺ من هو الا انه اکتتم به لأجل مصلحة يراها فلو كان الاول فلم امر بحبس الفرزدق بعد ما عرفه عليه السلام بسبب اشعاره و ان كان الثاني فهو المطلوب ونظائره كثيرة فوق حد الاحصاء.

□ قوله ﷺ: تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ وَ تَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ.

و هذا بمنزلة النتيجة لما تقدم وذلك لأن القاضى اذا لم يكن لانقا بالقضاء موصوفا بالأوصاف المتقدمة من الجهل والخطاء و عدم اللياقة و مع ذلك تصدى لأمر القضاء فلا جرم تصرخ من جور قضائه الخ.

و توضيح ذلك على طريق الاجمال هو ان القاضى كما سبق اجمالا لا يكون

قاضياً إلا إذا كان واجداً لشرائط القضاء من العلم والذكورية و البلوغ والعدالة و غيرها. و مع ذلك منصوباً من قبل الرسول أو الأمام أو نائبه و من المعلوم أن من كان كذلك لا تتجاوز أعماله و أفعاله و أقواله من حدود الشرع فلا يحكم الأبا حاكم الله به و هذا ظاهر.

و أما إذا لم يكن كذلك كما هو المفروض في المقام فلا يترتب على حكمه و قضائه الأجر و الظلم و اضاءة الحقوق و امحاء الحق و اظهار الباطل و ذلك لأنه في صورة المفروضة لا يكون الأعبداً للشيطان معيناً للظلم و العدوان فيحكم بمقتضى هواه و يقضى على طبق امر مولاه اعنى به من نصبه للقضاء او نصبه لأجراء ما يراه فلا جرم تصرخ من جور قضائه الدماء لأن حكمه الباطل صار موجباً لأراققتها بغير الحق و تعج منه الموارث فإن قضائه بالجور او جب تضييع حقوق الناس و قد اشار الله في هذا الكلام الى اصلين عظيمين: احدهما - الدماء و النفوس و ثانيهما الحقوق المالية و قد اشار الكتاب الالهي الى هذين القسمين و حرمة تصنيعهما في موارد عديدة.

أما قتل النفس فلا شك في حرمة اذا كان بغير الحق.

فمنها - ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ (١)

و : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاءً﴾ (٢)

و : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ

يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣)

و : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسَهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤)

و : ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ (٥)

و : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ (٦)

وامثال ذلك من الآيات الواردة و من المعلوم أن القاضي اذا لم يكن واجداً

للشرائط المتقدمة و حَكَمَ بقتل شخصٍ فجزائه جهنم خالداً فيها و بئس المصير.

وانت اذا امعنت النظر فى التواريخ و فى زماننا هذا الدريت انه كيف تصرخ من جور قضائهم الدماء كيف لا والدماء ولاسيما دماء المؤمنين اراقتها اهون عند القضاة فى هذا الزمان من اراقة دماء الحيوان فى المسلخ و الصلحاء من الرجال كالطيور فى الأقفاس لا يقدرّون على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بل ولا يقدرّون على التّقول بقول الحقّ فأن ذلك من اعظم الجرائم عند ابناء الزمان فكم من دماءٍ أريقت او تُراق بغير الحقّ وهذه سيرةٌ مُستمرّةٌ من بدو غصب الخلافة الى زماننا هذا بل الى يوم ظهور الدولة الحقّة و ذلك لعدم لياقة الحكام بالحكومة و القضاء بالقضاة و الأمرء بالأمانة و التجار بالتجارة و الوعاظ بالوعظ و النصيحة و و كل ذلك لأنحراف الخلافة عن محورها الأصليّة و اعراض الناس عن اهل بيت النبوة و اقبالهم الى اولياء الشياطين.

وامّا القسم الثانى اعنى الحقوق الماليّة فلاشك فى ان تضييعها ايضا حرامٌ مُحَرَّمٌ و يدلّ عليه آيات.

فمنها - ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾ (١)

دلّت الآية على حرمة اكل المال بالباطل اى بغير حقّ و من المعلوم أن الحكم فى الأموال على غير ما انزل الله يوجب تضييع حقّ المحكوم عليه فأكل المحكوم له هذا المال لا يكون الا باطلاً والموجب له هو القاضى كما هو المفروض والآيات والروايات فى الباب كثيرة جداً تركنا ذكرها مخافة التّطويل مضافا الى ان الموضوع من المسلمّات عند الفريقين.

قال الله تعالى مخاطباً لنبيه داود عليه السلام ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ

فَاخْتَمْنَا بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٢)

و قال ايضا حكاية عنه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط الآية ص ٢٣.
 وقال رسول الله ﷺ على ما رَوَاهُ عَنْهُ مَنْ حَكَمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ تَخَاكُمَا إِلَيْهِ
 وَارْتَضِيَاهُ فَلَمْ يَقْضِ بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ فَقَلْبِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ.

و قد روت العامة في كتبهم عن ابي حازم انه ادعى رجل على علي عند
 عمر وعلي جالس فالتفت عمر اليه ﷺ و قال يا ابا الحسن قم فاجلس مع
 خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظروا انصرف الرجل و رجع علي الى
 مجلسه فتبين لعمر التغيير في وجه علي.

فقال: يا ابا الحسن مالي اراك فتغيراً اكرهت ما كان ؟

قال ﷺ: نعم قال: و ماذا؟ قال ﷺ: كنتني بحضرة خصمي هلاقت يا علي
 قم فاجلس مع خصمك فأخذ عمر برأس علي فقبّله بين عينيه ثم قال بأبي
 انتم بكم هدانا الله و بكم اخرجنا من الظلمات الى النور.

نقلوا عن ابي حنيفة انه قال القاضي كالغريق في البحر الأخضر الى متى
 يسبح وان كان سابحاً.

واراد عمر ابن هبيرة ان يولي ابا حنيفة القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط
 وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه ابي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب
 بالسياط في الدنيا اهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة.

و عن عبد الملك ابن عمير عن رجل من اهل اليمن قال: اقبل سيل باليمن
 في خلافة ابي بكر فكشف عن باب مغلق فظنناه كنز افكتبنا الى ابي بكر فكتب
 الينا لا تحركوه حتى يقدم عليكم كتابي ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه
 سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان:

إذا خان الأمير و كاتباه و قاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

و اذا عند رأسه شد حُضْرَةٌ من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد ابن إرم.

و عن النبي ﷺ على ما رواه ابن ابي اوفى انه ﷺ قال ان الله مع القاضي

مالم يَجْرُ فاذا جازَ برىء الله منه و لزمه الشيطان...

نقل ان المأمون تقدم بين يدي القاضي يحيى ابن اكنم مع رجل ادعى عليه بثلاثين الف دينار فطرح له مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لاتأخذ على خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بيئة فاراد ان يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين الف دينار وقال والله ما دفعت لك هذا المال الأخشية ان تقول العامة ائى تناولتك من جهة القدرة ثم امر ليحيى بمالٍ و اجزل عطاوه. ونظير ذلك ما نقله اهل السير و هو انه قدم خادمٌ من وجوه خِدم المعتضد بالله الى ابى يوسف ابن يعقوب فى حكم فارتفع الخادم على خصمه فى المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال ابويوسف قم ائومران تقف بمساواة خصمك فى المجلس فتمتنع ياغلام ائتنى بعمر و ابن ابى عمر والنحاس فانه ان قدم على الساعة امرته يبيع هذا العبد و حمل ثمنه الى امير المؤمنين.

ثم ان الحاجب اخذ بيده و اوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد و بكى بين يديه و اخبره بالقصة فقال لو باعك لأجزت بيعه ولم أزدك الى ملكى فليست منزلتك عندى تزن رتبه المساواة بين الخصمين فى الحكم فان ذلك عمود السلطان و قوام الأديان و انا اقول: هذا شأن قضاة العامة و خلفائهم مع انه لا كلام لنا فى كونهم غاصبين للخلافة و عدم جواز التصدى لمنصب القضاء من قضاتهم المنصوبين من قبلهم لعدم وجود شرائط القضاء فيهم كما سبق منافى صدر المبحث.

واما شرائط القضاء فى زماننا هذا أمور كثيرة كلها على غير ما جاء به

النبي ﷺ.

فمنها - عدم الأيمان رأساً او عدم اشتراطه بل الإسلام ايضا.

ومنها - عدم الأجتهد او عدم اشتراطه.

ومنها - عدم اشتراط العدالة فى الحكم بل يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد.

ومنها - عدم الذكورية و بالجملة كل ما اشترطه الله و رسوله فى القاضى و
من ينصبه للقضاء فقد نبذوه وراء ظهورهم والله على ما نقول وكيل و لنعم
ما قيل:

ابكى واندب ملة الاسلام اذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ما علمت كثيرة و اراك بعض حوادث الايام
قيل انه تقدمت امرئة جميلة الى الشعبى فادعت عنده فقضى لها فقال
هذيل الأشجعي:

فَتَنَ الشَّعْبِي لَمَّا رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
فَتَنَّهُ بِبَنَانٍ
وَمَشَتْ مَشْيًا رَوِيدًا ثُمَّ هَزَّتْ مِنْكِبَيْهَا
فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخِصْمِ وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا
وكيف كان فلاشك عند ذوى البصائر والأيمان ان منصب القضاء من أهم
المناصب الالهية فى كل الاديان والشرائع و تفصيل الكلام فيه خارج عن طور
هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين.

□ قوله ﷺ: إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَالًا وَ يَمُوتُونَ ضَلَالًا

و هذا الكلام منه ﷺ اشارة الى اليأس الحاصل له ﷺ من اصلاح الأمور
ولاجل ذلك شكى الى الله تعالى من افراد الامة وزعمائهم حيث انهم سلكوا
مسلك الشيطان وعدلوا عن الحق وطريقه ولازم ذلك ثبوت وصفين لهم
وصف فى الدنيا و وصف فى الآخرة.

اما الذى فى الدنيا فهو كونهم ممن يعيشون جهالا.
واما الذى فى الآخرة فهو كونهم ممن يموتون ضلالا ولاشك. ان الانسان
باتصافه بهذين الوصفين يخرج عن سلك الانسان الواقعى و يدخل فى زمرة
البهائم والوحوش و ذلك لأن سعادة البشر فى الدنيا انما هى بكونه عالما
بحقائق الأمور بقدر الطاقة البشرية ثم العمل بمقتضى علمه فالاصل العلم

مفتاح السعادة فى شرح نهج البلاغة

والفرع العمل ولا فرع الأبعد وجود الأصل وكمال الإنسان بالعلم بل من لا علم له لا وجود له في الحقيقة ولذلك ذهب بعض المحققين الى أن العلم قسم من الوجود لا يدخل تحت مقولة من المقولات كما أن الوجود أيضا لا يدخل تحت مقولة فحقيقة الحياة ليست إلا العلم فمن عاش في الدنيا جاهلاً فهو في زمرة الاموات واقعا كما قيل الناس موتى و اهل العلم احياء.

واما السعادة الاخرية فهي مرتبة على السعادة الدنيوية فاذا فرضنا كون شخص غير سعيد في الدنيا بجهله فلاجرم لا يكون سعيداً في الآخرة ايضا فصح قوله ﷺ و يموتون ضالاً فان الجاهل المستكف عن التعلم المنعير في غي جهله و شقاوته لا يموت الاضالاً بعيد اعن الحق و فيما ذكره ﷺ في المقام قوائد.

الفائدة الاولى: الاشارة الى ان الانسان ينبغي ان لا يعيش في الدنيا الاعمالا حتى لا يموت الا سعيداً وذلك لأن الغرض الاصلى من ايجاد البشر انما هو انصافه بالعلم اولاً ثم العمل ثانياً حتى امكن له الخروج عن اوصاف البهائم والتخلق باخلاق الله تعالى والا فلا يترتب على وجوده اثر كما لا يخفى.

الثانية: ان الانسان لا يمكن له الالتزام بالشرائع المقدسة والنواميس الالهية الأبعد كونه عالماً بصدقها وحقانيتها وانها انما جعلت من قبل الله تعالى لأجل وضوله و بلوغه الى الكمالات المترتبة منه.

واما اذالم يكن عالماً بها و بصدقها فلاجرم لا يتفجع بها حق الانتفاع بل يكون من اتباع كل ناهق يميل مع كل ربح و لا يستضيء بنور الهدى والايمان كما هو شأن الجهال في كل زمان.

الثالثة: ربما يظن ان السعادة في الدنيا انما هي في نيله الى المقام والثروة وكسب الشهرة والوصول الى المشتبهات النفسانية الحيوانية من المأكولات والمشروبات وامثال ذلك مما يتعلق بالغرائر والأمليس كذلك فان السعادة ليست للإنسان الا بالانصاف بالعلم و ما يتعبه من اوصاف الكمال فاشارة ﷺ

بقوله: في الجُملة الأولى الى ان العيش الواقعي والحياة الأبدى ليس إلا لاهل العلم والكمال والمتّصف بصفات الانسانية كما ان الموت الواقعي ليس الأليلجها والاراذل فكفى في ذم الانسان كونه ممّن يعيش جاهلاً هذافى الدنيا.

واما الآخرة فهي ايضا كذلك فان من مات و هو ضالّ عن دينه مات ميتة الجاهلية ومعلوم أن من افسد على نفسه عيش الدنيا والآخرة بمعناه الواقعي فقد ضلّ ضلالاً مُبيناً.

الرابعة: اشار عليه السلام بذلك الى أن المجالسة والمعاشرة مع هذه الأفراد صعبٌ عسيرٌ بالنسبة الى العالم لانهم لا يستفيدون منه ولا يستضيئون بنور علمه واذا كان الأمر على هذا المنوال فابن المفرله الأ ان يلتجى الى الله تعالى و هذا هو الفرار من الخلق الى الحق ولذلك تراه عليه السلام فى المقام التجاء اليه تعالى منهم وقال ما قال وقد اقتضى اثره فيه ابنة وقرّة عينه السبط الشهيد عليه السلام فى قوله فانى لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما صدق ولى الله . كيف والجهل داءٌ لا دواء له والغواية والضلالة بمتابعد الشيطان مَرَضٌ لا شفاء له و تفصيل الكلام فيه موكول الى محله.

□ قوله عليه السلام: لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلِيَّ حَقَّ تِلَاوَتِهِ...

و هذا وصف آخر للجُهاًل وحاصله ان الكتاب اعنى القرآن لا ينفعهم اذا تلى حق تلاوته لانهم ليسوا من اهله ولا من المتعظين بمواعظه لعدم استعدادهم و لياقتهم و استفاد منه امور.

احدها: انه عليه السلام عبّر فى المقام من عدم انتفاعهم بالكتاب بالسّعة و قال ليس منهم سلعة و هى يفتح السين و سكون اللّام الشّجة فى الرأس كائنة ما كانت يقال فى رأسه سلعتان اى شجتان والجمع منها سلعات و سلاع.

ثم قال عليه السلام (ابور) و هو فعل التفضيل من بار يبور بوراً اى هلك و عليه فالمعنى انه ليس فى نظر هذه الافراد من الناس جراحة اهلك و اشدّ من

الكتاب اذا تلى حق تلاوته.

وهذا التعبير منه ﷺ فى المقام من احسن التعبير و أدق الاستعارات و ذلك لانه ﷺ شبههم فى غوايتهم و ضلالتهم بمن شبح رأسه شجاً منكراً يخاف منه فكما ان هذا الشخص يتأذى من هذه الجراحة كذلك حال المنافق العنود بالنسبة الى آيات الكتاب حيث انه يرى الآيات على خلاف ما هو عليه فلا جرم يصير متأذياً منها.

وثانيها: ان السلعة البرص ايضا يقال رجل اسلع اي ابرص قال الشاعر:
هل تذكرون على ثنية اقرن أنس الفوارس يوم يهوى الأسلع
و كذا جاءت بمعنى آثار الناس بالجسد يقال رجل اسلع تصيبه النار
فيحترق فيرى أثرها فيه.

و ايضا السلعة ما تتجربه و ايضا العلق و ايضا المتاع و امثال ذلك من المعانى التى ذكروها فى كتب اللغة ولا يخفى ان لكل واحد منها وجه و جيه فى المقام.

و ثالثها: قوله ﷺ: ابور فان ما ذكره ﷺ اشارة الى كون هذه السلعة من المهلكات اذا كانت موصوفة بهذه الأوصاف و ذلك لأن تلاوة الكتاب على ما ينبغى تُشعر بكون من له السلعة فى طريق الهلاك و لذلك تراه متأثراً عبوساً اذا تليت عليه آياته فان الآيات تُهدده بعذاب النار و الكون فى جهنم كما هو ظاهر.

□ قوله ﷺ: و لا سلعة أنفق بيئاً و لا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حُرّف عن مواضعه...

ثم انه ﷺ بعد قال فى الجملة السابقة ما قال اردفها بقوله و لا سلعة انفق الخ. وهذه الجملة بمنزلة المفهوم للجملة الاولى و ذلك لأنه اذا لم يكن عند قوم سلعة ابور من الكتاب اذ تلى حق تلاوته فيفهم منه انه ليس عندهم شيء انفق و لا اغلى ثمناً من الكتاب اذا حُرّف عن مواضعه و لا يتلى حق تلاوته فان

تلاوة الكتاب على ما هي عليه اذا كانت بمنزلة السلعة اي الشجة في الرأس كما
مر فلاجرم عكسه اي عدم تلاوته على ما هي عليه يكون بضاعة و متاعاً حسناً
على زعمه لاستحالة ارتفاع النقيضين و لذلك تراه عليه السلام عبّر أولاً بالسلعة بفتح
السين و ثانياً بكسرهما فإن السلعة بالكسرهى البضاعة و توضيح الكلام
يستدعى التكلم فيه اجمالاً فنقول اعلم أن الناس بالنسبة الى الكتاب الألهى
على صنفين.

الصنف الاول - من كان موافقاً له معتقداً بأنه من قبل الله تعالى و أن كل
ما جاء به الكتاب حق لا ريب فيه والعمل به واجب على كل مكلف مؤمن به و
هذا الكلام لنا فيه خارج عن البحث فعلاً.

القسم الثانى: من كان موافقاً له ظاهراً مخالفاً له باطناً و نعبر عنه بالمنافق و
هذا هو المبحوث عنه فى المقام المشار اليه فى كلامه عليه السلام و حيث أن الآيات
الواردة فى المنافقين المعاندين توبخهم و تُوعدهم بالدرك الأسفل من النار
والآيات الواردة فى الأحكام و لاسيما المُتشابهات منها لا يمكن لهم العلم بها
والأحاطة بكنهها فلاجرم يأولونها و يُحرفونها عن مواضعها حتى امكن لهم
انطباقها على آرائهم الفاسدة و عقائدهم الكاسدة واستنباطاتهم الباطلة كأنهم لم
يسمعو كلام الله حيث يقول ولا يعلم تأويله إلا الله والرأسخون فى العلم الآية.
و قال النبى صلى عليه و آله و سلم من فسّر القرآن برأيه فليتبوء مقعده
من النار.

و امثال ذلك من الآيات والروايات الدالات على عدم جواز التفسير
بالآراء.

و كيف كان فلاشك فى ان الآيات القرآنية المنزلة على النبى صلى الله عليه
و آله و سلم لكل آية منها ظهراً و بطناً و تفسيراً و تأويلاً بل لكل واحدة منها
كما يظهر من الاخبار المستفيضة سبعة بطون أو سبعون.

روى العياشى و غيره عن جابر قال سئلت ابا جعفر عليه السلام عن شىء من

تفسير القرآن فأجابني ثم سئلت ثانية فاجابني بجواب اخر فقلت جعلت فداك قد احببت في هذه المسئلة بجواب غير هذا قبل اليوم فقال لي يا جابر ان للقرآن بطناً ولبطن بطناً وظهرأ و للظهر ظهرأ...

يا جابر ليس شيء ابعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية لتكون اولها في شيء و آخرها في شيء و هو كلام متصل يتصرف على وجوه انتهى...«مقدمه تفسير البرهان ص ٣»...

وهذا معلوم لا كلام لنافيه الآن بعض الناس من صدرالاسلام الى زماننا هذا اعرضوا في تفسير بعض الآيات الواردة على خلاف مقاصدهم على ما هو عليه و لم يأخذوا تفسيرها عن اهلها اعنى اهل البيت عليهم السلام و قد امرنا الله تعالى بالأخذ منهم فرجعوا في تفسيرها الى من ليس له اهل و هم بين عالم عامد و جاهل غير عامد فالعلماء منهم تركوا اهل البيت و الأخذ منهم لأجل الدنيا والوصول الى زخارفها بتقريبهم الى سلاطين الزمان وخلفاء الجور والعدوان مع علمهم بأن الله و رسوله قدنها هم عن هذه الزوية الرديية إلا أن حب الدنيا يعمى ويصم فتراهم يفسرون الآيات على خلاف الواقع و يراعون فيه اميال الخلفاء والحكام والسلاطين في كل زمان فكان الآيات نزلت لأصلاح مقاصدهم و مثالبهم و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

و من هذا القبيل قولهم في تفسير قوله تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم الآية فقالوا أن المراد باولى الأمر كل من كان ولى أمر المسلمين في كل عهد و زمان فقد وجبت طاعته بدليل هذه الآية مع أن المراد باولى الأمر هو الأئمة المعصومين عليهم السلام على ما وردت به الاخبار والآثار.

فعلى ما يقولون تجب الإطاعة لجميع الخلفاء من البدو الى الختم. فمعاوية ابن ابى سفيان و ابنه يزيد و عبدالملك و ابنائه و اولاده و خلفاء العباسيين و كذلك الى زماننا هذا كلهم من مصاديق الآية و هل يصدقه عاقل فضلاً عن عالم و كيف يأمر الله تبارك و تعالى عباده باطاعتهم و الانقياد

لهم مع أنهم من الظالمين والظالم ملعونٌ على لسان الله وألسنة انبيائه، قال
الله تعالى: الألعنة الله على الظالمين ونظائره كثيرة.

فلو كان الامر كما ذكروه لزم كذب الكتاب وكذب الأنبياء وهو كما ترى.

ومن ذلك ما ذكروه فى تفسير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَ
يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)

فترىهم تارة يقولون فى تفاسيرهم: ان المراد باهل البيت فى الاية زوجات
النبي. وتارة يقولون بان المراد به اقاربه وتارة الأقارب والأزواج وامثال ذلك
من الاقارب الموهومة مع علمهم بان زوجات النبي لم تكونوا مطهرات و من
اقاربه ابى لهب بل هو اقرب الناس اليه عليه السلام وهو من اعدى عدوه.

وهكذا فى آية المباهلة وسائر الايات التى لم نذكرها مخافة التّطويل
والآيات التى وردت فى الاعتقادات من قبيل: الرحمن على العرش استوى. و
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٢) وهكذا.

والتي وردت فى الاحكام كالأيات الواردة فى احكام الوضوء والصوم
والأرث وغيرها مما لسا فعلا بصدداستقصائها.

والذى يسهل الختم هو أنهم قالوا فى الآيات ما قالوا وحرّفوها عن مواضعها
حُبًّا منهم لهذه الدنيا الدنية وارضاء لغرائزهم الحيوانية بحبهم وعلاقتهم الى
الحكام والخلفاء وما بأيديهم من الاموال والمناصب الاجتماعيه ليعلمهم بانهم
لو لم يتمشوا بهذا المشى لم يكن لهم نصيباً مما هو منتهى آمالهم ومقاصدهم قل
كل يعمل على شاكلته.

وإذا كان مشى العلماء فى كل زمان على هذا المنوال فما ظنك بالجهال
الذينهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً فان العوام لارأى لهم الا رأى العلماء
والحكام قال رسول الله عليه السلام فى مارواه الفريقين.

صنفان من أمّتى اذا صلحاصلحت أمّتى واذا فسدافسدت أمّتى قيل: ومن

هم يارسول الله؟ قال: الفقهاء والأمرء، انتهى...

فاذا كان العالم خائناً في دينه وعلمه وافتنى الناس بمقتضى هواه والحاكم جائر في حكمه فعلى الاسلام السلام. كما قال رسول الله ﷺ: سيأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من الكتاب الا رسمه الحديث. وقد اشتهر بين المورخين والمحدثين ان معاوية بن ابي سفيان نهى ابن عباس عن تفسير القرآن وتأويلها على طريق اهل البيت وقال له سل عن غير اهل بيتك. فقال له ابن عباس: انه منزل علينا افسئل غيرنا اتنهينا ان نعبدا الله تعالى فاذا تهلك الامّة.

كيف لا، وهو الذي اعطى سمرة ابن جندب اربعمائة الف درهم حتى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في تفسير ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (١)

ان المراد به هو عبدالرحمن ابن ملجم المرادي قاتل علي ابن ابي طالب مع ان الآيه باجماع اكثر المفسرين لولاكلهم في شأن علي ليلة المبيت و نظائره كثيرة جداً و هذه السيرة المنحوسة المرذودة استمرت من صدرالاسلام في الامّة المرخومة الى زماننا هذا فترى بعض المتلبسين بلباس العلم والمتحليين بهم قد عرضوا عن الله ورسوله فيفسرون الكتاب ويؤلونه على مقتضى هواجسهم الشيطانية ودواعيهم الكاذبة فيقولون على الله كذباً ان حلال محمد حلال الى يوم القيمة و حرامه كذاك ومنطقهم الردي في هذه الوسوس هو انطباق الاسلام على مقتضيات الزمان فاصبح الاسلام والكتاب في هذا الزمان غريباً كما بدء غريباً والله تعالى لبالمرصاد

□ قوله ﷺ: وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكُرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفٌ مِنَ الْمُنْكَرِ...

و هذا الكلام منه ﷺ بمنزلة النتيجة لما تقدم والمقصود ان من حرف القرآن عن موضعه وقال فيه من عند نفسه لجهله ونفاقه وكفره وعناده فقد بعد عن

الحقَّ وقرب إلى الباطل ومن كان كذلك فليس شئىء عنده انكر من المعروف ولا عرف من المنكر ضرورة انه لا يرى الحق الامانعا عن بلوغه الى ما حبه من المشتبهات النفسانية ولا يرى الباطل الاقرباً بمقاصد و مرامه.

والسرفيه هو ان المعروف لا يطلبه ولا يحبه الامن كان اهله كما ان المنكر ايضاً لا ينكره الا غير اهله فمن كان من ابناء المعروف لا يطلب المنكر ومن كان من ابناء المنكر لا يتبع المعروف هذا وقد امرنا الله تعالى جميعاً باتباع المعروف والاعراض عن المنكر قال تعالى فى كتابه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١)

وحيث انجز الكلام الى هنا فلا بأس بصرف الكلام الى البحث فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على سبيل الاجمال فنقول: قال النراقى (قده) فى جامع السادات، مقتضى الآيات، والاحبار المذكورة وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولاخلاف فيه انما الخلاف فى كون وجوبهما كفايئاً او عينياً والحق الاول كما يأتى ثم قال بعد القول بعدم وجوبهما فى المندوبات والمكروهات وانما يجب بشروط اربعة.

الاول: العلم بكونهما معروفاً و منكر اليامن من الغلط فلا يجبان فى المتشابه.

الثانى: تجويز التأثير فلو علم او غلب على ظنه انه لا يؤثر فيه لم يجب لعدم الفائدة.

الثالث: القدرة و التمكن منه وعدم تضمته مفسدة فلو ظن توجه الضرر اليه او الى احد من المسلمين بسببه سقط اذ لا ضرر و لا ضرار فى الدين الرابع: ان يكون المأمور او المنهى مصراً على الاستمرار فلو ظهر منهما امارة الأفلاع سقط للزوم العبث.

ثم استدلل (قده) على اشتراط الثلاثة بما روى عن مولانا الصادق عليه السلام

حيث سئل عنه ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الامة جميعا؟ قال: (لا) فقليل له: ولم قال انما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر لا على الضعيف الذي لا يهتدى سبيلا الى اي من اي يقول من الحق الى الباطل والدليل على ذلك كتاب الله عزوجل حيث قال. ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١)

فهذا خاص غير عام. ثم انه (قده) قد فصل البحث فيهما وما يتبعهما بما لا حاجة لنا في ذكره ولعلنا نبحت فيه في المستقبل انشاء الله تعالى.

والذي يهمننا البحث فيه في المقام بعد كونهما من الواجبات - الشرعية كتاباً وسنة عقلاً ونقلاً باجماع الفريقين هو انه ما المراد من قوله عليه السلام: ولا عند هم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر، وهل يمكن لأحد انكار المعروف وعدم معرفة المنكر مع ان المعروف والمنكر مما يعرفه الناس جلهم لولا كلهم. اعلم: ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما قالوا في كتب الاخلاق مراتب.

الاولى: الانكار بالقلب بان يغيضه على ارتكاب المعصية و هذا مشروط بعلم الناهي واصرار المنهي.

الثانية: التعريف بان يعرف المنكر بانه معصية.

الثالثة: اظهار الكراهة والأعراض والمهاجرة.

الرابعة: الانكار باللسان بالوعظ والنصح والتخويف والزجر مرتباً الأيسر فالأيسر.

الخامسة: المنع بالقهر مباشرة ككسر آلات اللهو و اراقة الخمر وامثال ذلك.

السادسة: التهديد والتخويف كقوله مثلاً دَع عَنْكَ هَذَاوَا لَا ضَرْبُكَ.

السابعة: مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك.

الثامنة: الجرح بشهر بعض الأسلحة وجَوَّزه المرتضى (قده) والباقون اشترطوا اذن الأمام فيه.

إذا عرفت ذلك فقد علمت أنّ مراده عليه اللام من هذا الكلام هي المعاني الأربعة من الثمانية فإنّ المؤمن إذا رأى المنكر يجب عليه ردّعه ومنعه ولا أقلّ من بغضه له وحبّه المعروف فإنّه أقلّ مؤنّة من غيره فاذا فرضنا حبّه للمنكر و بغضه للمعروف فكيف يكون مسلماً فضلاً عن كونه مؤمناً ولا غروفيه، فإنّ كثيراً من الافراد في زماننا هذا من هذا القبيل حتّى بالنسبة الى الصّروريات كالصلوة والصوم والحجّ وغيرها فكثيراً من ابناء الزمان ترايهم مستهزئين للصائمين والمصلّين والحاجّ والمُعتمر وامثالهم من المؤمنين والله يستهزء بهم و يمدّهم في طغيانهم يعمهون.

فقد اصبحنا في زمان صار الزنا واللواط معروفاً عند هم والنكاح ولاسيما المتعة منه منكراً.

وكذا الكذب والظلم والغصب والخيانة واكل مال الغير ظلماً يعدّ معروفاً والصدق والعدل والحياء منكراً، وهكذا سائر القبائح اعادنا الله من آفات هذا الزمان.

وسياتى الكلام منافي هذا الموضوع مفصلاً انشاء الله تعالى ولنختم الكلام بذكر حديث رواه الغزالي في الاحياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. روى ابواسامة الباهلي عن النبي ﷺ انه قال كيف انتم اذا طغى نساءكم وفسق شبانكم وتركتكم جهادكم، قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ نعم.

والذي نفسى بيده واشدّ منه سيكون قالوا و ما اشدّ منه يا رسول الله؟ قال: عليه السلام: كيف انتم اذا لم تأمروا بمعروفٍ ولم تنهوا عن منكرٍ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم. والذي نفسى بيده و اشدّ منه سيكون قالوا: و ما اشدّ منه، قال ﷺ كيف انتم اذا رأيتم المعروف منكراً و رأيتم المنكر معروفاً؟

قالوا: أوكائن ذلك يا رسول الله قال: نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون
قالوا وما شد منه يا رسول الله قال ﷺ كيف انتم اذا امرتم بالمنكر و نهيتم عن
المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله، قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه
سيكون ويقول الله تعالى بي حلفت لا يتحنن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران،
انتهى.

وقال ﷺ لا يعذب الله الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين
أظهرهم قادرؤن على ان ينكروه فلا ينكروه انتهى احياء العلوم باب
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﴾ (١٨)

فِي ذَمِّ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْفِتْيَا

□ قوله ﷺ: تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ. ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْأَمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً وَإِلَهُهُمْ وَاحِداً، وَنَبِيِّهُمْ وَاحِداً فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَاماً فَقَصَرَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَقَالَ فِيهِ تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ. فَقَالَ سُبْحَانَهُ: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَاتَفَنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقُضَى غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ، انتهى...

◁ اللغة

(الفتيا)، كالفَتوى بضم الفاء وفتحها ما فتى به الفقيه. (التبيان) بكسر التاء وقد تفتح من المصادر الشاذة إذ المصادر على وزن التفعال لم تجى إلا بالفتح كالتركار والتذكار كذا قيل ومعناه الكشف والأيضاح. (الأنيق) كأمر الحسن

◀ المعنى

(تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمْ) أى القضاة، (الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ) الشرعية (فيحكم) أى القاضى، (فيها)، أى فى الْقَضِيَّةِ (بِرَأْيِهِ) واجتهاده، (ثم) بعد ذلك (تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنَيْهَا عَلَى غَيْرِهِ) أى على غير القاضى الاول، (فيحكم) أى الثانى، (فيها)، أى فى تلك القضية، (بِخِلَافِ قَوْلِهِ) أى بخلاف قول الاول. (ثم) بعد ذلك (يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ عِنْدَ الْأَمَامِ الَّذِي) عَيْنَهُمُ لِلْقَضَاةِ، و الفتوى، (فِيصُوبِ) أى الامام، (آرَائِهِمْ)، أى آراء القضاة (جميعاً) مع ان إله القضاة و من عَيْنَهُمُ لِلْحُكْمِ و كذانبيهم و كتابهم و دينهم (واحد) فكيف تكون الآراء المختلفة كلها صحيحة، ثم شرع ﷺ فى بيان الوجوه المختلفة لهذا (الاختلاف) فقال على سبيل الاستفهام الانكارى. (أَفَأَمْرُهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ) و من المعلوم انه لم يأمرهم به. (أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ)، أى ام نهى الله عن الاختلاف فعصوه واختلفوا، (أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ)، و معلوم انه ليس كذلك (أَمْ كَانُوا) أى القضاة شركاء له، أى لله، (فَلَهُمْ) أى للقضاة (أَنْ يَقُولُوا) ما شاؤوا و (عَلَيْهِ)، أى على الله ان (يَرْضَى) بما يقولون به، (أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ)، و معلوم انه ليس كذلك. ثم انه ذكر ان الكتاب متضمن للاحكام كلها وانه يصدق بعضه بعضاً وانه لا اختلاف فيه والمقصود من هذه الكلمات الإشارة الى ان الاختلافات الواقعة فى الفتاوى تستند الى العلماء لالى الكتاب. واما قوله ﷺ: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنْيَقُ الْخَبَرِ). فهو اشارة الى عظمة الكتاب وعدم امكان الوصول الى قعره بالنسبة الى غير الراسخين فى العلم فكأنه عليه السلام اشار بقوله هذا الى ان منشاء هذه الاختلافات انما هو تفسيرهم الكتاب بأرائهم الفاسدة واعراضهم عن اهل بيت النبوة كما سيتضح لك ان شاء الله فى الشرح.

□ قوله ﷺ: تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ. ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ...

اشارَ عليه السَّلَامُ في هذا لكلامِ الي انه كيف يمكن الاختلاف في الحكم في قضيَّةٍ واحدةٍ بالنسبة الي شخصين من القضاة فكانه ﷺ قد تعجَّب منه ولذلك ارَدَفَ كلامه هذا بقوله:

ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْأَمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَبُصُوبَ آرَائِهِمْ جَمِيعاً.

وجه الاستبعاد فيه ظاهر اذ كيف يمكن القول بصحَّة الحُكْمين المختلفين في موضع واحدٍ والمفروض صحَّتُهُما معاً وهو من قبيل اجتماع النقيضين الذي اجمَعُوا على استحالة عقلاً.

فإن القاضى اذا حكم بحرمة شىءٍ والاخر حَكَمَ بعدم حرمة ذلك - الشىء بعينه يوجب حرمة وعدم حرمة واقعا وهو محال فإن الحكم في الواقع لا يخلو من الحرمة وعدمها فالقول بجمعهما معاً ظاهر الاستحالة هذا بالنسبة الي الواقع واما في الحكم الظاهري فلا استحالة فيه وكلامه عليه السَّلَامُ ناظر الي الواقع فقط بناء على ما ذهب اليه العامه في الاجتهاد من ان كل مجتهد مُصيب. واما على مسلك الشيعة من القول بالتخطفة فالامر سهل كما هو ظاهرٌ وحيث ان الشراح قد اطبَنُوا الكلام في شرح كلامه ﷺ هذا من جهة انه مشعر بعدم جواز الاجتهاد في الاحكام ظاهراً ولاشك ان الاجتهاد في الاحكام ممّالاً محيِصٌ عنه سيما على مذهب الشيعة فلا جرم وقَعُوا في حَيْصٍ وَبَيْصٍ و نحن ايضا تابعناهم عليه على طريق الاجمال فنقول:

الاجتهاد - في اللّغة تَجَمُّلُ الْمَشَقَّةِ وَفِي الاصطلاح له تعريفان:

احدهما: استفراغ الفقيه الوُسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعى فهذا

التعريف ينظر الي اطلاقه على الحال.

وثانيهما: تعريفه بأنه ملكة يقتدر بها على استنباط الحكم الشرعي الفرعي من الأصل فعلاً أو قوة قريبة والمراد باستفراغ الوُسع هو بذل تمام الطاقة بحيث يحس عن نفسه العجز عن المزيد عليه كذا قال في القوانين ثم أنه (قدّه) بعد ذكره ما ذكرناه شرع في البحث عنه من حيث أنّ هذا التعريف مستلزم للدور أو أنه من جهة الاطراد وعدمه أو الأنعكاس وعدمه فيه ما لا يخفى فحقق الكلام فيه حقّ التحقيق بما لا مزيد عليه ولا يهمنّا البحث فيه لعدم كون الكتاب موضوعاً للأبحاث الاصولية.

اذا عرفت الاجتهاد ومعناه المراد في الشريعة فلا بدّ لك من العلم بأنّ الأحكام على قسمين: عقلي وشرعي.

أما العقلية: كتوحيد الله وصفاته وفعاله ونبوة النبي ووصاية الوصي وسائر ما يتعلّق بها فلا مجال للأجتهاد بمعنى المصطلح فيها وان كانت تحت الاجتهاد بمعناه اللغوي وهو تحمّل المشقة ولاجل هذا اجمعوا على أنّ التقليد في العقليات والأعتقادات باطل بل يجب على كلّ مكلف الاجتهاد فيها بحسب وسعه وقدرته حتى يقطع ولهذا لا يجوز التقليد فيها لأحد من المكلفين وهذا ممّا لا كلام فيه.

وأما الاحكام الشرعية: الفرعية فقد قسّمها بعضهم الى اقسام ثلاثة:

أحدها: الفرعيّات التي استقلّ العقل بحكمها نظير حكم العقل بقبح الظلم وحسن العدل وهذه تُسمّى بالمستقلّات العقلية.

ثانيها: الفرعيّات العلمية التي قام الدليل القطعي عليها كالضرووريات من العبادات والمعاملات.

وثالثها: الفرعيّات التي لم يستقلّ العقل بحكمها ولم يقم عليها دليل قطعي وهذه هي محلّ الكلام بين الخاصّة والعامة فذهب اصحابنا الى أنّ لله سبحانه في كلّ واقعة حكماً معيناً والمُصيب واحد والمخطئ معذور.

وذهب جمهور المخالفين الى أنّه لا حكم له بل حكمه تابع لظنّ المُجتهد و

ظَنُّ كُلِّ مُجْتَهِدٍ فَهُوَ حُكْمُ اللَّهِ فِي حَقِّهِ وَحَقُّ مَقْلَدِهِ وَكُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ لِحُكْمِ اللَّهِ غَيْرَ آثِمٍ.

ثُمَّ إِنَّ الشَّارِحَ الخَوَئِي (قَدَهُ) بَعْدَ نَقْلِهِ فِي شَرْحِ الأَقْسَامِ الأَرْبَعَةِ المَذْكُورَةِ قَالَ وَتَصْوِيرِ الأَصَابَةِ فِيهَا بِوَجْهِهِ.

أَحَدُهَا: أَنَّ الحُكْمَ تَابِعٌ لِلْحُسْنِ وَالقَبِيحِ وَأَنْهُمَا يَخْتَلِفَانِ بِالْوَجْهِهِ وَالأَعْتِبَارَاتِ فَحُدُوثُ العِلْمِ وَالجَهْلِ لِلصِّفَةِ وَالصِّفَةُ يَتَّبَعُهَا الحُكْمُ فَرَأَى المُجْتَهِدُ مُجْدِثٌ لِلحُكْمِ وَيَكُونُ الأَحْكَامُ مُتَعَلِّقَةً عَلَى آرَائِهِمْ.

وِثَانِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَى أَوْجَدَ أَحْكَاماً مَقْصُودَةً بِالأَصَالَةِ وَيُطَابِقُهَا آراءُ المُجْتَهِدِينَ قَهْرًا عَلَيْهَا.

وِثَالِثُهَا: أَنَّهُ أَوْجَدَ أَحْكَاماً واقِعِيَّةً وَيُطَابِقُهَا آراءُ المُجْتَهِدِينَ مِنْ بَابِ الأَتْفَاقِ لِامْحَالَةِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى لِمَا عِلِمَ أَنَّ الآراءَ يَتَعَلَّقُ بِالأَحْكَامِ المَخْصُوصَةِ فَجَعَلَ لِأَجْلِ عِلْمِهِ بِذَلِكَ أَحْكَاماً فِيُطَابِقُهَا وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ أَحْكَاماً مُخْتَلِفَةً فِي الوَاقِعِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ آراءِ المُجْتَهِدِينَ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ مِنْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَدَى التَّشْبِثِ بِالأَمَارَةِ يُودِعُ ظَنَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى أَنَّهُ رِيَّماً يَكُونُ فِي حَقِّ شَخْصٍ وَاحِدٍ أَحْكَاماً مُخْتَلِفَةً بِحَسَبِ الوَاقِعِ بِاخْتِلَافِ الأَمَارَاتِ المُتَعَدِّدَةِ فِي الأَزْمَنِ المُتَدَرِّجَةِ فَضْلاً عَنِ اخْتِلَافِ الوَاقِعِيَّاتِ فِي حَقِّ الأَشْخَاصِ وَبِجَمْعِهِ وَسَابِقُهُ انْتِفَاءُ الحُكْمِ الوَاقِعِيِّ المُشْتَرَكِ فِيهِ الكُلِّ وَإِنْ كَانَ فِي الوَجْهِ الأَوَّلِ بَانْتِفَاءُ المُقَيَّدِ وَفِي الثَّلَاثَةِ الأَخِيرَةِ بَانْتِفَاءُ القَيْدِ ثُمَّ قَالَ (قَدَهُ) وَكَيْفَ كَانَ فَالتَّصْوِيبُ بِجَمِيعِ تَصْوِيرَاتِهِ بَاطِلٌ عِنْدَ اصْحَابِنا نُورَ اللَّهِ مُضَاجِعَهُمْ وَقَدِ اقَامُوا عَلَى بَطْلَانِهِ الأَدْلَةَ القَاطِعَةَ وَالبَراهِينَ السَّاطِعَةَ فِي كِتَابِهِمُ الأَصُولِيَّةِ وَدَلَّتْ نُصُوصُهُمُ المَتَوَاتِرَةَ عَنِ ائْتِمَانِهِمْ سَلامَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ اجْمَعِينَ عَلَى أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فِي الوَاقِعِ وَاحِدٌ بِحَسَبِ الوَاقِعِ وَأَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ واقِعَةٍ حُكْمًا مُخْزِوناً عِنْدَ أَهْلِ أَصَابِهِ مَنْ أَصَابَهُ وَاخْطَأَ مِنْ اخْطَآءِهِ وَمِنْ جَمَلَةِ تِلْكَ النُّصُوصِ كَلَامُهُ ﷺ

الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ شَرْحِهِ انْشَاءَ اللَّهِ جَسَمًا تَعْرِفُهُ، انْتَهَى مَوْضِعَ الْحَاجَةِ مِنْهُ. وَاَنْتَ اِذَا تَأَمَّلْتَ فِي كَلَامِهِ (قَدَّه) تَجَدُّهُ يَدُورُ مَدَارَ التَّصْوِيبِ، وَعَدَمِهِ وَاَنَّ كَلَامَ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام نَاطَرَ إِلَى رَدِّ الْقَائِلِينَ بِالتَّصْوِيبِ وَاَنَّ الْحَقَّ مَعَ الْأَمَامِيَّةِ لِقَوْلِهِمْ بِالتَّخَطُّةِ.

وَاَنَا قَوْلُ: أَمَامِ سِئَلَةِ الاجْتِهَادِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفِرْعَوِيَّةِ، عَنِ ادِّعَائِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ فَلَا كَلَامَ لَنَا وَلَهُمْ فِي صَحَّةِ الاجْتِهَادِ الْأَنَا نَقُولُ فِيهَا بِالتَّخَطُّةِ وَهُمْ يَقُولُونَ بِالتَّصْوِيبِ بِالتَّفْصِيلِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ وَايضًا الْقِيَاسَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ أَحَدَ أَرْكَانِ الاجْتِهَادِ بَلْ رَأَيْسُهَا بِخِلَافِ أَصْحَابِنَا رَضَ حَيْثُ أَنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى بَطْلَانِ الْقِيَاسِ كَمَا ثَبَّتَ وَتَقَرَّرَ فِي مَحَلِّهِ كَمَا قِيلَ: وَلَيْسَ مِنْ مَذْهَبِنَا الْمَقْيَسُ إِنَّ الْقِيَاسَ كَانَ مِنْ أِبْلِيسَ وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ كَلَامَهُ عليه السلام هَذَا نَاطَرَ إِلَى هَذَا لِبَحْثِ اعْنَى اثْبَاتِ التَّخَطُّةِ وَابْطَالِ التَّصْوِيبِ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَدْفِيهِ مِنَ التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ بَلْ لِلنَّظَرِ فِيهِ مَجَالٌ وَاسِعٌ لَوْجُوهٌ.

أَمَّا أَوْلَا: فَلَأَنَّ الْقَوْلَ بِالتَّصْوِيبِ وَالتَّخَطُّةِ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِي صَدْرِ الْأِسْلَامِ حَتَّى قِيلَ أَنَّهُ عليه السلام قَالَ فِي رَدِّهِ مَا قَالَ بَلْ هُوَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُسْتَحْدِثَةِ لِلأَشَاعِرَةِ وَالمُعْتَزَلَةِ فِي عَصْرِ الصَّادِقِينَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَبَعْدَهُمَا وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْقِيَاسِ فَإِنَّهُ مِنْ إِخْتِرَاعَاتِ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَأَمَّا قَبْلَهُ فَلَمْ نَسْمَعْ الْقَوْلَ بِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ كَانُوا يَأْخُذُونَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ اجْتِهَادٌ بِالمَعْنَى الْمَصْطَلَحِ الَّذِي يَكُونُ الْقِيَاسُ أَحَدَ أَرْكَانِهِ فَلَمَّا وَصَلَتِ النَّوْبَةُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ اجْتَهَدَا فِي الْأَحْكَامِ وَلِضَعْفِ إِحْاطَتِهِمَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَخَذَا بِالْقِيَاسِ وَجَعَلُوهُ مِنَ الْأَرْكَانِ فِي الاجْتِهَادِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ لِمَنْ مَارَسَ خِلَالَ هَذِهِ الدِّيَارِ وَعَلَيْهِ فَكَيْفَ يُمْكِنُ حَمْلُ كَلَامِهِ عليه السلام عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُوجَدْ فِي زَمَانِهِ وَهَذَا مِنْ الْغَرَائِبِ. وَثَانِيًا: أَنَّهُ عليه السلام قَالَ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرُوهُ لَوَجَبَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَقُولَ بِاجْتِهَادِهِ، وَمَنْ المَعْلُومُ أَنَّ الْحَكْمَ بِالرَّأْيِ أَعْمٌ مِنْ أَنْ

يكون على طريق الأجتهد أو من تلقاء نفسه بل المعنى الثاني اشبه من الاول وذلك لأن القضاة المنصوبة من قبل الخلفاء في صدر الاسلام لم يكن لاكثرهم لولاكلهم نصيب من الفضل فضلاً عن الاجتهاد والاستنباط والقول بالتصويب وعدم التصويب من فروع الاجتهاد، والاستنباط وحيث ليس فليس.

وثالثاً: لا كلام لنا ولهم في كون السنة من اركان الاجتهاد اما على مذهبنا فمعلوم واما على مسلك العامة فلقولهم بحجية القياس لولا النص و من النص السنة فلو كان عليه السلام بضدد ردالمجتهدين المصويين لكان واجبا عليه ان يذكر السنة كما ذكر الكتاب ضرورة عدم تحقق الاجتهاد بالتمسك بالكتاب فقط سواء قلنا بالتصويب فيه ام لا وهذا ظاهر فكلامه عليه السلام بمعزله عن الاجتهاد وهو المطلوب. والذي يختلج بالبال في حل الاشكال امور.

احدها: ان الخلافة الاسلامية بعد موت النبي عليه السلام قد انتقلت الى من لم يكن له اهلية بها كما هو ظاهر فاؤلهم ابوبكر، ثم عمر ثم عثمان ومن المعلوم ان الخليفة والامام اذالم يكن لائقا صالحا عالما بما يحتاج الناس اليه فكذلك حال امرائه و حكامه وقضاته المنصوبة من قبله ولاشك ان اهمية القضاة اكثر من غيرهم ممن لهم منصب التصدي لأمر المسلمين ولذلك اختصهم بالذكر دون غيرهم فان القاضي لا يتبدل من ان يحكم في الناس بما حكم الله ورسوله به فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأخذ حق المظلوم من الظالم وامثال ذلك من الأمور وحيث ان القضاة في صدر الاسلام لم يكونوا واجدين لشرائط القضاة والفتوى ولم يكن لهم حظ من الكتاب والسنة ومع ذلك كانوا متصدين لمنصب القضاء والحكم بين الناس فقال عليه السلام ما قال في هذا الكلام دفعا لهم وقد حاع عليهم مشعرا بانهم كانوا من الجاهلين بالأحكام وماخذها وان كل ما تفوهوا به انما هو حكمهم ورأيهم لاحكم الله ورأيه.

ثم انه تعجب من امامهم الذي استقضاهم في تصويبه الآراء جميعاً مع ان الأمر في الواقع على خلافه فاذا كان الامام جاهلاً فما ظنك بقضاته.

وثانيها: ان الكتاب اعنى القرآن الكريم لاشك في كونه حاوياً متضمناً للأحكام والأخلاقيات والأعتقادات وغيرها من الامور حتى الأرض في الخدش لقوله تعالى: لارطب ولا يابس الا في كتاب مبين. و «مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (١)

وامثال ذلك من الآيات وهذا ممّا لا كلام فيه انما الكلام في استنباط هذه الامور و استنتاجها منه وانه اى شخص من الاشخاص يقدر على ذلك فنحن نقول ائمة المعصومين لقوله تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» (٢)

وان المراد بالراسخين الائمة الاثني عشر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و المخالف يقول كل من كان عارفاً بلغة العرب فهو من الراسخين. فيمكن ان يكون كلامه عليه السلام هذا على ردهم وانهم ليسوا من اهل القرآن و الا لما اختلفوا في استظهاراتهم فاختلفهم فيها دليل على عدم وصولهم وبلوغهم الى المقصد.

الاطرى ان استظهارات النبي والأوصياء لا اختلاف فيها وما قال الرسول في تفسير الآية و تأويلها هو الذى قاله امير المؤمنين والائمة بعده بلا تفاوت فيه فما ذهبوا اليه تبعاً لأمامهم حيث قال حسبنا كتاب الله باطل عاقل وانما هو كلمة حق يراد بها الباطل، فان كتاب الله يحتاج الى مفسر و مبين من عند الله وهو لا يكون الا اهل البيت فانهم ادرى بما فى البيت.

وثالثها: ان يكون الغرض من هذا الكلام ارشاد الناس الى اهل البيت فى الأحكام واجتنابهم عن الرأى فى الاحكام والقضاة فى الامور وذلك لأن ادخال الآراء والأهواء والأميال والهواجس الشيطانية فى دين الله قبيح جداً و موجب للدخول فى الهلكات والدركات الأسفل من النار و قضاتهم حيث كانوا كذلك فقال عليه السلام فيهم ما قال.

ورابعها: أنه على فرض التسليم بأن هذا الكلام خَرَجَ مَخْرَجَ الْقَدْحِ عَلَى الْمُجْتَهِدِينَ فِي اجْتِهَادَاتِهِمْ فَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى ذَمِّ الاجْتِهَادِ مُطْلَقاً سِوَاءَ قَلْنَا بِالتَّخَطُّئِ امِ التَّصْوِيبِ بَلْ كَلَامُهُ ﷺ نَاطِرٌ إِلَى الْقَائِلِينَ بِالتَّصْوِيبِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ وَالْهَيْهَاتُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيَّهُمْ وَاحِدٌ إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ فَكَيْفَ يُعْقَلُ أَنَّهُ لَا حُكْمَ مَعَيَّنَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْوَاقِعِ بَلْ حُكْمُهُ تَابِعٌ لظَّنِّ الْمُجْتَهِدِ وَأَنَّ الْحُكْمَ تَابِعٌ لِلْحُسْنِ وَالْقَبْحِ وَأَنْهُمَا يَخْتَلِفَانِ بِالْوُجُوهِ وَالْأَعْتَابَاتِ أَوْ أَنَّهُ تَعَالَى أَوْ جَدَّ أَحْكَاماً مَقْصُودَةً بِالأَصَالَةِ وَيَطَابِقُهَا آرَاءُ الْمُجْتَهِدِينَ وَغَيْرِذَلِكَ مِمَّا تَفَوَّهُوا بِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ كَلَامَهُ صَرِيحٌ فِي أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى حُكْمٌ وَاقِعٌ نَفْسِ الأَمْرِ لِاخْتِلَافِ فِيهِ وَ لَا يُمْكِنُ الْإِنْقِلَابُ وَ التَّغْيِيرُ فِي حُكْمِهِ وَأَمَّا الْمُجْتَهِدُ مَعْدُورٌ فِي الأَصَابَةِ وَ عَدَمِهَا هَذَاوَالأُولَى.

و ثانياً نقول على فرض شمول القدح لمطلق الاجتهاد ايضاً لا بأس به و ذلك لأن الأجتهد في زمان حضور الامام لا معنى له و إنما هو في زمان الغيبة فقدحه ﷺ لمن قال بالأجتهد في زمانه و زمان سائر الأئمة في محله. و من المعلوم أن الشيعة في حضور الامام لم يقل بجوازه لانفتاح باب العلم و عدم انسداده.

وأمّا العامة فلعلهم كانوا يقولون به كما ورد في كلماتهم القول باجتهد ابي بكر و عمر و عثمان و معاوية و امثالهم فقوله ﷺ لَنَا وَ عَلَيْهِمْ قَدَمُ الاجْتِهَادِ فِي كَلَامِهِ ﷺ نَاطِرٌ إِلَى زَمَانِ حَيَاتِهِ لِامْتِلَاقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ تَعَالَى وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الأُمُورِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ أَلَاءِ مَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً...

هذا الكلام منه ﷺ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّعَجُّبِ وَ حَاصِلُهُ أَنَّ الْقَضِيَّةَ الرَّاحِدَةَ فِي حُكْمِ مِنَ الأَحْكَامِ كَيْفَ صَارَتْ مَنشَأً لِحُكْمِينَ مُخْتَلِفِينَ فِي صُورَةِ تَعَدُّدِ الْقَضَاءِ وَ اعْجَبَ مِنْهُ أَنَّهُ كَيْفَ يُصَوِّبُ الأَمَامَ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ آرَائِهِمُ المَخْتَلِفَةَ

مع أن اختلاف الحكم في الصورة المفروضة ممّا لا شك فيه فتصويب الأمام له يدل على جهله وأنه لا يليق بان يكون اماماً و حيث ان القضايا الواقعة والأحكام الصادرة من القضاة في حياته عليه السلام كانت من هذا القبيل و مع ذلك كُله لم يكن عند الخلفاء شيء من هذه القبائح منقوضاً مردوداً فذمهم في تصويبهم و ذم قضائهم في اختلافهم و ذلك يدل بالكفاية على عدم صالحية القاضي و المستقضى ضعف الطالب والمطلوب.

□ قوله عليه السلام: وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ...

وهذا بمنزلة الدليل على بطلان الاختلاف في الحكم و تصويب الامام له و
حاصلة ان منشاء هذا الاختلاف لا يخلوا عقلاً و نقلاً من وجوه ثلاثة:

احدها: أن يكون لهم آلهة متعددة فإن تعدد الآلهة يوجب الاختلاف في الاحكام لأن لكل واحد منهم حكم غير حكم الآخر ففي المفروض لا محيص عن الاختلاف غالباً و حيث أن المفروض أن الهُهم واحد فلامجال لظهور الاختلاف من هذه الجهة.

ثانيها: ان يكون الاختلاف ناشئاً من اختلاف النبي فإن كل نبي له شريعة مخصوصة و احكام معينة فلا اشكال مثلاً في كون شيء حلالاً في شريعة و حراماً في اخرى كما هو كذلك.

و اما اذا فرضنا أن النبي واحد كما هو كذلك فلا يعقل الاختلاف في احكامه في قضية واحدة لزمومه اجتماع النقيضين

وثالثها: أن يكون منشاء الاختلاف تعدد الكتاب ففي احد الكتابين او الكتب مثلاً حُكم بحليته شيء و في الآخر بحرمته

و اما اذا قلنا بأن الكتاب واحد فلا مجال للقول باستناد الاختلاف اليه و اذا لم يكن الآله و النبي و الكتاب إلا واحد افأى شيء اوجب الاختلاف في الاحكام في الموضوعات و القضايا الواحدة إلا الجهل و الغواية و الاعراض عن اهل البيت.

□ قوله ﷺ: أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَيَّ إِثْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَاتِهِ...

بعد ما ثبت أن إله و الكتاب و النبي واحد و لا معنى للاختلاف بالتقريب الذي مر ذكره و المفروض أنه موجود كما اشار اليه عليه السلام في صدر الخطبة فلا بد من بيان منشاء الاختلاف و أنه أي شيء هو و حيث أنه قد بين في الجملة السابقة أن هذا الاختلاف لا يمكن أن يوجد عقلاً إلا في صورة تعدد الآلهة او تعدد الكتاب او تعدد النبي و المفروض أنه لم يكن و لا يكون فلا بد من أن يكون المنشأ له احدها اعني إله و النبي و الكتاب على سبيل منع الخلوة و من المعلوم أن كل واحد من الأمور الثلاثة لا يجوز أن يكون باعثاً عليه و منشأ له سواء فرضناه متعددا ام غير متعددو اذا كان كذلك فاختلفهم يرجع الى متابعتهم لاهوائهم و لا ربط له بالدين اصلا و هو المطلوب.

توضيح ذلك إن هذا الاختلاف كان بين القضاة موجوداً في زمانه عليه السلام على ما صرح به و كل موجود بالغير لا بد له من علة موجدة له فلا بد للاختلاف من علة موجدة.

اما الصغرى، فمعلوم والألما صرح عليه السلام به.

واما الكبرى، اعني كل موجود بالغير لا بد له من علة فهو مما لا كلام فيه فإن اضافة الموجود الى الغير تستدعي ذلك كما أن حذف الاضافة يستدعي عدمها و ذلك لأن كل موجود لا يخلو اما ان يكون موجوداً بالذات واما ان يكون موجوداً بالغير و الاوّل منحصراً في الفرد و هو الواجب لاغير و الثاني كسائر الموجودات الممكنة من الجواهر و الأعراض و لا ثالث لهما و لذلك يقال الموجود اما واجب او ممكن و الممكن اما جوهر او عرض و اذا ثبت أن الاختلاف موجود و لا يكون واجباً قطعاً فلا محالة يكون ممكناً و الممكن

يحتاج الى علة موجودة فالأختلاف يحتاج الى علة موجودة آياه.

ثم أن هذه العلة لا تخلو أما ان تكون الرب او الكتاب او النبي او الأميال النفسانية والهوا حس الشيطانية ولا تخلوا حالها من هذه الامور الاربعة.

ثم أن علية كل واحد منها اما ان تكون في صورة التعدد و اما ان تكون في صورة الوحدة ولا ثالث لهما لعدم امكان عليتها معا فأن التعدد يستدعي الأختلاف و الوحدة عدمه فأن الواحد لا يصدر منه الا الواحد والمعلول الواحد ايضا لا يصدر الا من علة واحدة كما ثبت في محله و حيث ان الأختلاف ليس إلا لتعدد الآراء فلا بد من كون العلة فيه ايضا متعددة فكل واحد من اربعة المذكورة ان كان علة له فلامحالة عليته على سبيل التعدد والتكثُر و قد ثبت و تحقق في ابحاث التوحيد والنبوّة أن اله العالم لا يكون الا واحدا و اذا كان الاله واحدا فامرّه ايضا واحدا كما قال الله في كتابه و ما امرنا الا واحدا الآية فثبت أن الكتاب اعنى كلامه و امره ايضا واحدا و انما عبرنا و فسّرنا كتابه بكلامه لعدم الفرق بين الكتاب و الكلام الا بالاعتبار فأن صورة الألفاظ والكلمات الموجودة في الكتاب من جهة انها تنسب الى الله تعالى فهي كلماته التامات و من جهة نسبتها الى القابل فهي كتاب لكون القرطاس مثلا قابلا لانتقاشها فيه فالنسبة الأولى اعنى نسبتها الى القاعل بالوجوب والأخرى انى نسبتها الى القابل بالامكان.

و ثانيا - لو كان الكتاب متعدد افلا يخلوا اما ان يكونو مختلفين في الأحكام او متفقين فيها والاول مستلزم للتناقض والثاني للوحدة.

و ثالثها - لو كان الكتاب متعدددا لوصل اليها سائر نسخه و حيث انه لم يصل و لم ينقل احد القول بالتعدد فهو واحد فثبت و تحقق أن الكتاب ايضا واحد كما يكون إله واحد و بهذا البيان يظهر لك ان النبي ايضا واحد فثبت عدم التعدد في الرب و النبي و الكتاب فالأختلاف لم يكن مسببا عن تعدد كل واحد من الثلاثة.

وأما كون واحد من هذه الثلاثة علة للاختلاف فهو محال لمكان القاعدة اعنى الواحد لا يصدر الأ من الواحد و اذا ثبت أن التعدد فيها محال والواحد لا يمكن كونه علة لاختلاف فلامحالة تكون العلة شيئا آخر و هى الآراء والعقائد البشرية ولا ربط لها بالدين فاختلفهم فى الاحكام خارج عن حريم الكتاب والأسلام فى زمانه ﷺ وهو المطلوب ولاجل ذلك قال عليه السلام: أفامرهم الله بالاختلاف فاطاعوه.

اى لم يأمرهم الله به فإن الأستفهام هنا للإنكار نظير ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (١)

و: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

و: ﴿اى لَمْ يَأْذِنَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾

و من المعلوم أن الله تعالى: لم يأمر عباده بالاختلاف فى الاحكام لمنافاته للقاعدة واستهجائه عقلا فإن الاختلاف قبيح والله لا يأمر به لتنزّهه عن القبائح و من كان مُنزّها عنها فكيف يأمر بها.

و انما خصّه بالذكر دون الكتاب و النبى و قال أفامرهم الله بالاختلاف و لم يقل أفامرهم النبى او أفامرهم الكتاب لأن الكتاب كلامه و النبى سفيره و رسوله و امرهما بالاختلاف لا يعقل بدون امره و لا عكس فأنهما تا بعان له و هو تعالى غير تابع لهما فمن المحتمل امره بشىء و دونهما ولا يعقل امرهما بشىء و دونه فاذا ثبت أنه تعالى لم يأمر به يثبت أن النبى و الكتاب ايضا لم يأمر به و مُحصل الكلام فى المقام هو انّ العلة و الموجب لهذا الاختلاف بحسب الشقوق المُحتملة خمسة امور:

احدها: كونه تعالى أمرا به و قد ثبت أنه لم يكن.

و ثانيها: ان نقول أنه تعالى نهاهم عن الاختلاف فعصوه واختلفوا و هذا هو الصحيح و اليه اشار ﷺ بقوله ام نهاهم عنه فعصوه فالأستفهام ليس للإنكار بل

للتقرير بناء على تأويل الجملة بالاستفهام.

وثالثها: ان يقال بكون الدين قد انزله الله ناقصا فاستعان بهم على اتمامه و هذا ايضا محال غير معقول واليه اشار عليه السلام بقوله: ام أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه فان الاستفهام ايضاً للانكار بناء على التأويل المذكور و على أى تقدير فهو ايضاً لا يعقل عقلاً ونقلاً.

اما العقل فلان الواجب تعالى مُنزّه عن النقائص بالكلية فهو كمال كله كما ثبت في محله أن الواجب بالذات واجب الوجود من جميع الجهات و من كان كاملاً في ذاته يكون كاملاً في صفاته و افعاله فكيف يعقل نقص الدين وايضا لو كان الدين ناقصاً فنقصه اما ان يكون مُستندا الى نقص مُوجده و علتة و قد فرضناه كاملاً. (هف)

واما ان لا يكون كذلك بل علتة كان كاملاً و مع ذلك اوجد ديناً ناقصاً وهذا يتصور على قسمين.

احدهما: كونه كاملاً و لكنه اوجد ديناً ناقصاً لعدم قدرته او لعدم احاطة علمه بالجهات فهوينا كماله (هف)

وثانيها: كونه قادراً عالمياً الا أنه اوجده ناقصاً لمصلحة لانعلمها وهو محال اما أولاً لقوله ﷺ فاستعان بهم على اتمامه و من المعلوم أن المستعين بغيره محتاج اليه و كل محتاج ممكن فالله تعالى ممكن و قد فرضناه واجباً هذا خلف.

وثالثها: فلان عمّله ايضاً يناقض قوله و ذلك لأن الدين على الفرض ناقص و قد قال الله تعالى في كتابه: اليوم اكملت لكم دينكم الآية. فالدائن ناقص كيف يقول بأنه كامل فان كان ناقصاً و كاملاً يلزم اجتماع النقيضين و هو محال و ان كان ناقصاً غير كامل يلزم كذبه في كتابه نغوذ بالله منه و ان كان كاملاً غير ناقص فهو المطلوب و اذا ثبت كونه كاملاً فكيف يمكن القول بأنه استعان عن غيره على اتمامه فان الاستعانة بالغير دليل على نقص المُستعين

فى فعله و قد اثبتنا فى محله انه تعالى غير ناقص فالاستعانة منه لامعنى لها
فالدّين كامل و الدّين الكامل لاختلاف فيه واقعاً و فى نفس الأمر و
هو المطلوب.

ورابعها: ان يقال بكونهم شركاء له تعالى بمعنى أنهم يقولون ما يقولون والله
تعالى يرضى به كما هو شأن الشريك والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله:
□ قوله ﷺ: **أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى...**
وذلك ايضاً من المستحيل لما ثبت عقلاً ونقلأ انه لا شريك له تعالى و اليه
الاشارة بقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا الله الآيه.

و قوله: لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا و امثال ذلك من الآيات و اما الادلة
العقلية فللبحث فيها مقام آخر.

و اذا ثبت عدم الشريك له تعالى فى ذاته فلا شريك له فى حكمه
فالاختلاف بعنوان الشركة لامعنى له.

و خامسها: ان يقال بتمامية الدين فى حد ذاته الا ان النبى قصر فى تبليغه و
ادائه والى هذا المعنى اشار ﷺ بقوله:

أم انزل الله تعالى: **دِينًا تَامًا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ.**

و هذا المعنى ايضاً غير معقول امّا اولاً فلقلوه فى كتابه اليوم الكملت لكم
دينكم. و من المعلوم ان المراد من هذه الآية هو ان النبى صلى الله عليه و آله و
سلم أكمله بالتبليغ و اداء الرسالة و الأقالدين بحسب ذاته و نفسه كان كاملاً قبل
اداء الرسالة.

و بعبارة اخرى: الآية تحتمل وجهين:

احدهما: ان يكون المراد منها ان النبى اكمل الدين واقعاً

و ثانيهما: ان يكون المراد انه ﷺ قد اكمله بالتبليغ لاسبيل الى الاول

للزومه كون النبى شريكاً له تعالى فى اكماله نعوذ بالله منه فتتحقق القول بالثانى

و هو المطلوب.

فالقول بتقصير الرسول في تبليغ الاحكام مع وجود هذه الآية و امثالها
يوجب تكذيب القرآن و هو كما ترى فَادْنُ لَمْ يُقْصِرْ فِي تَبْلِيغِهِ وَ هُوَ الْمَطْلُوبُ.
ثُمَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ اسْتَدَّلَ عَلَى كَمَالِهِ وَ تَمَامِهِ بِأُمُورِ كُلِّهَا مِنَ الْكِتَابِ وَ هُوَ يَرْجِعُ
إِلَى الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ.

احدها: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَعَالَى مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...

تقريب الاستدلال هو أنه تعالى صرح في هذه الآية بأنه ما فرط في الكتاب
من شيء و هذا مشعرٌ بكون الكتاب جامعاً لجميع الأحكام و عليه فماترك الله
شيئاً منها حتى أتمه غيره بادخال رأيه فالأختلاف في الاحكام المستنبطة منه
لامعنى له و صورة القياس في المقام هكذا.

الأحكام كلها فيه موجودة و كل كتاب كان كذافه لا يحتاج الى مكمل
فالكتاب لا يحتاج الى مكمل ثم نقول: الكتاب لا يحتاج الى مكمل و كل ما
لا يحتاج اليه فهو كامل في حد ذاته فالكتاب كامل في حد ذاته و هو المطلوب.

و ثانيها: قوله تعالى: فيه تبيان كل شيء.

و تقريب الاستدلال بهذه الآية هو ان الكتاب مبين لكل الأشياء من الأحكام
و غيرها و كل كتاب كان كذا لا يهمل شيئاً فالقرآن لا يهمل شيئاً ثم نقول:

القرآن لم يهمل شيئاً من الأشياء و كل كتاب لم يهمل شيئاً من الأشياء
فلا سبيل الى ادخال الآراء فيه فالقرآن لا سبيل الى ادخال الآراء فيه و ظاهر أنه
اذا فرضنا عدم جواز ادخال الرأي فيه فلا معنى للاختلاف فإن حكم الله واحد.

و ثالثها: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ ذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَأَنَّهُ
لَا اخْتِلَافَ فِيهِ. فَقَالَ سُبْحَانَهُ: وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً
كثيراً...

هذا هو الدليل الثالث على المدعى والاستدلال فيه من جهتين:

الاولى: تصديق الكتاب بعضه بعضاً

الثانية: كونه من عند الله.

أما الاستدلال الأول: فلامجال للشك فيه عقلاً ونقلاً أما النقل فلمكان هذه الآية وأما العقل فلأنه لو لم يُصدق القرآن بعضه بعضاً فلامحالة يُكذب بعضه أولاً يُصدق ولايكذب فالمحتملات بحسب الشقوق اربعة:

احدها: تصديقه لبعض.

ثانيها: تكذيبه كذاك.

وثالثها: التصديق و التّكذيب معا.

ورابعها: عدمهما معا والرّابع مستلزم لارتفاع النقيضين اذالتكذيب ليس الأعدم التصديق و هما متناقضان و ارتفاع النقيضين محال والثالث ايضاً محال لكونه مُستلزماً لأجمعهما. و الثاني ايضاً محال لأنّ تكذيب بعضه بعضاً يرجع الى تكذيب الله نفسه اذالكتاب كلامه و الكذب عليه قبيح أما أولاً فلكونه موجب لعدم الأطمينان بكلامه و ثانياً - أنه قبيح و كل قبيح لايجوز اسناده اليه تعالى و هو ظاهر.

فالرّابع و الثالث و الثاني من الشقوق المحتملة اذقلنا باستحالتها فالشق الأول هو الحق الحقيقي بالاتباع وهوالمطلوب و اذانبت كون بعضه مُصدقاً لبعض آخر فلايمكن اسنادالأختلافاليه.

وأما الاستدلال الثاني: و هو كونه من عند الله فهو مسلّم ايضاً عقلاً و نقلاً. أما نقلاً فلمكان هذه الآية وأنه لوكان من عند غير الله لكان منشاء لأختلافات كثيرة وحيث أنه لااختلاف فيه فكشف منه بدليل الأنّ أنه من عندالله. قوله تعالى: ﴿قُلْ لِيْنِ اجْتَمَعَتِ الْاَنْسُ وَ الْجِنُّ عَلٰى اَنْ يَأْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَيَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَاَوْ كَانْ بِعَضُّهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْرًا﴾^(١)

وامثال ذلك من الآيات الدّالة على أنه من عند الله.

أما العقل فلأن وحدة المؤثر تدلّ على وحدة الأثر كما أنّ وحدة الأثر تدلّ على وحدة المؤثر وقد قلنا مرارا أنّ الواجب واحد فآثره اعنى كلامه و كتابه

ايضاً واحداً وهو المطلوب.

والسرفيه هو ان الاختلاف في الكتاب مساوق للكثرة والكثير بما هو كثير لا يصدر الا من الكثير وحيث انه قد ثبت ان الماهية مشارالكثرة كما ان الوجود مناط الوحدة والله تعالى وجود بلاماهية و نور بلاظلمة وكمال بلاانقص فلاجرم لا يكون مشارالكثرات و هذابخلاف الماهيات الامكانية حيث انهاكونها مشوبة بالظلمة بل عينها تصير منشاء للاختلافات والكثرات قال السبزواري في منظومته:

لَوْ لَمْ يُؤْصَلْ وَاحِدَةٌ مَا حَصَلَتْ إِذْ غَيْرُهُ مَثَارُ كَثْرَةٍ أَتَتْ
قوله اذغيره اي غيرالوجود و هوالماهية فان الأمر يدور مدارهما ولاثالث بالاجماع المركب.

ورابعها: قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَأَتَفَنِي عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ،...**

هذا هو الدليل الرابع على اثبات المدعى و حاصله ان القرآن لا يمكن لأحد من افراد البشر فهمه والأحاطة بكنهه وحقيقته الا الراسخون في العلم كما قال تعالى: **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ الْأَيُّهُ وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الرَّاسِخِينَ هُمُ الْمُعْصُومُونَ أَوْلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ** و آخرهم المهدي المنتظر سلام الله عليهم اجمعين فمن ادعى علم القرآن بعدهم فهو مفترى كذاب كائنا من كان و استدلل عليه بوجوه:

الاول قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ...**

وجه الاستدلال فيه هو ان القرآن له ظاهر و باطن و ظاهره غير باطنه لان ظاهره انيق باطنه عميق و كل شيء كان ظاهره غير باطنه فلا يمكن الأحاطة بكنهه فالقرآن لا يمكن الوصول الى قعره وباطنه.

اما الصغرى اعنى كون ظاهر غير باطنه وان ظاهره انيق و باطنه عميق وان كان ممّا لا كلام فيه عند العقلاء وقد اجمعوا على ذلك الا انانقيم البراهين

النقلية والعقلية عليه ليتم المقصود بعون الملك المعبود.

أما النقل:

فمنها - مرواه في البحار باسناده عن حماد بن عثمان قال قلت لابي عبدالله عليه السلام ان الاحاديث تختلف عنكم قال فقال عليه السلام ان القرآن نزل على سبعة احرف وادنى ماللأمام ان يفتى على سبعة وجوه ثم قال عليه السلام: هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب انتهى.

ومنها - مرواه ايضا باسناده عن حمران ابن اعين قال سئلت ابا جعفر عليه السلام عن ظهر القرآن و بطنه فقال عليه السلام ظهره الذين نزل فيهم القرآن و بطنه الذين عملوا باعمالهم يجرى فيهم ما نزل في اولئك انتهى «بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢٢، ط كمياني»...

ومنها - مرواه ايضا عن جابر قال، قال ابو عبدالله يا جابر ان للقرآن بطناً و للبطن ظهراً.

ثم قال: يا جابر و ليس شيء ابعد من عقول الرجال منه ان الآيه لتنزل اولها في شيء و اوسطها في شيء و آخرها في شيء و هو كلام متصل متصرف على وجوه انتهى «ص ٣٥»...

ومنها - مرواه ايضا عن حمران ابن اعين عن ابي جعفر عليه السلام قال: ظهر القرآن الذين نزل فيهم و بطنه الذين عملوا بمثل اعمالهم انتهى «ص ٢٥»...

ومنها - مرواه عن الفضيل ابن يسار قال سئلت ابا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما في القرآن آية اولها ظهر و بطن و ما فيه حرف الاوله حد لكل حده مطلع ما يعنى بقوله ظهر و بطن قال ظهره و بطنه تأويله منه ماضى و منه مالم يكن بعد يجرى كما تجرى الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع قال الله تعالى و ما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم نحن نعلمه، انتهى «ص ٢٥»...

ومنها - مارواه عن جابر قال سئلت ابا جعفر عليه السلام من شئ في تفسير القرآن فأجابني ثم سئلته ثانيته فأجابني بجوابٍ آخر فقلت جعلت فداك كنت اجبت في هذه المسئلة بجوابٍ غير هذا اقبل اليوم فقال لي يا جابر ان للقرآن بطناً ولبطن بطن وظهراً وللظهر ظهراً يا جابر وليس شئ ابعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية لتكون اولها في شئ و آخرها في شئ و هو كلامٌ متصل يتصرف على وجوه انتهى «ص ٢٥»...

والأخبار في هذا الباب كثيرة فمن اراد فليراجع الى مظانها و فيما ذكرناه كفاية لاولى الأبصار.

وقد ظهر مما ذكرنا ان القرآن بحر لا يدرك ساحله هذا من جهة النقل. اما العقل فتوضيحه يستدعي رسم مقدمة.

وهي انه لا خلاف ولا اشكال عند العقلاء ان الواجب تعالى شأنه اجل واعلى من ان يدرك بكنهه و حقيقته و ذلك لان شأن الإدراك احاطة المدرك للمدرك و هو تعالى لا يحاط لانه على كل شئ محيط والذليل عليه من وجوه: احدها: انه حقيقة الوجود وكنهه وقد اجمعوا على انها في غاية الخفاء وان كان الوجود بالنظر الى مفهومه من اعرف الأشياء واجلاها والعجب ان خفاء حقيقته انما هو لشدة ظهوره و برؤزه والى الاول اشار السبزواري في منظومته بقوله:

مفهومه من اعرف الأشياء و كنهه في غاية الخفاء
والى الثانى بقوله:

يا من هو اختفى لفرط نوره الظاهر الباطن في ظهوره

وثانيها: انه غير متناهى الوجود و ماسواه متناهى الوجود كائناً من كان و من المعلوم ان المتناهى لمحدوديته لا يمكن له الاحاطة بغير المتناهى لكونها مستلزمة لخروجه عما هو عليه و هو محال.

وثالثها: ان الواجب تعالى شأنه علة لِماسواه و مُوجدٌ اياه فمساواه معلول له

و قد ثبت فى العلوم العقلية ان علم العلة بالمعلول علم تام و علم المعلول بالعلة ناقص لان المعلول رشح من رشحات العلة و فيض من فيوضاتها و حيث ان ما سوا الواجب معلول له مقهور لجنابه فلا يمكن له العلم به الا على سبيل الاجمال كما قال سيد الرسل ما عرفناك حق معرفتك و اذا ثبت عدم امكان الادراك بالنسبة الى ذاته تعالى و امتناع الوصول الى كنهه ثبت عدم امكان الاحاطة بالنسبة الى صفاته ايضا لان صفاته تعالى من شئون ذاته و واجب الوجود بالذات و واجب الوجود من جميع الجهات و حيث انه قد ثبت كون الصفات من توابع ذاته و لوازمه فى جميع الشئون بل فى الحقيقة ليس هناك الا الذات بناء على كونها عين الذات فذاته علم و قدرة و ارادة و وو

فكما ان ذاته غير متناه فكذلك صفاته فعلمه غير متناه و كذا قدرته و ارادته و سائر صفاته و لاسيما على مسلك التحقيق من كون الصفات من رشحات وجوده كما قرر فى محله.

اذا عرفت هذا فاعلم انه من جملة صفاته تعالى كونه متكلماً فكلامه كتابه و قد قلنا ان الفرق بين الكتاب و الكلام اعتبارى فكما انه لا يمكن الاحاطة بكلامه لا يمكن ايضا بكتابه فعلم القرآن على ما هو عليه يختص بجنابه تعالى لان الاحاطة بكلامه تعالى مما لا يمكن لغيره و هو المطلوب.

ان قلت - فما معنى قولك فيما مضى ان علم القرآن مخزون عند المعصومين عليهم السلام و ان المراد بالراسخين هو النبى و الائمة الاثنى عشر فيعلم منه ان علم القرآن لا يختص بجنابه تعالى.

قلت - ليس الامر كما زعمت فان علم المعصومين بحقيقته القرآن انما هو علم الله به الا غير و ذلك لانه تعالى علمه النبى و النبى علم الوصى كما وردت به روايات و تصور هذا الموضوع و انه كيف يكون يحتاج الى بسط كلام لا يناسبه المقام و لعل الله يحدث بعد ذلك امراً فثبت و تحقق ان علم القرآن مخزون عند الله و رسوله و اوليائه و هو المطلوب.

بقي في المقام شيء آخر وهو أنه لم عبّر بالأنيق و وصف الظاهر به واما باطنه فقد وصفه بالعميق.

قلنا: بناء على ما ذهب اليه شراح كلامه فمعناه ان ظاهر القرآن حسنٌ مُعجِبٌ بانواع البيانات والاستعارات الجيدة مع سلامة الفاظه و بعده مما يستنكره الطبع و ما ينافيه قواعد علم البلاغة.

واما باطنه عميق بمعنى انه لا ينتهي الى اسرار جواهره الا الراسخ في العلم. وانا اقول: هذا الذي ذكره لا بأس به بناء على كون الأنيق الحسن المعجب واما اذا قلنا بان الأنيق بمعنى المحبوب كما هو احد الاقوال في المسئلة فالمعنى ان ظاهر القرآن محبوبٌ مطلوبٌ لأن الوصول الى ظواهر الفاظه سهل يسيرٌ بخلاف باطنه حيث انه لعدم امكان الوصول اليه فقد عبّر عنه بالعميق و قد ذكر اللغويون له معانٍ آخر لا تخلو عن مناسبة بالمقام و كيف كان فالأمر سهل.

الثاني قوله ﷺ: لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ...

وهذا دليل آخر على عدم تناهي علوم القرآن وانه لا تنال الى كنهه أيدي الناس و فيه اشعار بل تصريح بان القرآن مثله مثل البحر العميق مشحونٌ من حيث المعاني العقلية والدقائق العرفانية والأحكام الشرعية وغيرها على ما لا تحصى كيف و هو كلام الله تعالى و قد مضى ان صفاته غير محدودةٌ بحدود.

روى العلامة المجلسي (قده) في المجلد التاسع عشر من بحار الانوار باب تفسير القرآن بالرأى وتغييره ما لفظه:

ابن المتوكل عن علي عن ابيه عن الزمان عن الرضا عن آبائه عن امير المؤمنين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله جلّ جلاله ما آمن بي من فسّر القرآن برأيه (من فسّر برأيه كلامي) و ما عرفني من شبّهني بخلقى و ما على ديني من استعمل القياس في ديني انتهى «ص ٢٨»...

و في خبر الزنديق المُدعى للتناقض في القرآن قال امير المؤمنين اياك ان تُفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء فإنه ربّ تنزيلٍ يشبهه بكلام البشر وكلام الله و تأويله لا يشبهه كلام البشر كما ليس شيء من خلقه يشبهه كذلك لا يشبهه فعله تعالى شيئاً من افعال البشر و لا يشبهه شيئاً من كلامه بكلام البشر فكلام الله تبارك و تعالى صفته و كلام البشر افعالهم فلا يشبهه كلام الله بكلام البشر انتهى «ص ٢٨»...

وايضا بأسناده عن الهروي قال قال الرضا عليه السلام لعلي بن محمد ابن الجحّم لا تتأوّل كتاب الله عزّوجلّ برأيك فإنّ الله عزّوجلّ يقول و ما يعلم تأويله الاّ الله والرّاسخون في العلم، انتهى «ص ٣٦»...

و عن مُتّيه المُريد عن النبي ﷺ قال، من قال في القرآن بغير علمٍ فليُتّبوء مقعده من النار وقال ﷺ من تكلم بالقران برأيه فاصاب فقد اخطأه و قال في القرآن بغير ما علم جاء يوم القيمة مُلجماً بلجامٍ من نار و قال ﷺ اكثر ما اخاف على أمتي نت بعدى رجلٌ يتأوّل القرآن على غير مواضعه، انتهى «ص ٢٩»...

□ قوله ﷺ: ولا تكشف الظلمات الاّ به...

هذا من أحسن الاستعارات فإنه قد شبّه القرآن بالنور و الجهل و الضلالة بالظلمة فكما انه لا يمكن لأحدٍ الخروج عن الظلمات الاّ ببركة النور كذلك لا يمكن الخروج من ظلمات الغي و الجهالة الاّ بالقران و هدايته و توضيح كلامه ﷺ يستدعي البحث في امور:

الأمر الأول: كون القرآن نُورا.

الأمر الثاني: كون الجهل و الضلالة ظلمة.

الأمر الثالث: عدم امكان الخروج عن الظلمات في الدنيا الاّ بنور القرآن.

اما الكلام في الامر الأول: فنقول القرآن نوراً عقلاً و نقلاً.

اما العقل فلانّ النور قالوا في تعريف حقيقته الظاهر بذاته و المظهر لغيره و هذا هو شأن حقيقة الوجود بعينه و لذلك أطلق النور على الوجود و بالعكس،

قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

و القرآن ايضا ظاهرٌ بذاته مُظهرٌ لغيره.

أما كونه ظاهر بذاته فلأنه كلام الخالق و الصفات فيه عين الذات فكما ان ظهور ذاته بذاته بمعنى عدم كونه معلولاً للغير فكذلك ظهور صفاته بذاته اذا الصفات عين الذات غير زائدة عليه فلو فرضنا ظهور صفاته بغير ذاته المُجردة البسيطة لزم كون صفاته معلولاً لغيره و هو كما ترى.

و اما كونه مُظهراً للغير فهو ايضا ثابت بالبيان المتقدم اذ حُكم الصفات و الذات و احد من هذه الجهة فكما ان ذاته مُظهراً لما سواه علة له فكذلك صفاته قال الله تعالى: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾ (١)

كما قبل بالفارسيه:

كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ كَهْ نَقَشِ اُولِيَّاسَ عَكْسِ مَه رُوِيَانِ بَسْتَانِ خِدَاسْتِ
هَذَا بِحَسَبِ الْوَاقِعِ وَ اَمَّا بِحَسَبِ الظَّاهِرِ فِي هَذَا الْعَالَمِ اَيْضاً لَا شَكَّ فِي كَوْنِ
الْقُرْآنِ مُظْهِراً لِغَيْرِهِ هَادِياً لَهُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿الَمْ ذَالِكِ الْكِتَابُ لِارْتَبِ
فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٣)

فثبت و تحقّق ان القرآن ظاهراً بذاته مُظهرٌ لغيره.

الأمر الثاني: كون الجهل و الضلالة ظلمة، و هذا ايضا من المُسلّمات.

أما من جهة العقل فلان الظلمة ليست الا عدم النور و ليس لها وجود في مقابل النور و لذلك فقد اخطأ من قال بان النور و الظلمة ضدّان و ذلك لانّ الضدّين امران وجوديان و حيث انّ الظلمة ليست من الامور الوجودية فلا يطلق عليها الضدّ و بذلك ظهر لك انها نقيض النور، لانّ نقيض كلّ شيء رفعه

ولا معنى للظلمة إلا رفع النور و إذا كان الأمر على هذا المنوال فبحكم التقيضين
الظلمة هي عدم كون الشيء ظاهراً بذاته و مُظهراً لغيره و حيث أنّ الجَهل و
الضلالة في مقابل العلم و الهداية و العلم نُورٌ يُقذفه الله في قلب مَنْ يَشَاءُ و
الجَهل يقابل العلم فهو عدم النور، و قد قلنا أنّ عدم النور ظلمة، فالجهل ظلمة
و هو المطلوب و أمّا النقل فمعلوم.

الأمر الثالث: في أنّ الخروج عن ظلمات الجَهل لا يمكن إلا بنور القرآن و
هذا أيضاً مؤيد بالعقل و النقل.

أمّا العقل - فلأنّ القرآن كلام الله سبحانه و تعالى و هو مَصُونٌ عن الخطاء
جداً و كلام غيره غير مَصُونٍ عن الخطاء إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُ كَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وَ الْمَعْصُومِينَ بَعْدَهُ وَ كَلَامُهُمْ أَيْضاً يَرْجِعُ إِلَى كَلَامِ اللهِ.
قال الله في حَقِّ الرَّسُولِ: وَ مَا يَنْطَقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَ حَيِّ يُوحَىٰ وَ مَا
تُبَيَّنَ فِي حَقِّ النَّبِيِّ مِنَ الْعِصْمَةِ فِي الْكَلَامِ وَ الْأَفْعَالِ تَبَيَّنَ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ
بِاتِّفَاقٍ فِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَ قَدْ فَرَّغْنَا عَنِ الْبَحْثِ فِيهِ فِيمَا سَبَقَ وَ لَعَلَّهُ يَأْتِي
مَنْتَفِصِيلُ الْكَلَامِ فِيهِ فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

و على أيّ تقديرٍ لا كلام لا حدٍ في كون كلامه تعالى مَصُوناً عن الخطاء و لم
يُخَالَفْ فِيهِ أَحَدٌ وَ إِنْ خَالَفَ بَعْضٌ مِنْ لَا خُبْرَةٍ لَهُ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَ الْأَنْبِيَاءِ
مِنْ حَيْثُ الْكَلَامِ وَ الْأَفْعَالِ وَ هُوَ جَمْهُورُ الْأُمَّةِ وَ لِلْبَحْثِ فِيهِ مَقَامٌ آخِرٌ إِلَّا أَنْ
كُونَ كَلَامَ الْحَقِّ مَصُوناً عَنِ الْخَطَاءِ مِمَّا لَا شَبَهَةَ فِيهِ لِأَحَدٍ فِيمَا نَعْلَمُ وَ الْآيِلُزَمُ
تَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ وَ لَا يَقُولُ بِهِ عَاقِلٌ فَضْلاً عَنِ فَاضِلٍ.
إذا ثبت هذا فنقول لاملجاء و لاملاذ عقلاً في كشف ظلمات الجَهل و
الغواية إلا التمسك بكلام مَصُونٍ عن الخطاء دفعا للدور و التسلسل و هو
لا يكون بالاجماع غير كتاب الله و كلامه فيجب الوُسل و التمسك به و هو
المطلوب.

أمّا الصغرى فلأنّ الجَهل و الضلالة الناشئة منه اعظم الأمراض و أهلكها و

لادواء له إلا الأءستضائة بنور العلم و الهداية فلو كان العلم مَشوباً بالظلمة فهو لا يَشفى المريض لعدم امكان تَطهير الدَّم بالدَّم فلا بدّ من الأءستضائة و الاستفاده بنور العلم الذى كان نوراً تاماً غير مَشوبٍ بالأراء و العقائد الفاسدة مُنزهاً عن الخَطاء و الزلل و العلم بهذه الاوصاف لا يكون إلا علم القرآن الذى لا ريب فى كونه من عند الله فيجب التمسك به و هو المطلوب.

الأتري انّ العُلوم المتداولة غير علم القرآن كلّها لافائدة فيها إلا جمع القيل و القال و لا مُحصّل لها إلا تضييع العُمرو اتلافه بجمع الاقوال المتضادة و الاراء المتخالفة و كفاك شاهداً على ما ادّعيناه النّظر الى علوم العقليّة باقسامها من الطّبيعات و الالهيات و الرياضيات و غيرها فترى الاراء و العقائد فيها مُتكاثرة مُتنافرة كلّ واحدٍ من الفلاسفة يقول فيها برأيه بل لاترى فيها مَسئلة إلا و فيها اقوال مُتضادة لامجال لذكرها فاذا كان الأمر فى العلوم العقليّة على هذا المنوال فما ظنك بسائر العلوم المتداولة بايدى الناس و هذا معلومٌ لا يخفى على احدٍ. و السّر فيه هو انّ العلم اذا كانت قوائده من نتائج افكار البشر الذى هو ائس الخَطاء و جليس الاشتباه فكيف يُتوقّع منه الصّون عن الخطاء بل كلّ من كان فضله و كماله و علمه اكثر يكون الخطاء منه أكبر و اعظم فإنّ الشّيخ الرّئيس مع وفور عقله و علوّ شأنه و كثرة غوره و ذكاوته ذهب فى بحث علم الله تعالى بالاءشياء قبل وجودها الى القول بالصّور المرتسمة فى ذاته تعالى الله شانه منه علوّاً كبيراً و امثاله كثيرة و لسنا بصدد البحث فى هذا الموضوع و استيفاء الاءشتباهات من الفلاسفة الذين هم عُقلاء البشر فضلاً من غيرهم. و اما علم الكتاب فليس فيه اختلاف و هو الذى يليق بان يؤخذ منه لاغيره اذ هو النّاجى للبشر عن دركات الجهل و الضلاله و الهدى له بمراتب الرّشد و السّعادة فالعقل يحكم بوجوب متابعتة و عدم مخالفتة و هو المطلوب.

و اما الدليل النّقلى على لزوم اتباعه و التمسك به فكثير و نحن نشير الى

بعض منها.

منها - ما رواه العياشى فى تفسيره باسناده عن الصادق عن ابيه عن آباءه قال، قال رسول الله ﷺ ايها الناس انكم فى دار هُدنة و انتم على ظهر سفري و السير بكم سريع و قد رايتم الليل و النهار و الشمس و القمر يبليان كل جديد و يقربان كل بعيد و ياتيان بكل موعود فاعدوا الجهاز لبعده المَجاز، قال فقام المقداد ابن الاءسود فقال يا رسول الله و ما دار الهدنة؟

فقال: دار بلاءٍ و انقطاع فاذا التبتت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقران فانه شافعٌ مُشفعٌ و ما حلُّ مُصدقٌ و من جعله خلفه ساقه الى النار و هو الدليل يدلُّ على خير سبيل.

و هو كتاب فيه تفصيل و بيان: و تحصيل و هو الفصل ليس بالهزل و له ظهرٌ و بطنٌ فظاهرٌ حكمٌ و باطنه علمٌ ظاهره اتيقن و باطنه عميقٌ له تخومٌ و على تخومة تخومٌ لا تُحصى عجائبه و لا تُبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة و دليلٌ على المعرفة لمن عرف الصفة.

و زاد فى الكافى فليجل جالاً بصره و ليبلغ الصفة نظره ينج من غطبٍ و يخلص من نشبٍ، فان التفكير حياة القلب البصير كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص و قلة التربص انتهى.

و منها - ما رواه ايضا باسناده عن عن الحارث الاءعور، قال دخلت على امير المؤمنين عليه السلام، فقلت: يا امير المؤمنين انا اذا كنا عندك سمعنا الذى نسرُّ به ديننا و اذا خرَجنا من عندك سمعنا اشياءً مختلفة مغموسة و لا ندرى ما هى قال او قد فعلوها قال.
قلت: نعم.

قال عليه السلام: سمعت رسول الله ﷺ يقول اتانى جبرئيل فقال يا محمد ستكون فى امتك فتنة، قلت: فما المخرج منها، فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبرٍ و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم و هو الفصل ليس بالهزل من وليه من جبارٍ فعَمِل بغيره قصمه الله و من التمس الهدى فى غيره اضله الله و هو الحبل الله المتين و هو الذكر الحكيم و هو الصراط المستقيم لا تزيعه

الاهوية و لا تلبسه الألسنة و لا يُخلق على الرد و لا ينقضى عجائبه و لا يشبع منه العلماء هو الذي لم تلبث الجن إذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قراناً عجبا يهدي الى الرشد من قال به صدق و من عمل به اجر و من اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم و هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. انتهى...

ومنها - مرواه عن ابي عبدالله عليه السلام، قال قال رسول الله ﷺ القرآن هدى من الضلالة و تبيان من العمى و استقالة من العثرة و نور من الظلمة و ضياء من الاعداث و عصمة من الهلكة و رشد من الغواية و بيان من الفتن و بلاغ من الدنيا الى الآخرة و فيه كمال دينكم و ما عدل احد من القران الا الى النار، انتهى...

ومنها - ما رواه في تفسير الامام ابي محمد الزكى قال قال رسول الله صلى الله عليه و اله ان هذا القران هو النور المبين و الحبل المتين و العروة الوثقى و الدرجة العليا و الشفاء الاشفى و الفضيلة الكبرى و السعادة العظمى من استضاء به نوره الله و من عقد به أموره عصمه الله و من تمسك به انقذه الله و من لم يفارق احكامه رفعه الله و من استشفى به شفاه الله و من اثره على ما سواه هداه الله و من طلب الهدى من غيره اضله الله و من جعله شعاره و دثاره اسعده الله و من جعله امامه الذي يقتدى به و مؤوله الذي ينتهى اليه اداه الله الى جنات النعيم و العيش السليم، انتهى.

ومنها - ما رواه في الكافي باسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم يامعاشر القراء اتقوا الله فيما حملكم من كتابه فأنى مسئول و انكم مسئولون عن تبليغ الرسالة و اما انتم فتسائلون عما حملتم من كتاب الله و سنتى، انتهى...

اقول: ما ذكرناه من الاحاديث نقلناه عن مقدمات الصافي ص ٤ و الاحاديث فيه كثيرة، و الحمد لله رب العالمين.

﴿ ومن كلام له ﷺ (١٩) ﴾

□ قَالَهُ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ عَلِيُّ مِثْبَرِ الْكُوفَةِ يَخْطُبُ فَمَضَى فِي بَعْضِ كَلَامِهِ شَيْءٌ اعْتَرَضَهُ الْأَشْعَثُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ عَلَيْكَ لَأَنَّكَ فَخَفَضَ ﷺ إِلَيْهِ بَصْرَهُ ثُمَّ قَالَ:

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّالِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ لَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ! حَائِكُ ابْنِ حَائِكٍ! مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ! وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَ الْإِسْلَامُ أُخْرَى! فَمَا فِدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكَ وَ لَا حَسْبُكَ وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِيهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ، لَحْرِيٌّ أَنْ يَمَقَّتَهُ الْأَقْرَبُ، وَ لَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ!

◀ اللُّغَةُ

(اعْتَرَضَهُ) الْأَعْتَرَضَ مِنْ اعْتَرَضَ الْجُنْدَ عَلَى قَائِدِهِمْ بِمَعْنَى الْمَخَالَفَةِ (فَخَفَضَ)، طَاطَأَ، (حَائِكُ)، بِالْهَمْزَةِ النَّاسِجُ. (الْقِدَاءُ) مَا يَفْدِيهِ الْأَسِيرُ لِقَى رَقَبَتِهِ. (الْحَتْفُ) الْمَوْتُ، (يَمَقَّتُهُ)، الْمَقَتَ، الْبُغْضُ، وَ الْعِدَاوَةُ.

◀ الْمَعْنَى

هذه الخطبة اوردها عليه السلام في جواب الاءشعث حين اعترض عليه في بعض كلماته عليه السلام بقوله هذه عليك لالك فتوجه ﷺ اليه و قال مخاطباً اياه و ما يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّالِي، اي انت لا تعلم ما تقول ولا علم لك بانه اي شئى على و اي شئى لى. ثم قال عليه السلام: و الله لقد أسرك الى

اخرا الخطبة، عدّه ﷺ شَطْرًا فِي مَعَايِبِهِ عَلَى مَا يَأْتِي فِي الشَّرْحِ:

اعلم: أنّ هذا الكلام صَدَرَ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَقِّ الْأَشْعَثِ وَهُوَ عَلَى مَنبَرِ الْكُوفَةِ يَخْطُبُ النَّاسَ فَأَعْتَرَضَهُ الْأَشْعَثُ فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ.

قال الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ اسْمَ الْأَشْعَثِ مَعَدُ يَكْرِبُ وَ أَبُوهُ قَيْسُ الْأَشْجَعِ سَمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ شَجَّ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِمْ، ابْنُ مَعَدُ يَكْرِبُ ابْنُ مَعَاوِيَةَ ابْنِ جَبَلَةَ ابْنِ الْعَزْرِيِّ ابْنِ رَبِيعَةَ ابْنِ مَعَاوِيَةَ الْكَرْمِينِ ابْنِ الْحَرِثِ ابْنِ مَعَاوِيَةَ ابْنِ ثُورَةَ ابْنِ مَرْتَعِ ابْنِ مَعَاوِيَةَ ابْنِ كَنْدَةَ ابْنِ عَقِيرِ ابْنِ عَدِيِّ ابْنِ الْحَارِثِ ابْنِ مُرَّةِ ابْنِ آدَمَ.

وَأَمَّا الْأَشْعَثُ كَبْشَةَ بِنْتُ يَزِيدِ ابْنِ شُرْحَبِيلِ ابْنِ يَزِيدِ ابْنِ أَمْرِ الْقَيْسِ ابْنِ عُمَرَ وَ الْمَقْصُورِ الْمَلِكِ.

ثُمَّ قَالَ: كَانَ الْأَشْعَثُ أِبْدَأَ اشْعَثَ الرَّأْسِ فَسُمِّيَ الْأَشْعَثُ وَ غُلِبَ عَلَيْهِ حَتَّى نَسِيَ اسْمَهُ، انْتَهَى.

وَأَمَّا الْكَلَامُ الَّذِي كَانَ ﷺ قَالَهُ عَلَى مَنبَرِ الْكُوفَةِ وَ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ الْأَشْعَثُ فَقَالُوا هُوَ كَانَ يَخْطُبُ وَ يَذْكُرُ أُمْرَ الْحَكَمِيِّينَ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بَعْدَ أَنْ انْقَضَى أَمْرُ الْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهُ نَهَيْتَنَا عَنْ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا فَمَا نَدْرِي أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ، فَصَفَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَحَدِي يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَ قَالَ هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ وَ كَانَ مَرَادُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا جَزَاءُكُمْ إِذْ تَرَكَتُمْ الرَّاعِيَ وَ الْحَزْمَ وَ أَصْرَرْتُمْ عَلَى اجَابَةِ الْقَوْمِ إِلَى التَّحْكِيمِ فَظَنَّ الْأَشْعَثُ أَنَّهُ ﷺ أَرَادَ هَذَا جَزَاءَ مَنْ تَرَكَ الرَّأْيَ وَ الْحَزْمَ.

قال الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ وَ لَانْعَلِمَ مَا أَخَذَهُ وَ مَنْشَأَهُ وَ اللَّهُ اعْلَمَ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ. □ قَوْلُهُ ﷺ: مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّالِي...

وَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ الْإِشَارَةُ إِلَى مَقَامِ جَهْلَةٍ أَيْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَا عَلَيَّ مِمَّالِي، فَإِنَّ تَشْخِصَ هَذَا وَ امْتِثَالَهُ وَظِيْفَةَ الْعَالَمِ الْخَبِيرِ بِمُصَالِحِ الْأُمُورِ وَ أَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَالْأَشْعَثِ وَ امْتِثَالَهُ فَلَا وَ فِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْجَاهِلَ فَالْمُسْكُوتِ أَوْلَى لَهُ مِنَ الْكَلَامِ فِي كُلِّ عَهْدٍ وَ زَمَانٍ وَ هُوَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَرَفَ حَقَّهُ

و لا يتعدى طوره في محاوراته و افعاله فهو من اهل الخير، و السعادة و بالعكس بالعكس.

قال عليه السلام: في بعض كلماته قلب الأحمق وراء لسانه، و لسان العاقل وراء قلبه، و حيث ان الأشعث تكلم بلاروية منه و فكر صار مستوجبا للقذح و الذم و كل من كان كذلك فهو مذموم ايضاً لوجود الملاك فيه كائناً من كان. عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ لَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ...

ثم انه عليه السلام: بعد ما انكر على الأشعث في كلامه اردفه بقوله عليك لعنة الله الخ و ذلك لانه اي الأشعث رد على امام زمانه و من رد على الامام فهو ظالم و الظالم ملعون فهو ملعون.

اما انه رد على الامام الناطق بالحق فلقوله هذه عليك لالك، و لاشك في كونه رد اعليه لان غرضه في هذا الكلام تجهيل امير المؤمنين و انه لا يدري ما يقول و لا علم له بما عليه و ما له و اي رد انكر و اعظم منه.

و اما ان الرد على الامام الحقيقي ظالم فلان الرد عليه رد على الرسول لكونه خليفة له و الرد على الرسول رد على الله لكونه سفيره و امينه و الراد على الله ظالم بلا كلام فالراد على الامام ظالم و هو المطلوب.

و اما كون الظالم ملعوناً فلقوله تعالى اللعنة الله على القوم الظالمين فثبت ان الأشعث كان مستوجبا له لظلمه و هو المطلوب.

و اما الشارح الخوئي فقد استدل على جواز لعنه بكونه منافقاً، و المنافق مستحق لللعن لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(١)

و حيث ان الأشعث كان من المنافقين فصار مستوجبا له.

ثم انه (ره) استدل على نفاقه بما نقله الشارح المعتزلي من كونه شريكاً مع عبدالرحمن ابن ملجم في قتله عليه السلام و مارواه الشارح عن ابي الفرج الاصبهاني

فيه و غيره ممّا هو مذکورٌ في شرحه و الكلّ قريب المال.

□ قوله عليه السلام: قَحَائِكُ ابْنُ حَائِكٍ، مُنَافِقُ ابْنُ كَافِرٍ!...

ثمّ وصفه عليه السّلام بكونه حائكاً كما كان ابوه حائكاً و أنّه منافق مع أنّ اباه كان كافراً ففي كونه حائكاً كان مثل ابيه و أمّا في الدّين فلاحيث أنّه كان منافقاً مع أنّ اباه كان كافراً و المنافق يجامع الأسلام ظاهراً دون الكافر فأنّه بمِعزَلٍ عنه بالمرّة إلا أنّ المنافق أشدّ ضرراً على الأسلام من الكافر كما سيأتي انشاء الله تعالى.

قال الشارح الخوئي في المقام في معنى الحائِكِ تبعاً لغيره من الشّراح ما حاصله أنّ الحائِكِ له معنيان حقيقيّ و مجازيّ و كلاهما يصدقان عليه.

أمّا الحقيقي فلأنّه كان مع ابيه ينسجان بُرود اليَمَن و أمّا المجازي فلأنّه يكذب على الله و رسوله ثمّ بعد ذلك قوَى الشَّقَّ الثّاني مستدّاً لأنّ النَّاسِحَ ممّا لا يَخْصُ بالأشعث بل اهل اليمن كلّهم يُعَيِّرون بذلك.

ثم نقل من الوسائل رواية مرفوعة عن الصّادق حيث ذكر عنده الحائِكِ فقال عليه السّلام أنّما ذلك الذي يَحُوكُ الكذب على الله و رسوله قال (قدّه) و على هذا المعنى فأرداف اللّعن به يكون اشارة الى علة الأستحقاق له هذا، ثمّ اضاف اليه قدّه بهذه العبارة.

و أظهر أنّه واردة على سبيل الأستعارة اشارة الى نقصان عقله و قلبه تدبيره و استعداده كما أنّ الحائِكِ ناقصُ العقل من حيث كون معاملته و معاشرته غالباً مع النّساء و الصّبيان كالمُعَلِّمين و لاشكّ أنّ المخالطة مؤثرة.

ثمّ نقل بعض الاحاديث فيه و قال:

و يمكن ان يكون المقصود بالأستعارة الإِشارة الى دنائَةِ النّفس و رذالة الطّبع و البُعد عن مكارم الاخلاق الى آخر ما ذكره.

و اردف ما ذكره بالأحاديث المرويّة في ذمّ الحائِكِ و أنّ الحائِكِ مَنْ هو بما لا نحتاج الى ذكره فَمَنْ شاء فليراجع الى شرحه ضاعف الله سعيه.

و ليت شعري ما المقصود من هذه التكاليفات و نقل هذه الروايات مع وضوح الأمر وان ما ذكره (قده) لا يناسب ما نحن بصدده فان البحث ليس في الحائك و معناه و انه اى شىء هو بل البحث فى علة استحقاق الأشعث اللعن منه و ان اللعن عليه هل كان لكونه ظالماً راداً عليه كما ذهبنا اليه و هو الحق، ام كونه منافقاً كما ذهب اليه و المال فيهما واحد كما لا يخفى على المتأمل و حيث انه لافائدة فى هذا البحث فلانطيل الكلام فى نقضه و ابرامه.

والعجب منه (قده) حيث قال و الاظهر انه و راد على سبيل الاستعاره اشاره الى نقصان عقله و قلّه تدبيره الى قوله و لاشك ان المخالطة مؤثرة. و اعجب منه استدلاله بالروايات فى عدم استشارة المعليين، و الحوكة و انه لاعقل و لاتدبير لهم لى آخره و ذلك لان البحث ليس فى معنى الحائك و قلّة عقله على انه لو ثبت هذا فلا يدل على صحة اللعن و جوازه للزومه تخصيص الاكثر فان كثيرا من الناس لو لاجلهم لا عقل لهم و لا تدبير فيلزم ان يكونوا مستحقين لللعن و القدح و هل عاقل يقول به كيف و قلّة العقل و نقصان التدبير لا يوجب من حيث هو قد حافى الأشخاص فضلاً عن اللعن و من اين ثبت له (قده) ان علة استحقاقه اللعن هى كونه ناقص العقل و قليل التدبير حتى يقال بانه الاظهر.

بل الحق فى المقام هو ان السبب الباعث لجوازه انما هو كونه ظالماً مخالفاً لإمامته و ولايته منافقاً فى دينه و مذهبه سواء قلنا بانه ناقص العقل او كثيره، فان الذى صار موجبا للقدح فيه انما هو الظلم لا غير و التدبير و العقل لا مدخل لواحد منهما فيه و هذا واضح.

نعم، بعد ما لعنه عليه السلام و صفه بكونه حائكاً و ابن حائك الى اخر ما ذكره عليه السلام فيه يدل على كونه منحرفاً عن الطريق السوى و الصراط المستقيم و انه كان موصوفاً بالصفات الرذيلة فان الحياكة مشية تبختر و تكبر. قال فى لسان العرب ج ١٠ ص ٢١٨ فى مادة (حيك) حاك فى مشية حيكاً

و حيكناً فهو حاك و حياك تَبَخَّرَ واختال فالحائك هو المتكبر المختال هذا اذا قلنا بكونه من (حيك).

و اما ان قلنا بكونه مشتقاً (حَوَك) فهو بمعنى الزسوخ يقال ناحك في صدرى منه شىء و ما حاك و كذلك يقال ما حاك في صدرى منه شىء اى مارسخ، و الحائك الراسخ فى قلبك الذى يهَمِّك لسان العرب ج ١٠ ص ٤١٨. اذا عرفت هذا فالانسب فى المقام هو احد هذين المعنيين لاما ذكره الخوئى و غيره و ذلك لان الاشعث بسبب كونه ناسجاً كما هو احد معانى الحائك او كونه موصوفاً بقله التدبير و نقصان العقل و غير ذلك، من المعانى المحتمله لا يصير مشتقاً للقدح و اللعن للزومه تخصيص الاكثر كما قلنا لوجود هذه الملاكات فى اكثر الافراد و انما صار مُستوجباً له لكونه متكبراً مُتَجَبِّراً فخوراً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(١) و من كان غير محبوباً له تعالى فلا جرم يكون مبغوضاً لعدم الواسطة و المبغوض مطرود مُبَعَّدٌ من رحمته لكونه من اعدائه تعالى و بذلك يستوجب اللعن و الطرد منه تعالى و من رسوله و خليفته.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٢) و من كان مبغوضاً لله تعالى و لرسوله و لوليّه فهو ملعونٌ بلا كلام.

و اما على المعنى الثانى: و هو كونه مشتقاً من (حَوَك) بمعنى رَسَخ، فالمعنى ايضا واضح لرسوخ البغض فى قلب الطرفين بالنسبه الى الاخر فكما انه عليه السلام كان يُبغض الأشعث و امثاله فالأشعث ايضا يُبغضه، و من المعلوم ان من كان مبغوضاً له عليه السلام فهو مستوجب للقدح و الطرد هذا.

□ قوله عليه السلام: مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ...

المنافق مأخوذ من النفاق فان النفاق مصدر و المنافق اسم فاعل من نافق و

على اى تقدير فالمنافق على ما قال اهل اللغة من ستر الكفر بقلبه و اظهر
 الأيمان بلسانه و هو من اخبت الصفات بل قيل انه اردل و اشد من الكفر
 خارج عن الإسلام واقعاً و ان كان داخل فيه ظاهراً و الاخبار قد وردت فى ذمه.
 اما الايات: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ لَنْ تَجِدَ
 لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (٢)

و: ﴿بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣)

و: ﴿وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ آتَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ
 عَنْكَ صُدُودًا﴾ (٤)

و: ﴿وَ عَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَ
 لَعْنَهُمْ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٥)

ومنها - و ممن حولكم من الاعراب منافقون و من اهل المدينة مردوا على
 التفاق الى ﴿إلى عذابٍ عظيمٍ﴾ (٦)

و: ﴿وَ يُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ﴾ (٧)

و: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ
 يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لِكَاذِبُونَ﴾ (٨)

والايات فى ذم المنافقين كثيرة و لاحاجة الى استيفائها بعد ما أنزل الله فى
 كتاب منهم سورة مُستقله مضافا الى آيات كثيرة فى سائر السور.

و اما الاخبار فيهم ايضا كثيرة و نحن نُشير الى شطر منها.

قال رسول الله ﷺ: مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ

يوم القيمة انتهى...

و قال ايضاً عليه السلام: تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ذَاوَجْهَيْنَ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءَ بُوْجِهٍ وَ الْآخِرَ بُوْجِهٍ، انتهى...

و قال ايضاً عليه السلام: يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ذَاوَجْهَيْنِ دَالِعاً لِسَانَهُ فِي قَفَاهُ وَ آخِرَ مَنْ قُدَّامَهُ يَلْتَهَبَانِ نَاراً حَتَّى يَلْتَهَبَانَ خَدَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا ذَاوَجْهَيْنِ وَ ذَا لِسَانَيْنِ يُعْرَفُ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ انتهى...

و عن عليّ ابن اسباط عن عبد الرحمن ابن حماد قال، قال الله تبارك و تعالى لعيسى، يا عيسى و ليكن لسانك في السِّرِّ و العلانيه لساناً واحداً و كذلك قلبك و اني احذرک نفسك و كفى بي خبيراً لا يصلح لسانان في فم واحد و لا قلبان في صدرٍ واحدٍ و كذلك الأذهان انتهى...

و قال الباقر عليه السلام: لَبِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَكُونُ ذَاوَجْهَيْنِ وَ ذَا لِسَانَيْنِ يَطْرُقُ أَخَاهُ شَاهِداً وَ يَأْكُلُهُ غَائِباً أَنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ وَ أَنْ ابْتُلِيَ خَدْلَهُ انتهى... و الحديث كلها مرويه في جامع السعادات للتراقي (قده) باب النفاق ج ٢ ص ٤٠٧.

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خُلَّتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مَنَافِقِ فَحَةِ الْأَسْلَامِ وَ حَسَنُ سَمْتٍ فِي الْوَجْهِ انتهى...

و قال الصادق عليه السلام: اربع علامات للنفاق، قساوة القلب جمود العين، و الاصرار على الذنب و الحرص على الدنيا انتهى...

و عن عباد ابن صهيب قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول لا يجمع الله المنافق و لا الفاسق حُسن الخلق ابداً، انتهى.

و الاحاديث الثالثة منقوله عن البحار باب النفاق ج ١٥ ط كمياني كتاب الايمان و الكفر ص ٢٣.

و روى في الوافي باسناده عن محمد ابن اليفضل قال كتبت الى ابي الحسن عليه السلام اسئله عن مسئلة فكتب الى ان المنافقين يُخادعون الله و هو خادعهم و اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى الى آخر الايتين ليسوا من

الكافرين و لِيُسُوا من المؤمنين و لِيُسُوا من المسلمين يُظهِرون الايمان و يُصَيِّرُونَ الى الكُفْر و التَّكْذِيب لعنهم الله انتهى «وافى، ج ١، ص ٤٩، كتاب الايمان والكفر»...

و فيه ايضا قال رسول الله ﷺ ما زاد خُشُوعَ الجَسَدِ على ما فى القلب فهو عند نفاق، انتهى «ص ٤٩»...

و فيه ايضا باسناده عن ابى عبد الله قال، قال رسول الله ﷺ ثلاث من كُنَّ فيه كان منافقاً وان صام و صلى و زعم انه مُسْلِم، من اذا تَمِئْتُ و اذا حَدَّثَ كَذِب و اذا وَعَدَ خَانَ، و اذا وَعَدَا خَلَفَ انَّ الله تعالى قال فى كتابه انَّ الله لا يُحِبُّ الخائنين. و قال انَّ لعنته الله عليه ان كان من الكاذبين و فى قوله و اذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد و كان رسولاً نبيّاً، انتهى «ص ٤٩»...

و فيه ايضا باسناده عن ابى عبد الله عليه السَّلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلَّم مَثَلُ المنافق مَثَلُ جِدْعِ النَّخْلِ اراد صاحبه ان يَنْتَفِعَ به فى بَعْضِ نَبائِهِ فلم يَسْتَقِمْ له فى الموضع الَّذى اراد فَحَوَّلَهُ فى موضعٍ آخَرَ فلم يَسْتَقِيمْ له و كان آخِرُ ذالِكَ ان احْرَقَهُ بالنار انتهى «ص ٥٠»...

و فيه ايضا باسناده عن التَّخَالِى عن عَلى ابن الحسين ؑ قال عليه السَّلام انَّ المنافق يَنْهَى و لا يَنْتَهَى و يَأْمُرُ بما لا يَأْتى و اذا قام الى الصَّلوة اعترض. قلت يا بن رسول الله و ما الأعتراض؟ قال: الألتفات فاذا رَكَعَ رَبَضَ يُمَسى و هَمَّه العشاء و هو مُفْطِر و يُصْبِحُ و هَمَّه النَّوْمُ و لم يسهران حَدَّثَكَ كَذِبَكَ و ان ائْتَمَنْتَهُ خَانَكَ. و ان غَيْبْتَ اغْتَابَكَ و ان وَعَدَكَ اخْلَفَكَ انتهى «ص ٤٩»...

ثم انَّ بعد ذكر الايات و الاثار فى ذمِّ النفاق و انه من المهلكات بل هو اشدُّ من الكفر من بعض الوجوه فلا بد لك من ان تعلم انَّ النفاق كما قلنا هو مخالفة السِّرِّ و العَلَنِ سواء كان فى الايمان او فى الطَّاعات او فى المعاشرات مع النَّاسِ و سواء قصد به طلب الجاه و المال ام لا و على هذا فهو اعمُّ من الريا مطلقا.

و ان خُصَّ بمخالفة القلب و اللسان او بمخالفة الظاهر و الباطن فى مُعاملة النَّاسِ و مصاحبتهم فبينهما عمومٌ و خصوصٌ من وجهٍ و على التقادير ان كان

باعثه الجُبْن فهو من رذائل قوَّة الغَضَب من جانب التَّفْرِيط و ان كان باعته طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الأفراط، و ان كان منشائه تحصيل مال او منكح فهو من رذائل قوَّة الشَّهْوَة و اشدَّ انواع النِّفاق بعد كفرٍ، النِّفاق كون الرَّجل ذا وجهين و لسانين بان يمدح اخاه المسلم فى حضوره و يظهر له المحبَّة و النِّصيحة و يذمّه فى غيبته و يؤذيه بالسَّب و السَّعاية قاله النِّراقى (قدّه) فى جامع السَّعادات.

اقول: والاشعث لعنه الله عليه كان منافقاً بجميع اقسام النِّفاق بل هو كان من رؤسهم كما لا يخفى فانه كان شريكاً و سهيماً فى قتل علىّ مع ابن ملجم و بنته جعدة كانت قاتلة لابنه الحسن عليه السلام و هى التى سمّت الحسن و ابنه محمد ابن الأشعث شرّك فى دم الحسين عليه السَّلام و لم يكن بيت فى العرب احبّ و اشأم من بيته الا بيت ابي سفيان و ذلك، لانّ اباسفيان كان محارباً لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و زوجته هند مشهورة بأكلة الاكباد لما فعلته فى أحد مع عمّ النّبى صلى الله عليه و آله و ابنه معاوية حارب امير المؤمنين و غَضَب حقّه و حقّ اولاده و ابنه يزيد قتل الحسين عليه السلام بكربلاء مع كثير من اصحابه و اقربائه لعنهم الله لعناً و بيلاً و عذبهم عذاباً اليماً.

و اما كفرابيه فهو مسلّم عند الكل و لا بحث لنا فيه فانّ الكفر و معناه ممّا لاخفاء فيهما. و الله لقد أسرّك الكفر مرّةً و الاسلام أُخرى!...

اما الأسرالذى فى الجاهلية فهو على ما نقله الشارح المعتزلى فى شرحه ورواه عن الكلبي فى جمهره النسب انّ مراداً لمّا قتل قيساً الأشج خرج الأشعث طالبا بثاره فخرجت كنده متساندين على ثلثة الوية على احدالوية كبش ابن هانى ابن شرحبيل ابن الحرث ابن عدى ابن ربيعة ابن معاوية الاكرمين و يعرف هانى بالمطلع لانه كان يَغزو يقول اطلعت بنى فلان فسمى المُطلع.

و على احدها القشعم ابو جبر ابن يزيد الارقم، و على احدها الأشعث

فاخطأ مُرادٌ و لم يَقَعُوا عَلَيْهِمْ وَوَقَعُوا عَلَى بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ كَلْبٍ فَقَتَلَ كَبِشَ
وَالْقَشْعَمَ ابْنَ جَبْرِ وَاسْرَأَشَعْتَ فَفَدَى بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ بَعْدَ لَمْ يُفَدَّ بِهَا عَرَبِيٌّ بَعْدَهُ وَ
لَا قَبْلَهُ فَقَالَ: فِي ذَلِكَ عَمْرُو ابْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ الزَّيْدِيَّ: فَكَانَ فِدَائِهِ الْفِي بَعِيرٍ وَ
الْفَأْ مِنْ طَرِيقَاتٍ وَتَلَدٍ وَ أَمَّا الْإِسْرَ الثَّانِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا قَدِمَتْ
كِنْدَةَ حُجَا جَاءَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ كَمَا كَانَ يَعْضِرُ نَفْسَهُ
عَلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَدَفَعَهُ بَنُو وُلَيْعَةَ فَأَسْلَمُوا وَ أَطْعَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ
آلِهِ وَ سَلَّمَ بَنِي وُلَيْعَةَ طُعْمَةً مِنْ صَدَقَاتِ حَضْرَمَوْتِ وَ كَانَ قَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَى
حَضْرَمَوْتِ زِيَادَ ابْنِ لَبِيدِ الْإِنصَارِيِّ فَدَفَعَهَا زِيَادُ إِلَيْهِمْ فَأَبَوْا اخْتِذَهَا وَ قَالُوا
لَا ظَهَرَ لَنَا فَبَاعَتْ بِهَا إِلَى بِلَادِنَا عَلَى ظَهْرٍ مِنْ عِنْدِكَ فَا بِي زِيَادٍ وَ حَدِثَ بَيْنَهُمْ وَ
بَيْنَ زِيَادٍ شَرٌّ كَادَ يَكُونُ حَرْبًا فَرَجَعَ مِنْهُمْ قُوَّةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَ كَتَبَ زِيَادُ
إِلَيْهِ ﷺ يَشْكُوهُمْ وَ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ كَانَ الْخَبِرُ الْمَشْهُورُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قَالَ لِبَنِي وُلَيْعَةَ كَتَبْتُهُنَّ يَا بَنِي وَ لَيْعَةَ أَوْلَابِعْتُنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلٌ عَدِيلٌ نَفْسِي يَقْتُلُ
مَقَاتِلَتَكُمْ وَ يَسْبِي زُرَارِيَكُمْ.

قال عمر ابن الخطاب فما تَمَنِّيْتُ الأَمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ وَ جَعَلْتُ أَنْصَبُ لَهُ
صَدْرِي وَ جَاءَ أَنْ يَقُولَ هُوَ هَذَا فَأَخَذَ صَلَّى اللَّهُ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَ قَالَ هُوَ
هَذَا، ثُمَّ كَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى زِيَادٍ فَوَصَّلُوا إِلَيْهِ الْكِتَابَ وَ قَدْ تَوَفَّى
رَسُولُ اللَّهِ وَ طَارَ الْخَبِرُ بِمَوْتِهِ إِلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ فَارْتَدَّتْ بَنُو وُلَيْعَةَ وَ غَنَّتْ
بِقَايَاهُمْ وَ خَضِبْنَ لَهُ أَيْدِيَهُنَّ.

و قال محمد ابن حبيب كان اسلم بنو وليعه ضعيفاً و كان رسول الله صلى
الله عليه و اله و سلم يعلم ذلك منهم و لما حج رسول الله حججه الوداع فانتهى
الى قم الشعب دخل اسامة ابن زيد ليبول فانتظره رسول الله و كان أسود افطنا
فقال بنو وليعه هذا الحبشي حبسنا فكانت الردة في انفسهم.

و قال ابو جعفر محمد جرير الطبري فامر ابوبكر زياداً على حضر موت و
امره بأخذ البيعة على اهلها و استيفاء صدقاتهم فبايعوه الأ بنى وليعه فلما

خَرَجَ لِيَقْبِضَ الصَّدَقَاتِ مِنْ بَنِي عَمْرُو بْنِ مَعَاوِيَةَ أَخَذَ نَاقَةَ لَغْلَامٍ مِنْهُمْ يَعْرِفُ
بِشَيْطَانِ ابْنِ حَجْرٍ وَكَانَتْ صَفِيَّةً نَفِيسَةً اسْمُهَا شَجْرَةٌ (شَذْرَةٌ)
فَمَنَعَهُ الْغْلَامَ عَنْهَا وَقَالَ خُذْ غَيْرَهَا فَايِي زِيَادِ ذَلِكَ وَ لَجَّ فَاسْتَعَاثَ شَيْطَانُ
بَاخِيهِ الْغَدَاءِ ابْنِ حَجْرٍ فَقَالَ لَزِيَادِ دَعَهَا وَ خُذْ غَيْرَهَا فَايِي زِيَادِ ذَلِكَ وَ لَجَّ
الْغْلَامَانِ فِي اخِذْهَا وَ لَجَّ زِيَادٌ وَقَالَ لَهُمَا لَا تَكُونَنَّ شَذْرَةَ عَلَيَكُمَا كَالْبَسُوسِ
فَهَتَفَ الْغْلَامَانِ مَا يَعْمُرُوا انْضَامًا وَ تَضَطَّهَدَانِ الدَّلِيلَ مِنْ أَكْلِ فِي دَارِهِ وَ هَتَفَا
بِمَسْرُوقِ ابْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ فَقَالَ مَسْرُوقٌ لَزِيَادٍ اطْلُقْهَا فَايِي فَقَالَ مَسْرُوقٌ يَطْلُقُهَا
شَيْخُ نَجْدِيهِ الشَّيْبُ مَلْمَعًا فِيهِ كَتَلَمِيعِ الثَّوْبِ مَا ضَرَّ عَلَى الرَّيْبِ إِذَا كَانَ الرَّيْبُ
ثُمَّ قَالَ: فَاطْلُقْهَا فَاجْتَمَعَ إِلَى زِيَادِ ابْنِ لَبِيدٍ أَصْحَابُهُ وَاجْتَمَعَ بَنُو وَلِيْعَةَ وَ
أَظْهَرُوا أَمْرَهُمْ فَتَبَيَّنَتْهُمْ زِيَادٌ وَ هُمُ غَارُونَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا وَ نَهَبَ وَ سَبَى
وَ لَحِقَ فَهَمُّ بِالْأَشْعَثِ ابْنِ قَيْسٍ فَانْتَصَرُوا فَقَالَ لِأَنْصُرْكُمْ حَتَّى تَمْلِكُونِي
فَمَلَّكَوهُ وَ تَوَجَّوهُ كَمَا يَتَوَجَّعُ الْمَلِكُ مِنْ قِحْطَانٍ فَخَرَجَ إِلَى زِيَادٍ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ
وَ كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْمَهَاجِرِينَ أَبِي أُمَيَّةَ وَ هُوَ عَلَى صَنْعَاءَ، إِنْ يَصِيرُ بِي مَعَهُ إِلَى
زِيَادٍ فَاسْتَخْلَفَ عَلَى صَنْعَاءَ وَ سَارَ إِلَى زِيَادٍ فَلَقُوا الْأَشْعَثَ فَهَزَمُوهُ وَ قَتَلَ
مَسْرُوقٌ وَ لَجَّاءَ الْأَشْعَثُ وَ الْبَاقُونَ إِلَى الْحِصْنِ الْمَعْرُوفِ بِالنَّجِيرِ فَحَاصَرَهُمُ
الْمُسْلِمُونَ حِصَارًا شَدِيدًا حَتَّى ضَعُفُوا وَ نَزَلَ الْأَشْعَثُ لَيْلًا إِلَى الْمَهَاجِرِ وَ زِيَادٌ
فَسَأَلَهَا الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَقْدَمَا بِهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِيرَى فِيهِ رَأْيَهُ عَلَى إِنْ
يَفْتَحَ لَهُمُ الْحِصْنَ وَ يُسَلِّمَ إِلَيْهِمْ مِنْ فِيهِ وَ قِيلَ بَلْ كَانَ فِي الْأَمَانَ عَشْرَةٌ مِنْ أَهْلِ
الْأَشْعَثِ فَامْتَنَاهُ وَ أَمْضَى شَرْطَهُ فَفَتَحَ لَهُمُ الْحِصْنَ فَدَخَلُوهُ وَ اسْتَنْزَلُوا كُلَّ مَنْ فِيهِ
وَ أَخَذُوا أَسْلِحَتَهُمْ وَ قَالُوا لِأَشْعَثَ اعْزِلْ الْعَشْرَةَ فَعَزَلَهُمْ فَتَرَكَوهُمْ وَ قَتَلُوا الْبَاقِينَ
وَ كَانُوا ثَمَانِ مِائَةٍ وَ قَطَعُوا أَيْدِ النَّسَاءِ اللَّوَاتِي شَتَمْنَ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَمَلُوا الْأَشْعَثَ
إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَوْتَقًا فِي الْحَدِيدِ وَ هُوَ وَالْعَشْرَةُ فَعَفَا عَنْهُ وَ عَنْهُمْ وَ زَوْجَهُ أُمَّ فَرُوهَ
بِنْتُ أَبِي قِحْفَةَ وَ كَانَتْ عَمِيَاءَ فَوَلَدَتْ لِأَشْعَثَ مُحَمَّدًا وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَقَ وَ
خَرَجَ الْأَشْعَثُ يَوْمَ الْبِنَاءِ عَلَيْهَا إِلَى سَوِّقِ الْمَدِينَةِ فَمَا مَرَّ بِذَاتِ أَرْبَعِ الْأَعْقَرِهَا وَ

قال للناس هذه و ليمّة البناء و ثمن كلّ عقيرة في مالى قدّفع اثمانها الى اربابها.
 قال الطّبري في التّاريخ و كان المسلمون يلعنون الاشعث و يلعنه الكافرون
 ايضاً و سبايا قومه و سيمّاه نساء قومه عرف النّار و هو اسم للغدر عندهم.
 ثمّ ان الشّارح المعتزلي بعد نقله ما نقلناه بعينه قال ما هذا الفظه و هذا عندي
 هو الوجه و هو واضح ممّا ذكره الرّضى (ره) من قوله في تفسير قول امير
 المؤمنين و أنّ امرئ دُلّ على قومه السّيف أنّه اراد به حديثاً كان للاشعث مع
 خالد ابن وليد باليمامة غرّفيه قومه و مكربهم حتّى قتلهم فانّا لم نعرف في
 التّاريخ أنّ الاشعث جرى له باليمامة مع خالد هذا و لا شبهة و اين كندة و
 اليمامة كندة باليمن و اليمامة لبني حنيفة و لا اعلم من اين نقل الرّضى هذا،
 انتهى.

و انا اقول: انا بعد ما فحصنا و فتشنا التّواريخ لم نجد ثراً ممّا قاله الرّضى
 (ره) فيما بايدنا من الكتب فما قاله الشّارح المعتزلي و نقله عن الطّبري حقّ
 لامرية فيه و قد ذكره في الكامل ايضاً بعين ما ذكره الطّبري و اما ابن هشام في
 السّيرة فقد ذكر قدوم الاشعث في و فد كندة على رسول الله صلى الله عليه و
 آله و سلّم و ماجرى بينه و بين الرّسول من الكلام الا أنّه لم يزد فيه شيئاً ممّا
 ذكره الطّبري و لم يذكره من أسره ما ذكره و مع ذلك كلّه لا يمكن لناوله
 تكذيب الرّضى (قدّه) فيما ذهب اليه فانّ كتب التّواريخ و السّير لا ينحصر فيما
 بايد بنا و ايديه من تاريخ الطّبري و الكامل و مروج الذهب و امثالها، فلعلّه
 وجده في كتاب آخر لم يصل الينا و عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.
 و كيف كان فالأمر سهل بعد ما صرح عليه السلام بأنّه اى الاشعث أسر مرتين،
 إحداهما في الكفر و أخرى في الاسلام و اما كيفيته فهي خارجة عمّا نحن
 بصدده و الله العالم.

□ قوله عليه السلام: فَمَا قَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكَ وَ لَا حَسْبُكَ...

و المقصود أنّه ما دفع عنك الاسر مالك و لا حسبك و ما نجاك من الوقوع

فيه بشيئ منهاو ذلك لما علمت من ان فدائه في الكفر كان من اموال غيره
لكونه اميراً حاكماً عليهم فاعطى ألفى بعير من بيت المال على بعض الاقوال
واما في الاسلام فقد نجى من القتل بغدره و مكره كما مر ذكره.

ثم اعلم ان في كلامه عليه السلام تعريض على ابي بكر حيث انه لم يأمر
بقتل الاشعث مع انه كان واجب القتل و لم يأخذ منه الفداء ايضاً بل زوجته أم
فروة بنت ابي قحافة جزاء لردته و ليس هذا اول قارورة كسرت في الاسلام
فان الخلافة الاسلامية اذا صارت ملعبة للجهال و يحكم فيها على مقتضى
الهوى فلا يتوقع منها الا اشاعة الفحشاء و بسط الظلم، و العدوان و لذلك ترى
ابي بكر ابن ابي قحافة يقول عند موته و دذت انى اقتل الاشعث حين أسر.
رواه المسعودى في مروج الذهب.

و لقائل ان يقول مخاطباً لابي بكر ما منعك عن قتله الا هواك و انه كان من
اعوانك في تشييد اركان الخلافة و لذلك بقى الاشعث في المدينة حتى فتح
العراق ألم تكن حامياً عن خالد بن الوليد و لم تأمر بقتله حين قتل مالك ابن
نويره و اصحابه من المسلمين مع ما فعل من الفحشاء بزوجه ليلة قتله.
الم يكن عمر بن الخطاب قد اشار الى قتله و امثال ذلك كثيرة و الجواب ان
الحاضر يرى ما لا يرى الغائب.

و على اى تقدير لا خلاف عند الكل ان الاشعث كان من رؤس المنافقين
في الاسلام و هو الذى كان في مسيره الى صفين قد بايع الضب بانه امير
المؤمنين و تبعه من كان معه فلما و صلوا الى صفين و لحقوا بعسكر
امير المؤمنين عليه السلام أخبرهم بذلك و هو الذى أجبره عليه السلام بالتحكيم.

و هو الذى كان في رأس الخوارج و هو الذى سرك في قتله عليه السلام لعنة الله
عليه و على من تبعه الي يوم القيمة.

□ قوله عليه السلام: وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ، لِحَرِيٍّ
أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ!...

اشار ﷺ بقوله هذا الى ثلاثة امور:

احدها قوله ﷺ: وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِهِ السَّيْفَ، وقاد اليهم الحتف.

فاشار ﷺ به الى ماسبق ذكره من انه طلب الامان لنفسه او مع عشره من قومه

و تسليمه الباقي للقتل صبراً او هو مشعرٌ بكونه رأس المنافقين و الخائنين.

وثانيها قوله ﷺ: أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ، والمعنى ان من كان كذلك فجديراً بان

يُبغضه من كان اقرب الناس اليه فضلاً عن الأبعد و ذلك لعدم اطمينانهم و

وُثوقهم به فان المقتولين كانوا من اقربائه و مع ذلك فَعَلَّ بهم ما فَعَلَ و غَدَّرَ

بهم ما غَدَّرَ.

وثالثها قوله ﷺ: وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ! و هذا ايضاً معلوم، فان من كان كذلك

بالنسبه الى اقربائه و اهل عشيرته فما ظنك بالنسبه الى من لا يكون من اقربائه.

و ظنني انه ﷺ اشار بهذا الكلام الى نفسه الشريفة حيث انه ﷺ كان من قبيل

الابعد فكانه قال ﷺ انا لا اومن عليك و لست من الواثقين بك فلا غَرَو فيه

لبعدى عنك من جهة القرابة و النسب بل لاقرابه اصلاً وجه عدم الغرو هو ان

اقربائه و ارحامه لا وثوق لهم به فضلاً عن غيرهم و هو ﷺ منهم

﴿ وَمِن كَلَامِ اللَّهِ ﴾ (٢٠)

□ قوله ﷻ: فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ وَ
وَهَلْتُمْ وَ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ لَكِنَّ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَ قَرِيبٌ مَا
يُطْرَحُ الْحِجَابُ وَ لَقَدْ بَصُرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَأَسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ وَ هُدَيْتُمْ إِنْ
اهْتَدَيْتُمْ وَ بِحَقِّ أَقْوَالِكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ الْعِبْرُ وَ زُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ وَمَا
يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ

◁ اللغة

(عايَنتم) المعاينة المشاهدة بالعين. (لجزعتم) الجزع الضعف والتعب عن
حمل ما نزل به بحيث لا يجده صبراً. (وهلتم) وهل كنتعب ايضاً بمعنى فزع و
لا فرق بينهما إلا بالاعتبار (جاهرتكم) الجهر، العلانية. (العبر) بكسر العين و
فتح الباء جمع عبرة من الاعتبار. (زجرتم) الزجر، المنع. (مزدجر) مفعّل من
الزجر و معناه المتغطّ ابدلت الّتاء دالاً ليوافق الزاى بالجهر و هو بمعنى
المصدر اى ازدجار عن الكفر و تكذيب الرّسل كذا قيل.

◁ المعنى

(فإنكم) أيها الناس، (لو عايَنتم)، أي لو شاهدتم و رأيتم. (ما قد عايَين) و
شاهد، (من مات منكم)، من قبلكم، (لجزعتم) و ضعفتم عن حمل ما نزل بكم
من الاحوال بعد الموت، (وهلتم و سمعتم و اطعتم) ما لم تكونوا في الدنيا

سامعين و لا مطيعين له (وَلَكِنْ مَّخْجُوبٌ) مستورٌ (عَنْكُمْ، مَا قَدْ عَايَنُوا)، من مات قبلكم، (وَ قَرِيبٌ مَّا يُطْرَحُ الْحِجَابُ)، بينكم و بين ما تشاهدونه فى النشأة الاخرى، (وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ)، بسبب الايات الالهيه و ما جاء الرسول به، (ان ابصرتم)، اى ان كانت لكم بصيرة فى الدين، (وَأَسْمِعْتُمْ)، بما انزل الله على نبيه، (ان سَمِعْتُمْ)، اى ان كنتم سامعين، (وَ هُدَيْتُمْ)، بالكتاب و السنة. (ان اهْتَدَيْتُمْ)، اى ان كنتم لائقين بها - (بِحَقِّ أَقْوَالِكُمْ، لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ الْعِبرُ) فاعتبروا يا اولى الابصار. (وَ زُجِرْتُمْ)، اى منعتم بما (فِيهِ مُزْدَجَرٌ)، اى متعظ (وَ مَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الرُّسُلِ السَّمَاءِ)، اى الملائكة، (إِلَّا الْبَشَرَ) و هو اشارة الى ﴿قُلْ أَنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾^(١)

◁ الشرح

اعلم: ان هذه الخطبة وردت فى تنبيه الغافلين عن الموت الذى لا بد منه و لا محيص عنه قال الله تعالى فى كتابه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)
فاشار عليه السلام: فى هذه الكلمات ما سيوقع بكل واحد من افراد البشر مؤمناً كان او كافراً ايضاً كان او اسوداً حين الموت و بعد الموت فالكلام يقع فى مقامين:

المقام الاول: ما يراه الانسان عند الموت ولذا ذكر فيه الآيات اولاً ثم نرد فيها بذكر بعض الاخبار الواردة فيه.

فمن الايات ما ورد فى كيفية موت الكفار و منها ما ورد فى كيفية موت المؤمن.

فمن الاولى:

قال الله تعالى: ﴿قال الله تعالى: وَ لَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٣)

و : «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لَمْ يَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»^(١)

ومن الثانية :

قال الله تعالى : «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»^(٢)
و : «تَحَيَّتُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ»^(٣)

و : «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»^(٤)

و : «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي فِي جَنَّتِي»^(٥)

و : «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ، وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ. فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ. تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ. فَرُوحٌ وَ رِيحَانٌ وَ جَنَّتٌ نَعِيمٌ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الظَّالِمِينَ. فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ. وَ تَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ»^(٦)

و : «وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ»^(٧)

و : «وَ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ»^(٨)

أما الأخبار: فمنها ما رواه في البحار بإسناده عن أبي محمد العسكري عليه السلام عن آبائه قال عليه السلام قيل للصادق عليه السلام صف لنا الموت

قال عليه السلام للمؤمن كاطيب ريح يشمه لطيبه و ينقطع التعب و الالم كله منه و للكافر كلسع الأفاعى و لذع العقارب او اشد قيل: فان قوماً يقولون انه اشد من نشرٍ بالمناشير و قرصٍ بالمقاريض و رضحٍ بالاحجار و تدوير قُطب الأرحية على الاحداق، قال عليه السلام كذاك هو على بعض الكافرين و الفاجرين، الاترون منهم من يُعاعين تلك الشدائنه فذالكم الذى هو اشد من هذا الأعداب الآخرة فانه اشد من عذاب الدنيا

قيل: فما بالنار ترى كافراً يسهل عليه النزع فينطفي و هو يحدث و يضحك و يتكلم و فى المؤمنين ايضاً من يكون كذاك و فى المؤمنين و الكافرين من يقاسى عند سكرات الموت هذه الشدائد.

فقال عليه السلام: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، و ما كان من شديد فتمحيصه من ذنوبه ليروا الآخرة نقياً نظيفاً مستحقاً لثواب الابد لا مانع له دونه و ما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفى اجر حسنات فى الدنيا و الآخرة و و ليس له الا ما يوجب عليه العذاب و ما كان من شدة على الكافر فهوا ابتداء عذاب الله له ذالكم بان الله عدل لا يجور، انتهى «بحار الانوار، ج ٣، ص ١٢٣، ط كميانى»...

و باسناده ايضاً عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام قال: رسول الله ﷺ لو ان مؤمناً اقسَم على ربه عزوجل ان لا يميته ابداً ما اماته ابداً و لكن اذا حضر اجله بعث الله عزوجل اليه ريحاً يقال له المنسية و ريحاً يقال له المسخية فاما المنسية فانها تنسيه اهله و ماله و اما المسخية فانها تسخى نفسه عن الدنيا حتى يختار ما عند الله تبارك و تعالى. انتهى «ص ١٢٤»...

و فى حديث سئل الحسن ابن على عليه السلام ما الموت الذى جهلوه قال اعظم سرور يرد على المؤمنين اذا نُقلوا عن دار النكد الى نعيم الابد و اعظم ثور يرد على الكافرين اذا نُقلوا عن جهنم الى نار لا تبديد و لا تنفذ، انتهى «ص ١٢٤»...

و باسناده عن يا سر الخادم قال سمعت الرضا عليه السلام يقول ان اوحش ما

يكون هذه الخلق في ثلاثة مواطن، يوم يُولد و يخرج من بطن أمه، فيرى الدنيا، و يوم يموت فيعابن الآخرة و أهلها، و يوم يُبعث فيرى احكاماً لم يرها في دار الدنيا و قد سلم الله عزَّوجلَّ على يحيى في هذه المواطن الثلاثة و آمن روعته فقال و سلم عليه يوم وُلد و يوم يموت و يوم يُبعث حياً و قد سلم عيسى بن مريم، على نفسه في هذا المواطن الثلاثة فقال و السَّلام على يوم ولدتُ و يوم أموت و يوم أُبعث حياً، انتهى «ص ١٣٥»...

و باسناده عن السَّكوني عن ابي عبدالله عليه السلام قال عليه السلام ان امير المؤمنين عليه السلام اشتكى عينه فعاده النبي فاذا هو يُصيح فقال له النبي صلى الله عليه و آله و سلم اجزعاُ ام و جعاُ فقال عليه السلام يا رسول الله ما و جعتُ و جعاُ قطَّ اشدَّ منه فقال عليه السلام يا علي ان ملك الموت اذا نزل لقبض روح الكافر نزل و معه سفود من نار فنزع روحه به فتصيح جهنم فاستوى على عليه السلام جلساً فقال يا رسول الله اعد على حديثك فقد انساني و جعي ما قلت. ثم قال عليه السلام هل يصيب ذلك احداً من امتك قال صلى اللّ عليه و آله و سلم نعم، حاكمُ جائرٌ، و آكل مال اليتيم ظلماً، و شاهد زورٍ، انتهى «ص ١٣٩»...

و باسناده ابضا عن ابي عبدالله عليه السلام قال عليه السلام ان عيسى ابن مريم جاء الى قبر يحيى ابن زكريا و كان سئل ربّه ان يحييه له فدعاه فأجابهُ و خرج اليه من القبر فقال له ما تُريد مِنّي فقال اريد ان تُؤنسني كما كُنت في الدنيا فقال له يا عيسى ما سَكنت عني مرارة السُّوق و انت تريد ان تعيدني الى الدنيا و تُعود عليّ حرارة الموت فتتركه و عاد الى قبره، انتهى «ص ١٣٩»...

و باسناد عن ابي جعفر عليه السلام قال عليه السلام ان فتية من اولاد ملوك بني اسرائيل كانوا متعبدين و كانت العبادة في اولاد ملوك بني اسرائيل و انهم خَرَجُوا يَسِيرُونَ في البلاد ليعتبروا فَمَرُّوا بقبر علي ظهر الطَّرِيق قد سفي عليه السَّافي ليس يتبين منه الا رَسمه فقالوا لو دَعَونا الله المساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فسئلنا كيف وجد طعم المَوْت فدَعَونا الله و كان دعائهم الَّذي دَعَونا الله به اليهنا يا ربنا ليس لنا إله غيرك و البديع الدائم غير الغافل

الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوت لَكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ شَأْنٌ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ انْشُرْ لَنَا هَذَا الْمَيِّتَ بِقَدْرَتِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبْرِ رَجُلٌ أبيضُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةَ يَنْقُضُ رَأْسَهُ مِنَ التُّرَابِ فَرَعَا شَاخِصًا بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ لَهُمْ مَا يَوْقِفُكُمْ عَلَى قَبْرِي؟ فَقَالُوا دَعَوْنَاكَ لِنَسْئَلَكَ كَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمْ لَقَدْ سَكَنْتُ فِي قَبْرِي تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَنَةً مَا ذَهَبَ عَنِّي أَلَمُ الْمَوْتِ وَكَرْبُهُ وَلَا خَرَجَ مَرَارَةً طَعْمَ الْمَوْتِ مِنْ حَلْقِي فَقَالُوا لَهُ أَمَّتْ وَأَنْتَ عَلَى مَا نَرَى أبيضَ الرَّأْسِ، وَاللَّحْيَةَ قَالَ لَا وَلَكِنْ سَمِعْتُ الصَّيْحَةَ أَخْرَجَ اجْتَمَعَتْ تُرْبَةُ عِظَامِي إِلَى رُوحِي فَبَقِيْتُ فِيهِ فَخَرَجْتُ شَاخِصًا بَصْرِي مَهْطِعًا إِلَى صَوْتِ الدَّاعِي فَايْبِضُ لِذَلِكَ رَأْسِي وَلِحْيَتِي، انْتَهَى «ص ١٣٩»...

المقام الثاني: في ما يراه بعد الموت و الكلام فيه ايضا يقع في موضعين:

الموضع الاول: فيما يراه المؤمن بعد موته.

الموضع الثاني: فيما يراه الكافر بعد موته.

اما البحث في الموضع الاول: فقد ورد فيه آيات و روايات.

فمن الآيات ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١)

و: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢)

و: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)

اما الاخبار الواردة فيه:

فمنها - ما رواه في البحار قال سئل رسول الله كيف يتوفى ملك - الموت للمؤمن؟ فقال: ان ملك الموت ليوقف من المؤمن عند موته موقفا العبد الذليل من المولى فيقوم هو اصحابه لا يدنوا منه حتى يبدء بالتسليم و يبشّره

بالجنة انتهى «ج ٣، ص ١٣٧، ط كمپانى»...

ومنها - ما رواه باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان ابن آدم اذا كان فى آخر يومٍ من الدنيا واول يومٍ من الآخرة مثل له اهله و ماله و ولده و عمله فيلتفت الى ماله فيقول و الله انى كنت عليك لحريصا شحيحا فمالى عندك يقول خذ منى كفنك.

ثم يلتفت الى ولده فيقول: و الله انى كنت لك لمحببا و انى كنت عليك لمحاميا فماذا الى عندكم فيقولون نوديك الى حضرتك و نواريك فيها.
ثم يلتفت الى عمله فيقول: و الله انى كنت فيك لزاهدو انك كنت على لثقيلا فماذا عندك فيقول انا قرينك فى قبرك و يوم حشرك حتى اعرض انا و انت على ربك فان كان الله وليا اتاه اطيب الناس ريحا و احسنهم منظرا و ازينهم رياضا فيقول ابشر بزوح من الله و ريحان و جنة نعيم قد قدمت خير مقدم فيقول من انت؟ فيقول انا عمك الصالح ارتحل من الدنيا الى الجنة و انه ليعرف غاسله و يناشد حامله ان يعجله فاذا دخل قبره اتاه ملكان و هما فتانا القبر يجزان اشعارهما و يبحثان الارض بانيا بهما، و اصواتهما كالرعد القاصف و ابصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك و من نبيك و ما دينك فيقول:

الله ربى، و محمداً نبى و الاسلام دينى فيقولان ثبتك الله فيما تحب و ترضى و هو قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (١)

فيفتحان له فى قبره مد بصره و يفتحان له بابا الى الجنة و يقولان ثم قرير العين نوم الشاب النائم و هو قوله تعالى: اصحاب الجنة يؤمئذ خير مستقرا و احسن مقبلا، انتهى موضع الحاجة منه «ج ٣، ص ١٥٥»...
ومنها - ما رواه باسناده عن ابى عبد الله عليه السلام قال ان المؤمنين اذا اخذو

مُضَاجِعَهُمْ اصْعَدَ اللهُ بِأَرْوَاحِهِمْ إِلَيْهِ فَمَنْ قَضَى لَهُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ جَعَلَهُ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ كُنُوزُ رَحْمَتِهِ وَ نُورُ عِزَّتِهِ وَ ان لم يَقْدِرْ عَلَيْهَا الْمَوْتَ بَعَثَ بِهَا مَعَ امْنَائِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْآبِدَانِ الَّتِي هِيَ فِيهَا، انتهى «ج ٣، ص ١٥٥»...

ومنها - ما رواه أيضا باسناد عن ابي بصير عن احدهما عليه السلام قال عليه السلام اذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره سنته صورة فيهن صورة احسنهن وجها و ابهاهن هيئة و اطيبهن ريحا و انظفهن صورة فيقف صورة عن يمينه و اخرى عن يساره و اخرى بين يديه و اخرى خلفه و اخرى عند رجله و تقف التي هي احسنهن فوق رأسه فان أتى عن يمينه منعت التي عن يمينه، ثم كذاك الى يوتى من الجهات الست قال عليه السلام فتقول احسنهن صورة و من انتم جزاكم الله خيرا فتقول التي عن يساره انا الزكوة و تقول التي بين يديه انا الصيام و تقول التي خلفه انا الحجّ و العمرة و تقول التي عند رجله انا برّ من و صلت الى اخوانك ثم يقلن من انت فانت احسننا وجها و اطيبنا ريحا و ابهانا هيئة فتقول انا الولاية لآل محمد صلى الله، انتهى «ج ٣، ص ١٥٧»...

الموضع الثاني: فيما يراه الكافر عند موته و بعده.

فمن الآيات: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١)
و: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(٢)

و: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا اِشْتَدَّتْ وَ اِحْيَيْتَنَا اِشْتَدَّتْ فَاَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ﴾^(٣)

و: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهيقٌ﴾^(٤)
﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْاَرْضُ﴾^(٥)

و : «النَّارِ يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا» (١)

و : «أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ» (٢)

و : «يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا» (٣)

و من الاخبار الواردة فيه: قال رسول الله ﷺ ان الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئا الا سمعها و يذعربها الا الثقلين الحديث «ص ١٥٥»...

و قال امير المؤمنين في حديث نقلناه شطرا منه و هو الحديث الثاني مما يراه المؤمن بعد موته ما هذا الفظه:

و اذا كان لربه عدوا فانه ياتيهِ اقبح خلق الله ريشا و انتنه ريشا فيقول له ابشرب بنزل من حميم و تصلية جحيم و انه ليعرف غاسله و يناشد حامله ان يحسبه فاذا ادخل قبره ايتاه ممتجنا القبر فالقيا عنه اكفانه ثم قال له من ربك و من نبيك و ما دينك فيقول لا ادري، فيقولان له ما دريت و ما هديت فيضرباه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة الا يذعربها الا الثقلان (ما خلا الثقلان) ثم يفتحان له بابا الى النار، ثم يقولان له الى ان قال ﷺ: حتى ان دماغه يخرج من بين ظفزه و لحمه و يسلم الله عليه حيا الارض و عقاربها الحديث «ج ٣، ص ٥٥»...

و منها - ما رواه باسناده عن موسى ابن جعفر عن ابيه قال ﷺ اذا مات المؤمن شيعه سبعون الف ملك الى قبره و ساق الحديث الى ان قال ﷺ...

و اذا مات الكافر شيعه سبعون الفا من الزبانية الى قبره و انه ليناخذ حامله بصوت يسمعه كل شىء الا الثقلان و يقول لو ان لى كرة فاكون من المؤمنين و يقول رب ارجعون لعلى اعلم صالحا فيما تركت فتجيبه الزبانية كلا انها كلمة انت قائلها و يناديهم ملك لورد لعاد لما نهى عنه فاذا ادخل قبره

و فارقه النَّاسُ أتاها مُنْكَرٌ و نكيرٌ فى أهول صورة فيقيمانه.

ثمَّ يقولان مَنْ رَبِّكَ و ما دينك فيتلجج لسانه و لا يقدر على الجواب فيضربانه ضربة من عذاب الله يذَّعزلها كلَّ شىء، ثمَّ يقولان له مَنْ رَبِّكَ و مَنْ نبيِّكَ و ما دينك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريتَ و لا هديتَ و لا اقلحتَ، ثمَّ يفتحان له بابا الى النَّار و ينزلان من الحميم من جهنم، و ذلك قول الله عزَّ و جلَّ و اما ان كان من المُكذِّبين الضَّالين فنزلُ من حميمٍ يعنى فى القبر و تصلية جحيم، يعنى فى الآخرة، انتهى «ج ٣، ص ١٥٤»...

و الاحاديث و الآيات فى الباب كثيرة جدًّا الا يمكن استقصائها، و استيفائها الا فى كتاب مفرد و فيما ذكرناه كفاية.

ان قلت - ما ذكرته من الآيات و الاحاديث فى شرح قوله ﷺ فانكم لو عاينتم الخ.

لا يدلُّ الا على شدة الموت بالنسبة الى الكفار و اما المؤمن فهو بمُستريح منه مع ان ظاهر الخطاب فى قوله ﷺ فانكم الخ انما هو للمسلمين و المؤمنين لا الكافرين و المشركين فما ذكره عليه السلام لا يناسب ما ذكرته.

قلت - ليس الأمر كما زعمت فان قوله عليه السلام: لا يدلُّ على اكثر من ان المسلم المؤمن ايضا يعاين حين موته و بعد موته ما يسوئه و الآيات و الاخبار التى ذكرناها ايضا تؤيده فانها لا تدلُّ على نفى العقبات بالنسبة الى المؤمن رأسا بل تدلُّ على انه فى فسحةٍ من العذاب بالقياس الى غيره الا ان يكون من المؤمنين الخالصين فى الايمان و لتوضيح المقام نقول.

المخاطبون بهذا الكلام - اما ان يكونوا من المؤمنين الكاملين فى العلم و العمل و الاعتقاد.

و اما ان يكونوا من المتوسطين فى الايمان.

و اما ان يكونوا من المنافقين المذبذبين بين المؤمن و الكافر فهذه

اقسام اربعة:

أما القسم الأول - فهو خارج عن البحث قطعاً ولا يشمل الكلام يقينا لوجود القرائن الدالة عليه، من قبيل.

□ قوله ﷺ: سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَقَوْلُهُ لَقَدْ بَصَّرْتُمْ إِنَّ أَبْصَرْتُمْ وَأَسْمِعْتُمْ إِنَّ سَمِعْتُمْ إِلَى آخِر...

ما قال ﷺ ضرورة أن المؤمن الكامل في الإيمان سامع مطيع بصير في دينه يعتبر بما فيه الاعتبار فهذه الكلمات المصدرة بالشرط لا تناسبه وهو ظاهر.

فكلامه ﷺ يدور مدار الأقسام الثلاثة من المؤمنين المنافقين، والكافرين و الجمع بين هذه الثلاثة في شمول الكلام لها أولى من الطرح، ويؤيده قوله ﷺ من مات منكم، حيث أنه لم يقل من مات من قبلكم حتى يشمل الأقسام الأربعة وهذا لطيف جداً.

ولا شك أن هذه الأصناف الثلاثة على خطرٍ عظيم على تفاوت مراتبها فلا محيص لهم عن الأبتلاء بتلك الشدائد المؤلمة والنكبات المفجعة - حين الموت وبعده ونحن نعلم علماً قطعياً بأن المخاطبين كانوا من أهل البصرة والكوفة وما شابههما من المسلمين في صدر الإسلام وأكثرهم بل جلهم كانوا من المنافقين كما هو ظاهر.

و أما الخواص من أصحابه و شيعته فهم منزهون عن هذه الخطابات كصعصعة ابن صوحان و ميثم التمار و كميل ابن زياد النخعي و مالك الاشر و امثالهم فلا يصدق عليهم قوله ﷺ ان بَصَّرْتُمْ و قوله ان سَمِعْتُمْ لكونهم من أهل البصرة و السامعين لكلامه ﷺ بلا كلام.

فكلامه عليه السلام: متوجه الى الكفار و المنافقين و ضعفاء المسلمين و المؤمنين الى يوم القيمة و الآيات و الآثار الواردة الدالة على أن المؤمن لا يُعاین و لا يُشاهد مكروها حين الموت و بعده ناظرة الى الكاملين منهم فلا منافات.

□ قوله ﷺ: لَجَزِعْتُمْ وَ وَهَلْتُمْ وَ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ...

و الألام للجزاء اى لو كُنتُمْ عايَنتم لجزعْتُمْ وَ وهَلُتُمْ الخ. و حيث انكم لا تجزعون و لا تفزعون و لا توهلون و لا تسمعون و لا تطيعون فمعلوم انكم لم تُعاینو ما عاینوه و هود لیل علی یفاهم و ضَعف ايمانهم فان المؤمن -الواقعی لابد له من ان يكون علی یقین ممّا آتاه الرسول من ربه و الشك ینافیهِ.

و انما رتب علیه السلام: الجزع و غیره علی المعاینة و قال لو عاینتم لكان كذلك من الالفاظ المفهمة لهذا المعنى ظاهراً لنکته دقیقة لابد لنا من التنبیه علیها و هی ان المؤمن الحقیقی لابد من كونه علی یقین فی دینه و للیقین ثلاث مراتب:

المرتبة الاولى: عِلْمَ الْيَقِينِ وَ الثَّانِيَةَ عَيْنَ الْيَقِينِ، وَ الثَّلَاثَةَ حَقَّ الْيَقِينِ وَ الی هذه المراتب الثلاثة اشیر فی كتابه الکریم حيث قال عَزَّ مِنْ قائل. ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ اِنْ هَذَا لَهٗوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾^(١) و الفرق بينها انما ینکشف بمثال فعلم الیقین بالنار مثلاً هو مشاهدة المرثیات بواسطة نورها و عین الیقین بها هو معاینة جرمها و حق الیقین بها الأحتراق فیها و انمحاء الهویة بها و الصیرورة نارا صرفا و لیس وراء هذا غایة و لا هو قابل للزیادة لو کشف الغطاء ما ازددت یقینا.

اذا عرفت هذا فاعلم انه ﷺ لم یقل لو علمتم ما قد علموا منکم، لان هذا الکلام منه ﷺ او من اى شخص صدر لا یفید الا العلم باحوال الموت و ما ورائه فلو فرضنا كون هذا العلم مفید للقطع و الیقین بلا شائبة خلاف فیهِ فیعبّر عنه بعلم الیقین و هو مع ذلك لا یوجب الفزع و الجزع و لا یصح تفریعه علیه فان العلم بوجود النار فی المثال الثی مثلنا به مثلاً لا یوجب الفرار منها و الجزع عنها.

و بعبارة اخرى: مشاهدة المرثیات بسبب النار تدل علی وجودها و اما ان ماهية النار اى شىء أهی مُحترقة ام لا فلا یستفاد منها كما هو ظاهر.

و كذالك فيما نحن فيه فان العلم بالموت و العقبات التى فيه وما يقع بعده لا يوجب الجزع و الفرع لعدم العلم بماهيته و كفيته النزع و مراحل القبر و غيرها و العلم بالشىء بهذا المعنى، و بعبارة اخرى العلم بوجود الشىء غير العلم بحقيقته و ماهيته فان الوجود غير الماهية و الحقيقه مفهوما و ان اتحد معها مصداقا فى الخارج.

فلا يلزم من العلم بوجود الموت و ما يتفرع عليه العلم بحقيقته و ماهيته و لذلك لم يعبر عليه السلام فى كلامه به و عبر بقوله لو عاينتم الخ و ذلك لان المعاينة و المشاهدة و الاطلاع على حقيقة الشىء ء توجب المواظبة عليه و المراقبة على لوازمه الا ترى ان من رأى ناراً و عاين جرمها بعينه و انها مُحترقه يجتنب عنها حق الاجتناب و لا يداينها، فالتعبير فى كلامه عليه السلام بهذه الكلمة اعنى (عاين) اشارة الى مرتبة الثانية من المراتب الثلاثة فى اليقين و نعبّر عنه بعين اليقين و لا شك فى انه يوجب ما فرّع عليه السلام عليه.

فان الانسان اذا عاين الموت و ذركاتها و عقباتها و انه ذويهيّة تصفر منها الأنامل، فلا جرم يَجزع و يفرع و يخاف منه فيكون سامعاً مطيعاً لله و رسوله و اوصيائه.

و اما انه عليه السلام لم يتعرض للمرتبة الثالثة اعنى حق اليقين لكون هذه المرتبة مُختصة به عليه السلام و باوصيائه و لا حظ لغيرهم فيها و ذلك لان الانسان اذا وصل الى هذاالمقام فلا تبقى له هوية حتى يَجزع او يفرع بل كله الجزع و الفرع و السمع و الطاعة فليست فى هذه المرحلة انية اصلاً عنت الوجوه للحى القيوم - ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

بين المُحبين سرُّ ليس يُفِيشه قولٌ و لا قلم للخِلق يحكيه
فقد ظهر لك ممّا ذكرناه سرّ تعبيره ﷺ بقوله عاينتم دون علمتم، و عليه
فالمقصود من هذاالكلام هو انه كيف يدعى اليقين فى المرتبة الثانية اعنى عين
اليقين و هو لا يَجزع من الموت أبداً مع ان الملزوم لا يمكن انفكاكه عن اللّازم

و حيث ثبت فى المقام عدم الجَزَع و الوَحْشَة عن الموت فيُكشَف منه عدم وصولهم الى مرتبة عين اليقين بدليل الإلّ و هو المطلوب.
 و ان شئت ان تجعل قوله عليه السّلام هذا فى صورة القياس فتقول: فلانّ مثلا عاين الموت بعين اليقين، و كلّ من عاينه كذلك يجزَع ينتج فلان يجزَع و يفزع.

ثمّ نجعل النتيجة صغرى لقياس آخر و نقول فلانّ يجزَع و كلّ من كان كذلك قد عاين الموت فهو قد عاين الموت او نقول انكم لو عايتم الموت نجزعتم لكنكم لا تجزعون ينتج انكم ما عايتم الموت فالكلام برهانى، لا غبار عليه.

□ قوله ﷺ: وَ لَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَ قَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ...

ثمّ استدرك عليه السّلام بقوله: ولكن محجوب الخ.

فكأنه اعتذر عن قبلهم و قال كيف اتوقّع منكم الجَزَع عن الموت و ألا طاعة لله و رسوله مع انّ هذه الأمور تتوقّف على اليقين بالمعنى الذى ذكرناه و هو لم يحصل لكم بعد، فمن لم يقطع بشىء فكيف يخاف من لوازمه.

ثمّ اشار عليه السّلام بانّ هذه الغفلة لا تدوم و ذلك لانّ منشائها هو العلائق الجسمانية المادية فى عالم الطبيعة من حبّ البقاء و حبّ المال و حبّ الأولاد و غير ذلك و لاشكّ فى كونها غير دائمة بل لا بقاء لها، ألاّ يحسب الوهم و الخيال و هذا الوجود الوهمى ايضا سينقطع بالموت فانّ الموت فى الحقيقة لا معنى له الاّ قطع العلائق المادية و طرح الحُجُب الجسمانية فكلّ من كانت العلائق فيه أشدّ و أكملّ كان الموت عليه اصعبّ و بالعكس و لذلك غير عليه السّلام عنها با الحجاب لكونها مانعة من مشاهدة الملكوت كما انّ الحجاب فى عالم المادة مانع للرؤية فكلامه هذا من احسن الاستعارات.

□ قوله ﷺ: وَ لَقَدْ بَصَّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَأَسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ وَ هَدَيْتُمْ إِنْ

والمقصود من هذه الكلمات ان الرسول ﷺ لم يقصّر في تبليغ الرّسالة و
انفاذ احكام الله تعالى و انما القصور او التقصير منا و ذلك لانه ﷺ قد بين لنا
الحلال الحرام و خلف فينا الكتاب و العترة لقوله ﷺ: انى تارك فيكم الثقلين،
او مخلف فيكم الثقلين كتاب الله، و عترتى اهل بيتى ما ان تمسكتم بهما لن
تضلوا ابدا، الحديث.

و قد رواه الفريقان و لا شك لنا ان القرآن جامع لكل ما يحتاج اليه الناس
الى يوم القيمة قال الله تعالى: ﴿لا رطب و لا يابس الا فى كتاب مبين﴾، و الأئمة
المعصومون هم المفسرون له و فيه الحلال و الحرام و المواعظ و الاعتبار و
القصاص و الاختيار الا ان اكثر المسلمين لنفاهم و شقاقهم تركوا الكتاب و
جعلوه وراء ظهورهم و لم يستفيدو منه حق الاستفادة فا الحجة قد تمت.

و انما قال عليه السلام: ما قال لان اكثر المسلمين فى زمانه كانوا فى زمرة
المنافقين فلم يهتدوا بنور هدايته و لم يسمّوا كلامه فكأنه عليه السلام قال انا
بصرتكم فى أمور دينكم و دنياكم ان كنتم من اهله و اسمعتكم كلام الحق ان
كنتم سامعين له و ميّزت لكم الحق عن الباطل و عرفتكم الصراط السوى و
الطريق المستقيم ان كنتم من المهتدين.

فقوله عليه السلام: هذا مقتبس من قوله تعالى حيث قال ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ
هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١)

□ قوله ﷺ: وَ بِحَقِّ أَقْوَلُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتُمْ الْعِبْرَ وَ زَجَرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ
وَ مَا يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشْرُ...

بين ﷺ فى المقام ثلاثة امور:

احدها قوله ﷺ: لَقَدْ جَاهَرْتُمْ الْعِبْرَ المقصود ان موارد الاعتبار فى هذه

الدنيا جليلة غير خفية فإن الحوادث الواقعة في القرون السالفة، و الأمم الماضية و الأبنية الدائرة و القصور الخالية و غيرها من الامور التي يجب ان يعتبر بها من أقوى الدلائل و الشواهد على المدعى.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١)

و: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٢)

و: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (٣)

و: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٤)

و: ﴿وَ لَقَدْ تَرَكْنَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٥)

و: ﴿وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٦)

و: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا شَرِدًا

مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارُ الْأَرْضِ وَ عَمْرُوهَا أَكْثَرُ مِمَّا عَمَّرُوهَا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٧)

و: ﴿وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٨)

و: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولَى الْأَبْصَارِ﴾ (٩) و الآيات فيه كثيرة.

روى المجلسي (قدّه) في البحار باسناده عن ابي عبدالله قال عليه السلام

كان امير المؤمنين عليه السلام يقول نبّه بالتفكر قلبك و جاف عن الليل جنبك و اتق

الله ربك انتهى «بحار الانوار، ج ١٥، ص ١٩٣، كتاب الايمان و الكفر، ط

كمپاني»...

و روى ايضا باسناده عن ابي عبدالله قال عليه السلام أفضل العبادة ايمان التفكر

٢. الأنعام - ١١.

٤. يوسف - ١١١.

٦. العنكبوت ٤٣/.

٨. الحشر - ٢١.

١. آل عمران - ١٣٧.

٣. الزوم - ٩.

٥. العنكبوت - ٣٥.

٧. الزوم - ٩.

٩. الحشر - ٢.

فى الله و فى قدرته «ص ١٩٤»...

و روى ايضا عن ابى عبدالله قال قال رسول الله ﷺ اغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال الى حال، انتهى «ص ١٩٤»...

و روى ايضا باسناد عن اسماعيل ابن بشر ابن عماد قال كتب هرون لعنة الله عليه الى موسى بن جعفر عليه السلام عظيمى و اوجز قال قكتب ﷺ اليه ما من شىء تراه عينك الا فيه موعظة، انتهى «ص ١٩٥»...

و قال الصادق عليه السلام: اعتبروا بما مضى من الدنيا هل بقى على احدٍ و هل فيها باقى من الشريف و الوضيع و الغنى و الفقر فكذلك ما لم يات منها بما مضى اشبه من الماء بالماء قال رسول الله ﷺ كفى بالموت واعظا و بالعقل دليلا و بالتقوى زادا و بالعبادة شغلا و بالله مونساً و بالقرآن بياناً، انتهى «ص ١٩٥»...

و لما توجه امير المؤمنين ﷺ الى صفين انتهى الى ساباط المدائن ثم الى مدينة و اذا رجل من اصحابه يقال له خريز ابن سهم من بنى ربيعة ينظر الى آثار كسرى و هو يتمثل بقول يعفر التميمى حيث قال:

جرى الرياح على مكان ديارهم فكانما كانوا على ميعاد

فقال له على ﷺ: «أفلا قلت: كم تركوا من جنات و عُيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك و أوزننا قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء و الأرض»^(١)

ثم قال ﷺ ان هؤلاء كانوا وارثين فاصبحوا موروثين ان هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبو دنياهم بالمعصية اياك و كفر النعم لا تجل بكم النقم
قال المسعودى فى مروج الذهب سعى الى المتوكل بعلى ابن محمد الجواد ﷺ و ساق الحديث الى ان قال فقال له المتوكل انشد فى شعرا فقال عليه السلام: انى قليل الرواية للشعر. فقال: لا بد فانشده و هو جالس عنده:

باتوا على قُلل الأَجبال تحرسُهُم
 واستنزلوا بعدَ عزٍّ مِن معادهم
 ناداهم صارخٌ مِن بعدِ دَفنهم
 ابنَ الوجوه التي كانت منعمَةً
 فافسح القبر عنهم حين سائله
 قذال ما اكلوا دهرًا وقد شربوا
 غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
 واسكنوا حفرا يابئس ما نزلوا
 اين الا ساوروا التيجان والحلل
 من دونها تضرب الأثار والكُلل
 تلك الوجوه عليها الدود ينتقل
 واصبحوا اليوم بعد الأكل قداكلوا

وثانيها قوله ﷺ: وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ...

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ. حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ
 النَّذْرَ﴾ الى ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ عَذَابِي وَنَذْرٍ. وَ لَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
 فَهَلْ مُدَكِرٍ﴾ (١)

و: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ (٢)

و: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ﴾ (٣) و الآيات في هذا الباب ايضا

كثيرة.

روى انه لما تم لهود ﷺ اربعون سنة اوحى الله تعالى اليه ان ائت قومك فادعهم الى عبادتي و توحيدى فان اجابوك زيدتهم قوّة و اموالاً فيبيناهم مجتمعون اذاتاهم هود ﷺ فقال با قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره فقالوا يا هود لقد كنت عندنا ثقة اميناً قال فانى رسول الله اليكم دعوا عبادة الأصنام فلما سمعوا ذلك منه بطشوا به و خنقوه و تركوه كالميت فبقى يومه و ليله مغشياً عليه فلما افاق قال يا رب انى قد اعلمت و قدرى ما فعل بى قومى فجاء جبرئيل فقال يا هود ان الله يامرک ان لاتفتعن دعائهم وقد وعدك ان يلقى فى قلوبهم الرعب فلا يقدرن على ضربك بعدها.

فاتاهم هود فقال لهم قد تجبرتم فى الأرض واكثرتم الفساد. فقالوا يا هود

أترك هذا القول فإنا ان بَطْشَنَابِكِ الثَّانِيَةِ نَسَيْتِ الْأُولَى، فقال: دَعُوا هَذَا
وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَتَرَبُّوا إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ مَا لِبَيْتِهِمْ مِنَ الرَّعْبِ عِلِمُوا أَنَّهُمْ
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ضَرْبِهِ الثَّانِيَةِ فَاجْتَمَعُوا بِقُوَّتِهِمْ فَصَاحَ بِهِمْ هُودٌ صَيِّحَةً فَسَقَطُوا
لَوْجُوهِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ هُودٌ يَا قَوْمِ قَدْ تَمَادَيْتُمْ فِي الْكُفْرِ كَمَا تَمَادَى قَوْمَ نُوحٍ وَخَلِيقٌ أَنْ أَدْعُو
عَلَيْكُمْ كَمَا دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ، الْحَدِيثُ.

وكذلك قوم صالح وقوم نوح ولم يكن ما وقع عليهم الأعدام - مبالاتهم
بالنذر وحكم الامثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَكَتْ فِئْتٌ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا
فِي الْعَالَمِ﴾ (١)

و: ﴿الَّذِينَ تَرَكَتْ فِئْتٌ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (٢) وسيأتي الكلام منافية مفصلاً
ان شاء الله تعالى.

وَمَا يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ...

كَأَنَّ قَوْلَهُ هَذَا جَوَابٌ عَنْ سُئَالٍ مُقَدَّرٍ وَهُوَ أَنَّهُ أَيُّ دَلِيلٍ قَامَ عَلَى صِحَّةِ
مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَوْلِكَ فَأَنْتُمْ لَوْ عَانَيْتُمْ مَا قَدَعَايْنِ مِنْكُمْ إِلَى آخِرِهِ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى
الْمَعَايِنَةِ الْمَذْكُورَةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا فَلَوْ صَحَّ مَا ذَكَرْتَ لَوْ جَبَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُبْلَغَهُ
بِوَسْطَةِ الْمَلَائِكَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ حَتَّى نَقْطَعَ بِكَوْنِهِ حَقًّا.

فاجاب ﷺ: عنه بما حاصله ان التبليغ عن الله تعالى الى عباده لا يكون الا
بواسطة البشر ولذلك جعل الانبياء منهم قال الله تبارك وتعالى: في كتابه: ﴿قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (٣)

وقد فرغنا في بحث النبوة عن البحث فيه واشبعنا الكلام في اثباته فلانعيده
خوفاً للإطالة و دفعاً للملالة.

وامّا قوله ﷺ: **بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ** فهو اشارة الى وساطة ملك الوحي بين الله تعالى ورسوله بحسب ظاهر الأمر والأمر في الواقع ونفس الأمر فالأمر بالعكس ضرورة انّ الانبياء وخصوصاً المرسلين منهم ولا سيما نبينا ورسولنا خاتم الانبياء هم الوسائط في الفيض في الأفاضة من مبدء الفياض على ما سواه كيف وقد قال الله تعالى مخاطباً لرسوله ﷺ لولاك لما خلقت الافلاك فاذا كان وجود الملائكة تابعا ومُسَبَّباً عن وجوده ووجودهم على ترتيب قاعدة امكان الاشرف فتوابع الوجود ولوازمه أولى واحق بالتبعية ولذلك قال سيد الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل الحديث.

ولتفصيل الكلام في هذا المقام محل آخر.

بقي في المقام شئ لا بد من التنبيه عليه وهو ان هذه الخطبة صدرت منه ﷺ في الموت وما يتبعه مما لا بد منه لكل واحد منا ولا محيص لاحد منه، قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾** (١)

فأردنا ان نتبع كلامه ﷺ بذكر مقال في حقيقة الموت وما قيل فيه وانه اى شىء هو هل هو امرٌ وجودي كل ذلك على سبيل الاجمال. قال الغزالي في الاحياء اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنوناً كاذبة قد اخطأ وافئها.

فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

وظن قوم انه يتعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب مادام في القبر الى ان يُعاد في وقت الحشر.

وقال آخرون ان الروح باقية لاتنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي

الأرواح دون الاجساد وانّ الاجساد لا تبعث ولا تُحشر اصلاً وكلّ هذه ظنونٌ فاسدة مائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتُنطق به الآيات والاختبار هو أنّ الموت معناه تغيير الحال فقط وانّ الرّوح باقية بعد مفارقتها الجسد اما مُعذّبة واما مُنعمّة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرّفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فانّ الاعضاء آلات للرّوح تستعملها حتى أنّها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب هي هنا عبارة عن الرّوح والرّوح تُعلم الأشياء بنفسها من غير آلة وكذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكلّ ذلك لا يتعلّق بالأعضاء فكُل ما هو وصف للرّوح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هولها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد حتى تعاد الرّوح الى الجسد ولا يبعدان تعاد الرّوح الى الجسد في القبر ولا يبعدان تؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كلّ عبدٍ من عباده وساق الكلام الى ان قال: واعنى بالرّوح المعنى الذي يُدرك من الأنسان العلوم والآلام ولذات الافراح ومهما بطل تصرّفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم، والادراكات ولا تبطل منها الافراح والغُمووم ولا تبطل قبولها للآلام واللذات و الأنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام واللذات وذلك لا يموت اى لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرّفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له كما انّ معنى الزمّانة خروج اليد عن ان تكون آلة مستعملة فالموت زمّانة مطلقة في الأعضاء كلّها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهى باقية نعم تغيير من جهتين:

احدهما: أنّه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابّه، وغلّماته ودوره وعيقاره وسائر املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء من الأنسان

وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن الملك والمال، والألم واحد في الحالتين وإنما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بأزعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له شىء فى الدنيا يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقائه فى مفارقتة بل يلتفت قلبه الى واحدٍ واحدٍ من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به وان لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ حلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احد وجهي المخالفة والحيوة.

والثانى: انه ينكشف له بالموت ما لم يكن له مكشوفاً فى الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفاً فى النوم والناس نياماً اذا ماتوا نتبهاوا.

اول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطوراً فى كتاب مطوي فى سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطع الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئته الا ويتحسر عليه تائراً يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، انتهى موضع الحاجة منه.

اقول: انما ذكرناه نقلاً عن الاحياء بطوله لما فيه من كشف المعضلات ما لا يخفى.

اذا عرفت هذا فنقول:

لعلك تقول: قوله **عَلَيْكَ**: فى صدر الخطبة فانكم لو عانيتم ما قد عاينوا الى آخرة...

قد دل على ان الميت اذا فارقت روحه جسده يرى بل يعاين ما يحببه وما يبغضه فان المعاينة اقوى من الروية والمفروض انه مات وعطلت قواه

واعضائه وجوارحه فبأى شىء يرى ما يرى ويعاين ما يعاينه.

قلت: قوله عليه السلام: فانكم لو عاينتم الخ...

أدل دليل بل صريح فى تحقق المعاينة هناك وهى اشد من الرؤية، فأن الرؤية تتحقق بالابصار والعيان يتحقق برؤية القلب واطمينانه ولذلك قلنا انه اشارة بمرتبة عين اليقين وحيث ان القلب عبارة اخرى عن الروح.

وان شئت قلت، الفرق بينهما بالا اعتبار لبالذات ولذلك قيل: ان القلب

احدى معانى الروح كما ثبت فى موضعه.

فقوله هذا: اشارة الى بقاء الروح بعدمفارتها عن الجسد كما قال صلى الله

عليه وآله وسلم: خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ وَلَمَّا كَانَتِ الْمَعَايِنَةُ مِنْ أَوْصَافِ الْقَلْبِ

أَوِ الرُّوحِ فَصَحَّ قَوْلُهُ عليه السلام: فانكم لو عاينتم الخ...

ويمكن ان يستنبط من قوله عليه السلام: هذا ان الابصار بالعين الجسدى المادى

الذى من شأنه ان يكون فى عالم المادة لامعنى له هناك فأن الانسان ليس

هذا الجسد العنصرى كما عرفت من تحقيق الغزالى وهو غير متفرّد فيه.

بل هذا قول جمهو الفلاسفة، فأن شيئية الشىء بصورته لابمادته والروح

فى الانسان بمنزلة الصورة كما ان الجسد بمنزلة مادته ويحكم كل شىء يرجع

الى اصله فلا محالة يرجع الجسد الى اصله وهو المادة الترابية.

والروح الى اصلها، قل الروح من امر ربى، فشان الجسد العنصرى الفناء

والاضمحلال، وشان الروح الدوام والبقاء ولذلك لم يقل عليه السلام، لورأيتم

ما قدرأو، لأن الرؤية ظاهرة فى الرؤية البصرى التى هى من لوازم الجسد

المادى بسبب الجليدية والمفروض فناء الجسد.

اللهم الا ان يقال بعود الروح الى الجسد فى القبر كما هو احد الاقوال فى

المسئلة سواء قلنا بالبدن المثالى ام لم نقل به، ولتحقيق الموضوع محل آخر

سياتيک ان شاء الله تعالى البحث فيه .

فتحصل مما ذكرناه ان الموت ليس الأمفارقة الروح عن البدن، او قطع

العلائقِ الماديّة فكلّ ماكانت العلائق اكثر كان الموت اعنى قطع العلائق اشدّ
واصعبَ وبالعكس بالعكس، والرّوايات به متظافرة لو لم تكن متواترة دالّة
على ان الموت ليس الا الانتقال من حالٍ الى حالٍ ومن دارٍ الى دارٍ، ان خيراً
فخيراً وان شراً فشراً، والحمدلله ربّ العالمين.

﴿ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٢١) ﴾

□ قوله ﷺ: فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامُكُمْ، وَإِنَّ وِرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ.

قَالَ الرَّضَى (قَدَّه) أَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَوْ وُزِنَ بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ وَ بَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِكُلِّ كَلَامٍ لَمَالَ بِهِ رَاجِحًا، وَبَرَزَ عَلَيْهِ سَابِقًا. فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا) فَمَا سُمِعَ كَلَامٌ أَقْلُ مِنْهُ مَسْمُوعًا وَلَا أَكْثَرُ مِنْهُ مَحْضُولًا وَمَا أَبْعَدَ غَوْرَهَا مِنْ كَلِمَةٍ وَأَنْقَعَ نُطْقَتَهَا مِنْ حِكْمَةٍ وَقَدْ نَبَّهْنَا فِي كِتَابِ (الْخَصَائِصِ) عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا وَ شَرَفِ جَوْهَرِهَا،

◁ اللِّغَةُ

(تحدوكم) حدّ الابل وبها حدّواذازجرها وغنى لها ليحثها على السير.
(برز) برز الفرس اذا سبق، وباقي اللغات واضح.

◁ المعنى

اورد عليه السّلام هذه الخطبة لبيان الغاية من خلق الانسان وان سيره الى القيامة فقال ﷺ مشيراً الى امر الاول فان الغاية امامكم والى الثانى وان ورائكم السّاعة تحدوكم.

ثم اشار ﷺ الى ان الانسان فى سفره هذا كلما كان اخف مؤنة فوصوله الى المقصد اسهل واقرب بقوله، تخففوا تلحقوا ثم بعد ذلك الى ان السير المذكور

لا اختصاص له بشخص دون شخص وان الأولين، و الآخرين لا بدلهم من
الورود على القيامة الكبرى بقوله فانما ينتظر باولكم آخركم.

◀ الشرح

اعلم: ان هذه الخطبة الوجيزة مع قلة الفاظها تشتمل على اسرار الخلقة من
حيث المبدء والمُنتهى وذكر عليه السلام فيها حقائق لم يسبقه اليها الا الله ورسوله كما
ذكره الرضى (ره) ونحن نقل اولاً ما قاله الشراح فى المقام ثم نردفه بما وصل
اليه عقلمنا الفاتر.

واما ما حققه الرضى (قده) فى كلامه فمعلوم لاخفاء فيه وكتاب الخصائص
لم آره قط ولعله لم يطبع والله اعلم بحقائق الامور، ثم ان كلمات الشراح
اختلفت فى هذا المقام قل كل يعمل على شاكلته، فذهب بعضهم الى ان المراد
بالغاية فى.

□ قوله عليه السلام: **فَانَّ الْغَايَةَ اَمَامَكُمْ**، الموت وانما جعله عليه السلام امامهم لانهم يسيرون
اليه بحركة جبليّة وتوجه غريزي.

وان المراد بالساعة ساعات الليل والنهار قال سُميت بها لانها تسعى الناس
كما سُميت القيامة ساعة لانها تسعى الناس اليها بحركة جبليّة وتوجه غريزي
ايضاً وانما جعلها ورائنا مع كونها منبسطة على مدى العمر وانقسامها الى
الماضى والاستقبال باعتبار انها تحث الانسان تحثياً تسوقاً سوقاً حثياً الى
الغاية التى امامه اعنى الموت الى آخر ما قال.

انتهى ما ذكره الشراح الخوئى فى المقام، ثم انه (قده) نقل ما ذكره البحرانى
فى شرح الكلمات واعترض عليه بما هو مذكور فى شرحه ونحن نذكر ما ذكره
الشراح البحرانى (قده) ثم نعقبه بما ذكره المعتزلى.

ذهب الشراح البحرانى (قده) فى المقام بما حاصله ان المراد بالغاية انما
هو الوصول الى جناب عزته والطيران فى حظائر القدس بأجنحة الكمال مع
الملائكة المُقرّبين بتقريب ان الغاية من وجود الخلق ان يكونوا عباداً له لقوله

تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون. وليس المقصود من العبادة الا الوصول الى جنبه فالوصول اليه تعالى هو الغاية وهو المطلوب ومن المعلوم المسلم عند الكل ان غاية كل انسان امامه اليها يسير وبها يصير.

وقال فى شرح قوله ﷺ **وَإِنَّ وِرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ** المراد بالساعة القيامة الصغرى وهى ضرورة الموت واما كونها ورائهم فلان الانسان بطبعه ينفر من الموت ويفر منه وكانت العادة فى الهارب من الشىء ان يكون ورائه مهروب عنه وكان الموت متأخراً عن وجود الانسان لاحقاً تأخراً ولحوقاً عقلياً اشبه المهروب منه المتأخر اللاحق هرباً وتأخراً ولحوقاً حسيّاً فلاجرم استعير لفظ الجهة المحسوسة وهى الورا.

واما كونهم تحدوهم، فلان الحادى لما كان من شانه سوق الابل بالحاء وكان تذكر الموت وسماع نواد به مقلقاً مزعجاً للنفوس الى الاستعداد لامور الآخرة والأهبة للقاء الله سبحانه فهو يحملها على قطع الطريق البعيدة الوحرة لاجرم اشبه الحدى (الحادى) فاستند الحذاء اليه انتهى.

واما الشارح المعتزلى فقال بأن غاية المكلفين هى الثواب والعقاب ويحتمل ان يكون اراد بالغاية الموت وانما جعل ذلك امامنا لان الانسان كالسائر الى الموت او كالسائر الى الجزاء فهما امامه اى بين يديه ثم قال: وان ورائكم الساعة تحدوكم اى يسوقكم وانما جعلها ورائنا لأنها اذا وجدت ساقط الناس الى موقف الجزاء كما يسوق الراعى الابل الى آخر مقال.

ثم انه نقل عن القطب الراوندى انه قال فان الغاية امامكم:

يعنى: ان الجنة والنار خلفكم ومعنى قوله ورائكم الساعة اى قدامكم ثم اعترض على قول القطب بان الامام ماورد بمعنى خلف وان ورد الورا بمعنى القدام، انتهى.

ولا يحضرنى شرح القطب حتى اراجعه والظاهر انه لم يطبع ولا توجد نسخته وعلى اى تقدير هو اجل شأناً واعلى منزلة من هذا الانتساب والعلم عند الله.

انا اقول: انما ذكرت اقوال الشّراح في شرح العبارة لتعلم انّ الاقوال فيها مختلفة والآراء فيها متكاسدة متعاضة واحسنّ الاقوال فيها ما ذهب اليه المحقّق البحراني (قدّه) واما سائر الاقوال فلا يعُبا بها والعجب كلّ العجب من الخوئي (قدّه) حيث انه بعد ما ذهب الى ما ذهب في معنى العبارة مع انه لم يات بشيءٍ مُقنع اعترض على الشّراح البحراني بما لا يُسمن ولا يُغنى ولم يَعلم انّ الاعتراض والاشكال بعد فهم المراد ونحن لَمَّا رأينا انّ الخوض في اقوالهم وتعيين الصّحيح من السّقيم والكلام فيها بالتقصّ تارة والابرام اخرى ممّا يوجب الملل والكلال وهو خارج عن طور الكتاب فاعرضنا عن ذكر موارد النّظر فيها خوفاً من الاطالة في الكلام بما لا يناسب المقام الا انا سنشير الى بعض وجوه الضّعف فيها في ضمن بيان المختار فنقول:

□ قوله **عَلَيْهِ**: فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ...

أمام بفتح الالف نقيض الورا وهو بمعنى قدام ونقل عن الكسائي انه مؤنثة ويجوز تذكيرها ايضاً.

والغاية في اللّغة النّهاية والمقصد وفي الاصطلاح مالاً جله الفعل يصدر عن الفاعل فانّ افعال العقلاء مُعلّلة بالاغراض وكلّ غاية فهي في الوجود الخارجى لا بدّ وان تكون مؤخراً كما انها في الوجود الذّهني مقدّم وهي التي يقال لها العلة الغائيّة في اصطلاح ارباب المعقول فانّ العلل عندهم اربعة.

احدها: العلة الفاعليّة اعنى من يصدر عنه الفعل و.

وثانيها: العلة الماديّة وهي التي نُسّمِيها مادّة الشّيء في مقابل الصّورة.

وثالثها: العلة الصّوريّة ونعنى بها صورة الشّيء التي بها شيئيّة الشّيء.

ورابعها: العلة الغائيّة وهي التي صارت باعثة على ايجاد الفعل عن الفاعل.

ففي الكرسي مثلاً نقول: النّجار علة فاعليّة، والخشب علة ماديّة وصورة

الكرسي مثلاً علة صوريّة، والنّفْع المُترتب عليه علة غائيّة له فكلّ فعلٍ من

الافعال اذا صدر عن الفاعل الحكيم العاقل لا بدّ له من مراعات الجهات الاربعة

وبها يمتاز العَبَث من غيره.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الانسان من جملة الموجودات في العالم بل أشرفها وأكرمها ومن المعلوم أنّه لم يُوجدِ نَفْسُهُ بل هو مَخْلُوقٌ كسائر المخلوق بالعقل والنقل.

أما العقل: فلأنّه مُمكنٌ وكلّ ممكنٍ يحتاج في وجوده الى المؤثر لكونه في حدّ الاستواء بالنسبة الى الوجود والعدم والمُخْرِج له من الاستواء لا بُدَّ وان يكون غيره والأيلزم الترجيح بلا مرجح وهو قبيح عقلاً محال يقيناً.

أما كونه ممكناً فلأنّه لو لم يكن ممكناً فأمّا ان يكون واجباً او ممتنعاً لعدم خُلُو المفهوم عن هذه الثلاثة وحيث ثبت عدم وجوبه لمسبقيّته بالعدم وعدم امتناعه لأنّه موجود على الفرض فلا بُدَّ من ان يكون ممكناً وهو المطلوب.

وأما كونه في خروجه عن الاستواء محتاجاً الى المؤثر فلما قلناه فثبت و تحقّق وجود المؤثر له في ايجاده وهو المطلوب.

وأما النقل: فلكثير من الآيات والروايات التي لاحاجة لنا الى ذكرها كقوله تعالى: في سورة العلق - خَلَقَ الانسان من عَلَقٍ وقوله تعالى: ولقد خَلَقْنَا الانسان في أحسن تقويم - ولقد خلقناه من صلصالٍ من حماءٍ مسنونٍ وكثير من الآيات.

وإذا ثبت كونه مخلوقاً له تعالى: فلا محالة يكون خلقه لعلّةٍ وغرضٍ فإنّ فعل الحكيم لا يكون عبثاً ولغوياً وهذا ممّا لا كلام فيه عند اهل العلم، والدراية أنّما الكلام والأختلاف في تعيين الغرض الذي خُلِقَ الانسان لاجله فذهب قوم الى أنّ الغرض من خلقه أنّما هو العبادة لقوله تعالى وما خلقت الجنّ والانس الا ليعبدون.

وذهب آخرون الى أنّ الغرض هو المعرفة بالله لا غير ولذلك قالوا فيها اي ليعرفون لعدم امكان العبادة بدون المعرفة وقال امير المؤمنين عليه السّلام في الخطبة التي قد مضت أوّل الدّين معرفته ولم يقل عبادته

وقال الله تعالى: في حديث القدسي كنت كنزاً مخفياً فأجبت ان أعرف
فخلقت الخلق لكي أعرف.

وذهبت طائفة من المنتحلين الى اهل العلم والدين الى ان افعاله تعالى
لا تُعلل بالأغراض زغماً منهم بان الفعل اذا عُلِّلَ بالغرَضِ يوجب النقص في
الفاعل وقد تكلموا فيه بما لا مزيد عليه وهو مما لا يصح التفوه به من عاقل
فضلاً عن فاضل وللبحث فيه مقام آخر.

والحق عندنا تبعاً لاكثر الفلاسفة وشهادة الاخبار بذلك هو ان فعله تعالى
يكون مُعللاً بالغرَضِ قطعاً كسائر افعال العقلاء الا ان الغرض والغاية عائد الى
الانسان لا اليه تعالى.

وبعبارة اخرى: ليس الغرض من ايجاده وايجاد غيره من الممكنات العبادة
والمعرفة وغيرهما بحيث يرجع النفع اليه تعالى ويستكمل به تعالى الله عنه
علواً كبيراً فان الواجب بالذات واجبٌ من جميع الجهات والوجوب من حيث
هو ينا في النقص فان النقص من لوازم الامكان فهو تعالى مُنزهٌ عن النقص باي
معنى كان فهو كامل فوق الكمال بحيث لا يتصور كمال فوقه كيف وقد ثبت في
العلوم العقلية ان كل ما يمكن اثباته للموجود بالامكان العام فهو في المفارقات
عن المادة اعني المُجرّدات بالفعلية لعدم حالة منتظرة هناك فاذا كان المفارق
اعني العقول مثلاً شأنه هكذا فكيف ظنك بالواجب الذي هو موجودها
ومبدعها مع ان التجرد الحقيقي، لا يوجد الا في الواجب فان ماسواه ايّاماً كان
مُشوّبٌ بظلمة العدم وغسق الماهية ففعلية الصفات المفروضة الممكنة
بالامكان العام فيه أشدّ واقوى من غيره و عليه فلا معنى للغاية والغرض التي
لاجلها وجد الموجود الا الافاضة من مبدء الفياض فقط فهو المُفيض على
الاطلاق بلا كلام لاغيره.

قال الشيخ الرئيس في كتاب الاشارات: أتدرى ما الجود الجود افادة ما ينبغي
للعوض ولا لغرض الى آخر ما قال وذلك لان الجود اذا كان لاستيفاء الغرض

فهو ليس بجُوداً واقعاً وفاعله لا يسمّى بالجواد والأولى التّعير عنه بالسّخاوة لكونه مُستعيضاً فى المفروض وهو ينافى الجواد فالجواد المطلق لا يكون إلا الله تعالى واطلاقه على غيره على سبيل المجاز فتحصل ممّا ذكرنا أنّ الغرض الاصلى والعلة الغائية فى خلق الانسان وسائر الموجودات ليس إلا الافاضة والجُود فقط لاغير لأنّ الوجود الحقيقى شأنه ان يكون ظاهراً بذاته ومظهراً لغيره كما هو شأن النور الحقيقى على اصطلاح الاشرقيين فان لم يكن الوجود الحقيقى على لسان المشائين والنور الحقيقى على لسان الاشرقيين هكذا، اى مظهراً لغيره وظاهراً بذاته لذاته فلا يكون الوجود والنور حقيقياً وقد فرضناه حقيقياً هف، يادائم الفضل على البرية ويا قديم الاحسان.

وامّا المعرفة او العبادة فى الآية الشريفة فليست من الغرض الاصلى بشىء وانما هى من فروع الافاضة فان العبد اذا خلق فلا بد له من معرفة خالقه، ثمّ عبادته وهذا امر عقلى فان شكر المنعم واجب على المنعم عليه عقلاً وشرعاً هذا.

وبذلك قد ظهر لك ضعف ما ذهب اليه المحقق البحرانى (قدّه) فان الغاية فى ايجاد الموجودات ليس شيئاً مما ذكره (قدّه) مضافاً الى ان كلامه عليه السلام ساكت عن الغاية بهذا المعنى وانها اى شىء هى اذ لم يقل عليه السلام فان الغاية من وجود الانسان مثلاً امامكم حتى يبحث فيها بل قال فان الغاية امامكم. والظاهر ان الغاية هنا بمعنى القصد والهدف بالنسبة الى كل انسان ومعلوم ان الانسان فى افعاله واقواله له غاية ومقصد يسير اليها وهى لا تكون الا امامته ضرورة ان فعل العاقل وقوله لا يكون بلا مقصد وغاية فلا يبعد ان يكون المراد من هذه الجملة ارشادهم الى التفكير فى افعالهم واقوالهم، كانه قيل لهم عيّنوا مقاصدكم حتى لا يكون فعلكم عبثاً ولغوياً فان العاقل لا بد من ان يكون كذلك. ويمكن ان يكون قوله عليه السلام هذا اشارة بمراتب السير فى السلوك الى التكامل الذى لا بد منه لكل فرد من افراد البشر بحسب قدرته وطاقته فان الغاية لكل

واحد منهم إنما هي الوصول الى الكمالات والفوز الى أقصى المقامات عليم بها
 ام لا يعلم كما قال عليه السلام في بعض كلماته مغبون من ساواي يوماء.
 وذلك لأنه عليه السلام: قد علم منهم ان افعالهم وحركاتهم وعقائدهم
 تبعدهم عن الكمال المترقب لاوامره ونواهييه وهذا يوجب التكامل المعكوس
 والسير القهقرا فكانه قال عليه السلام لهم ايها الناس اين تذهبون ألا تدرؤن ان
 المقصد الاصلى اعنى الوصول الى الكمال امامكم لاخلفكم فليمن لا تسيرؤن
 اليه و ترجعون الى القهقرا ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا الآية.
 والمقصود ان الموجودات المادية الغير المجردة لكل واحد منها كمال
 منتظر وغاية مترتبة الا ان كمال كل شىء بحسبه بل لكل شىء كمالات متعددة
 وغايات متفاوتة فالانسان لكونه اشرف المخلوقات واكملها لا بد له من التوجه
 الى مقصده الاسنى وغايته القصى وحيث انه لا يكون فى اكثر الاوقات
 متوجها اليها بل فى الاكثر كذلك فصح سوقة اليها.

والوراء نقيض الامام ولما بين عليه السلام ان الغاية امامهم بين ان الساعة ورائهم
 والغرض من الساعة القيامة وكونها من ورائهم اشارة الى غفلة الناس عنها مع
 انه لا بد لهم من الورود عليها واما ما ذهب اليه الشارح الخوئى من ان المراد بها
 ساعات الليل والنهار لانها تسعى الناس بها فهو وان كان محتملا على وجه
 بعيد الا ان سياق الكلام ياباه وذلك لأنه عليه السلام قد اتى بها معرفا باللام واللام
 للعهد ومعلوم ان الساعة المعهودة ليست الا القيامة سواء قلنا بانها للعهد
 الذهنى او الذكرى لتقدم ذكرها فى الكتاب حيث قال عز من قائل اقتربت
 الساعة وانشق القمر واللام فيها للعهد الذهنى قطعاً لعدم تقدم ذكرها.
 واما فيما نحن بصده فمحملة للوجهين:

فلو كان الأمر كما ذكره (قده) فكان الأنسب التعبير بالزمان كما لا يخفى.
 وبذلك ظهر ضعف ما ذهب اليه البحرانى (قده) من كون المراد بها القيامة
 الصغرى وهى ضرورة الموت وذلك لأنه اى مانع عقلاً وشرعاً من حملها على

مطلق القيامة الأعمّ من الصغرى والكبرى مع أنّ الاستعمال يستدعى حمل اللفظ على المعنى الأعمّ اذالم يكن هناك دليل على ارادة الاخصّ وليت شعري ما الذى دعاه الى هذا الحمل والجمع معهما يمكن اولى من الطرح.

وامّا ما ذكره الشارح المعتزلى من أنّ غاية المكلفين الثواب والعقاب و المقصود بها الموت فلا يرجع الى محصل ضرورة أنّ الثواب والعقاب ليساً من الغاية وانّما هما عبارتان عن الآثار المترتبة الشرعيّة على افعال المكلفين وكأنه لم يفرّق بين غاية الافعال وغاية الایجاد والكلام فى الثانى دون الاول على رغم من ذهب اليه وكذلك لا معنى لكون الموت الغاية فإنّ الناس لم يخلقوا لاجل الموت وانّما خلقوا للوصول الى الكمال والبلوغ الى اقصى مراتب الوصال الا انّ الموت يلزم لكلّ مركّب فالممكن لكونه مركّباً عن الوجود والماهية ووجوده من افاضات الغير وكلّ موجود بالغير مسبوق بالعدم وملحوق به كما هو شان الحادث فلامحالة يموت اى ينتقل من دار الى دار على ما مرّ فى معنى الموت والغاية مالاجله الفعل وائى عاقل يقول بانّ الغرض من ايجاد الانسان الموت او الثواب والعقاب فما ذكره منحنط من اصله والدليل على ما ذكرناه «ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون»^(١)

□ قوله ﷻ: تَحَقُّقُوا تَلَحُّقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ...

غرضه ﷻ من هذه الجملة الاشارة الى انّ الموت ممّا لا بدّ منه وكلّما كانت العلائق الجسمانيّة الماديّة اكثرّ واوفرّ كان الموت أشدّ واصعب وكلّما كانت أقلّ فالموت اسهلّ واذا كان الأمر كذلك فالمؤمن ينبغي ان يكون فى هذه الدنيا قليل المؤنة خفيف العلاقة لئلا وقع فى حيص وييص حين موته ولذلك ترى الانبياء والاولياء والعرفاء الكاملين كلّهم منسلخين عن الدنيا وزخارفها وعلائقها.

وامّا قوله ﷻ: فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ. اشارة الى انّ الموت كما كان

للسابقيين فكذلك يكون للآخرين فالآخر سَيَلْحَقُ بالاول ولا فرق بين الاولين والآخرين من هذه الجهة قال الله تبارك وتعالى كَلَّ نَفْسَ ذَائِقَةَ الْمَوْتِ وَقَالَ كَلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَاِنْ وَاِمْتَالَ ذَاكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ.

وبعد ما ثبت وتَحَقَّقَ انَّ الموت لا ريب فيه وقد قلنا انه عبارة في الحقيقة عن قطع العلائق المادية فكَلَّمَا كانت العلائق اكثر كان الموت أَشَدَّ.

ومن المعلوم انَّ المسافر اذا كان في سفره قليل المؤنة فَسَفَرَهُ أَسهَلُ فقوله تَخَفَّفُوا تَلَحَّقُوا الى آخر الخطبة اشارة الى انَّ الانسان لا بدَّ من ان يكون في سفره كذلك.

وبعبارة اخرى، لا بدَّ له من الموت الإرادى قَبْلَ مَوْتِ الطَّبِيعِيِّ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا.

﴿٢٢﴾ من خطبة له ﷺ

□ أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ، وَاللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ، فَلَيْنَ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَيْنَ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أُمَّاً قَدْ قَطَمَتْ، وَيُحْيُونَ بِدَعَاةٍ أُمِيتَتْ، يَا خَيِّتَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا وَإِلَى مَا أُجِيبُ؟ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ. وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أُبْرَزَ لِلطَّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ! هَيْلَتُهُمْ الْهَبُولُ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبُهَةٍ مِّنْ دِينِي. متن...

◀ اللغة

(ذَمَرَ) مُخَفَّفًا وَمُشَدَّدًا أَي حَثَّ. (جَلْبَهُ) الْجَلَبُ بَفَتْحَتَيْنِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ. (نِصَابِهِ) نِصَابُ الشَّيْءِ بِالْكَسْرِ مَرَجَعُهُ وَأَصْلُهُ. (نِصْفًا) النَّصِيفُ بَفَتْحِ النَّونِ وَكسْرِ الصَّادِ الْأَسْمُ مِنَ الْأَنْصَافِ هَكَذَا قَالُوا وَفِيهِ كَلَامٌ يَأْتِي فِي الشَّرْحِ انْشَاءً لِلَّهِ. (وَلَوْهُ) وَلَى الشَّيْءِ أَي مَلَكَ أَمْرَهُ. (التَّبِعَةُ) كَفَرَجَةٍ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ دَرَكٍ. (قَطَمَتْ) فَطَمَ الصَّبِي أَي فَصَلَهُ عَنِ الرِّضَاعِ. (حَدَّ السَّيْفِ) الْمَوْضِعُ الْقَاطِعُ مِنْهُ. (لِلْجِلَادِ) الْجِلَادُ، بِالْكَسْرِ الْمُضَارَبَةُ بِأَلَةِ الْحَرْبِ. (هَيْلَتُهُمْ الْهَبُولُ)

بفتح الهاء من لا يبقى لها ولد.

◀ المعنى

(أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ)، والمقصود من حزب الشيطان اصحاب
الجمل.

(وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ) اى جَمَعَ جَمَعَهُ.

(لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ) كما كان عليه أولاً فى عهد الخلفاء الثلاثة

(وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ) اى الى مَرَجَعِهِ وَأَصْلِهِ.

(وَاللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا) وهو قتل عثمان حيث نَسَبُوهُ اليه زَعَمُوا أَنَّهُ،

منكرٌ فأنكروه عليه فردهم بأنكار كونه مُنْكَرًا هكذا قالوا فى شرحه.

(وَلَا جَعَلُوا) اى اصحاب الجمل. (بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِيفًا) وعدلاً والمقصود

إنهم لم يعدلوا فيما نَسَبُوهُ إِلَى لبطلان دَعْوَاهُمْ.

(وَأَنَّهَمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ)، وهو القصاص الذى تَرَكَوهُ حيث أمسكوا

لتكبير على قاتليه.

(وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ) وهو دم عثمان لأنهم كانوا أول من أَلَبَّ النَّاسَ على قتله

(فَلَمَّا كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ) اى فى قتله.

(فَإِنَّ لَهُمْ لَنْصِيبَهُمْ مِنْهُ) اى من القتل وذلك لأنهم كانوا معاونين عليه.

(وَلَمَّا كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ) اى ان لم اكن معهم شريكاً

فيه فالأمر اوضح من ان يخفى لأن المفروض عدم شركتى معهم فيه فماذا
يقولون.

(وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ) فَإِنَّ دَعْوَاهُمْ عَائِدَةٌ إِلَى انفسهم

(يَرْتَضِعُونَ أُمَّاً قَدْ فَطَمَتْ) اى يَطْلُبُونَ شيئاً بعد فواته وهذا من الاستعارات

الحسنة كما سنبين انشاء الله تعالى.

(وَيُحْيُونَ بِدُعَاةٍ قَدْ أَمِيتَتْ) وهذا بمنزلة التفسير للجملة الاولى.

(يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي) خرج مخرج التَّعْجُبِ من عظم خيبة الدَّعَاةِ. الى قتاله ﷺ

وُخْسرَانِهِمْ.

(مَنْ دَعَا وَ إِلَى مَا أُجِيبَ) استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوين لقتاله.
(وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ) اى ائى راضٍ بقيام حُجَّةِ اللَّهِ
فيهم وعلمه تعالى بما يفعلون.

(فَإِنْ أَبُو أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ) اى فان ابو أقاتلهم لقيام الحجة عليهم.
(وَكَفَى بِهِ) اى بذلك السيف.

(شَافِيَاً مِّنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِرَاً لِلْحَقِّ) وَمِنَ الْعَجَبِ، كَلَّ الْعَجَبِ، (بَعَثُهُمْ إِلَى
أَنْ أَبْرَزَ لِلطَّغَانِ)، مع علمهم بحالى من الشجاعة والصبر على المكاره
والشدائد).

(وَإِنْ أَصْبِرَ لِلْجَلَادِ هَبَلْتُهُمُ الْهَبُولَ) كيف يُهددُونى ويرهبُونى.
(لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ)، وهم قد علموا به).
(وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِّن رَّبِّي وَغَيْرِ شُبُهَةٍ فِي دِينِي) اى كيف يُهددُ بالموت
ويُرهبُ بالقتل من كان على يقين من ربه وغير شاك في دينه انتهى.

◀ الشرح

اعلم: ان هذه الخطبة مما صدرت عنه عليه السلام فى ذم اصحاب الجمل
ونحن قد تكلمنا فى كيفية نكث بيعة الزبير وطلحة ومن يحدوا حدوهم عند
قوله ﷺ يزعم انه، اى الزبير قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه

□ قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبِهِ إِلَى آخِر مَا قَالَ وَذَكَرْنَا عِلَّةَ نَكْثِ
بَيْعَتِهِمَا وَمَا جَرَى بَعْدَ النُّكْثِ إِلَى أَنْ قُتِلَا فَلَا نَعِيدُهُ حَذْرًا مِنَ التَّكْرَارِ وَنَكْتَفَى
بشرح عبارات الخطبة وذكر ما لا بد منه مما لم نذكره قبلاً فنقول.
□ قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ...

قد علمت فيما مضى ان هذا الكلام قد مر منه ﷺ بعينه الا انه قال فى تلك
الخطبة، أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَقَالَ هِيهَنَا قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، وَقَالَ فِيهَا
(وَاسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجَلَهُ) وَقَالَ فِي الْمَقَامِ (وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ). وَلَا يَخْفَى أَنَّ

المعنى فيهما واحد إلا أنه عليه السلام قد غيّر العبارة لثلاثاً تتكرّر نَعَم الغاية والمقصد فيهما متفاوتان. فإنه قال في الخطبة الماضية بعد هذا الكلام: وإن معي لبصيرتى الخ.

وقال في المقام لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، . ففي المقام كان ﷺ بصّد بيان الآثار المترتبة على قيامهم وأنها من الآثار السيئة وإن ما أدّعوه في قتل عثمان كِذْبٌ محضٌ، بخلافه هناك حيث أنه وَعَدَّهُمْ وَهَدَّدَهُمْ بعواقب أمورهم كما عَلِمَتْ في شرحها.

ثم إن تعبيره عليه السلام بالشيطان وعن جيشهم بجيشه لأنهم كانوا في الحقيقة من أعوانه وانصاره لكونه هو الباعث على نكثهم للبيعة وقيامهم بغير الحق فلو لم يكونوا تابعين لمقاصده لم يُقدِّموا على هذا الأمر الشنيع.

□ قوله ﷺ: لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ،...

واللّام في قوله عليه السلام (لِيَعُودَ) لِلغاية او التعليل فعلى الاول يصير معنى العبارة ان الغاية لِفَعْلِهِمْ هي عود الجور الى اوطانه، وعلى الثانى ان العلة والباعث له عوده الى اوطانه وبين المعنيين فرق واضح.

ثم ان المقصود من عود الجور الى اوطانه، هو أنهم كانوا بسبب فعلهم هذا من المعاونين على الظلم والمُحِبِّين له وقد قال رسول الله ﷺ من اعان ظالماً سَلَطَهُ اللهُ عليه.

وقال ﷺ من أحب حَجْرًا حَسْرَهُ اللهُ معه. ويسنفاد من قوله ﷺ امران: احدهما ان الخلفاء الثلاثة الذين كانوا قبله من الجائرين الظالمين والآلامعنى لقوله لِيَعُودَ الْجَوْرُ الخ... ضرورة ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حكومته لم يكن جائراً فلامحالة يكون الجور مُسْتَنَداً اليهم وهو دليل على عدم لياقتهم للخلافة.

الثانى انهم اى الزبير وطلحة واتباعيهما كانوا من اعوان الظلمة ومُحِبِّيهم وذلك لان من شاء ان يرجع الظلم الى اوطانه فهو معاونه ومن كان كذلك

فكيف يدعى القيام لأصلاح الأمة كما كان هو مدعاهم في دعوتهم الناس الى حربه.

واما قوله عليه السلام: وَيَرْجِعُ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ...

ففيه اشارة الى ان انهم كانوا يَتَمَنُّونَ قَتْلَ عَلِيٍّ وَرَجُوعَ الْأَمْرِ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَحْكُمُوا فِي النَّاسِ بِمَا حَكَمَ بِهِ مِنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَهَذَا يُوجِبُ رَجُوعَ الْبَاطِلِ إِلَى أَصْلِهِ وَمَرْجَعَهُ هَذَا عَلَى ظَاهِرِ الْعِبَارَةِ.

واما الواقع منها فليس كذلك فان التعبير منه عليه السلام بقوله *إِلَى نِصَابِهِ*، دون التعبير بالأصل والمرجع، يُمكن ان يكون اشارة الى نُكْتَةٍ دَقِيقَةٍ وَهِيَ أَنَّ نِصَابَ الشَّيْءِ عِبَارَةٌ عَنْ حَدِّهِ الَّذِي لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ. ففي المال مثلاً: القدر الذي تجب الزكوة فيه وفي الشمس مثلاً: عبارة عن مغيبها وهكذا، وعليه فالمعنى ان اصحاب الجمل كانوا يَتَمَنُّونَ رَجُوعَ الْبَاطِلِ إِلَى نِصَابِهِ أَي إِلَى حَدِّ لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ لِأَنَّ أَمْرَ الْخِلَافَةِ لَوْ فُوضَ إِلَيْهِمْ فَيَرْجِعُ الْبَاطِلُ إِلَى حَدِّ أَعْلَى مِمَّا كَانَ فِيهِ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا أَشَدَّ ظُلْمًا مِنَ الْمَاضِينَ بِمَرَاتِبٍ كَثِيرَةٍ فِي صُورَةِ تَسَلُّطِهِمْ عَلَى النَّاسِ وَتَصَدِّيهِمْ لِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ.

و يمكن ان يكون النصاب بفتح النون وهو الذي يتمنى ما ليس بأهل له، قال في المنجد: النصاب، الذي ينصب نفسه ويتقدم لعمل لم يطلب منه مثل ان يترسل وليس برسول انتهى.

وهذا المعنى كان صادقاً على الزبير وطلحة وعبدالله ابن الزبير لعدم اهليتهم للخلافة فقوله عليه السلام هذا اشارة الى ان الشيطان قد ذمَّرَ بِهِ وَوَحْتَى يَرْجِعُ الْبَاطِلُ إِلَى مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لِلْحَقِّ وَالْأَمَامَةِ وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ رَجُوعَ الْبَاطِلِ أَعْنَى الْخِلَافَةَ الْمَغْضُوبَةَ عَلَى فَرَضِ تَصَدِّيهِمْ لَهَا إِلَى مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لَهَا أَمْرٌ قَبِيحٌ مُسْتَهْجَنٌ وَعَلَى أَيِّ حَالٍ التَّعْبِيرُ بِالنِّصَابِ لِلإِشَارَةِ إِلَى عَدَمِ لِيَاقَتِهِمْ لِلْأَمَامَةِ وَظَنِّي أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى أَحْسَنُ وَأَلْيَقُ بِالْمَقَامِ.

ويمكن ان تكون العبارة استعارة وان يكون المراد من النصاب أحدهم على سبيل المجاز وذلك لأن النصاب جاء بمعنى الفرس ايضاً قاله في لسان العرب ج ١، مادة نَصَب. قال ونصاب اسم فرس.

وعليه فقد شَبَّه عليه السلام: كل واحد منهم اعنى الزبير وطلحة وعبدالله بالفرس فيصير المعنى ان الامر الباطل اى الخلافة المغصوبة يرجع الى نصابه اى الى فرسه ولا شك انهم كانوا من فرسان الباطل وشجعان الظلم والعدوان هذا.

□ قوله ﷺ: وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا...

قال الخوئي في شرح هذه العبارة ما هذا الفظه: وهو قتل عثمان حيث نَسَبُوهُ اليه، وزَعَمُوا أَنَّهُ مُنْكَرٌ فَأَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ فَرَدَّهُمْ بِانْكَارِ كَوْنِهِ مُنْكَرًا، وعلى تقدير تسليمه بعدم صحة نسبه اليه وعلى كل تقدير فإنكارهم عليه يكون منكرًا، انتهى.

اقول: انى بعد ما امعنت النظر فيما قاله (قدّه) لم أفهم ما اراد ولا سيما قوله فى آخر كلامه وعلى كل تقدير فإنكارهم عليه الخ.

فان هذه العبارة تناسب كون كلمة ماء موصولة والله اعلم.

وقال المحقق البحرانى (قدّه) مالفظه:

اشارة الى انكار ما ادعوه منكرًا ونسبوه اليه من قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه فانكروا أولاً انكارهم عليه تخلفه عن عثمان الذى زعموا انه منكر ولما لم يكن منكرًا كما ستعلم ذلك كان الانكار عليه هو المنكر انتهى.

اقول: وهذا ايضاً كسابقه فى الأجمال والظاهر ان الخوئي اخذه من البحرانى (قدّهما) لتقدم عصره بكثير من الزمان وعلى اى حال فما قالاه فى نهاية الأجمال والأندماج بل الظاهر انه من قبيل الأكل من القفا.

والحق فى المقام هو ان يقال لما كان قتل عثمان محبوباً مطلقاً عند الزبير وطلحة وعبدالله وعائشة وسائر قواد الجيش كما نقل الخاصة والعامة ان عائشة

كثيراً ما تقول أقتلوا نعثلاً قتله الله.

وامّا الزبير وطلحة وعبدالله فقد ألبوا على قتله وحرّصوا الناس على سيفك دمه او خلعه عن الخلافة فقتل عثمان لم يكن عندهم فى الواقع منكراً مَبْغُوضاً، ولما قُتل عثمان صاروا من الطالبين بدمه واتَّهَمُوا علياً بقتله كذباً عليه ﷺ فقال ﷺ: ما قال.

فمعنى العبارة، انى لأقسيم ان ما نسبوه الى من قتل عثمان على فرض صحته لم يكن من المنكرات عندهم حتى يمكن لهم الإنكار على فانكارهم فى غير محله.

وبعبارة اخرى: ما نسبوه الى من قتله لا يخلوا حاله من وجهين:
الصّدق والكذب.

فان صدقوا فيما يقولون فانكارهم فى غير محله لكونهم من الحريصين على قتله، وان كذبوا فلا بدّ لهم ان يعلموا ان ما تخيلوه منكراً بزعمهم وهو قتل عثمان لم يكن بمنكر عندي وهذا ظاهر.

هذا كله بناء على عدم كون كلمة (ما) فى قوله ﷺ: وَاللّٰهِ مَا اَنْكَرُوا عَلٰى مُنْكَرًا مَوْضُوعَةٌ بل تكون نافيته كما عليه الجمهور وهو الظاهر من سياق كلامه ﷺ وظاهر عبارته ولا سيما جملة العاطفة بعدها وهى قوله (وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا)...

الا انه لا يبعد حملها على المَوْضُوعِ وعليه فكلمة (منكر) مرفوع على انها خبر لا منصوب فيصير المعنى ان ما انكروه على من قتل عثمان على فرض تسليمه ليس من المنكر بشيء ولعل هذا المعنى اوضح ان قلنا به.
□ قوله ﷺ: وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا، ...

قالوا فى شرح العبارة اذ لو جعلوا ميزان العدل فى البين يظهر بطلان دعوايهم، وذلك لانهم اى الشراح جعلوا كلمة نصفاً بمعنى عدلاً قال الخونى:
النصف بتثليث النون وسكون الصاد بمعنى الأنصاف.

وقال البحراني (قدّه) النَّصْفُ بكسر النون وسكون الصاد النَّصْفَةُ وهي الاسم من الأنصاف.

وقال المعتزلي: النَّصْفُ الَّذِي يَنْصَفُ، ثُمَّ قَالَ وَقَالَ الرَّائِدِيُّ النَّصْفُ النَّصْفَةُ وَالْمَعْنَى لَا يَحْتَمِلُهُ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَنْصَافًا بَلِ الْمَعْنَى لَمْ يَجْعَلُوا ذَا أَنْصَافٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَنْتَهَى.

اقول: ما ذكره الشارح المعتزلي لا يساعده قانون اللغة اذ لم يوجد في كتب اللغة النَّصْفُ بمعنى الَّذِي يَنْصَفُ بَلِ الْحَقُّ فِي الْمَقَامِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الرَّائِدِيُّ (قدّه) وَتَبَعَهُ الْمُحَقِّقُ الْبَحْرَانِيُّ وَهُوَ أَنَّ النَّصْفَ الْأَنْصَافَ.

قال في لسان العرب، النَّصْفُ وَالنَّصْفَةُ وَالْأَنْصَافُ اعْطَاءُ الْحَقِّ وَأَنْصَفَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ أَنْصَافًا وَقَدْ اعْطَاهُ النَّصْفَةَ.

وقال: وَالنَّصْفَةُ اسْمُ الْأَنْصَافِ وَتَفْسِيرُهُ أَنْ تُعْطِيَهُ مِنْ نَفْسِكَ النَّصْفَ أَيْ تُعْطِيَهُ مِنَ الْحَقِّ كَالَّذِي تَسْتَحِقُّ لِنَفْسِكَ.

ويقال: انْتَصَفْتُ مِنْ فُلَانٍ أَخَذْتُ حَقِّي كَمَا لَأْتِي صِرْتُ أَنَا وَهُوَ عَلَيَّ النَّصْفَ سِوَاءٍ ثُمَّ قَالَ: وَالنَّصْفُ الْأَنْصَافُ.

قال الفرزدق:

ولكنّ نصفاً لو سببتُ وسببني بنو عبد شمس من مناف وهاشم
قال الآخر:

متى ألقى زُبَيْعُ ابْنَ رُوْحٍ بِبَلَدِهِ لِي النَّصْفُ مِنْهَا يَقْرَعُ السَّنُّ فِي نَدْمٍ
وأما قول الشارح، اعتراضاً على الرَّائِدِيِّ بِأَنَّ الْمَعْنَى لَا يَحْتَمِلُهُ فَهُوَ تَحَكُّمٌ وَعِنَادٌ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ أَيْ أَصْحَابُ الْجَمَلِ مَا أَنْصَفُونِي فِيمَا تَسْبُوهُ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِ عَثْمَانَ أَوْ عَدَمِ اخْتِيَارِهِمْ فِي الْبَيْعَةِ وَذَلِكَ أَوْجِبُ تَضْيِيعَ حَقِّي ظُلْمًا مِنْهُمْ وَإِيَّ اشْكَالٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَقَوْلُهُ لَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَنْصَافًا وَالْمَعْنَى لَمْ يَجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ذَا أَنْصَافٍ لِأَنَّ الْمَعْنَى لَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ غَرَضَهُ الاعتراض مِنْ هَذَا الْكَلَامِ اثْبَاتُ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ لَهُ وَأَنَّهُمْ لَمْ يُرَاعُوا قَانُونَ

الأَنصاف والعدل فيما ذهبوا اليه فإن نكثهم لبيعتهم ان كان بسبب كونه قاتلا لعثمان فهو مع الله في غير محللة لا يرتبط بهم لعدم كونهم اولياء له وان كان بسبب كونهم غير مختارين في البيعة فهو ايضا لامعنى له. اما اولاً، فلأنه كذب محض وافتراء خالص. واما ثانياً فلأن اصحاب الجمل والعقد اذ اعينوا خليفة ثم بايعوه فليس لأحد الخيار في البيعة، وعدمها كما أنهم ملتزمون به في جميع الموارد وبذلك اجبروا علياً عليه السلام ومن معه على البيعة في صدر الاسلام والعجب كل العجب منهم حيث أنهم يرون بيعته عليه السلام لأبي بكر وعمر وعثمان لازماً عليه ولا يجوزون عليه التخلّف مع كونهم متفقين على ان بيعته عليه السلام لأبي بكر كانت من غير اختيار منه واما الزبير وطلحة وغيرهما فيجوز لهم نكث البيعة.

واذا ثبت كونهم ظالمين عليه ثبت خروجهم عن طريق العدل وهو المطلوب.

واما قول الشارح، المعنى لم يجعلوا بيني وبينهم ذا انصاف فيقال له من اين لك استنباط هذا المعنى من اللفظ أليس هذا حمل الكلام على ما لا يرضى به صاحبه، اذ لو كان الامر كما ذكره لأمكن له عليه السلام ان يقول ولا تجعلوا بيني وبينهم مُنصفاً او حَكَمًا وغير ذلك من الألفاظ الدالة على المعنى المراد مع أنه عليه السلام لم يقل بذلك ووجهه ظاهر فإن الانصاف نعم الحكم ومعه لا احتياج الى شخص ثالث ومع فقدة لافائدة في وجوده.

وحاصل الكلام ان كلامه عليه السلام مشعرٌ بل صريحٌ بكونهم غير مُتصفين بالانصاف مضافاً الى كونهم غير مُتصفين بالايمان وذلك لانه لا منافاة بين كون الانسان كافراً مشركاً بالله وكونه مُنصفاً من نفسه فضلاً عن كونه مدعياً للإسلام والايمان فانه يجب ان يكون مُنصفاً ولنذكر بعض الاخبار الواردة فيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سَيِّدُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِنْصَافُكَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ. وَمَسَاوَاةُ الْأَخِ فِي اللَّهِ. وَذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْتَهَى...

وقال ايضاً: لا يستكمل العبد الأيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: الأنفاق
من الأقتار، والأنصاف من نفسه. وبذل السلام...

وقال ايضاً: في آخر خطبة طوبى لمن طاب خلقه. وطهرت سجيته.
وصلحت سريرته. وحسنت علانيته وانفق الفضل من ماله وأمسك الفضل
من قوله، وانصف الناس من نفسه انتهى...

وقال عليه السلام من واسبى الفقير من ماله. وانصف الناس من نفسه فذلك
المؤمن حقاً انتهى...

وقال امير المؤمنين عليه السلام: ألا انه من ينصف من نفسه لم يزد الله إلا عزاً.
انتهى...

وقال الصادق عليه السلام: من يضمّن لى أربعة بأربعة ابيات فى الجنة أنفق ولأ
تخف فقراً: وأفش السلام فى العالم. وأترك المرء وان كنت مُحِقّاً. وانصف
الناس من نفسك، انتهى...

وقال عليه السلام: من انصف الناس من نفسه رضى به حكماً لغيره انتهى

وغير ذلك من الآثار والأحاديث المنقولة جامع السعادات، ج ١، ص ٣٧٢.
فى جامع السعادات الأول منها فانا قد نقلناه عن تحف العقول جامع
السعادات، ج ١، ص ١٤.

فلو أنهم اى الزبير وطلحة وغيرهما انصفوه عليه السلام حق الانصاف لعلموا انه
عليه السلام احق بالخلافة من كل احد ولكن الدنيا غرتهم ولعبت بهم
فأصبحوا ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها فان حُب الشىء
يعمى ويصم ومن يضلّل الله فماله من هاد.

□ قوله عليه السلام: وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكَوهُ، وَدَمّاً هُمْ سَفَكُوهُ، ...

اى ان طلحة والزبير وغيرهما يطلبون بثار عثمان مع أنهم تركوه حتى قتلوه
ويمكن ان يكون المراد من الحق الخلافة والمقصود أنهم يطلبون الخلافة الآن
وهم تركوها بعد قتل عثمان وبايعونى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ، الْمُرَادُ بِهِ دَمُ عَثْمَانَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ نَحْنُ نَطَالِبُ بَدَمَ عَثْمَانَ فَإِنَّهُ قُتِلَ مَظْلُومًا، مَعَ أَنَّهُمْ تَرَكَوهُ أَيَّامَ مُحَاصِرَتِهِ فَلَوْ كَانُوا مِنْ أَحِبَّائِهِ وَأَشْيَاعِهِ لَوَجِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَخْذَلُوهُ.

رَوَى أَنَّهُ ﷺ: قَالَ عَلِيُّ مَا فِي رِوَايَةِ أَبِي مَخْنَفٍ، اللَّهُمَّ إِنْ طَلَحْتَ نَكَثَ بَيْعَتِي وَأَلْبَّ عَلَى عَثْمَانَ حَتَّى قَتَلَهُ ثُمَّ عَضَّهَنِي بِهِ وَرَمَانِي فَلَا تُمَهِّلْهُ.

وَرَوَى أَنَّ الزَّبِيرَ لَمَّا بَرَزَ لِعَلِيِّ يَوْمَ الْحَمِيلِ قَالَ عَلَى السَّلَامِ لَهُ مَا حَمَلَكَ يَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ أَطْلُبُ بَدَمَ عَثْمَانَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْتَ وَطَلْحَةُ وَلَيْتِمَاهُ وَإِنَّمَا تَوَبَّتْكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُقَدِّمَ نَفْسَكَ وَتَسْلِمَهَا إِلَى وَرَثَتِهِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَلَيْتَن كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لِنَصِيبِهِمْ مِنْهُ، وَلَيْتَن كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لِعَلِيِّ أَنْفُسِهِمْ...

وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: فَلَيْتَن كُنْتُ، لِلتَّفْرِيعِ، وَحَاصِلُ كَلَامِهِ ﷺ إِنْ قَتَلَ عَثْمَانَ لَا يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا كَوْنُهُ ﷺ شَرِيكًا لَهُمْ فِي قَتْلِهِ. وَثَانِيهِمَا عَدَمُ شَرِكْتِهِ ﷺ مَعَهُمْ فِيهِ، وَأَمَّا الشَّقُّ الثَّلَاثُ وَهُوَ كَوْنُهُ ﷺ قَاتِلَهُ مِنْ غَيْرِ شَرِكَةٍ لَهُمْ فِيهِ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ قِطْعًا لَمَّا ذَكَرْنَاهُ مَعَ أَنَّهُ أَيْضًا يُوجِبُ الْقَدْحَ عَلَيْهِمْ لِأَعْلِيهِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَلِأَنَّ اللَّازِمَ عَلَيْهِمْ حُجَّتُهُمْ أَنْ يَبْدُوَ وَأَنْفُسِهِمْ وَيُسَلِّمُوهَا إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ ثُمَّ يُطَالِبُونَ الشَّرِيكَ إِذَا الْمَفْرُوضُ أَنْ قَتَلَ عَثْمَانَ وَقَعَ بِالْأَشْرَاطِ فَكَيْفَ يُمْكِنُ لِلشَّرِيكَ الْمُطَالِبَةَ بِدَمِ الْمَقْتُولِ وَالْمَفْرُوضُ أَنَّهُ أَيْضًا مَأْخُودٌ بِهِ.

وَأَمَّا الثَّانِي: وَهُوَ عَدَمُ كَوْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَرِيكًا لَهُمْ فِيهِ فَالْأَمْرُ فِيهِ أَوْضَحُ وَأَمَّا الثَّلَاثُ: فَهُوَ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوجِبُ الْقَدْحَ عَلَيْهِمْ حَيْثُ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْصَرُوهُ بَلْ تَرَكَوهُ حَتَّى قَتَلَ ثُمَّ طَالَبُوا بِدَمِهِ وَلِذَلِكَ أَخْرَجَ الْوَجْهَ الثَّلَاثَ عَنِ الْبَحْثِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جُمْلَةِ الشَّقِيقِ وَعَلَى أَيْ التَّقَادِيرِ لِأَوْجِهِ لِمُطَالِبَتِهِمْ بِدَمِ عَثْمَانَ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لِعَلِيِّ أَنْفُسِهِمْ لِقِيَامِ الْحُجَّةِ فِيهَا عَلَيْهِمْ.

□ قوله ﷺ: يَرْتَضِعُونَ أُمَّاً قَدْ فَطَمَتْ، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً أُمِيَّتَتْ...

وحيث أَنَّهُمْ لَاحِجَّةٌ لَهُمْ فِيمَا أَدْعَوْهُ فَكَانَهُمْ يَرْتَضِعُونَ أُمَّاً قَدْ فَطَمَتْ أَي يُطَلَّبُونَ شَيْئاً بَعْدَ فَوَاتِهِ وَمُضِيِّ زَمَانِهِ لِأَنَّ الْأُمَّ إِذَا فَطَمَتْ وَلَدَهَا فَقَدْ انْقَضَى ارْتِضَاعُهَا فَالْجُمْلَةُ اسْتِعَارَةٌ.

وَالغَرَضُ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ وَأَمْرُ الْخِلاَفَةِ قَدِ انْتَهَى بَعْدَ قَتْلِهِ فَأَيُّ شَيْءٍ يُطَالَبُونَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَ يُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيَّتَتْ، قَالُوا أَنَّهُ كَالْتَفْسِيرِ لَهُ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّ هَذَا الْقِيَامَ مِنْهُمْ يُوجِبُ أَحْيَاءَ الْبِدْعَةِ أَعْنَى عُثْمَانَ وَذَكَرَهُ وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ الْعَاقِلِ أَحْيَاءَ الْبِدْعَةِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ إِمَاتَتُهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ عُثْمَانَ لَوْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا لَأَثَقًا بِالْخِلاَفَةِ فَكَيْفَ قَتَلُوهُ وَلَمْ يَنْصُرْهُ الزَّبِيرُ وَمَنْ تَابِعَهُ مَعَ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا مَعْنَى لِمُطَالَبَتِهِمْ بِدَمِهِ لِأَنَّهَا مِنْ أَحْيَاءِ الْبِدْعَةِ هَذَا.

□ قوله ﷺ: يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا وَإِلَى مَا أُجِيبُ؟ ...

خَرَجَ مَخْرَجَ التَّعَجُّبِ مِنْ عَظِيمِ خَيْبَةِ الدَّعَاةِ إِلَى قِتَالِهِ ﷺ وَخُسْرَانِهِمْ وَقَوْلُهُ مَنْ دَعَا وَإِلَى مَا أُجِيبُ اسْتِفْهَامٌ عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِحْقَارِ لِلْمَدْعُوعِينَ لِقِتَالِهِ وَالنَّاصِرِينَ لِلدَّاعِي إِذَا كَانُوا عَوَامِ النَّاسِ وَلِلْمَدْعُوعِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْبَاطِلُ الَّذِي دَعَا لِنَصْرَتِهِ كَذَا قَالَ الْبَحْرَانِيُّ (قَدَّهُ) وَأَنْتَ خَبِيرٌ بَأَنَّ مَا ذَكَرَهُ (قَدَّهُ) مَبْنِيٌّ عَلَى كَوْنِ الضَّمِيرِ فِي (دَعَاءٍ) رَاجِعًا إِلَى الدَّاعِي، وَمَنْ الْمَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ رَاجِعًا إِلَى (مَنْ) فَحُ تَكُونُ اسْتِفْهَامًا عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِحْقَارِ لِلدَّاعِي لِقِتَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا لِلْمَدْعُوعِينَ لَهُ.

□ قوله ﷺ: وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ، ...

إِشَارَةٌ ﷺ: بِكَوْنِهِ رَاضِيًا بِرِضَى اللَّهِ فِيمَا قَدَّرَهُ لَهُ مِنْ إِبْتِلَائِهِ بِأَبْنَاءِ زَمَانِهِ وَلَا سِيَّمَا النَّاكِثِينَ مِنْهُمْ وَالرَّضَا مِنْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ. ثُمَّ إِشَارَةٌ ﷺ بِقِيَامِ الْحُجَّةِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ أَنَّ اللَّهَ عَلَى النَّاسِ

حُجَّتَيْنِ: حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ أَمَّا الْحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ فَهِيَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّسُلُ
وَالْإِئِمَّةُ... وَأَمَّا الْحُجَّةُ الْبَاطِنَةُ فَهِيَ الْعَقْلُ...

ويمكن ان يكون المراد من قيام الحجّة هو أمره سبحانه وتعالى بقتال الفئة
الباغية كما قال في كتابه: فَاَنْ بَغَتْ أَحَدَايَهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتَى تَبْغَى
حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَمَا ذَكَرْنَاهُ أَنْسَبَ بِالْمَقَامِ وَالْيَقِ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ.

ثم أشار عليه السّلام بقوله وَعِلْمِهِ فِيهِمْ، ولعلّ المراد أنّ ما وقع منهم ومن
غيرهم إلى يوم القيمة فهو مسبوق بعلمه تعالى لأنّه بكلّ شيءٍ علم ولذلك
أخبره النبي ﷺ بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين ومن المعلوم أنّ ما سبق
علمه به فهو لامحالة واقع إلا أنّ علمه تعالى ليس علّة لوقوع الفعل من العبد
حتى يلزم الجبر كما قد ثبت في محله.

□ قوله ﷺ: فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيَتْهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَاقِيًا مِنَ الْبَاطِلِ
وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ...

أي فان أبوا عن طاعتى مع قيام هذه الحجّة عليهم أعطيتهم حدّ السّيف
القاطع إمتثالاً لأمره تعالى وابتغاءً لمرضاته إذ قد أمرنى بقتالهم ولا شك أنّ
سيف الأمام هو الفارق بين الحقّ والباطل فأنّه مازال ناصراً للحقّ
ومخالفاً للباطل.

□ قوله ﷺ: وَمِنْ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَى أَنْ أُبْرَزَ لِلطَّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلْدِ
هَبَلَتْهُمْ الْهَبُولُ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَزْهَبُ بِالضَّرْبِ...

أي أنّى أتعجب من بعثهم إلىّ بالمبارزة مع علمهم بحالى فى الشجاعة
والصّبر على المكاره فى الحروب تكلفتهم الثواكل كيف يهدّدونى ويُرهبونى
وهم يعرفوننى كاملاً وقضاياه فى الحروب مشهورة وشجاعته ﷺ ممّا يُضرب
بها المثل وإطالة الكلام فى هذه الأمور وأمثالها من قبيل توضيح الواضحات.

□ قوله ﷺ: وَإِنِّى لَعَلِّى يَقِينِ مِنْ رَبِّى، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِى...

أفاد ﷺ: فى آخر كلامه أنّه على يقينٍ من ربه غير شكّ فى دينه بمعنى أنّ

الامور الدّينية غير مُشْتَبِهَةٍ عليه بل كلّها جَلِيَّةٌ غير خَفِيَّةٍ لَدَيْهِ فَالْبَحْثُ يَقَعُ فِي مَقَامَيْنِ:

الاول: كونه عليه السّلام على يقينٍ مِنْ رَبِّهِ.

والثّاني: كونه ﷺ على غير شُبْهَةٍ فِي دِينِهِ.

أَمَّا الْمَقَامُ الْاَوَّلُ، وَهُوَ قَوْلُهُ وَإِنِّي لَعَلِّي يَقِينُ مِنْ رَبِّي، فَلَاشِكَّ فِيهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ، كَيْفَ وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ مَا ازددتُ يَقِينًا.

وَقَالَ ﷺ: لَمْ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ وَأَمثال ذلك وحيث أنه عليه السّلام ادّعى اليقين وهو من أعلى المقامات في السّير والسلوك وله علائم وآثار لا بدّ لكلّ من ادّعى أنه على يقين وجود هذه الآثار المترتبة على اليقين فيه فلا بدّ لنا أولاً من التّكلم اجمالاً في معنى اليقين وحقيقته ثمّ في علائمه وآثاره ثمّ في انطباقه عليه عليه السّلام كلّ ذلك على سبيل الاجمال فنقول: اعلم أنّ اليقين هو ضدّ الجهل المركّب والحيرة والشكّ وأول مراتبه اعتقاد جازم ثابت مطابق للواقع غير زائل بشبهة وان قويتّ فالاعتقاد الذي لا يطابق الواقع ليس يقيناً وان جزم به صاحبه واعتقد مطابقته للواقع بل هو جهلٌ مُركّبٌ يُنشأ عن اعوجاج القريحة او خطأ في الاستدلال او حصول مانع من افاضة الحقّ كتقليدٍ او عصبيةٍ او غير ذلك. فاليقين من حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضدّاً للحيرة والشكّ ومن حيث اعتبار المطابقة للواقع فيه يكون ضدّاً للجهل المركّب.

ثمّ العلم ان لم يُعتبر فيه المطابقة للواقع ففرقه عن اليقين ظاهرٌ، والآ فیتساويان ويتشاركان في المراتب المُثبتة لليقين ومُتعلّق اليقين إمّا اجزاء الأيمان ولوازمه من وجود الواجب وصفاته الكمالية وسائر المباحث الالهية من النبوة والنشأة الآخرة او غيرها من حقائق الاشياء التي لا يتمّ الايمان بدونها ولا ريب أنّ مطلق اليقين أقوى سبباً للعادة وان كان اليقين في المباحث الالهية ادخل في تكميل النفس وتحصيل السعادة الآخروية لتوقف الايمان عليه بل هو اصله وركنه وغيره من المراتب فرعه و غصنه والنّجاة في الآخرة لا تحصل

الآ به والفاقد له خارج عن زمرة المؤمنين داخل في حزب الكافرين وبالجملة
اليقين أشرف الفضائل الخلقية، وأهمها وافضل الكمالات النفسية وأعظمها
وهو الكبريت الأحمر الذي لا يظفر به إلا الأوحدي من اعظم العرفاء ومن
وصل اليه فاز بالرتبة القصوى والسعادة العظمى كذا قال في جامع السعادات.
قال رسول الله ﷺ: أقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه
منهما لم يُبال ما فاتته من صيام النهار وقيام الليل، انتهى...

وقال ﷺ: اليقين الأيمان كله، انتهى...

وقال ﷺ: ما من آدمي إلا وله ذنوبٌ ولكن من كانت عزيزته العقل
وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب ذنباً تاب وأستغفر ونديم
فأنكفرت ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة، انتهى.

وقال الصادق عليه السلام: إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله تعالى
من العمل الكثير على غير يقين، انتهى...

وعنه عليه السلام: إن الله تعالى يعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين
والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط انتهى.

وفي وصية لقمان لأبنه: يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء
إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه «جامع السعادات، ج ١، ص
١١٩ ط نجف» انتهى...

وانا اقول: قال بعض العرفاء:

لاشك ان اليقين من كرائم مقامات السالكين وهو من صفات القلب الذي
هو العقل فهو ثابت واطميناً يحصل في العقل اذا كان خالصاً عن شوائب
الأكدار وألوات الأغيار وكان على فطرة التي فطره الله عليها وذلك ان الله
سبحانه خلق عقل كل انسان أول جميع مراتبه مُحيطاً على جميع مادونه
خارجاً عن الأوقات ناظراً الى ما مضى وما هو آتٍ ولذلك قال فيه علي
امير المؤمنين عليه السلام: والعقل وسط الكل لكيلا يعقل احدكم شيئاً من

الخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَّا بِقِيَاسٍ مَعْقُولٍ...

وقال عليه السلام: جَوْهَرُ دَرَكَ مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا عَارِفٌ بِالشَّيْءِ قَبْلَ كَوْنِهِ فَهُوَ عِلَّةُ الْمَوْجُودَاتِ وَنَهَايَةُ الْمَطَالِبِ انْتَهَى...

فهذا الجوهر دَرَكَ بالطَّبَعِ كُلُّمَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي دُونَهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا فَيَعْرِفُهَا بِجَمِيعِ حَيَوَاتِهَا وَجِهَاتِهَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلِخُرُوجِهِ عَنِ الْأَوْقَاتِ مُشْرِفٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَنَاتِ وَيَعْرِفُ الْمَوَاضِيَ وَالْأَوَاتِ بِخِلَافِ الْمَدَارِكِ الَّتِي تُدْرِكُ الْأَشْبَاحَ الزَّمَانِيَّةَ فَانْهَذَا تُدْرِكُ الْحَالَ. وَأَمَّا الْمَدَارِكُ الْبَرَزَخِيَّةُ فَاسْفَلُهَا مُقْتَرَنٌ بِالْحَالَ وَأَعْلَاهَا يُدْرِكُ مَا لَمْ يَأْتِ وَإِنْ أَنَّى كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَهُوَ عِلَّةُ الْمَوْجُودَاتِ ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا الْفَاعِلِيَّةُ: فَلِأَنَّهُ خَلَقَ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ بِهِ.

وَأَمَّا الْغَائِبِيَّةُ: فَأَنَّهُ قَدْ خَلَقَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ لِظُهُورِهِ وَبُرُوزِهِ.

وَأَمَّا الْمَادِيَّةُ: وَالصُّورِيَّةُ فَإِنَّ الْكُلَّ مِنْ شُعَاعِهِ بِمَادَّتِهِ وَصُورَتِهِ وَهَذِهِ الْكَمَالَاتُ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِلْعَقْلِ الْكُلِّيِّ الْآنَ مِنْ ذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ فَهَذَا الْعَقْلُ إِذَا كَانَ عَلَى الْفِطْرَةِ كَانَ عَلَى حَسَبِ مَشِيَّةِ اللَّهِ صَافِيٍّ الْأَدْرَاكُ نَافِذِ النَّظَرِ يُدْرِكُ كُلُّمَا يُقَابِلُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ثَابِتًا جَازِمًا لَا يَتَزَلْزَلُ فِي إِدْرَاكِهِ وَأَمَّا إِذَا كَانَ مَشُوبًا بِشَوَائِبِ النَّفْسِ يُعْمَى عَنِ دَرَكَ الْحَقِّ الْوَاقِعِ وَيَحْصُلُ فِيهِ جِهَتَانِ جَهَّةُ الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ وَجَهَّةُ الْفِطْرَةِ الْمُغْيِرَةِ فَيَرَى بِكُلِّ جَهَّةٍ شَيْئًا وَيَلْتَبِسُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ وَيَتَرَدَّدُ فِيمَا أَنْ يُرْجَحَ إِحْدَى الْجَهَّتَيْنِ فَيُظَنُّ وَيَتَوَهَّمُ الْأُخْرَى أَوْ يَتَسَاوَى فَيَشُكُّ وَعَلَى أَيِّ حَالٍ لَا يَخْلُوا الْإِنْسَانُ مِنْ يَقِينٍ بِشَيْءٍ مِمَّا فِي الدُّنْيَا فَمَنْ عَمِلَ بِمَا يَتَّقِنُ بِهِ يَسْتَبْصِرُ فِيمَا يَشُكُّ فِيهِ وَيَزْدَادُ بَصِيرَةً فِيمَا يَتَرَدَّدُ فِيهِ وَيُوفَّقُ لِلْيَقِينِ وَمَنْ تَرَكَ مَا يَتَّقِنُ بِهِ لِمَا يَشُكُّ فِيهِ يَعْصَى عَنِ دَرَكَ الْحَقِّ وَيَزُولُ يَقِينُهُ وَكَذَلِكَ يُفْسِدُ الْعَقْلَ الْوَسْوَسةَ فِي التَّوَهُمَاتِ وَالتَّجْوِيزَاتِ وَالْأَمْكَانَاتِ وَسَاقِ الْكَلَامِ إِلَى أَنْ قَالَ.

ثم قد يكون متعلق اليقين الصانع واسمائه وصفاته وقد يكون متعلقه افعال

الله ومقاديره، وقد يكون الرسول وصفاته وقد يكون الأمام وصفاته وقد يكون اوليائهم وما يتعلّق بهم واعدائهم وما يتعلّق بهم وقد يكون سائر مسائل الدّين من الحلال والحرام وقد يكون غير ذلك من الاخلاقيات والمعاملات وخواصّ الانسان وغير ذلك من الأمور، انتهى.

اقول: انما نقلناه بطوله وتفصيله لما فيه من الفوائد ما لا يخفى على أهله. ثم بعد ما علمت اليقين ومعناه فلا بدّ لك من العلم بانّ اليقين على مسلك العرفاء الشامخين طبقاً لما وصل الينا من المعصومين سلام الله عليهم أجمعين على قسمين: قسم منه مقرّون بالعمل، وقسم غير مقرون به وذلك لانه يحول الآمال والشهوات والعادات والطبائع وامثالها بين الانسان ويقينه بحيث متى توجه الى هذه الحجب والموانع ينسى اليقين فكأنه لا يقين له وفي الواقع له يقين، وقد لا يحول شيء بين الانسان ويقينه فهو ملتفت اليه شاهد اياه، فالاول اعنى المحجوب تحت الأستار تُسميه بالمقرّون بالعمل. والثاني الذي لاحائل فيه غير مقرون به.

اما الاول: فقد مثلوه بالموت فان كل احد متيقن بالموت ولا يشك فيه ولكن قد حال بينه وبين يقينه الشهوات والعادات وامثالها فهو ملتته بها غافل عنه واما اذا ما رفع الحجب ونظر الى اليقين رآه وعلم انه يموت وكل نفس ذائقة الموت فليس هذا القسم من جهة شك الانسان في متعلق يقينه وانما هو لأجل غفلته عنه.

ويدل عليه ماروى عن سلام المستنير، قال: كنت عند ابي جعفر قد دخل عليه حمران ابن أعين وسئله عن اشياء فلما همّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام أخبرك اطل الله بقال لنا وامتعنابك انا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا وتسلوا نفوسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال ثم نخرج من عندك فاذا صبرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا...

فقال ابو جعفر عليه السلام: انما هي القلوب تصعب مرّة وتسهل ثم قال عليه السلام: اما ان

اصحاب محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا يا رسول الله نخاف علينا النفاق، قال ﷺ فقال ﷺ ولم تخافون ذلك قالوا اذا كنا عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك فاذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكادان نُحوّل عن الحالة التي كنا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شيءٍ افتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً فقال لهم رسول الله ﷺ كلاً إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتكم أنفسكم بها لصادفتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا انكم تذبنون فتستغفرون لخلق الله خلقاً حتى يذنبوا ثم يستغفروا والله فيغفر الله لهم إن المؤمن مفتنٌ تواب أما سمعت قول الله عز وجل إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال ﷺ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه انتهى...

وروى أيضاً عن النبي ﷺ قال ﷺ: لولا الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات والأرض انتهى...
وقال امير المؤمنين ﷺ: ما رأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت انتهى...

فهذه الغفلات لا تضر باليقين نعم اذا نزلت نفس الانسان الى دار الطبايع وأنهمكت فيها الى ان جحدت وتجسّمت وصارت على حسب مقتضيات تلك الحجب وزال عنها اليقين وصارت في شك هلكت.

وأما الثاني: وهو اليقين الذي غير مَقْرُونٍ بِالْعَمَلِ فهو كاليقين الذي انت ذاكره متوجهً إليه ولم يحل بينك وبينه حجاب صار منشأ آثار في حواسك و مشاعرك و اعضاءك و جوارحك و استعمل كلاً في مقتضاه ولم يبق في نفسك شيء يحول بينك وبينه وازلت جميعه بالرياضات والمجاهدات فهذا هو الكمال وكل الكمال وهو المُقَرَّب من الله المُرَقَى للانسان الى درجات الكمال الباعث لمشاهدة فضل الرب الفضال فلاشك ان ذلك يحصل للانسان

إذا عَمِلَ بمقتضى يقينه واعرَضَ عَمَّا سِوَاهُ وَسَعَى وَأَجْتَهَدَ فِي تَصْفِيَةِ الْبَدَنِ
وَتَعْدِيلِهِ وَمَجَانِيَةِ مَقْتَضِيَاتِ الْجَمَادِيَّةِ وَالنَّبَاتِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ خُطَوَاتُ
الشَّيَاطِينِ حَتَّى تَرْتَقِ تِلْكَ الْحُجُبَ وَتَشْفَ عَمَّا وَرَائِهَا وَإِلَّا فَرَفَعَهَا بِالْكَلْبَةِ مِمَّا
لَا يُمْكِنُ وَإِنَّمَا الْمَطْلُوبُ تَرْقِيهَا وَصَيُورَتِهَا شَافَةً عَمَّا وَرَائِهَا هَكَذَا قَرَّرَهُ بَعْضُ
الْعُرَفَاءِ، رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ الْعِلْمُ يَهْتَفُّ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَالْآرْتَحُلُ عَنْهُ
وَهَذَا هُوَ الْيَقِينُ بِالْفِعْلِ فَهَذَا الْإِنْسَانُ هُوَ الَّذِي صَارَ الْيَقِينُ فِيهِ بِالْفِعْلِ وَصَارَ
مَنْشَأُ آثَارِ فَمَنْ رَامَ الْفَوْزَ إِلَى مَقَامِ الْيَقِينِ فَلْيُجَانِبِ اسْبَابَ الْغَفْلَةِ وَمَا يَحْوُلُ
بَيْنَهُ وَيَقِينَهُ وَوَلْيَدْمُ عَلَى الْعَمَلِ بِمَقْتَضَاهُ دَائِمًا حَتَّى يَثْبُتَ لَهُ وَيَكُونَ نَصَبَ عَيْنَيْهِ
دَائِمًا فَكَلَّمَا عَمِلْتَ قَوِيَ الْيَقِينُ وَكَلَّمَا أَزَادَ الْيَقِينُ دَعَا إِلَى الْعَمَلِ كَمَا قَالَ
امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

قال عليه السلام: بالحكمة يُسْتَخْرَجُ غُورُ الْعَقْلِ وَبِالْعَقْلِ يُسْتَخْرَجُ غُورُ الْحِكْمَةِ...

وقال عليه السلام: لَأَنْسِبَنَّ الْأِسْلَامَ نَسْبَةً لَمْ يَنْسِبْهُ أَحَدٌ قَبْلِي، وَلَا يَنْسِبُهُ أَحَدٌ بَعْدِي
إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ الْأِسْلَامِ هُوَ التَّسْلِيمُ وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ
وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْأَقْرَارُ وَالْأَقْرَارُ هُوَ الْعَمَلُ وَالْعَمَلُ هُوَ الْأَدَاءُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَأْخُذْ
دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ وَلَكِنْ أَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ فَأَخَذَهُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى يَقِينَهُ فِي عَمَلِهِ
وَالْكَافِرَ يَرَى انْكَارَهُ فِي عَمَلِهِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَرَفُوا أَمْرَهُمْ فَأَعْتَبَرُوا
انْكَارَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةَ.

فَالْيَقِينُ إِذَا صَارَ بِالْفِعْلِ صَارَ مَنْشَأُ عَمَلٍ بِالْأَرْكَانِ بِحَسَبِ مَقْتَضَاهُ كَمَا
إِذَا تَيَقَّنَ الْإِنْسَانُ أَنَّ مِنْ وَرَائِهِ عَدُوًّا قَاهِرًا شَاهِرًا سَيْفَهُ عَازِمًا عَلَى قَتْلِهِ،
وَيُدْرِكُهُ الْآنَ فَلَا مَحَالَةَ يَفْرَّ مِنْهُ وَيَسْتَعْمَلُ جَمِيعَ جَوَارِحِهِ فِي النَّجَاةِ مِنْ شَرِّهِ
وَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّ مِنْ أَمَامِهِ مَلِكٌ جَوَادٌ يَعْطِي مَنْ سَأَلَهُ وَلَا يُخَيِّبُ أَمَلَهُ وَهُوَ فِي غَايَةِ
الْحَاجَةِ إِلَى نَائِلِهِ يَسْتَعْمَلُ يَقِينَهُ جَمِيعَ أَعْضَائِهِ فِي طَلْبِ نَائِلِهِ وَيَسْعَى فِي
الْوَصُولِ إِلَيْهِ الْبَتَّةَ...

قال امير المؤمنين عليه السلام من: يزعم أنه يرجو الله كذباً والعظيم ما باله لا يتبين

رجائه في عمله وكل من رجا عرف رجائه في عمله يرجوا الله في الكبير
ويرجوا العباد في الصغير فيعطى العبد ما لا يعطى الرب الخبير...

فاذا حصل اليقين في القلب شاهد الفضل فانه لامشاهدة بعد الوصول اعظم
من اليقين واذا شاهد الفضل رجا واذا رجا طلب واذا طلب وجد فان الله جواد
كريم فعلامة فعلية اليقين في الباطن مشاهدة الفضل وحصول الرجاء وعلامتها
في الظاهر الطلب والوجدان ولا يصل الانسان الى خير الدنيا والاخرة الا
باليقين.

وقد ذكرنا في صدر المبحث ان متعلق اليقين يتفاوت فاذا كان مثلاً على
يقين بأحدية الله سبحانه وكان فيه بالفعل يكون بريئاً من الشرك غير متمسك
النفس مضمحلاً متلاًشياً تحت سطوح أنواره.

واذا كان على يقين بوحدته في صفاته فلا يرجوا معه سواه ولا يخاف معه
غيره ويرى دائماً نفسه في حضرة الجبار فيراعى رسم أدبه ولا يجر على
عصيان بحضرتة ولا على النظر على غيره في مشهده ويدعوا موقناً بسماعه
دعوته ويتقلب مؤمناً برؤيته آياه ويسئله موقناً بكل صفة وبوحدته فيها يعمل
بمقتضاه ولا يشرك به احداً.

واذا كان موقناً بأفعاله ومجاري قدره وقضائه عالماً بوحدته فيها فلا يرى
محرّكاً في الوجود سواه ولا يرى خالقاً غيره ويعلم ان جميع ما يجري من
الحوادث بأمره وحكمه فلا يرجوا ولا يخاف غيره ولا يسئل دونه ولا يرى
لأحد استقلالاً معه ويعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطاه لم يكن
ليصيبه فيسكن عند مجاري القدر ويحب ما يحبه الله ويُبغض ما يُبغض الله
واذا كان موقناً بعظّمته واستحقاقه للعبادة وبمالكيته لأذمة الخلق ونواصيهم
وتفرّده في جميع الكمالات اخلص له العبادة ولم يشرك بعبادة ربه احداً وهذا
يوجب قطع النظر عما سواه.

واذا كان موقناً برسوله ﷺ صدق اخباره وافترض طاعته وأخلص في

امثال اوامره واجتناب نواهيه وصدق احاديثه من مقاماته وفضائله وصدقه في عترته وفضائلهم وفي اخباره عن البرزخ ويوم القيمة والجنة والنار وغير ذلك من متعلقات اليقين والملاك ان اليقين باي شىء تعلق لا بد من ترتب آثاره عليه والآثار تتفاوت بتفاوت منشائها وقد مرّ منّا في الأبحاث الماضية ان اليقين له ثلاث مراتب.

الأولى: علم اليقين وهو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع.

والثانية: عين اليقين وهو مشاهدة المطلوب معاينة.

والثالثة: حق اليقين وهو مقام الوصول الى الحقيقة وقد عبّر عنه بعض الفلاسفة بمقام اتّحاد العاقل بالمعقول او اتّصال النفس في مقام الترقى بالعقل الفعّال والذي حصل لنا من الأخبار هو ان اليقين عبارة عن المعاينة ولا مشاحة في الاصطلاح هذا خلاصة ما حقّقه بعض العرفاء في المقام وانما نقلناه بطوله مع تلخيص منّا لما فيه من التّحقيقات الكافية، والتّدقيقات الشّافية قلّما توجد في كلمات القوم فاغتنم وكُن على يقينٍ والأ فأصبر حتّى يأتيك اليقين، فإنّ المقام من مزال الاقدام ولعلّو شأن اليقين ورفعة منزلته قد أطلنا الكلام فيه وخرجنا عن طور الكتاب وارجؤا من اخواني ان يعذروني في ما سلكتُ ونُدبِل البحث بذكر بعض الاخبار والآثار الواردة فيه تميماً للبحث وتكميلاً للفحص مضافاً على ما ذكرناه من الاخبار في اوائل البحث.

فقد روى الدّيلمى في الأرشاد على ما نقل عنه ان سعد ابن معاذ دخل على

رسول الله ﷺ فقال ﷺ كيف اصبحت يا سعد؟

فقال: بخير يا رسول الله، اصبحتُ بالله مؤمناً موقناً.

فقال يا سعد: ان لكل قولٍ حقيقة، فما مصداق ما تقول قال، يا رسول

الله ﷺ ما اصبحتُ فظننتُ انى أمسى ولا أمسيتُ فظننتُ انى أصبح ولا مددتُ

خطوةً فظننتُ انى ابتعها بأخرى وكانى بكلّ أمةٍ جائية وكلّ أمةٍ معها كتابها

وبيئها وامامها تدعى الى حسابها وكانى باهل الجنة وهم يتنعمون وباهل

النَّارِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا سَعْدُ عَرَفْتَ فَاذْهَبْ، انْتَهَى...

وَقَالَ ﷺ: الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ انْتَهَى...

وَعَنِ الصَّادِقِ (ع): الْيَقِينُ يُوصلُ الْعَبْدَ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ عَجِيبٍ وَحَالٍ سَنِيٍّ كَذَلِكَ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عِظَمِ شَأْنِ الْيَقِينِ حِينَ ذَكَرَهُ عِنْدَهُ أَنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَانَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ فَقَالَ ﷺ لَوْ زَادَ يَقِينَهُ لَمْ يَمْشِ عَلَى الْهَوَاءِ، انْتَهَى...

أقول: وهذا الحديث يدل على أن مراتب الأنبياء تتفاضل على تفاوت مراتب اليقين كما أن المؤمنين أيضاً كذلك.

وعن الكافي عن اسحاق ابن عمّار قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول أن رسول الله ﷺ صلى بالناس الصبح فنظر الى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه مُصْفَرّاً لونه قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه.

فقال له رسول الله ﷺ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فُلَانُ؟

قال اصبحت يا رسول الله مؤقناً، فعجب رسول الله قوله وقال: إن لكل

يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟

فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنتني فاسهر ليلي وأظمأهوا جرى فعرفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كائني أنظر الى عرش ربي وقد نُصِبَ لِلْحِسَابِ وَحُسِبِ الْخَلَائِقُ لِذَلِكَ وَأَنَا فِيهِمْ وَكائني أنظر الى اهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون على الأرائك متكئون وكائني أنظر الى اهل النار وهم فيها مُعَذَّبُونَ مُصْطَرِّخُونَ وَكائني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي فقال رسول الله ﷺ لأصحابه هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان، ثم قال له الزم ما أنت عليه، الحديث...

وعن ابي بصير عن ابي عبد الله قال (ع) ليس شيء إلا وله حد. قلت: جعلت

فذاك فما حد التوكل؟ قال: اليقين، قلت فما حد اليقين؟ قال عليه السلام: ان

لاتخاف مع الله شيئاً، انتهى...

وعن الوشاعن ابي الحسن عليه السّلام قال سمعته يقول الأيمان فوق الاسلام بدرجةٍ والتّقوى فوق الأيمان بدرجةٍ واليقين فوق التّقوى بدرجةٍ وما قُسمَ في النَّاسِ شَيْءٌ أَقَلَّ من اليقين، انتهى...

وفى روايةٍ اخرى: قال الراوى فائى شَيْءٍ اليقين، قال التّوكّل على الله والتّسليم لله والرّضا بقضاء الله والتّفويض الى الله، انتهى...

والاخبار فى اليقين وفضله كثيرة وكفاك شاهداً عليه ان فى كتبنا الاخبار قد اختصّ اليقين بباب عليحدة كالكافى والوافى والبحار، وغيرها وفيما ذكرناه كفاية، اللهم اجعلنا من الموقنين بحقّ محمّد وآله المعصومين.

اذا عرفت اليقين وحقيقته فاعلم ان قوله عليه السلام وانى لعلنى يقين من ربى وغير شُبّهة فى دينى، اشارة الى ما ذكرناه وانه عليه السّلام كان فى أعلى مراتب اليقين ولذلك أكّد قوله بكلمة (ان) ولام التأكيد الدالتان على صحّة المدعى ومن المعلوم ان صاحب اليقين لا يخاف مع الله شيئاً.

والحاصل انه عليه السّلام نفى الخوف عن نفسه الشريفة واستدل عليه بدليلين:

احدهما: كونه على يقين وصاحب اليقين لا يخاف الا من الله تعالى.
وثانيهما: انه على غير شُبّهة فى دينه، اى على يقين ما اتى به النبى صلى الله عليه وآله وهو صلى الله عليه وآله قد أخبره بقتال الناكثين. فمفهوم كلامه عليه السّلام هو ان الخائف لا بد من ان يكون اما ضعيف الأيمان واليقين واما ان يكون على غير بصيرة فى دينه وهو غيره عليه السّلام.

فقول الشّراح ان قوله عليه السلام وغير شُبّهة من دينى، كالتفسير لقوله وانى لعلنى يقين من ربى، كلام بلا محصل اذ لامنافات بين كون الشّخص على يقين من دينه بالمعنى الاول من معنّيه دون المعنى الثانى وان يكون فى شُبّهة من دينه. نعم اليقين بمعنى الثانى اعنى الفعلية لا يجمع مع الشُبّهة فى الدين فليس العطف تفسيرياً بل هو توضيحى من جهةٍ ويغاير المعطوف عليه من جهةٍ

اخرى، والحمد لله رب العالمين.

تنبيه: اعلم ان هذه الخطبة قد رؤيت بطرقٍ مختلفة ذكر بعضها الشارح
الخوئي في شرحه ونحن لانطيل الكلام بذكر ما نقلوه في كتبهم مراعاةً لجانب
الاختصار واتكالاً على ما ذكره الخوئي وغيره من الشراح فمن ارادها فليراجع
الى مظانها.

مضافاً، الى ان المآل فيها واحد وان كانت الالفاظ مختلفة متفاوتة وكلامنا
مُتوجّه الى المعاني دون الالفاظ.

﴿ومن خطبة له ﷺ﴾ (٢٣)

□ أما بعد:

فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً. فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَيُعْرِى بِهَا لِثَامَ النَّاسِ كَمَا تَفَالِحُ الْيَاسِرِ، الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِّنْ قِدَاحِهِ تَوْجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ أَحَدَى الْحُسْنَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقُ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ، إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ، فَأَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِّنْ نَفْسِهِ، وَأَخْشَوْهُ خَشِيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ، وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ، وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَن يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَن عَمِلَ لَهُ، نَسَلُ اللَّهِ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمَعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عِزَّتِهِ وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّنْتِهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ، وَأَلْمَهُمْ لِشُعْنِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَنَا زِلَّةٌ إِذَا نَزَلَتْ وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يَرِثُهُ غَيْرُهُ...

منها: أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي

لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تَقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتَقْبِضُ مِنْهُمْ أَيْدِي كَثِيرَةٌ وَمَنْ تَلِنَ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمُّ مِّنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ، انتهى متن.

< اللغة

(يَنْزِلُ) اى يَهْبِطُ. (الْقَطْرَ) بفتح القاف وسكون الطاء والراء مصدر من قَطَرَ يَقْطِرُ، ما قَطَرَ من الشئ القاطر وفي بعض النسخ كَقَطَرَاتِ (الْمَطَرِ) وهى جمع قطرة. (غَفِيرَةً) الزيادة والكثرة. (فِتْنَةً) بكسر الفاء وسكون التاء وفتح النون الفساد والضلال عن الحق. (يَغْشَى) غَشَى فلاناً كَرَضَى اتاه. (يُغْرِى) غَرَى به كَرَضَى ايضاً وَلَعَ به وأغراه. (لِثَامٌ) جمع لثيم وهو الدنى. (الْفَالِجِ) الفايز الظافر. (الْيَاسِرِ) القامير اللّاعب. (الْقَدَّاحِ)، النَّبْلِ، (الْمَغْنَمِ)، كَمُقْعَدِ (الْفَيْءِ). (الْمَغْرَمُ) ما يلزم من الدين. (التَّعْذِيرِ) اظهار العذر من غير عُذْرٍ. (الْحَيْطَةِ) الحِفظ. (الشَّعَثِ) تَفَرَّقَ الأمر وباقي اللغات واضح.

◁ المعنى

اما بعد: (فَإِنَّ الْأَمْرَ)، اى: الأمر الألهى والمراد به الأمور المقدرة (يَنْزِلُ) اى يَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ)، اى من عالم قضائه وقدره (إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ)، تشبيه المعقول بالمحسوس، (إِلَى كُلِّ نَفْسٍ)، من النفوس (بِمَا قَسَمَ لَهَا)، اى لِلنَّفُوسِ مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ تَقْصَانٍ، لتفاوت النفوس بحسب الاستعداد (فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ لِأَخِيهِ، الْمُؤْمِنِ غَفِيرَةً، اى زيادة وكثرة فى أهلٍ، من اقاربه أو مالٍ، بان كَثُرَ مَالُهُ أَوْ نَفْسٍ، بان كثر اولاده، فَلَا تَكُونَنَّ، هذه الكثرات فى الأهل والمال والنفس. (لَهُ)، اى لأخيكم، فِتْنَةً، اى مُوجِبٌ لِلضَّلَالَةِ وَالْأَنْحِرَافِ عَنِ الْحَقِّ. فَإِنَّ الْمَرْءَ، الْمُسْلِمَ ما اى مُدَّةً وَزَمَانًا. (لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ، اى مهما لم يرتكب امراً خسيساً يَظْهَرُ عنه ويلزمه بارتكاب يخجل من ذكره بين الخلق. (فَيَحْشَعُ لَهَا، اى لِلدَّنَاءَةِ، إِذَا ذُكِرَتْ، اى الدَّنَاءَةِ. (وَيُغْرِى بِهَا، اى الدَّنَاءَةِ، لِثَامٌ

النَّاسِ، فِي فِعْلِ مِثْلِهِ. (كَالْفَالِحِ، أَي الْفَائِزِ مِنَ السَّهَامِ. (الْيَاسِرِ) اللَّاعِبِ الْقَامِرِ.
(يَتَنَظَّرُ، أَي الْيَاسِرِ، أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ، تَوْجِبُ الْفَوْزَةَ مِنَ الْقِدَاحِ، لَهُ الْمَغْنَمُ،
أَي الْفَيْءُ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ، أَي الْفَالِحِ) (الْمَغْرَمُ أَي الدِّينِ.

(وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ، الْمُنَزَّهُ (مِنَ الْخِيَانَةِ) وَالظَّلْمِ (يَتَنَظَّرُ
إِحْدَى الْحُسْنَيْنَيْنِ إِذَا دَاعَى اللَّهُ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ) مِمَّا عِنْدَهُ (وَأَمَّا رِزْقُ اللَّهِ
فَإِذَا، لِلْمَفْاجَاةِ (هُوَ، أَي الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ (ذُو أَهْلِ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ الَّذِي
ارْتَضَاهُ وَحَسَبُهُ إِنَّ الْمَالَ وَالْبَيْنَ حَرْثُ الدُّنْيَا، أَي زَرْعُهَا) وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَزَرْعُهَا. (وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ أَي قَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ حَرْثَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ (لِلْأَقْوَامِ مِنَ النَّاسِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ. (فَأَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ،
أَي اجْتَنَبُوا مَعَاصِيَهُ وَتَوَاهَبَهُ. (مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ، أَي مَا حَذَرَكَمُ اللَّهُ، مِنْ نَفْسِهِ
وَأَخْشَوْهُ، أَي اللَّهُ، خَشْيَةً لَيْسَتْ، هَذِهِ الْخَشْيَةُ. (بِتَعْذِيرٍ) مِمَّنْ لَا عُدْرَ لَهُ
(وَأَعْمَلُوا، فِي الدُّنْيَا (فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ فَإِنَّ الرِّيَاءَ يَنَافِي الْقُرْبَةَ فِي الْعَمَلِ
فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ، بِسَبَبِ الرِّيَاءِ (يَكِلُهُ اللَّهُ، أَي يَكِلُ اللَّهُ صَاحِبَهُ) (أَي مَنْ
عَمِلَ لَهُ) وَالْمَفْرُوضِ أَنَّهُ قَدْ عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ (نَسَلُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ فِي
الْآخِرَةِ وَمُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَنَانِ.

(أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ، كَائِنًا مِنْ كَانَ (وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَثَرْوَةٍ) (عَنْ
عَشِيرَتِهِ) أَي أَقَارِبِهِ وَاهْلِهِ (وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ) أَي دِفَاعِ الْعَشِيرَةِ عَنْهُ (بِأَيْدِيهِمْ
وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَي الْعَشِيرَةُ (أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً، أَي حِفْظًا (مِنْ وَرَائِهِ) أَي فِي
غِيَابِهِ. (وَأَلْمَهُمْ لِشَعِيثِهِ) أَي الْعَشِيرَةُ أَعْظَمُ النَّاسِ فِي جَمْعِ شَعِيثَاتِهِ، وَتَفَرُّقِ أَمْرِهِ.
(وَأَعْظَفُهُمْ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ) أَي الْعَشِيرَةُ أَعْظَفُ النَّاسِ لَهُ عِنْدَ نَازِلَةٍ، أَي
حَادِثَةٍ نَزَلَتْ بِهِ (وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، بَانَ لَا يَكْذِبُ فِي
أَقْوَالِهِ (خَيْرٌ، لَهُ (مِنَ الْمَالِ يُورَثُهُ) أَي يَرِثُ الْمَالِ (غَيْرُهُ) مِنْ طَبَقَاتِ الْوَرَاثِ،
انْتَهَى.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ...

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِلَ لَهُ كُنَّ فَيَكُونُ﴾^(١)

و: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾^(٢)

و: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(٣)

و: ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ كُنَّ فَيَكُونُ﴾^(٤)

و: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٥) وامثال ذلك من الآيات فقوله عَلَيْهَا

مُقْتَبَسٌ مِنْهَا وَيَقَعُ الْبَحْثُ فِيهِ مِنْ جِهَاتِ الْجَهَّةِ الْأُولَى فِي مَعْنَى الْأَمْرِ قَالَ صَدْرُ الْمُتَأَلِّهِينَ فِي الْأَسْفَارِ اعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ ضَرَبٌ مِنَ الْكَلَامِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكَلَامَ عِبَارَةٌ عَنِ انْشَاءِ الْحُرُوفِ بِأَعْيَانِهَا وَالْكَلِمَاتُ بِإِبْجَادِهَا مِنَ الضَّمِيرِ فِي الْمَخَارِجِ وَهُوَ عَيْنُ الْأَعْلَامِ وَأَمَّا تَرْتِّبُ الْأَثْرِ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْأَخْبَارِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبِ وَالْإِسْتِفْهَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ مَقْصُودَانِ وَغَايَةٌ ثَانِيَةٌ غَيْرُ الْأَعْلَامِ وَهَذِهِ الْمَغَايِرَةُ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ فِي بَعْضِ أَقْسَامِ الْكَلَامِ لِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ أَعْلَى وَأَوْسَطٍ وَأَدْنَى.

فَأَعْلَى الْأَقْسَامِ مَا يَكُونُ عَيْنَ الْكَلَامِ مَقْصُودًا أَوَّلِيًّا بِالذَّاتِ وَلَا يَكُونُ بَعْدَهُ مَقْصُودًا أَشْرَفًا وَأَهَمَّ مِنْهُ لِكَوْنِهِ غَايَةً لِمَا بَعْدَهُ وَهَذَا مِثْلُ إِبْدَاعِهِ تَعَالَى عَالَمِ أَمْرِهِ بِكَلِمَةٍ (كُنَّ) لِأَغْيَرِ وَهِيَ كَلِمَاتُ اللَّهِ التَّامَاتُ وَاللَّيَاتُ الْعَقْلِيَّاتُ الَّتِي لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْقُصُ وَلَيْسَ الْغَرَضُ مِنْ انْشَائِهَا مِنْ تَعَالَى سِوَى أَمْرِ اللَّهِ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ الْفِيلَسُوفُ الْأَكْرَمُ فِي كِتَابِ اثْنُولُوجِيَا أَنَّ مَا هُوَ وَلَيْمَ هُوَ فِي الْمَفَارِقَاتِ شَيْءٌ وَاحِدٌ بِمَعْنَى مَا هُوَ نَفْسُ حَقِيقَتِهَا فَهُوَ نَفْسُ كَمَالِهَا وَغَايَتِهَا.

٢. الحجر - ٢١.

٤. غافر - ٦٨.

١. النحل - ٤٠.

٣. الرعد - ١٧.

٥. الذاريات - ٢٧.

وأوسطها ما يكون لعين الكلام مقصود آخر غيره إلا أنه يترتب عليه على الوجه اللزوم من غير جواز الأنفكاك بحسب الواقع وذلك كأمره تعالى للملائكة السماوية والمُدبّرات العلوّية فلكيّة أو الكوكبيّة بما أوجب الله عليهم ان يفعلوا من التدبيرات والتحرّيكات والأشراق والعبادات والنسك الالهية لغايات اخرى عقلية فلاجرم لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. فينالون نصيبهم من فائدة إنزال الكلام عليهم كما ستعلم وكذلك ملائكة الطّبائع الارضية والأجسام العنصريّة من مُدبّرات الجبال والبحار والمعادن والسحب والأمطار الى آخر ما قال وافاد.

ثمّ قال:

وأدناها ما يكون لعين الكلام مقصود آخر ولكن قد يتخلف عنه وقد لا يتخلف وفيما لا يتخلف ايضاً امكان التّخلف والتّعصّي ان لم يكن هناك عاصم من الخطاء والعصيان وهذا كأوامر الله وخطاباته للمكلفين وهم الثقلان الجنّ والنّس بواسطة انزال المَلَك وارسال الرّسول وهما اعنى الثقلين مخلوقان في عالم الأحداث والتّركيب وعالم الأضداد والأنداد والتّعائد والتفاسد ففي هذا القسم من الكلام وهو الأمر بالواسطة تحتمل الطّاعة والعصيان واما الأمر مع عدم الواسطة او بواسطة امر آخر فلاسبيل إلا الطّاعة.

فاعلى ضروب الكلام هو الأمر الأبداعي
قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ الْبَصَرِ﴾^(١) وهو عالم القضاء

الحتمى

و: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَاَهُ وَالْبِالِدِينَ إِحْسَانًا﴾^(٢)

والأوسط وهو الأمر التكويني وهو عالم القدر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٣)

والأدنى هو الأمر التشريعي التدويني

قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾^(١) انتهى ما ذكره.

إذا عرفت الأمر ومعانيه الثلاثة فقد علمت أنّ المراد بالأمر النازل من السماء في كلامه ﷺ لا بد من ان يكون احدى المعانى المذكورة.

أما الأول: منها اعنى الأمر الأبدعى المُعَبَّر عنه بعالم القضاء الحتمى فلا يمكن حمل كلامه ﷺ عليه وذلك لأنه لا يمكن انزاله الى عالم الكون والفساد لبرائته عن التكوينية كما هو ظاهر.

وأما الثالث: اعنى الأمر التشريعي التدويني ايضاً لم يكن مراده لأن الكلام ليس فى الاحكام الشرعية والأوامر المتعلقة بها وإذا انتفى الأثنان بقى الآخر وهو الامر التكويني المعبر عنه بعالم القدر ويؤيد ما ذكرناه قوله ﷺ بِمَا قُسِّمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِنَّ الْأَمْرَيْنِ الْآخَرَيْنِ لَزِيَادَةٍ فِيهِمَا وَلَا نُقْصَانٍ. وعلى المختار فالمراد من قوله ﷺ: فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ الْخ.

الأمر التكويني اعنى الأفاضة من مبدء الفياض على المفاض عليه بقدر استعداده ولياقته وحيث أنّ الاستعدادات مختلفه بحسب اللياقه فلاجرم تكون الأستفاضات متفاوتة مع أنّ الفيض فى الكل واحد فإنّ المفيض لا يبخل فيه فى الأفاضة ولذلك قال ﷺ من زيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فالزيادة والنقصان فى المُستفيض لافى الأفاضة من المُفيض فافهم كما قال الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(٢)

الجهة الثانية: كلمة السماء، مشتقة من السمو وهو بمعنى الارتفاع والعلو قال فى لسان العرب: سَمَوْتُ وَسَمِيْتُ مِثْلَ عَلَوْتُ وَعَلَيْتُ، وَسَمَا الشَّيْءُ يَسْمُوُ سُمُوًّا فَهُوَ سَامٌ، ارْتَفَعَ وَسَمَا بِهِ وَاسْمَاهُ، اعْلَاهُ، وَسَمَا كُلُّ شَيْءٍ اعْلَاهُ، وَقَالَ الرَّجَاجُ السَّمَاءُ فِي اللُّغَةِ يُقَالُ لِكُلِّ مَا ارْتَفَعَ وَعَلَا وَكُلِّ سَقْفٍ فَهُوَ سَمَاءٌ وَمِنْ هَذَا قِيلَ لِلسَّحَابِ السَّمَاءَ لِأَنَّهَا عَالِيَةٌ وَمِنْهُ قِيلَ لِسَقْفِ الْبَيْتِ سَمَا،

والسّماء يذكّر ويؤنث.

فمن الاوّل قول الشاعر:

فلو رفع السّماء اليه قوماً لحقنا بالسّماء مع السّحاب
ومن الثّاني قوله:

وقالت سماء البيت فوقك مُخلّقٌ ولما تيسّر اجتلاء الرّكائب
والجمع منه اسمية، وسمّى، وسموات، وسماء ومنه قول امّية ابن ابي
الصّلت:

له ما رأت عين البصير وفوقه سماء الأله فوق سبع سماءيا
وجاء بمعنى السّحاب والمطر ايضاً ومن استعماله بمعنى المطر قول
الشاعر:

اذا سقط السّماء بأرض قوم رَغِيناه وان كانوا غضاباً
وجاء بمعنى ظهر الفرس ايضاً لعلّوه، قال الشاعر:
واحمّر كالديباج اما سمائه فرياً واما أرضه فمحول
وقيل فيه معانى اخر، والمقصود منه ههنا هو جهة العلو اي الأمر يتنزل من
جهة العلو او الفوق او نحو ذلك من المعانى وهذا ممّا لا كلام فيه انما الكلام
فى انه لاى شىء يستند الأمر وامثاله فى الآيات الكريمة والأخبار الواردة
وحتى فى كلمات القوم الى جهة العلو اعنى السّماء مع انه لا خصوصية فيه فان
الأمر المُقدّرة ليست فى السّماء بهذا المعنى كما ان الله تعالى ايضاً لا يكون فى
السّماء لكونه تعالى مُنزهاً عن المكان فكما ان الواجب تعالى لا مكان له بل
هو آله فى الأرض وآله فى السّماء فكذلك امره فان المجرّدات مُنسلخة عن
الزّمان والمكان قطعاً واذا كان الامر على هذا المنوال فما المخلّص من هذا
الاشكال قلت اسناد الأمور الى السّماء فيه وجوه

احدها انّ السّماء كما نقلنا عن اهل اللّغة عبارة عن جهة العلو ونحن فى
جهة السّفلى لكوننا ساكنين فى الأرض ولا شك انها بالنسبة الى فوقها جهة

السفل كما أنّ فوقها بالمقايسة إليها جهة العلوّ لابل المقايسة الى فوقه نفسه وحيث أنّ الأمور المقدّرة لنا تصل إلينا من عالم الغيب اعنى عالم المُجَرّدات والمجرّد أشرف وأعلى من المادّي فكلّ ما هو من سنخه ايضاً أعلى وأشرف واذا ثبت كون الأمر أشرف وأعلى فصَحَّ قوله ﷺ: **فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ** اى من عالم المُجَرّدات الى عالم المادّة.

وثانيها: إنّ لاشكّ فى كونه تعالى أعلى وأشرف من مخلوفاته لانه علة وما سواه معلول له وكلّ علة اشرف من المعلول فهو تعالى أشرف واعلى واذا ثبت كونه من حيث الذات اعلى فهو من حيث الصّفات كذلك لعينيّة الصّفات والذات وعليه فمعنى قولنا ينزل الأمر من السّماء اى من عالم الرّبوبيّ، فإنّ الأمر ليس الأكلامه والتعبير بالنزول كما فى كثير من الآيات ايضاً اشارة الى أنّ الأفاضات من العلة الى المعلول ومن عالم المجرّدات الى عالم المادّة ولا شكّ أنّ هذا لا يمكن بدون التنزّل.

وثالثها: إنّ عالم العناصر والطبيعة أحسنّ العوالم لكونه عالم الأضداد والأنداد والتّزاحم والتّعاقد فكلّ ما وصل الى هذا العالم من سائر العوالم يصدق عليه أنّه ينزل من السّماء اى من جهة العلو وامثال ذلك من الوجوه.

الجهة الثالثة: فى تشبيهه ﷺ: الأمر النازل الى النفوس بالمطر وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس للإشارة الى أنّ الاوامر الالهية والمقدّرات الرّبانية تشبه ماء المطر فى صفائه ولطافته فكما ان ماء المطر قبل نزوله ووصوله الى الأرض لا يختلط بشيء وبعد وصوله الى الأرض يختلط مع التراب فيكدر فكذلك الأوامر الالهية ما لم تنزل الى النفوس المختلطة بالمادّة لاغبّار فيها وبعد النزول إليها تتكدر بتكدرها.

وثانياً إنّ الماء فى عالم المادّة موجب لحياة الجسم: قال الله تعالى **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾** ^(١) والامر الالهى موجب لحياة الرّوح فكما أنّ تعيّن

الجسم بدون الماء محال فكذلك تعيَّش الرُّوح بدون الافاضات العقلية محال. وثالثا ليس للمطر شأن خاص بالنسبة الى بعض الأرض دون بعض بل نسبته الى تمام الأمكنة على حدٍّ سواء ومع ذلك لاشك لنا في ان بعض نقاط الأرض انتفاعه منه اكثر من نقطة اخرى بل بعض الأراضي لا ينتفع به اصلا لعدم قابليته للنقص في المطر فكذلك الفيوضات الربانية مع انها لأختلاف فيها نشاهد بعض النفوس أقل نفعاً من بعض او اكثر وليس هذا التفاوت الا في جهة القابل فبهذه الجهة صح تشبيه الأمر بالمطر.

فقوله **﴿إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ...﴾**

ليس معناه ان الأمر فيه زيادة ونقصان اذ لو كان كذلك يلزم الجبر بل معناه ان الأمر ينزل الى كل نفس بما قسّم لها اي للنفس من زيادة ونقصان اي من جهة زيادة قابليتها ونقصان قابليتها بالنسبة الى ذك الفيز.

وبعبارة اخرى: ليست الزيادة والنقصان في جانب المُستفيض والفرق

واضح.

ويؤيد ما ذكرناه قال الله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾** ^(١)، بناء على كون المراد بالماء معناه الاعم كما عليه الفلاسفة وهو يتم بناء على مسلكهم من عدم تعلق جعل البسيط بالماهيات كما قال الشيخ الرئيس ما جعل الله المشمش مِشمِشاً بل أوجده.

فلو كان الأمر كما ذكروه فالزيادة والنقص في جانب الماهيات بحسب تفاوت استعداداتها كالظروف المتعددة تحت الميزاب او المطر حيث ان كل واحد منها يأخذ من الماء بحسب ظرفيته ولياقته من دون مدخلية للماء فيه.

واما ان قلنا بكون الماهيات مَجعولة فالأمر بالعكس اذ لا بد لنا (ح) القول بان الزيادة والنقصان بحسب التقدير الألهي فان المفروض مَجعولة الماهيات سواء كانت كثيرة الاستعداد او قليلة.

وظاهر العبارة يُوهم المعنى الثانى، فإنَّ قوله ﷺ: بِمَا قُسِّمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ مِنْ ثَمَرَاتِ التَّقْدِيرِ وَفُرُوعِهِ وَهَذَا يُوجِبُ مَجْعُولِيَّةَ الْمَاهِيَّاتِ.

اللَّهُمَّ أَلَا إِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّ كَلَامَهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَإِنَّ قَوْلَهُ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ، يَشْعُرُ بِكَوْنِ النَّفْسِ مَخْلُوقَةً لَهُ تَعَالَى وَالزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ أَيْضًا فِيهَا وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (١)

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا فَيَصِيرُ الْمَعْنَى أَنَّ الْأُمُورَ النَّازِلَةَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى النَّفُوسِ أَيْضًا بِحَسَبِ التَّقْدِيرِ الْإِلَهِيِّ وَتَقْسِيمِهِ الْأُمُورَ لَهَا فَأَعْطَى كُلَّ نَفْسٍ حَقَّهَا وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فَتَأَمَّلْ فِي الْمَقَامِ فَإِنَّهُ مِنْ مَزَالِ الْأَقْدَامِ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً...

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٢)

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ نُزُولُ الْأَمْرِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَفْرِيقُهَا بِتَقْسِيمِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ عَلَى وَفْقِ الْحِكْمَةِ وَاقْتِضَاءِ الْمَصْلَحَةِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ غَفِيرَةً أَيْ زِيَادَةً فِي الْمَالِ أَوْ أَهْلِ أَوْ نَفْسٍ أَوْ نَقْصٌ كَذَلِكَ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِمَّا بِهِ صَلَاحُ الْخَلْقِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وَأَنَّهُ صَارَ عَنِ الْقِسْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ الْمَكْتُوبَةِ بِقَلَمِ الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي هُوَ خَزَانَةُ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ الْأَفْتَتَانِ بِحَالٍ مِّنْ حَصَلَتْ لَهُ الزِّيَادَةُ فِي أَحَدِهَا لِثَلَا يَشْتَغَلُوا بِالْحَسَدِ وَالْغِيْبَةِ وَالْمَيْلِ إِلَى مَنْ لَهُ تِلْكَ الزِّيَادَةُ عَنِ الْقِبْلَةِ الْحَقِيقِيَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا شَاغِلَةٌ عَنِ سُلُوكِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَحَاجِبَةٌ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ وَمَانِعَةٌ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَفِيهَا دَنَاءَةُ النَّفْسِ وَرِذَالَةُ الطَّبَعِ.

والحاصل انه اى المسلم مهما لم يرتكب امراً مخالفاً للشرع فلا يكون مُجرّد زيادة المال والأهل تقصا فيه او موجِباً لكونه مُحسوداً لغيره فان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

□ قوله عليه السلام: ما لم يَغشَ دناءه تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذَكَرَتْ وَيُغْرَى بِهَا لِثَامُ النَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِّنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ وَيُرْفَعُ بِهَا عِنْدَ الْمَغْرَمِ...

والمعنى ان المسلم ما لم يرتكب امراً خسيساً يَظْهَرُ عنه ويلزمه بارتكابه الخجل من ذكره بين الخلق والحياء من التعبير به ويُغْرَى به لثام الناس وعوامهم فى فعلٍ مثله او فى هتك سرّه فانه يشبهه الفالج الياسر فاما تشبيهه من هذه صفته بالفالج الياسر فلنشره اولاً الى كيفية اللعب المُسمّى ميسراً ليتضح به وجه الشبه فنقول:

انّ الحَشَبَاتِ المُسَمِّيَاتِ بِالْقِدَاحِ وهى التى كانت لِإيسار الجُزور سبعة.

اولها: الفذ، بالذال المُعْجَمَةُ المُشَدَّدَةُ وفيه فرض واحد.

وثانيها: التوام وفيه فرضان.

وثالثها: الضريب بالضاد المُعْجَمَةُ وفيه ثلاثة فروض.

ورابعها: الجِلس بكسر الحاء ونقل عن محمد ابن فارس فى المُجْمَل

الحلس بفتح اللام وفيه اربعة فروض.

وخامسها: النَّافِس وفيه خمسة فروض.

وسادسها: المَسْبِل وفيه ستة فروض.:

وسابعها: المعلى وفيه سبعة فروض. وليس بعده قَدَح فيه شىء من

الفروض الا انهم يَدْخُلُونَ مع هذه السبعة اربعة اخرى يسمّى او غاداً لافروض فيها.

وانما يثقل بها القداح، وأسمائها المُصَدَّرُ ثُمَّ المُضَعَّفُ، ثُمَّ المَنِيعُ، ثُمَّ

السَّفِيحُ، فاذا اجتمع اليسار الحى اخذ كل منهم قَدْحاً وكتب عليه اسمه او علمه

بعلامة، ثم أتوا بجزورٍ فينحرها صاحبها ويُقسّمها عشرة أجزاء على الوركين والفخذين والعجز والكاهل والزور والملحاء والكتفين، ثم يغمد الى الطّافف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الأجزاء بالسوية فإذا استوت وبقي منها عظم وبضعة لحم انتظر به الجازر من اراده فمن يَفُوذُ قَدَحَهُ فان أَخَذَهُ عَيْرَهُ وَالْأ فَهُوَ لِلْجَازِرِ.

ثم يؤتى به برجلٍ معروف أنه لم يأكل لحمًا قطُّ بثمانٍ إلا أن يُصِيبَهُ عند غيره ويُسمى الخرصّة فيجعل على يديه ثوبٌ ويعصب على رؤوس اصابعه بعصابة كيلا يجد مسّ الفروض.

ثم يدفع اليه القداح ويقوم خلفه رجلٌ يقال له التّريب فيدفع اليه قدحاً منها من غيران ينظر اليها فمن خرج قدحه من اجزاء الجُزور بعدد تلك الفروض التي في قدحه ومن لم يخرج قدحه حتى استوفيت اجزاء الجُزور غُرمَ بعدد فروض قدحه كاجزاء تلك الجُزور من جزورٍ اخرى لصاحب الجُزور الذي نحرها فان اتفق ان خرج المُعلّى فاخذ صاحبه سبعة اجزاء من الجُزور. ثم خرج المسبّل فلم يجد صاحبه الا ثلاثة اجزاء اخذها وغرم له من لم يفز قدحه ثلاثة اجزاء من جزور اخرى.

واما القداح الأربعة الأوعاد فليس في خروج أحدها غنمٌ ولا في عدم خروجه غرمٌ، والمنقول عن الأيسار أنهم كانوا يُحرّمون ذلك اللحم على أنفسهم ويعدونه للضيافة، انتهى.

هذا ما ذكروه في تفسير القداح واما نحن فلا يكون لنا في هذا الموضوع علمٌ كامل حتى نتمكن من الحكم بصحة ما ذكروه وعدمها وانما هو من رسوم الجاهليّة، واما في زماننا هذا فليس من القمار المذكور أثر في الأجماع وانما هو بترتيب آخر، والله اعلم.

وعلى اى تقدير اذ اعرفت ذلك فاعلم ان وجه الشبه هو انّ الفائز الياسر الذى ينتظر قبل فوزه اول فوزة من قدامه اوجب له فوزة المغنم ونفى عنه

المغنم فكذلك المسلم البريء من الخيانة الى آخره.

□ قوله ﷺ: فَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنْ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنْ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ إِمَّا دَاعَى اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَإِمَّا رِزْقُ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ...

وذلك لأن المسلم البريء من الخيانة الحفيظ لنفسه عن ارتكاب معاصي الله لما كان لا بد له في انتظاره لرحمة الله وصبره عن معصية ان يفوز بأحدى الحسينين وهي إما ان يدعو الله اليه بالقبض عن الشقاء في هذه الدار فما عند الله مما أعدّه خيراً له فيفوز اذاً بالنعيم المقيم ولما كان فوزه مستلزماً لعدم خسارته ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه.

وإما ان يفتح الله عليه ابواب رزقه فأصبح وقد جمع الله له بين المال والبنين والنفس مع حفظ الحسب والدين فيفوز بالفوز العظيم فيقول بلسان حاله ومقاله قل: اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعزّ من تشاء وتُذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير.

□ قوله ﷺ: إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ فَأَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَأَخْشَوْهُ خَشِيَةً لَيْسَتْ بِتَغْذِيرٍ...

اشاره ﷺ بقوله: هذا الى قول الله تبارك وتعالى في كتابه، قال الله تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ (١)

ثم ان كلامه عليه السلام في المقام يدور على امور: لا بد لنا من البحث فيها اجمالاً.

الأمر الاول ان المال والبنين زينة الحياة الدنيا او حَرث الدنيا وهذا مما لا كلام فيه ظاهراً عقلاً ونقلاً.

أما العقل: فلأنه لم يخالف في هذا الموضوع أحد من العقلاء فإن الناس يحبون المال والبنين في كل عهدٍ وزمان حباً شديداً وكفاك شاهداً على ما ادعينا، أنهم يتشبهون بأنواع الوسائط والأسباب في الدنيا لتحصيل المال والأولاد حتى تربيهم لا يبالون في الوصول اليهما من طريق الحرام فضلاً عن الحلال وليس هذا إلا لاجل المحبة الشديدة المركوزة في اذهانهم الى المال والأولاد.

أما المال، فلأنه لو لم يكن فلامحالة يكون فقيراً والفقير داءٌ لا دواءً له إلا الصبر وهو في الأفراد قليل.

قال رسول الله ﷺ: الفقر كاد ان يكون كُفراً.

وقال عليه السلام: من لامعاش له لامعاد له.

وقوله ﷺ: الفقر الموت الأكبر.

وقال امير المؤمنين عليه السلام: من ابتلى بالفقر فقد ابتلى باربعة خصال: بالضعف في يقينه، والنقصان في عقله. والرقة في دينه. وقلة الحياء في وجهه، فنعوذ بالله من الفقر، وغير ذلك من الروايات.

الا ترى ان الفقراء لا يعباء بهم في دار الدنيا وان كانوا متصفين بكل الصفات الحسنة والكمالات الراقية فان ابناء الزمان عبید الدرهم والدينار بل اكثر الناس دينهم دنائيرهم، الناس عبید الدنيا والدين لثق على آسنتهم فاذا فحصو بالبلاء قل الديانئون.

وهذا بخلاف الغنى والثروة فان صاحبه عزيز في الاجتماع وان كان جاهلاً فاسقاً بل كافراً زنديقاً ولا نحتاج في اثبات المدعى الى دليل لكونه من الواضحات عند الكل ولا سيما في زماننا هذا.

وأما الأولاد، فهو ايضاً كذلك وكفاك فيه شاهداً انه لو تزوج أحدٌ بأمرته عقيمة لا ولد لها فان الزوج بعد اليأس منها اما ان يطلقها او يختار ثانية فاذا اسئل عنه يجيب بان الغرض من التزويج هو وجود الولد فاذا لم يكن فلا فائدة

فيه. والآيات والروايات ايضاً تؤيده. قال الله تعالى: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ» (١)

و: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (٢)

وقال رسول الله ﷺ: ارأذل موتاكم العزَاب (العزَاب) بضم العين وتشديد
الزاء جمع عازب وهو الفاعل من عزب.

وقال ﷺ: أكثر أهل النار العزَاب، والروايات فيه كثيرة اعرضنا عن ذكرها
مخافة الأطناب.

وأما قلنا بأن الغرض من التزويج هو الأولاد دون مجرد ارضاء الغريزة
الحيوانية، لأنه بعد بناء العقلاء عليه قد نطقت بذلك اخبار كثيرة ونحن نذكر
شظراً منها.

قال رسول الله ﷺ: تزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم غداً في يوم القيمة
حتى يجيء السقط مجنباً على باب الجنة فيقال له ادخل فيقول: لا حتى يدخل
أبواي قبلي...

ومن المعلوم ان قوله ﷺ مكاثر بكم الأمم يصدق لو كان الغرض منه
النسل والولد فيعلم منه ان غرض الشارع من الترغيب والتحرير في هذا
الأمر انما هو زيادة النسل وهو المطلوب.

وقال ﷺ: ان خير نسائك الولود الودود العفيفة الحديث.

وقال: والحصير في ناحية البيت خير من امرئة لم تلد...

فقد ظهر لك من الآيات والروايات بضميمة بناء العقلاء ان الغرض من
التزويج ليس الا الأولاد فلا محالة يكون الولد محبوباً مطلوباً.

ثم انه ﷺ قال: ان المال والبئير حرت الدنيا ولم يقل زينة الدنيا كما قال الله

تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الدُّنْيَا﴾^(١) لنكتة دقيقة وهي ان المال والبنين ليسا على الاطلاق من زينة الدنيا بل قد يكون المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقد لا يكون كذلك كما سنبينه انشاء الله تعالى ولذلك قال ﷺ: حَرْتُ الدُّنْيَا فَانَّهُ مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ.

واما قوله له تعالى: فناظر الى المال والبنين اللذين قد حصلا من طريق الشرع لامن اى طريق وُجدا هذا.

ولاجل ذلك قال الله تعالى فى آية اخرى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٢) وفى الحقيقة قَسَمَ المال والاولاد الى قسمين: قسم منهما زينة وتفآخر وقسم منهما فِتْنَةٌ وتزاحم.

مضافا الى ان قوله تعالى ايضا، لا يدل على مدح المال والاولاد لان زينة الدنيا اعم من ان تكون ممدوحاً او مبغوضاً. وحاصل الكلام ان المال والاولاد من حَرْتِ الدُّنْيَا لامن حرث الآخرة لانهما من لوازم عالم الملك وتبعاته. وحيث أَنجَزَ الكلام الى بحث الأموال والاولاد وانهما من حرث الدنيا دون حَرْتِ الآخرة فلا بأس بالاشارة الى ممدوحهما ومبغوضهما حتى يتضح لك المقال، فنقول:

اما المال الممدوح فهو عبارة عن المال الذى كان حاصلًا له من الحلال صارفًا اياه فى ما حَكَمَ به الشرع مُجتنبًا عن صرفه فى الموارد المنهية فهذا المال لا اشكال فيه عقلاً وشرعاً وهو الذى يمكن ان يقال بانه زينة فى الدنيا وموجبٌ لِلْعِزِّ وَالشَّرَفِ والمحبوبية لدى الاجتماع وكذلك عندالله ورسوله. واما المَبْغُوضُ عنه فهو عكسه اعنى المال الحاصل من الحرام، او الحاصل من الحلال المَصْرُوفُ فى الحرام فانّ هذا المال وِزْرٌ وَوِيبَالٌ على صاحبه وموجبٌ لِتَنَفُّرِ الخلق وعداوتهم بالنسبة اليه.

وهكذا الامر فى الاولاد فانّ بعض الاولاد موجب لزينة الانسان، وعِزُّه

وشرفه وهو ما يكون على طبق موازين العقل والشرع وبعضهم، ليس كذلك ولتحقيق الكلام في هذا البحث مقام آخر سيأتي منا في الابحاث الآتية انشاء الله تعالى.

واما النقل: فهو كثير الا انه يُخصَّص بالمال الحلال والولد الصالح كما أوامناً اليه لا مطلق المال والاولاد فانه لاشك ان المال والولد اذا كان على طبق موازين الشريعة يوجبان لصاحبهما العز والشرف في الدنيا والآخرة كما سيأتي ان شاء الله تعالى.

الامر الثاني: قوله ﷺ: **وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الآخِرَةِ**، وقد اشار اليه تبارك وتعالى في كتابه في مواضع كثيرة.

قال الله تعالى: **«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ»** (١)

و: **«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ»** (٢)

و: **«مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً»** (٣)

و: **«وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى»** (٤)

و: **«فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً»** (٥)

و: **«وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ»** (٦) وكثير من آيات آخر واما الاخبار فيه ايضاً كثيره ولنشر الى بعض منها:

ورد في تفسير **«إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»** (٧)، قال

كلمة

الأخلاص والأقرار بما جاء به من عندالله من الفرائض والولاية يرفع العمل

الصَّالِح «بحار الانوار، ص ٢٣١، ج ١٥، ط كمياني»...

وعن الصادق عليه السلام: اِنَّهٗ قَالَ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ، وَخَلِيفَتِهِ رَسُولِ اللَّهِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الْأَعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ اِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ «ص ٢٣١، ج ١٥، ط كمياني»...

وروى عن ابن فرقد قال سمعتُ ابا عبد الله عليه السلام يقول اِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لِيَذْهَبَ اِلَى الْجَنَّةِ فَيَمُتُّهُدِ (فيسهل) لصاحبه كما يبعث الرجل غلاماً فَيَفْرُشَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ اَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَا نَفْسَهُمْ يَمْهَدُونَ «ص ١٦٦، ج ١٥، كتاب الايمان والكفر»...

وعن امالي الطوسي بسنده عن ابي جعفر عليه السلام قال وجدتُ في كتاب ابي اَنِّ عَلِيًّا عليه السلام قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، ثُمَّ النَّقَتْ إِلَيَّ وَقَالَ هُمْ وَاللَّهِ اَنْتَ وَشَيْعَتُكَ يَا عَلِيُّ وَمِيْعَادُهُمُ الْحَوْضُ عَدَاغَرًا مَحْجَلِينَ مُتَوَجِّينَ، الْحَدِيث... وامثال ذلك من الروايات.

وانما قال وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ مع انه لا بد من ان يُوتى به في الدنيا لِأَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَاِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا اَنْ ثَمَرَتَهُ وَنَتِيجَتُهُ فِي الْآخِرَةِ فَصَحَّ اِنْ يَقَالُ اِنَّ الْعَمَلَ حَرْثُ الْآخِرَةِ.

والحق ان يقال ان العمل الصالح لا يكون الا حَرِثُ الْآخِرَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْلَاهُ لَمَا كَانَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ وَفَرَقَ بَيْنَ اِنْ يَقَالُ اِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَحْرَثُ فِي الْآخِرَةِ وَاِنْ يَقَالُ اِنَّ حَرِثُ الْآخِرَةِ فَانَّ الْاَوَّلَ يَفِيدُ الظَّرْفِيَّةَ بِخِلَافِ الثَّانِي فَافْهَم.

الأمر الثالث:

□ قَوْلُهُ عليه السلام: وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ...

اى قد يجمع الله المال والبنين والعمل الصالح لأقوام من عباده لمصلحة يعلمها الله تعالى وهذا هو الفوز العظيم رزقنا الله اياه.

والمقصود من جمعهما لأقوام ليس جمعهما مطلقاً كيف اتَّفَق، بل جمعهما على ما ينبغي فهيهنا ثلاثة أمور:

أحدها المال والثاني البنون الثالث العمل الصالح وتوضيح الكلام يستدعي التكلم في كل واحدٍ منها على حدة ليتميز الجيد منها من الردي والصحيح من السقيم.

أما المال فاعلم أنه مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه، وغوائله سُمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر منه خيره ونحن نتكلم في فوائده وغوائله اجمالاً فنقول:

أما فوائده فهي على ضربين: دنيوية وأخروية دينية.

أما الدنيوية فالبحث فيها بلاطائل فإن معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها وهو واضح.

وأما الدينية فقد يقال أن جميع منافعها تنحصر في ثلاثة انواع.

النوع الأول: ان ينفق المال على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة.

أما العبادة فكا الاستعانة به على الحج والجهاد مثلا فإنه لا يمكن التوصل اليها الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم من فضلها.

وأما الاستعانة على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في التمتع وما زاد على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط.

النوع الثاني: ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام: الصدقة والمروة ووقاية العرض. وأجرة الاستخدام.

أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفى غضب الرب.

وَأَمَّا الْمُرُوءَةُ فَفَعْنَى بِهَا صَرَفَ الْمَالِ إِلَى الْأَغْنِيَاءِ وَالْأَشْرَافِ فِي ضِيَاةٍ وَهَدِيَةٍ
وَإِعَانَةٍ فَإِنَّ هَذِهِ لِأَسْمَى صَدَقَهُ الْآءَ أَنَّ هَذَا أَيْضاً يُمْكِنُ فِي بَعْضِ الْمَرَاكِلِ
دُخُولُهُ فِي الْفَوَائِدِ الدِّينِيَّةِ لِأَنَّهُ مُوجِبٌ لِاِكْتِسَابِ الْأَخْوَانِ، وَالْأَصْدِقَاءِ.

وَأَمَّا وَقَايَةُ الْعِرْضِ فَكَالْمَالِ الَّذِي يَنْفَقُ لِذَفْعِ هَجْوِ الشُّعْرَاءِ وَثَلْبِ السَّفَهَاءِ
وَقَطْعِ أَلْسِنَتِهِمْ وَدَفْعِ شَرِّهِمْ وَهُوَ أَيْضاً مَعَ تَنْجِزِ فَائِدَتِهِ فِي الْعَاجِلَةِ مِنَ الْحِظْوُظِ
الدِّينِيَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا وَقَى بِهِ الْمَرْءُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَهُ.

وَأَمَّا الْأَسْتِخْدَامُ: فَهُوَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ كَثِيرَةً وَلَوْ تَوَلَّاهَا
بِنَفْسِهِ ضَاعَتْ أَوْقَاتُهُ وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ سَبِيلُ الْآخِرَةِ بِالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ الَّذِي هُوَ
أَعْلَى مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ وَمَنْ لَامَالَ لَهُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَوَلَّى بِنَفْسِهِ خِدْمَةَ نَفْسِهِ
مِنْ شِرَاءِ الطَّعَامِ وَطَبْخِهِ وَامْتَالِ ذَلِكَ وَتَضْيِيعِ الْوَقْتِ فِي غَيْرِهِ خَسْرَانٌ.

النَّوْعُ الثَّلَاثُ: مَا لَا يَصْرَفُهُ إِلَى إِنْسَانٍ مُعَيَّنٍ وَلَكِنْ يَحْصُلُ بِهِ خَيْرٌ عَامٌّ كِبْنَاءِ
الْمَسَاجِدِ وَالْقَنَاظِرِ وَالرِّبَاطَاتِ وَامْتَالِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ جَمَلَةٌ فَوَائِدِ الْمَالِ فِي الدِّينِ
سِوَى مَا يَتَعَلَّقُ مِنْهُ بِالْحِظْوُظِ الْعَاجِلَةِ مِنَ الْخِلَاصِ مِنْ ذُلِّ السُّئُولِ وَحَقَارَةِ
الْفَقْرِ وَالْوُصُولِ إِلَى الْعَمْرِ وَالْمَجْدِبِينَ الْخَلْقِ وَكثْرَةِ الْأَعْوَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ
وَالْأَخْوَانِ وَالْوِقَارِ وَالْكَرَامَةِ فِي الْقُلُوبِ وَغَيْرِهَا.

أَمَّا مَضَارُهُ الدِّينِيَّةُ فَهِيَ أَيْضاً ثَلَاثَةٌ

الْأُولَى: أَنَّهُ يَجْرُ الْإِنْسَانُ إِلَى الْمَعَاصِي فَإِنَّ الشَّهَوَاتِ مَتَقَاضِيَةً وَالْمَالِ مِنْ
الْوَسَائِلِ إِلَى الْمَعَاصِي بَلْ أَصْلُهَا وَاسَاسُهَا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ.

الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ يَجْرُهُ إِلَى التَّنَعُّمِ فِي الْمُبَاحَاتِ غَالِباً فَيَصِيرُ التَّنَعُّمُ مَحْبُوباً عِنْدَهُ
مَأْلُوفاً بِحَيْثُ لَا يَصْبِرُ عَنْهُ وَإِذَا اشْتَدَّ ذَلِكَ وَصَارَ عَادَةً لَهُ رَبَّمَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ مِنْ
الْحَلَالِ فَيَقْتَحِمُ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَخْوِضُ فِي الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالظُّلْمِ
وَالْكَذِبِ وَالرِّيَاءِ وَالغَيْبِ وَمَا شَابَهَهَا وَمَا أَقْلَ لِصَاحِبِ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ الْآءَ يَصِيرُ
التَّنَعُّمُ مَأْلُوفاً لَهُ.

الثَّلَاثَةُ: أَنَّهُ يُلْهِيهِ إِصْلَاحُ مَالِهِ وَحِفْظُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَكُلِّ مَا يَشْغَلُ الْعَبْدَ عَنِ اللَّهِ

تعالى فهو خُسْرَانٌ وَوِبَالٌ ولذا قال روح الله ﷺ في المال ثلاث آفات: أَنْ يَأْخُذَهُ
من غير حِلِّه، فَقِيلَ إِنْ أَخَذَهُ مِنْ حِلِّهِ قَالَ يَضَعُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، فَقِيلَ إِنْ وَضَعَهُ
فِي حَقِّهِ قَالَ يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنِ اللَّهِ وَهَذَا هُوَ الدَّاءُ العِضَالُ إِذَا صَلَّى العِبَادَاتِ
وَرَوْحَهَا وَحَقَّقْتَهَا هُوَ الذِّكْرُ وَالفِكرُ لَهُ تَعَالَى وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي قَلْبًا فَارغًا أَنْتَهَى مَا
حَقَّقُوهُ عُلَمَاءُ عِلْمِ الأَخْلَاقِ فِي المَقَامِ مَعَ تَلْخِيصِ مَنَّا.

أَمَّا البَنُونَ والأَوْلَادُ فَالْحَالُ فِيهِمْ كَمَا قَلْنَا فِي الأَمْوَالِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الأَنْوَاعَ
المذكورة تَجْرِي فِي البَنِينَ أَيْضًا طَابِقَ النُّعْلِ بِالنُّعْلِ.

وَأَمَّا العَمَلُ الصَّالِحُ فَهُوَ مَعْلُومٌ. فَحَاصِلُ المَرَادِ مِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَنَّ
الإنسانَ قَدْ يَكُونُ لَهُ اسْتِعْدَادٌ وَقَابِلِيَّةٌ بِحَيْثُ أَقْتَضَتِ المَصْلِحَةُ الأَلَهِيَّةُ أَنْ
يَجْمَعَهُمَا لَهُ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدَتِمَتِ النُّعْمَةُ عَلَيْهِ بِالأَكْلامِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ المَالَ وَالبَنِينَ حَرِثَ الدُّنْيَا وَزَرَعَهَا وَالعَمَلُ الصَّالِحُ حَرِثَ الأُخْرَى
فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الحَرِثَيْنِ فَقَدْ جَمَعَ الدُّنْيَا مَعَ الأُخْرَى وَلا شَكَّ أَنَّ كَمَالَ سَعَادَةِ
الإنسانِ أَمَّا هُوَ بِوَصْلِهِ إِلَى كَمَالِ النُّشْأَتَيْنِ وَالفَوْزِ إِلَى بُلُوغِ السَّعَادَتَيْنِ كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ:

وَآخِرُ فَازٍ بِكَلْتَيْهِمَا قَدْ جَمَعَ الدُّنْيَا مَعَ الأُخْرَى
□ قَوْلُهُ ﷺ: فَأَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَخْشَوْهُ خَشِيَّةً لَيْسَتْ
بِتَعْذِيرٍ...

وهذا هو الأمر الرابع والخامس حسب ترتيبنا في صدر المبحث، وحاصله
أنه إذا كان الأمر كذلك ويجمعهما الله تعالى لاقوام، فأحذروا من الله، والمعنى
لا تحسدوا على هذه الأفراد فإن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثم قال ﷺ: وَأَخْشَوْهُ خَشِيَّةً أَيْ وَأَخْشَوْهُ خَشِيَّةً صَادِقَةً لَيْسَتْ بِذَاتِ تَعْذِيرٍ
إِذَا اعْتَذَرَ أَمَّا يَنْفَعُ عِنْدَ مَنْ هُوَ جَاهِلٌ بِالسَّرَائِرِ وَمَحْجُوبٌ عَمَّا فِي الضَّمَائِرِ.
أَمَّا الواجب الوجود الذي هو عالم بالخفيات فليس للأعتذار عنده نفع ولا
ثمَرٌ وَيُنْبِئُ الإنسانَ يَوْمئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخْرَبَ بِلِ الإنسانِ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيْرَةٍ وَلِوَالِقَى

معاذيره فيجزئ المعتذرون جزاء ما كانوا يعملون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون.

□ قوله ﷺ: «وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ، وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَىٰ مِنْ عَمِلَ لَهُ...»

امر ﷺ اصحابه واتباعه بالعمل من غير رياء ولا سُمعة اي عملاً خالصاً عنهما فإن العمل ينبغي ان يكون خالصاً لله وتقرباً اليه فإن الله تبارك وتعالى قال في كتابه الكريم: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»^(١)

وقال الصادق ﷺ: لا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ خَالِصِ النِّيَّةِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ غَافِلًا وَالْغَافِلُونَ قَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ قَالَ: «إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا»^(٢)

قال الله تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»^(٣)

وحيث ان البحث له اهمية في الدين وقلماً يوجد انسان يخلص عمله من الرياء والسُمعة كما ستعرف انشاء الله فالواجب علينا التكلم في بيان حقيقتهما وماهيتهما وضررهما في الأعمال وما قيل فيهما في الآيات والأخبار وكلمات القوم وما يرتبط بهما فلامحالة يقع الكلام في مقاصد.

١- المقصد الاول: في الاخبار والآيات والآثار الواردة فيه

٢- المقصد الثاني: في بيان حقيقة الرياء وماهيته.

٣- المقصد الثالث: في انواعه واقسامه.

اما الكلام في المقصد الاول فنقول:

فمن الآيات قال الله تعالى: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ»^(٤)

و: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

و: ﴿يُزَاهُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢)

و: ﴿كَأَلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ (٣)

و: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُجْزَى﴾ (٤)

و: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لِأَنرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (٥)

وأما الاخبار: فمنها ما روى بطريق العامة ومنها ما روى بطريق الخاصة، أما الاخبار العامة:

فمنها - ما رواه في الأحياء، قال رسول الله ﷺ حين سئل رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة؟ فقال ﷺ ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس انتهى...

وروى عن ابي هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارى لكتاب الله ان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قارىء فأخبر ﷺ انهم لم يثابوا وان رياتهم هو الذى أحبط اعمالهم، انتهى...

وروى عن ابن عمر انه قال النبي ﷺ من رأى رأى الله به ومن سمع سمع الله به، انتهى...

وروى عن حديث طويل ان الله يقول لملائكته ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين، انتهى...

وقال ﷺ: ان أخوف ما اخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العبد باعمالهم اذهبوا

الى الذين كنتم تُراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء، انتهى...
وقال عليه السلام: أستعيذوا بالله من جبّ الحُزن، قيل وما هو يا رسول الله؟ قال:
وادي في جهنم أعد للقراء المرائين، انتهى...

وقال عليه السلام: يقول الله عزّ وجلّ من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له
كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك انتهى...

وقال المسيح عليه السلام: اذا كان يوم صوم احدكم فليُدهن رأسه ولحيته ويمسح
شفتيه لئلا يرى الناس انه صائمٌ واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا
صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق، انتهى...

وقال النبي عليه السلام: لا يقبل الله عزّ وجلّ عملاً فيه مثقال ذرة من رياء، انتهى...
وقال عمر لمعاذ ابن جبل حيث تراه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من
صاحب هذا القبر يعنى النبي عليه السلام ان أدنى الرياء شرك، انتهى...

وقال عليه السلام: ان اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال الغزالي
وهي ايضا ترجع الى خفايا الرياء، انتهى...

وقال عليه السلام: ان في ظلّ العرش يوم لا ظلّ الا ظله رجلاً تصدق بيمينه فكان
يخفيها شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على الجهر بسبعين ضعفاً،
انتهى...

وقال عليه السلام: ان المرائي ينادي عليه يوم القيمة يا فاجر، يا غادر، يا مرائي،
ضلّ عمك وحبط اجرک اذهب فخذ اجرک ممن كنت تعمل له...

وقال شداد ابن اوس رأيت عليه السلام يبكي فقلت ما يبكيك يا رسول الله عليه السلام
قال امرٌ تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا
قمرأً ولا حجراً ولكنهم يراؤن بأعمالهم، انتهى...

وروى عن معاذ ابن جبل في حديث طويل وهو مذكور في الاحياء الى ان
قال فيقول الله لهم (اي للملائكة) انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على
نفسه إنه لم يُردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة

كُلُّهُمْ عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا وَتَقُولُ السَّمَوَاتُ كُلُّهَا عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَتُنَا وَيَلْعَنُهُ
السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ الْحَدِيثُ...

اقول: الأحاديث المروية كلها في الأحياء نقلناها منه، باب الرياء.
وأما الأخبار الخاصة:

فمنها - ما قال رسول الله ﷺ سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَخَبَّتْ فِيهِ
سَرَائِرُهُمْ وَتَحَسَّنَ فِيهِ عِلَانِيَتُهُمْ طَمَعاً فِي الدُّنْيَا لَا يُرِيدُونَ بِهِ مَا عِنْدَ رَبِّهِمْ
يَكُونُ دِينُهُمْ رِيَاءً لَا يُخَالِطُهُمْ خَوْفٌ يَعْظُمُهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ فَيَدْعُونَ دَعَاءَ الْغَرِيقِ
فَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ، انتهى...

وقال ﷺ إِنَّ الْمَلِكَ لَيَصْعَدُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مُبْتَهَجاً بِهِ فَإِذَا صَعِدَ بِحَسَنَاتِهِ
يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اجْعَلُوهَا فِي سِجِّينٍ إِنَّهُ لَيْسَ آتَايَ أَرَادَ بِهِ أَنْتَهَى... وهذين
الحديثين نقلهما في جامع السعادات والظاهر أنه نقلهما عن الكافي باب
الرياء...

وقال الباقر عليه السلام: الأبقاء على العمل أشد من العمل قيل وما الأبقاء على
العمل؟ قال عليه السلام: يصل الرجل بصيلة ويُنْفِقُ نَفَقَةً وَحَدَهُ لِشَرِيكِ لَهُ فَكُتِبَتْ لَهُ
سِرّاً، ثُمَّ يَذْكُرُهَا فَتُحْمَى فَتُكْتَسَبُ لَهُ عِلَانِيَةً، ثُمَّ يَذْكُرُهَا فَتُحْمَى فَتُكْتَبُ لَهُ
رِيَاءً، انتهى «ص ١٦٦، ج ١٥، كتاب الإيمان والكفر»...

وقال الصادق عليه السلام: قال الله تعالى: انا خير شريك فمن عمل لي وغيري فهو
لمن عمله غيري، انتهى «ص ٣٧٢»...

وقال الصادق عليه السلام: قال الله تعالى انا اغني الأغنياء عن الشرك فمن أشرك
معي غيري من عمل لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً انتهى «ص ٣٧٢»...

وقال عليه السلام: كل رياء شرك إنّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن
عمل لله كان ثوابه على الله. انتهى «ص ٣٧٢»...

وعن ابي عبد الله في قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾^(١) قال عليه السلام:

الرَّجُلُ يَعْمَلُ شَيْئاً مِنَ النَّوَابِ لَا يَطْلُبُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّمَا يَطْلُبُ تَزْكِيَةَ النَّفْسِ (تزكية الناس) يَنْتَهِي أَنْ يَسْمَعَ بِهِ النَّاسَ فَهَذَا الَّذِي أَشْرَكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ.
ثُمَّ قَالَ ﷺ: مَا مِنْ عَبْدٍ أَسْرَ خَيْراً فَذَهَبَتِ الْإَيَّامُ أَبَداً حَتَّى يُظْهَرَ اللَّهُ لَهُ خَيْراً
وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَسُرُّ شَرّاً فَذَهَبَتِ الْإَيَّامُ حَتَّى يُظْهَرَ اللَّهُ لَهُ شَرّاً، انْتَهَى «ص ٣٧٢»...

وقال ﷺ: مَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقَلِيلِ مِنْ عَمَلِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ لَهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَرَادَهُ
وَمَنْ أَرَادَ النَّاسَ بِالكَثِيرِ مِنْ عَمَلِهِ فِي تَعَبٍ مِنْ بَدَنِهِ وَسَهْرٍ مِنْ لَيْلِهِ أَبِي اللَّهُ إِلَّا
يُقَلِّلُهُ فِي عَيْنِ مَنْ سَمِعِهِ، انْتَهَى «ص ٣٧٤»...

وقال ﷺ: لِعِبَادِ الْبَصْرِيِّ وَيَلِكُ يَا عِبَادَ آيَاكَ وَالرِّيَاءِ فَإِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ
وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ انْتَهَى «ص ٣٧٣»...

وقال ﷺ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ هَذَا لِلَّهِ وَلَا تَجْعَلُوهُ لِلنَّاسِ فَإِنَّهُ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
لِلَّهِ وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ لَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ، انْتَهَى «ص ٣٧٣»...

وقال الرضا ﷺ: لِمُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ: وَيَحْكُ يَا بِنَ عَرَفَةَ اعْمَلُوا لِغَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا
سُمْعَةٍ فَإِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَمِلَ وَيَحْكُ مَا عَمِلَ أَحَدٌ عَمَلًا إِلَّا
رَدَّهُ اللَّهُ بِهِ، أَنْ خَيْراً فَخَيْراً وَأَنْ شَرّاً فَشَرّاً «ص ٣٧٣»... وهذه الأحاديث من
طرق الشيعة التي نقلناها من جامع السعادات موجودة في الكافي والبحار
والوسائل وغيرها من الكتب المعتمدة.

روى في البحار بإسناده عن عمر ابن يزيد قال أتى لأتغشى عند أبي
عبدالله اذ تلى هذه الآية، بل الأنسان على نفسه بصيرة الآية...

قال ﷺ: يَا أَبَا حَفْصٍ مَا يَصْنَعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَّقِرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِخِلَافِ
مَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ مِنْ أَسْرَ سَرِيرَةً رَدَّاهُ اللَّهُ رَدَائِهَا أَنْ
خَيْراً فَخَيْراً وَأَنْ شَرّاً فَشَرّاً انْتَهَى «بحار الانوار، ص ١٥، ص ٤٩، الجزء
الثالث من كتاب الايمان والكفر، ط كمياني»...

وروى في البحار ايضاً قال امير المؤمنين ﷺ: ثلاث علامات للمرائي

يَنْشِطُ إِذَا رَأَى النَّاسَ وَيَكْسِلُ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ وَيُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ.
انتهى «ص ٥٠»...

وباسناده أيضاً عن ابي عبدالله عليه السلام: قال عليه السلام: من أظهر للناس ما يُجِبُّ الله
وبارز الله بما كرهه لقي الله وهو ماقت له انتهى «ص ٥٠»...

وروى أيضاً باسناده عن علي بن جعفر عن اخيه موسى عن آبائه قال
رسول الله ﷺ يُؤَمَّرُ بِرِجَالٍ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِمَالِكٍ قُلْ لِنَارٍ
لَا تُحْرِقُ لَهُمْ أَقْدَاماً فَقَدْ كَانُوا يَمْشُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَلَا تُحْرِقُ لَهُمْ وَجْهًا فَقَدْ
كَانُوا يَسْبِقُونَ الْوُضُوءَ وَلَا تُحْرِقُ لَهُمْ أَيْدِيًا فَقَدْ كَانُوا يَرْفَعُونَهَا بِالْدُّعَاءِ وَلَا
تُحْرِقُ لَهُمْ أَلْسِنًا فَقَدْ كَانُوا يَكْتُمُونَ تَلَاوَةَ الْقُرْآنِ، قَالَ عليه السلام: فيقول لهم خازن
النار يا اشقياء ما كان ها لكم؟ قالوا كُنَّا نَعْمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقِيلَ لَتَأْخَذُوا
ثَوَابَكُمْ مِمَّنْ عَمِلْتُمْ لَهُ انتهى «ص ٥٣»...

اقول: واضن فيما ذكرناه من روايات العامة والخاصة في ذم الرياء كفاية والآ
فالأخبار فيه من الطريقتين فوق حد الأحصاء.

المقصد الثاني: في بيان ماهيته وحقيقته.

قال الغزالي في الأحياء اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمة مشتقة من
السمع وأما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس باراتهم خصال الخير
الآن الجاه والمنزلة تطلب في القلب اعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات
واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات
واظهارها فحد الرياء هو العبادة بطاعة الله فالمرائي هو العابد والمرائي هو
الناس المطلبون رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمرائي به هو الخصال
التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمرائي به كثير
تجمعه خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزى
والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة، وكذلك اهل الدنيا يراون بهذه
الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة
الطاعات أهون من الريا بالطاعات انتهى.

وقال النراقي (قده): في جامع السعادات في تعريفه بأنه طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير او ما يدل عليها من الآثار فهو من اصناف الجاه اذ هو المنزلة في القلوب باى عمل إتفق والرياء طلب المنزلة بادائه خصال الخير او ما يدل على الخير ثم خصال الخير اعمال البر بأسرها وهى أعم من العادات ان خصت العبادة بمثل الصلوة والصوم والحج والصدقة وغير ذلك ومساوقة لها ان اريد بالعبادة كل فعل يقصد به التقرب ويترتب عليه الثواب. ثم قال (قده) بعد كلام.

وربما خص الرياء عادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة بالمعنى الأخص، انتهى.

اذا عرفت حقيقة الرياء وأنه اى شىء هو فلا بد لك من ان تعلم ان الرياء تارة يتعلق بالبدن وتارة بالزى والهئية وتارة بالقول وتارة بالعمل وتارة بالأتباع والأشياء الخارجة فالرياء من حيث المتعلق ينقسم الى خمسة اقسام:

اما القسم الاول: وهو الرياء بالبدن كاظهار النحول والصغار ليستدل بهما على قلة الأكل او الصوم وسهر الليل ويوهم بذلك شدة الأجتهد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة الخوف من الله تعالى ومن احوال الآخرة. وكخفض الصوت ليستدل به على ان وقار الشرع قد خفض صوته وامثال ذلك من الامور الدالة على الخيرية قصداً الى تحصيل المنزلة في قلوب الناس وكل ذلك يضرب بالدين وينافى الورع واليقين.

القسم الثانى: الرياء بالزى والهئية كحلق الشارب واطراق الرأس فى المشى والهدء فى الحركة وابقاء أثر السجود فى الجبهة، ولبس الصوف او الثوب الخشن او الأبيض وتعظيم العمامة ولبس الطيلسان والدراعة وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقاً كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة مقتد فيه بعباد الله الصالحين ظناً منه ان هذه الروية تدل على العلم والتقوى أو الأنخلاع عن الدنيا قال بعض علماء الاخلاق والمراون من اهل

الدِّينَ بِالزَّيِّ وَاللَّبَاسِ عَلَى طَبَقَاتٍ

منهم: من يطلب المَنْزِلَةَ بِالثِّيَابِ الحَسَنَةِ.

ومنهم: من يَرَاهُ بِالثِّيَابِ الفَاخِرَةِ.

ومنهم: من يرى بِالْوَسْخَةِ، ومنهم: من يراه بِالنَّظِيفَةِ وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشِقُونَ مَذَاهِبَ. وَأَمَّا أَهْلُ الدُّنْيَا فَلَارِيبَ فِي أَنَّهُمْ يُرَاوُونَ فِي اللِّبَاسِ بِلِبْسِ الثِّيَابِ النَّفِيسَةِ وَرُكُوبِ المَرَاقِبِ الرَّفِيعَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ المَطْعَمِ وَالمَشْرَبِ وَغَيْرِهَا.

القسم الثالث: الرِّياءُ فِي الحَرَكَاتِ كَإِظْهَارِ الغَضَبِ وَالأَسْفِ عَلَى المُنْكَرَاتِ وَمُقَارَنَةِ النَّاسِ لِيَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى حِمَايَتِهِ لِلدِّينِ وَشِدَّةِ اِهْتِمَامِهِ عَلَى الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ مَعَ أَنَّ قَلْبَهُ لَمْ يَكُنْ مُتَأَثِّرًا عَنِ ذَلِكَ وَكَالرِّخَاءِ فِي الجُفُوفِ وَتَنكِيسِ الرَّأْسِ عِنْدَ الكَلَامِ وَإِظْهَارِ الهِدْيَةِ وَالسَّكُونِ فِي المَشْيِ لِيَسْتَدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى وَقَارِهِ وَنِظَائِرِهِ كَثِيرَةٍ.

القسم الرابع: الرِّياءُ فِي العَمَلِ كَطُولِ القِيَامِ فِي الصَّلَاةِ وَطُولِ الرُّكُوعِ وَالسَّجُودِ وَمَدَّ الظُّهْرِ وَإِطْرَاقِ الرَّأْسِ وَتَرْكِ الأَلْتِفَاتِ وَإِظْهَارِ الهِدْيَةِ وَالسَّكُونِ وَتَسْوِيَةِ القَدَمِينَ وَاليَدَيْنِ وَكَذَلِكَ فِي الصَّوْمِ وَالحَجِّ، وَالصَّدَقَةِ وَبِاطْعَامِ الطَّعَامِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ بِظَاهِرِهِ فِي انْظَارِ القَوْمِ عَلَى كَوْنِهِ زَاهِدًا صَالِحًا وَرِعًا تَقِيًّا مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاقِعًا كَذَلِكَ.

القسم الخامس: الرِّياءُ بِالإِتْبَاعِ كَالَّذِي يَتَكَلَّفُ أَنْ يَسْتَزِيرَ عَالِمًا مِنَ العُلَمَاءِ لِيَقَالَ أَنَّ فُلَانًا قَدْ زَارَ فُلَانًا أَوْ عَابَدًا مِنَ العِبَادِ أَوْ مَلِكًا مِنَ المُلُوكِ أَوْ تَكْثِيرَ ذِكْرِ الشُّيُوخِ وَالأَسَاتِذَةِ لِيَقَالَ أَنَّهُ لَقِيَ شَيْوِخًا وَاسَاتِذَةً كَثِيرَةً وَاسْتَفَادَ مِنْهُمْ. ثُمَّ أَنَّ الرِّياءَ إِنْ كَانَ فِي العِبَادَاتِ وَنَعْنَى بِهَا مَا يَكُونُ قَصْدَ التَّقَرُّبِ مَشْرُوطًا فِيهِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالحَجِّ وَغَيْرِهَا مِنْ أُمُورِ العِبَادِي فَلاشَكَّ أَنَّ الرِّياءَ فِيهَا حَرَامٌ وَصَاحِبُهُ مَمْقُوتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَهُوَ يُبْطَلُ أَصْلُ العِبَادَةِ لِأَنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ. وَلِأَنَّ المَرَاتِي بِالعِبَادَةِ لَمْ يَقْصِدْ أَمْثَالَ أَمْرِ اللَّهِ بَلْ قَصَدَ إِدْرَاكَ مَالٍ أَوْ جَاوِ أَوْ

غَرَضٍ آخَرَ مِنَ الْإِعْرَاضِ فَلَا يَكُونُ مُمْتَثِلًا لِأَمْرِ اللَّهِ خَارِجًا عَنْ عَهْدَةِ التَّكْلِيفِ
وَالْمَفْرُوضِ اشْتِرَاطِ التَّقَرُّبِ فِي الْعِبَادَةِ وَكَوْنِهَا بَدَاعِي الْأَمْرِ وَهُوَ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ
عَلَى الْفَرْضِ.

ثُمَّ مَعَ بَطْلَانِ عِبَادَتِهِ وَعَدَمِ خُرُوجِهِ عَنْ عَهْدَةِ التَّكْلِيفِ يَكُونُ لَهُ إِثْمٌ عَلَيْهِ
لِأَجْلِ الرِّيَاءِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ وَلَا زَمَّ ذَلِكَ كَوْنَهُ أَسْوَأَ حَالًا مِمَّنْ
تَرَكَ الْعِبَادَةَ رَأْسًا كَيْفَ لَا وَالْمُرَائِي بِالْعِبَادَةِ جَمَعَ بَيْنَ الْأَسْتِهْزَاءِ بِاللَّهِ
وَالتَّلْبِيسِ وَالْمَكْرِ.

وَأَمَّا الرِّيَاءُ فِي غَيْرِ الْعِبَادَاتِ فَقَدْ يَكُونُ مُذْمُومًا وَقَدْ يَكُونُ مَبَاحًا وَقَدْ يَكُونُ
مُسْتَحَبًّا وَقَدْ يَكُونُ وَاجِبًا إِذَا يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ صِيَانَةُ عِرْضِهِ وَأَنْ يَفْعَلَ مَا
يُعَابُ عَلَيْهِ.

فَمَنْ زَيَّنَ نَفْسَهُ بِاللِّبَاسِ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ حَذْرًا مِنْ لَوْمِهِمْ
وَاسْتِثْقَالِهِمْ أَوْ اسْتِغْذَارِهِمْ إِيَّاهُ كَانَ ذَلِكَ مَبَاحًا إِذَا حَذَرَ مِنَ أَلَمِ الذَّمِّ غَيْرَ مُذْمُومٍ
إِلَّا أَنْ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمَنَةِ وَالْبِلَادِ وَالْأَشْخَاصِ مِنَ الْعِبَادِ فَرُبَّمَا كَانَ
بَعْضُ أَقْسَامِ الرِّيَاءِ بِغَيْرِ الْعِبَادَاتِ مُذْمُومًا بِالنَّظَرِ إِلَى وَقْتٍ أَوْ شَخْصٍ أَوْ بَلَدٍ غَيْرِ
مُذْمُومٍ بِالنَّظَرِ إِلَى آخَرَ.

رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ يَوْمًا أَنْ يَخْرُجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَكَانَ يَنْظُرُ فِي
جُبِّ مِنَ الْمَاءِ وَيُسَوِّي عِمَامَتَهُ وَشَعْرَهُ فَقِيلَ لَهُ أَوْ تَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
فَقَالَ ﷺ نَعَمْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مِنَ الْعَبْدِ أَنْ يَتَزَيَّنَ لِأَخْوَانِهِ إِذَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ...
وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: يَتَزَيَّنُ أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَمَا يَتَزَيَّنُ لِلْغَرِيبِ
الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَرَاهُ فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَةِ...

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: التَّوْبُ النَّقِيُّ يَكْبِتُ الْعَدُوَّ...

وَرَوَى أَنَّهُ عليه السلام نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَدْ اشْتَرَى لِعِيَالِهِ شَيْئًا وَهُوَ
يَحْمَلُهُ فَلَمَّ رَأَاهُ الرَّجُلُ اسْتَحَى مِنْهُ فَقَالَ عليه السلام اشْتَرَيْتَهُ لِعِيَالِكَ وَحَمَلْتَهُ إِلَيْهِمْ أَمَا
وَاللَّهِ لَوْلَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ لِأَحَبِّتُ أَنْ أَشْتَرِيَ لِعِيَالِي الشَّيْءَ ثُمَّ أَحْمَلَهُ إِلَيْهِمْ.

قال النراقي (قدّه) بعد ذكره هذا الحديث ما هذا الفظه:

اراد الله ﷻ لولا مخافة ان يعيروه على ذلك لفعل مثل فعله إلا انه لما كان في زمان يُعاب عليه بمثله لم يَجُز له أن يرتكبه وكان ذلك منقبةً له وتعليماً ولما لم يكن ذلك ممّا يعاب عليه في زمن امير المؤمنين عليه السلام كان يرتكبه وكان ذلك منقبةً له وتعليماً فظهر ان ارتكاب بعض الامور وعدم ارتكاب بعض الافعال قد يكون رياءً محبوباً وقد كان رياءً مذموماً، انتهى.

وانا اقول:

ما ذكره (قدّه) حقٌ لا مريّة فيه وبذلك قد ظهر لك ان الرياء المذموم ليس كما ظن أكثر الجهّال فانهم يحكمون فيه وفي امثاله من الامور الخفية بمقتضى عقولهم الناقصة وظنونهم الفاسدة الكاسدة ولا سيما في زماننا هذا فترايهم يعيرون على بعض العلماء من جهة لبسهم البسة الفاخرة القيمة وعلى بعض آخر من جهة لبسهم البسة الخشنة الرديّة فيتّهمون كل واحد منهما بشيء غير ما اتهموا الآخر به ولم يعلموا ان الاشخاص بالنظر الى موقعيتهم وبلدّهم وزمانهم متفاوتون فتري المرجع للتقليد في النجف الأشرف مثلاً من جهة لباسه ومسكنه ومطعمه وحركاته وسكناته غير المرجع الذي في بلدة قم أو سائر البلاد وذلك لأن كل بلدٍ من البلاد يقتضى شيئاً غير ما يقتضيه الآخر.

وكذلك الامر من حيث الأزمنة، وبذلك ينحل لك الاشكال المترآى في بادى النظر بالنسبة اليهم الا ترى ان امير المؤمنين عليه السلام في عصره وزمانه غير الصادق والباقر والرّضا مثلاً من جميع الجهات مع ان كلهم نورٌ واحد إلا ان المقتضيات بالنسبة اليهم عليهم السلام من حيث الأزمنة والأمكنة كانت متفاوتة فليس كل من يلبس الخشن من اللباس مثلاً مرثياً ولا كل من يلبس الفاخر من اللباس متكبّراً مفاخرأ قل كل يعمل على شاكلته.

وعلى اى التقادير لا بدّ للإنسان من العلم بموارد الأعمال والأفعال حتى لا يقع فيه وكذلك يجب على الناظر ايضاً من تشخيصه موارد الممنوعة من

غيرها حتى لا يقع في سوء الظن لأن بعض الظن إثم.
واما الآثار:

قال لقمان لابنه: إحدَر واحدة هي اهل للحذر، قال: وماهي قال: إياك ان ترى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر.

وقال الشاعر:

وإذا اظْهَرْتَ شيئاً حَسَناً فليكن أحسن منه ما تُسر
فمُسرَّ الخير مَوسومٌ به ومُسرَّ الشر مَوسومٌ بشر
قيل: صَلَّى أشعب فحَفَفَ الصلوة فليل له ما أخف صلوتك؟ قال: إنه لم يُخالطها رياء.

وصلى رجل من المرثيين، فقيل له: ما أحسن صلوتك قال: ومع ذلك إني صائمٌ.

قال طاهر ابن الحسين لابي عبدالله المروزي كم لك منذ نزلت بالعراق قال منذ عشرين سنة وانا اصوم الدهر منذ ثلثين سنة قال: يا ابا عبدالله سئلتك عن مسألة فاجبتني عن مسئلتين.

وقال رجل للحسن وكتب عنده كتاباً أتجعلني في حلٍّ من تراب حائطك قال يابن أخي ورعك لا ينكر.

وقال ابن ابي العتاهية أرسلني ابي الى صوفى قد قيّر إحدى عينيه أسئلته عن المعنى في ذلك فقال النُّظَر الى الدنيا بكلتا عيني إسراف قال ثم بداله في ذلك فاتَّصل الخبر بابي فكتب اليه.

مَقَيَّرُ عَيْنِهِ وَرَعاً اردت بذلك البَدَعَا
خَلَعْتَ وَاخْبَثَ الثَّقَلَا صَوَّفِي إِذَا خَلَعَا
ولآخر:

أظْهَرُوا لِلنَّاسِ دِيناً وَعَلَى الدِّينَارِ دَارُوا
وَلَهُ صَامُوا وَصَلُّوا وَلَهُ حَاجُّوا وَزَارُوا

لو بدأ فوق الثريا وانهم ريش لطارو
وقال مساور الوراق:

شَمَّر ثِيَابِكَ وَاسْتَعَدَّ لِقَائِي
وَاحْكُكُ جَبْنِيكَ لِلْقَضَاءِ بِثُومٍ
وَعَلَيْكَ بِالْفَتْوَى فَاجْلِسْ عِنْدَهُ
حَتَّى تَصِيبَ وَدِيعَةً لِيَتِيمٍ
وَإِذَا دَخَلْتَ عَلَى الرَّبِيعِ مُسَلِّمًا
فَاخْصِصْ (سِيَابَهُ) ثِيَابَكَ مِنْكَ بِالتَّسْلِيمِ

وقال آخر:

تَصَوَّفَ كَيْ يُقَالَ لَهُ أَمِينٌ وَمَا يَعْنِي التَّصَوُّفُ وَالْأَمَانَةُ
وَلَمْ يُرَدِّ إِلَى الْإِلَهِ بِهِ وَلَكِنْ أَرَادَ بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الْخِيَانَةِ
وَلَنَعَمْ مَا قَالَ بَعْضُ الظَّرْفَاءِ:

يَقُولُ لِي الْقَاضِي مَعَاذَ مَشَاوِرًا
وَوَلَّى أَمْرًا فِيمَا يَرَى مِنْ ذَوَى الْعَدْلِ
فَعَبْدُكَ مَاذَا تَحْسِبُ الْمَرْءَ فَاعِلًا
فَقُلْتُ وَمَاذَا يَفْعَلُ الدَّبْرُ فِي التَّحْلِ
يَدُقُّ خِلَايَاهَا وَيَأْكُلُ شَهْدَهَا
وَيَتْرُكُ لِلذَّبَّانِ مَا كَانَ مِنْ فَضْلِ

والامثال والحكايات والآيات والروايات والاشعار في ذم الرياء كثيرة جد
او لعل الله يحدث بعد ذلك امراً.

المقصد الثالث: في اقسامه وانواعه:

اعلم: ان للرياء اقسام كثيرة وانواع متفاوتة متغايرة تختلف بحسب اختلاف
الافعال والدواعي والمقاصد التي لا يمكن لأحد استيفائها كاملاً والذي تكلموا
فيه وهو الجامع بين الاقسام كلها اثنان جلّي وخفّي، وذلك لأن اقسام الرياء
إيماً كانت لا تخلوا منهما فعلى هذا الرياء إيماً جلّي وإماً خفّي.

والجَلَى هو الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ لَوْلَا قِصْدُ الثَّوَابِ وَهُوَ
أَجْلَاهُ وَأَخْفَى مِنْهُ قَلِيلاً مَا لَا يَحْمِلُ عَلَى الْعَمَلِ بِمُجْرَدِهِ وَهَكَذَا، فَإِنَّ الْجَلَاةَ
وَالْخَفَاةَ مِنَ الْأُمُورِ النَّسْبِيَّةِ الْمَقُولَةِ بِالتَّشْكِيكِ عَلَى أَنْوَاعِهَا اخْتِلافاً بِالشَّدَةِ
وَالضَّعْفِ.

وَالْخَفَى مَا لَا يَبْعَثُهُ مُجْرَداً إِلَّا أَنَّهُ يُخَفِّفُ الْعَمَلَ الَّذِي أُرِيدُ بِهِ التَّقَرُّبُ فِي
الْخَلْوَةِ وَيُعْرِفُ بِالسُّرُورِ إِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ لِالْمَقَاصِدِ الْمُتَقَدِّمَةِ بَلْ يَطْلُبُ
نَوْعَ مَنْزِلَةٍ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَيَتَوَقَّعُ التَّعْظِيمَ وَالتَّوْقِيرَ وَقَضَاءَ الْحَوَائِجِ مِنْهُمْ
وَوُجُودَانَ الْأَسْتِعْبَادِ مِنْ نَفْسِهِ لَوْ قَصَّرَ فِي إِحْتِرَامِهِ كَأَنَّ نَفْسَهُ مُتَقَاضِي الْأَكْرَامِ
وَالْإِحْتِرَامِ عَلَى الطَّاعَةِ الَّتِي أَخْفَاهَا مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا
التَّقَاضِي لَا يَنْفَكُ عَنِ شَوْبِ خَفَىٍّ مِنَ الرِّيَاءِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ وَلَوْ كَانَ
عِنْدَهُ وَجُودُ الطَّاعَةِ كَعَدَمِهَا فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْخَلْقِ وَقَنَّعَ بِعِلْمِ اللَّهِ فِيهَا لَمْ
يَكُنْ لِهَذَا التَّوَقُّعِ وَجْهٌ فَعَلَامَةٌ خُلُوصِ الْعَمَلِ مِنَ الرِّيَاءِ إِنْ لَا يَجِدُ تَفَرُّقَةً بَيْنَ إِنْ
يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادَتِهِ إِنْسَانٌ أَوْ بِهِيمَةٌ وَالْأَفْلَاكُ يَكُونُ مَنْفَكاً عَنِ تَوَقُّعِ مَا عَنِ النَّاسِ
فِي طَاعَتِهِ وَذَلِكَ مِمَّا يَحْبِطُ الْعَمَلَ.

قال امير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْقُرَّاءِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَمْ يَكُنْ يَرْخِّصْ
عَلَيْكُمْ السَّعْرَ أَلَمْ تَكُونُوا تَبْدُونَ بِالسَّلَامِ أَلَمْ تَكُونُوا تُقْضَى لَكُمْ الْحَوَائِجُ فَلَا
أَجْرَ لَكُمْ قَدْ أَتَوْفَيْتُمْ أَجُورَكُمْ، انْتَهَى «جامع السَّعَادَاتِ، ج ٢، ص ٢٨٤»...

فَقَدْ تَحَصَّلَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ لَكَ أَنَّ الْمَنَاطَ فِي صِحَّةِ الْأَعْمَالِ وَفَسَادِهَا هُوَ الْقَصْدُ
وَالنِّيَّةُ وَإِنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ خَالِصاً لَوَجْهِ اللَّهِ وَأُرِيدُ بِهِ غَيْرَهُ سَبْحَانَهُ يَنْبَغِي إِنْ
يُتْرَكَ وَيُعْرَضُ عَنْهُ.

وَلنَخْتَمُ الْكَلَامَ فِي بَحْثِ الرِّيَاءِ مِرَاعَاةً لِحَقِّ الْإِخْتِصَارِ وَمُعْرَضاً عَنِ الْأَطَالَةِ
فِي الْمَقَالِ وَالْأَفْكَالِ فِيهِ طَوِيلٌ فَإِنَّهُ بَحْرٌ عَمِيقٌ لِإِسْحَالِ لَهُ إِعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ
مِنْهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

□ قَوْلُهُ عليه السلام: نَسَلُ اللَّهِ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمَعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ
الْأَنْبِيَاءِ ...

اي: نَسَّئِلُ اللهَ تبارك وتعالى أَن يَجْعَلَنَا فِي زُمْرَةِ الشَّهَدَاءِ وَيَجْعَلَ عَيْشَنَا عَيْشَ السَّعْدَاءِ الصَّالِحَاءِ وَرَفِيقًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَرَاهِلَ الثَّلَاثَةَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ لِلْإِنْسَانِ وَلَا شَرَفَ لَهُ فَوْقَهَا وَلَا عِزًّا وَلَا سَعَادَةً أَحْسَنَ مِنْهَا وَلِتَتَكَلَّمَ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ.

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: نَسَّئِلُ اللهَ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ، فَالْكَلَامُ فِيهِ فِي فَصْلَيْنِ...

الفصل الأول في قَوْلِهِ ﷺ: نَسَّئِلُ اللهَ بِصِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ الْغَيْرِ الْمُفِيدَةِ لِلْجَمْعِ وَلَمْ يَقُلْ أَسْئَلُ اللهَ بِصِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَحْدَهُ الْمُفِيدَةَ الْمَوْحِدَةَ مَعَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ وَاحِدًا وَالسَّرُّ فِيهِ لَا يُكشَفُ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيدٍ مُقَدِّمَةٍ.

وهي أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا بَاعَ مِنْ غَيْرِهِ عَشْرَةَ عبيدٍ مِثْلًا فَالْمُشْتَرِي أَمَّا أَنْ يَقْبَلَ الْكُلَّ أَوْ لَا يَقْبَلَ وَاحِدًا مِنْهَا وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْبَلَ الْبَعْضَ دُونَ الْبَعْضِ فِي تِلْكَ الصَّفَقَةِ، إِذْ عَرَفْتَ ذَلِكَ فَتَقُولُ: فِيْمَا ذَكَرَهُ ﷺ وَجُوهٌ مِنَ الْإِحْتِمَالَاتِ.

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ نَسَّئِلُ اللهَ بِاشْتِرَاكِ غَيْرِهِ ﷺ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الدَّعَاءِ هُوَ أَنَّهُ لَا يُعْقَلُ رَدُّ دَعَاءِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِيهِمْ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مُسْتَلْزَمٌ لِخُرُوجِ الْكُلِّ عَنْ صِلَاحِيَّتِهِ الْأَجَابَةِ وَهُوَ غَيْرُ مَعْقُولٍ مَعَ أَنَّهُ مُنَافٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»^(١)، فَاتَى ﷺ: بِصِيغَةِ الْجَمْعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَيْفَ لَا وَلَا يَلِيقُ بِكُرْمِهِ تَعَالَى أَنْ يَمِيزَ الْبَعْضَ عَنِ الْبَعْضِ وَيَقْبَلَ الْبَعْضَ دُونَ الْبَعْضِ مِنْ دُونِ عِلَّةٍ وَعَلَى فَرَضِ وَجُودِ الْعِلَّةِ فِي رَدِّ دَعَاءِ الْبَعْضِ لِأَوْجِهِ لِرَدِّ دَعَاءِ غَيْرِ الْبَعْضِ وَرَدُّ دَعَاءِ الْكُلِّ مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ.

وَتَانِيهَا: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ فَلَوْ قَالَ أَيَّاكَ أَسْئَلُ أَوْ اسْئَلْكَ مِثْلًا بِصِيغَةِ الْمَفْرُودِ قَدْ ذَكَرَ سُئَالَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَذْكَرْ سُئَالَ غَيْرِهِ مَعَ أَنَّهُ سُئَالَ الْكُلِّ وَهُوَ ﷺ أَمَامَ الْكُلِّ فَقَوْلُهُ ﷺ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَسْئُولُ الْمُؤْمِنِينَ شَرْقًا وَغَرْبًا فَكَأَنَّهُ سَعَى فِي إِصْلَاحِ مَهْمَاتِ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ قَضَى اللهُ تَعَالَى مَهْمَاتَهُ لِقَوْلِهِ ﷺ: مَنْ قَضَى لِمُسْلِمٍ حَاجَةً قَضَى اللهُ لَهُ جَمِيعَ حَاجَاتِهِ.

وثالثها: أنه ﷺ خليفة الله وخليفة رسوله ﷺ فإِسْمَانَهُ ﷺ فِي الْحَقِيقَةِ لِسَانِ الْكَلِّ.

وبعبارة أخرى: كل ما يستدعيه من الله تعالى فكأنه مستدعي الكَلِّ وهذا يشعر بكمال شَفَقَتِهِ ورَأْفَتِهِ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ وَهُوَ كَذَلِكَ.

ورابعها: قوله نَسَأَلُ اللَّهَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ ابْلَغَ تَوَاضَعاً مِنْ قَوْلِهِ أَسَأَلُ اللَّهَ لِأَنَّكَ جَبَلٌ الْإِنِّيَّةِ فِي الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ تَوَاضَعِ اللَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ.

وخامسها: أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ هَذَا مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَمْدِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، بِصِيغَةِ الْجَمْعِ مَعَ أَنَّ الْمُصَلِّيَ الَّذِي يَتَّفِقُ بِهِذَا الْكَلَامِ وَاحِدٌ وَحَقُّ الْعِبَارَةِ إِيَّاكَ أَعْبُدُ وَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ فَكُلُّ مَا نَقُولُ هُنَا نَقُولُ هِيَهُنَا. ان قلت: ما ذكره في سورة الحمد بصيغة الجمع إنما هو لتعليم العباد في أدعيتهم واسئلتهم وأما في المقام فهو ﷺ بنفسه الشريفة سائل لا غيره وبين المقامين فرق واضح.

قلت: ليس كثير اشكال في جريان الأمر في المقام فإنه ﷺ أيضاً قد قال ما قال لتعليم الناس في أسئلتهم وهذا واضح.

الفصل الثاني في شرح قوله ﷺ: منازل الشهداء والكلام فيه تارة في علة اختصاصه ﷺ بالشهداء بالذكر وتارة في معنى الشهداء أما علة اختصاصه الشهداء بالذكر دون الصلحاء والعباد والزهاد وامثالهم فلأن الشهيد أرفع مقاماً وأعلى منزلاً عند الله من سائر الفرق، إذا المفروض أن الشهيد هو الذي فدى نفسه في المعركة طلباً لمرضاته ولا شك أن النفس أحب الأشياء إلى الإنسان فمن صار شهيداً في سبيل الله، وأغمض عن حياته الذي هو أحب الأشياء إليه فلامحالة يكون مقرباً عند الله تعالى فوق القربات والسرف فيه هو أن سائر الأمور من الصوم والصلوة والحج وغيرها إذا أتى المكلف بها لا يدل على كونه عبداً واقعياً لأمكان دخول الرياء فيها أو كونه منافقاً وامثال ذلك وهذا بخلاف

الجهاد في سبيله فإنه لا يمكن نفوذ الرِّياء فيه إلا على وجه بعيد وإي رياء فيمن
اعد نفسه للموت بالسيف والسنان ولذلك ترى المجاهدين في سبيل الله
صارو في القرآن الكريم ممدوحين مدحاً لا يوجد لغيرهم.

و: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرزقُونَ» (١)

و: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» (٢)

و: «وَلَمَّا قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ» (٣)

و: «وَلَمَّا مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ» (٤)

و: «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا
لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ» (٥)

و: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيُرزقنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسِناً وَإِنَّ
اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» (٦)

و: «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ» (٧)

و: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» (٨)

و: «وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» (٩)

وامثال ذلك من الآيات في هذا الباب والأخبار في فضل الشهداء ايضاً كثيرة
ولنشر الى بعض منها.

قال رسول الله ﷺ الخير كله في السيف وتحت ظل السيف، ولا يُقيم

٢. العنكبوت - ٦٩.

٤. آل عمران - ١٥٨.

٦. الحج - ٥٨.

٨. البقرة - ١٥٤.

١. آل عمران - ١٦٩.

٣. آل عمران - ١٥٧.

٥. آل عمران - ١٩٥.

٧. محمد - ٤.

٩. النساء - ٧٤.

النَّاسِ إِلَّا السَّيْفَ وَالسُّيُوفَ مَقَالِيدَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، انْتَهَى.

قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا بَالُ الشَّهِيدِ لَا يَفْتَنُ فِي قَبْرِهِ قَالَ ﷺ كَفَى بِالْبَارِقَةِ فَوْقَ رَأْسِهِ فِتْنَةً. انْتَهَى...

كُتِبَ أَبُو جَعْفَرٍ ﷺ: فِي بَعْضِ رِسَالَتِهِ (فِي رِسَالَتِهِ، إِلَى بَعْضِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَمِنْ ذَلِكَ مَا ضَيَّعَ الْجِهَادَ الَّذِي فَضَّلَهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْأَعْمَالِ وَفَضَّلَ عَامِلَهُ عَلَى الْعُمَّالِ تَفْضِيلاً فِي الدَّرَجَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ لِأَنَّهُ ظَهَرَ بِهِ الدِّينَ وَبِهِ يُدْفَعُ عَنِ الدِّينِ وَبِهِ أُشْتَرَى اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ بَيْعاً مُفْلِحاً مَنْجِهاً الْحَدِيثُ...

وَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قُلْتُ: لَا يَبِيعُ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلَ فَقَالَ ﷺ مِنْ عُقْرِ جَوَادِهِ وَأَهْرِيْقَ دَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: قَالَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ جِبْرَائِيلَ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ قَرَّتْ بِهِ عَيْنِي وَفَرَّحَ بِهِ قَلْبِي قَالَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ غَزَا غَزْوَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أُمَّتِكَ فَمَا أَصَابَهُ قَطْرَةٌ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ صَدَاعٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ شَهَادَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...

وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ يَقُولُ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَةٍ دَمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. انْتَهَى...

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي خُطْبَةٍ خَطَبَ بِهَا يَوْمَ الْجَمَلِ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَوْتَ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلَا يَعْجِزُهُ الْهَارِبُ لَيْسَ عَنِ الْمَوْتِ مَحِيصٌ وَمَنْ لَمْ يَمِتْ يُقْتَلْ وَإِنَّ أَفْضَلَ الْمَوْتِ الْقَتْلَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَلْفِ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَيِّتَةٍ عَلَى فَرَّاشٍ. الْحَدِيثُ...

أَقُولُ: وَلَا جِلَّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ سَأَلَ اللَّهُ ﷻ: مَنْ أَرْزَلَ الشُّهَدَاءَ إِذْ لَيْسَ مَنْزِلٌ أَعْلَى وَأَرْفَعُ مِنْ مَنْزِلِهِمْ وَسَيَأْتِي مَنْ تَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِي الْجِهَادِ وَفَوَائِدِهِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ فِي مُسْتَقْبَلِ الْقَوْلِ انْشَاءً اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا الْكَلَامُ: فِي مَعْنَى الشُّهَدَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّ الشُّهَدَاءَ جَمْعُ شَهِيدٍ، وَالشَّهِيدُ هُوَ الَّذِي يَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَادِنًا مِنَ الْأِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ الْخَاصِّ لِأَخِيْرٍ وَهُوَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ

لا يُغسَل ولا يُكفَّن بل يُصَلَّى عليه ويُدفن وتفصيل الكلام موكول الى محله.
ثم انَّ الشَّهيد له معنيان:

احدهما معناه اللُّغوي العرفي اعنى المقتول فى المعركة، فى الجهاد مع الكفَّار وهذا واضح.

ثانيهما معناه العرفانى الواقعى اعنى من قتل فى سبيل الله سواء قتل فى المعركة او فى جادة السُّلوك والسَّفَر الى الحقِّ وذلك لانَّ سبيل الله لأختصاص له بالمعركة بل هو اعمُّ منها وغيره ممَّا فيه رضا لله ولرسوله.

وبعبارةٍ اخرى: الإنسان اذا كان بصدد الوصول الى مراتب الكمال والبلوغ الى غاية الآمال التى لاجلها خلق فلامحالة يَسْلُك مَسْلَطاً يقربه الى الحقِّ ويُبَعده عن الشَّيطان والنَّفْس الامارة ومن المعلوم انَّ طرق الوصول الى مقام القرب لا تُنحصر فى طريق واحد بل تتفاوت بتفاوت الأشخاص والأستعدادات والمقتضيات. ويدلُّ عليه الطَّرُق الى الله بعدد انفاس الخلائق. فالطَّرِيق بالنسبة الى بعض الاشخاص فى انفاق المال وفى بعض آخر بانفاق العِلْم وفى آخرين بانفاق القُدرة واعانة المظلوم وهكذا نحو ارشاد الغير واطعامه واكسائه وامثال ذلك ومن ذاك الطَّرُق الجهاد بالمعنى المصطلح اعنى الجهاد بالسَّيف والسَّنان كيف لا وقد قال رسول الله ﷺ رَجَعْتُمْ عن الجهاد الأصغر وعلَّيْكُمْ بالجهاد الاكبر قيل وما هو جهاد الاكبر يا رسول الله؟ قال ﷺ الجهاد مع النَّفس.

والدليل على ما ذكرناه اعنى التعميم فى معنى الجهاد بعد دلالة العقل والرَّواية المذكورة عن النَّبى ﷺ وغيرها من الرَّوايات التى لم نَتَعَرَّض لها حذراً عن الأطناب وخوفاً من الأطالة والاكثار فى الكلام. هو انَّ الآيات القرآنية الواردة فى فضل الجهاد لو نحملها على المعنى المصطلح فيه اعنى الجهاد مع الرِّسول والامام فى زمان حضورهما يلزم تعطيلها فى هذا الزَّمان الذى هو زمان الغيبة، لعدم حضور الامام او نائبه الخاصِّ حتَّى يَجِب الجهاد

المُصطلح فما معنى الآيات وقد ثَبَّتَ وتحقَّق في موضعه ان الآيات والاحكام القرآنية لاتختص بزمان دون زمانٍ او شخص دون شخصٍ او مكانٍ دون مكانٍ فاذاً يجب حملها على المعنى الاعم وهو يوجب وجود الجهاد في كل زمان. فمن اطاع الله ورسوله بأتيانه الواجبات وتركه المحرّمات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالجملة اطاعة الرب ومخالفة الهواه ولا سيما في هذه الأزمنة فهو من المجاهدين في سبيله بلا كلام واذا مات في هذا الطريق المَشروع مات شهيداً قطعاً بل الجهاد مع النفس الامارة وخصوصاً في هذا الزمان أصعب من ذلك الجهاد كما دلّت عليه الرواية ويؤيده العقل والوجدان. فنبأ على هذا قوله ﷺ: نَسئَلُ اللهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ لِأختصاص له بالشهداء المُصطلح بمعناها اللغوي بل اعم منه ومن غيره وحمل اللفظ على معناه الاعم اولى وأحسن من حمله على الأخص لأن الجمع مهما امكن اولى من الطرح هذا.

□ قوله ﷺ: وَمُعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ...

ثم انه ﷺ بعد ما سئل الله منازل الشهداء بالمعنى الذي مر ذكره أرّدف كلامه بقوله ﷺ: وَمُعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ وهذا دعاء آخر له والسعداء جمع سعيد وهو عبارة عن كل من كان على منهج الحق معرضاً عن الباطل مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه تابعاً لقوانين الشريعة عاملاً بها نافراً عن نواهيها تاركاً لها فمن كان كذلك فهو سعيد وحياته خير الحياة ومماته كذلك ولاجل ذلك ينبغي للمؤمن ان يسئل الله تعالى معاشهم.

ان قلت: هذا المعنى لا يستقيم في حقه ﷺ، لأنه من قبيل تحصيل الحاصل اذ لاخلاف في كونه ﷺ أسعد السعداء فكيف سئل ما سئل وليس السعيد الا من كان تابعا له.

قلت: لم يقل ﷺ: اللهم أجعلني من السعداء مثلاً حتى يلزم ما ذكرتم بل قال ومعاشة السعداء والفرق واضح فان الأول كان واقعاً ثابتاً في حقه ﷺ فلامعنى

لسؤاله منه تعالى.

وأما الثاني: فلا لأن المعاشة مع السعداء او معايشة السعداء عبارة عن كون المجالسين والمعاشرين من السعداء والآ فلا يكون العيش عيشهم وحيث أنه ﷺ كان معاشرا لكثير من المنافقين الذينهم عن السعادة كانوا معزولين فتمنى ﷺ: مُعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ وَهُوَ مُشْعِرٌ بَأَنَّ الحَشْرَ معهم ليس من السعادة بشيء وهو كذلك.

ويمكن ان يكون المعنى ما ذكرناه من الوجوه المحتملة في الجملة السابقة طابق النعل بالنعل لأنها معطوف عليه فتقدير الكلام نسئل الله معايشة السعداء ولا نطيل الكلام باعادتها.
□ قوله ﷺ: وَمُرَافِقَةَ الأنبياء...

وهذا هو الثالث من الأسئلة التي سألها ﷺ عن الله تبارك وتعالى وهو اعلى منزلة عن الاولين وذلك لأن مقام النبي فوق مقام الشهيد والسعيد فإن الشهيد لا يكون شهيداً إلا اذا قتل باذنه او اذن وصيه وكذلك السعيد لا يكون سعيداً إلا بمتابعة الانبياء وعدم مخالفتهم ومن كان من حيث القرب والمقام في درجة كان متابعوه بمتابعته في زمرة السعداء فهو أولى بكونه سعيداً ولذلك فمرافقة الانبياء أشرف واعلى من معايشة السعداء ومنازل الشهداء وهو المطلوب.

ثم ان الظاهر من العبارة ان منازل الشهداء ومرافقة الانبياء، في الآخرة وأما معايشة السعداء فهي في الدنيا كما هو ظاهر ولا يبعد ان يكون المطلوب بكل واحد منها هو في الدنيا وعليه فالمقصود بمنازل الشهداء الاتصاف بالشهادة كما هو كان كذلك بالنسبة اليه ﷺ لأن الله تبارك وتعالى قد اجابه وختم امره بالشهادة.

والمراد بمعايشة السعداء السلوك على منهج الحق وهو ايضاً صار مستجاباً في حقه، وأما مرافقة الانبياء فتحصل بمتابعتهم وهو ايضاً في حقه كان ثابتاً. ويمكن ان يكون الكل في الآخرة وهو ايضاً واضح والجمع اعنى تحققها

في كلتا النشأتين أولى وعلى أى التقادير فسئواله ﷺ في المقام لا يخفى لطفه.
 □ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ
 وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّنْتِهِمْ وَهُمْ أَعْظَمُ وَالنَّاسِ حِيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ
 وَالْمُهْمُ لِشَعْتِهِ وَأَعْظَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ...

ثم خاطبهم بالخطاب العام الذي يشمل كل المكلفين الى يوم القيمة ونظيره
 بل مثله خطابات القرآن المصدرة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ﴾ (١)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (٢)
 وإنما قال ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ وَلَمْ يَقُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّ مَا ذَكَرَهُ فِي
 الْمَقَامِ مِنْ عَدَمِ اسْتِعْنَاءِ الرَّجُلِ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَكَذَلِكَ الْأَوْصَافِ الَّتِي أَثْبَتَهَا لَهُ
 لِإِخْتِصَاصِ لَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ مَثَلًا بَلْ هُوَ أَمْرٌ عَامٌّ يَشْمَلُ عَامَّةَ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ مُؤْمِنًا
 كَانَ أَوْ مُنَافِقًا مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا ضَرُورَةً أَنَّهُمْ أَيْضًا يَحْتَاجُونَ إِلَى عَشِيرَتِهِمْ
 وَأَقَارِبِهِمْ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ.

ثم ان بعد ما اثبت احتياج الرجل بعشيرته بين علة الاحتياج وهى امور:
 الاول دفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم حيطة ورائه.

وذلك لان الدفاع بالأيدى والألسن قلما يوجد فى غير العشائر والأقارب
 بالنسبة الى الرجل وذلك لعدم وجود الداعى فى غيرها بخلاف العشيرة حيث
 انهم يوطئون نفوسهم للحماية منه وهذا امرٌ جبلى مرتكزٌ فى اذهان الناس كما
 قال العرب:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ بَنُو اللَّقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلِ ابْنِ شَيْبَانَ
 إِذَا لِقَامَ بَنَصْرَى مَعَشْرٌ حَشَنُ عِنْدَ الْحَفِيْظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَنَا

قال عبدالملك ابن مروان لجعيل ابن علقمة الثعلبي ما مبلغ عزكم قال لم
 يطمع فينا ولم يؤمن منا قال فما مبلغ حفظكم قال يدفع الرجل منا عمَّن

استجارَ به من غيرِ قومه كدفاعه عن نفسه، قال عبدالمك ملك مثلك من يَصِفُ قومه.

وقال عبدالمك لأبن مطاع الغنزي أخبرني عن مالك ابن مَسَمَع قال له لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف سيفٍ لا يسألونه في ائى شئى غضب، قال عبدالمك هذا والله السُّودَد.

قال ولم يَل قطُّ مالك ابن مَسَمَع ولا اسماء ابن خارجة شيئاً ليلسلطان ولا جل هذا كانت العرب تَمْتَدح بالذَّب عن الجار فيقولون فلان منيع الجار حامى الذمار.

نعم، حتى كان فيهم من يَحْمى الجراد اذ أنزل في جواره فسَمى مجير الجراد.

وقال مروان ابن ابى حفصة يمدح معن ابن الزائدة ويصف مفاخر بني شيبان ومنعهم لمن استجار بهم:

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دَعوا
اجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
هُم يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانَمَا
لجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاكِينِ مَنَزَل

وقال آخر:

هم يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانَهُ كَتِيبة زورٍ بين خافيتى نسرٍ
ولئى معاوية ابن ابى سفيان كثير ابن شهاب المذحجى خراسان فأختاناً مالا
كثيراً ثم هَرَب فاستتر عند هانى ابن عروة المرادى فبلغ ذلك معاوية فهَدِر دَم
هانى فَخَرَج هانى الى معاوية فكان فى جواره ثم حَضَرَ مَجْلِسَهُ وهو لا يعرفه،
فلَمَّا نَهَضَ النَّاسُ ثَبَتَ مَكَانَهُ فَسَأَلَهُ مَعَاوِيَةَ عَنِ امْرِهِ، فَقَالَ اَنَا هَانِي ابْنُ عُرْوَةَ.

فقال ان هذا اليوم ليس باليوم الذى يقول فيه ابوك.

أَرْجُلُ جُمَّتِي وَأَجْرُ ذَيْلِي وَتَحِيلُ شُكَّتِي أَفْقُ كَمِيَّتِي

وَأَمْشَى فِي سُرَاةِ بَنِي غَطِيفٍ إِذَا مَا سَاءَنِي أَمْرٌ أَبَيْتُ
قَالَ عُرْوَةُ فِي جَوَابِهِ: أَنَا وَاللَّهِ الْيَوْمَ أَعَزَّمَنِي ذَلِكَ الْيَوْمَ.
فَقَالَ: بِمِ ذَالِكِ؟ قَالَ: بِالْإِسْلَامِ.

قَالَ: أَيْنَ كَثِيرِ ابْنِ شَهَابٍ؟ قَالَ: عِنْدِي وَعِنْدَكَ.

قَالَ: انظُرْ إِلَى مَا اخْتَنَاهُ فَخُذْ مِنْهُ بَعْضًا وَسَوِّغْهُ بَعْضًا وَقَدْ أَمَّنَاهُ وَوَهَبْنَاهُ لَكَ.
قَالَ الشَّيْبَانِيُّ: لَمَّا نَزَلَ مُحَمَّدُ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ مِصْرَ وَصَيَّرَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ مَعَاوِيَةَ ابْنَ خَدِيجِ الْكِنْدِيِّ وَتَفَرَّقَ عَنِ مُحَمَّدٍ مَن كَانَ مَعَهُ فَتَغَيَّبَ فِدْلُ
عَلَيْهِ فَاخَذَهُ وَضَرَبَ عُنُقَهُ وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَكَانَ أَوَّلَ رَأْسٍ طِيفَ بِهِ فِي
الْإِسْلَامِ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ ابْنُ جَعْفَرِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ مَعَهُ فَاسْتَجَارَ بِأَخْوَالِهِ مِنْ خَثْعَمٍ فَغَيَّبُوهُ
وَكَانَ سَيِّدَ خَثْعَمٍ يَوْمئِذٍ رَجُلًا ظَهَرَ بَزْخٌ مِنْ كَسِيرِ أَصَابِهِ كَانَ إِذَا مَشَى ظَنَّ
الْجَاهِلُ أَنَّهُ يَتَبَخَّرُ فِي مَشِيَّتِهِ فَذَكَرَ لِمَعَاوِيَةَ أَنَّهُ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمِ إِلَيْنَا هَذَا
الرَّجُلُ فَقَالَ ابْنُ اخْتِنَا لَجَاءَ إِلَيْنَا لِنَحِقْنَ دَمَهُ فَدَعَاهُ عِنكَ قَالَ مَعَاوِيَةَ وَاللَّهِ لَا أَدْعُهُ
حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا آتِيكَ بِهِ قَالَ كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنِي بِهِ إِنَّكَ مَا عَلِمْتَ
لِأُورِهِ قَالَ: أَجَلُ أَنِّي لَا أُورُهُ حِينَ أَقَاتِلُكَ عَلِيُّ ابْنُ عَمِّكَ لِأَحِقْنَ دَمَهُ وَأَقْدَمُ ابْنِ
عَمِّي دُونَهُ تَسْفِكُ دَمَهُ فَسَكَتَ مَعَاوِيَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَالْمُثْمُ لِشَعَثِهِ وَأَعْطَفُهُمْ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ (أَنْ نَزَلَتْ بِهِ)...
وَهَذَانِ وَصِفَانِ آخِرَانِ لِلْعَشِيرَةِ وَهُمَا عِبَارَتَانِ عَنْ كَوْنِهِمَا أَجْمَعَهُمْ
لِمَتَفَرِّقَاتِ أُمُورِهِ وَتَشْتَاتِ بِأَلِهِ، وَأَعْظَمَ النَّاسُ فِي حِمَايَتِهِ وَمُسَاعَدَةِ أُمُورِهِ
وَالثَّانِي كَوْنُ الْعَشِيرَةِ أَعْطَفَ النَّاسَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جِهَةِ الرَّحْمَةِ
وَالشَّفَقَةِ لِلقُرْبِ الْبَاعِثِ لِذَوَاعِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ فِي النَّاسِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ أَيْ بِالرَّجُلِ
مُصِيبَةٍ أَوْ وَقَعَتْ حَادِثَةٌ مُؤَلِّمَةٌ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الرَّجُلَ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَثَرْوَةٍ كَثِيرَةٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَغْنٍ عَنِ
عَشِيرَتِهِ وَأَقَارِبِهِ فَإِنَّ الْمَالَ وَالثَّرْوَةَ لَا يُغْنِي عَنِ الْإِخْوَانِ وَالْعَشِيرَةِ بَلْ قِيلَ أَشَدُّ

الناس حاجة الى الأعوان والاتباع هم اكثر الناس ثروة و غفيرة الاترى ان ارباب الاموال حاجتهم الى الاصحاب والأعمال والافعال اكثر من غيرهم فكيف يمكن ان يكون الرجل مُستغنياً منها.

ثم بين عليه السلام: ان العشيبة تدفع عنه في حضوره وغيابه وتجمع متفرقاته ومشتتاته وأرحمهم عليه عند وقوع الحادثة وبروز النازلة.
□ قوله عليه السلام: وَلِسَانُ الصَّدَقِ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ الْمَالِ يُورِثُهُ غَيْرُهُ...

والمعنى ان الذكر الجميل المترتب على البذل والأنفاق يجعله الله له في الناس خيراً من جمع المال وامساكه حتى يورثه غيره، اشار عليه السلام به الى قوله تعالى: حكاية عن ابراهيم: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» (١).
ولسان الصدق في الآخرين انما يحصل بالبذل والأنفاق والخيرات وارشاد العوام وانقاذهم من الجهالة وسوقهم الى الهداية.

وبالجملة: الأعمال الصالحة التي توجب تحميد الناس اياه وتمجيدهم وتعظيمهم له وهو يتفاوت بالنسبة الى الأشخاص فان الغرض من هذا الكلام هو سوق الناس وارشادهم الى الخيرات الباعثة على كونه محبوباً لدى العامة ولا شك ان هذا احسن من امساك المال وعدم انفاقه حتى يورثه غير (يرثه غيره خ ل)

رؤى عن ابي ذر (ره) قال: قلت يا رسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحبه الناس. قال عليه السلام: تلك عاجل بشرى المؤمن، انتهى...

وعن المفضل قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام ان من قبلنا يقولون ان الله تبارك وتعالى اذا احب عبداً نوه به منوه من السماء ان الله يحب فلاناً فأجبهه فقلت له المحبة في قلوب العباد واذا ابغض الله عبداً نوه منوه من السماء ان الله يبغض فلاناً فابغضوه.

قال فيلقى الله له البغضاء في قلوب العباد وكان متكئاً فاستوى جالساً
فَنَقَضَ يَدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ
عَبْدًا اغْرِي بِهِنَّ فِي الْأَرْضِ لِيَقُولُوا فِيهِ فَيُؤْتِمُّهُمْ، وَيُؤْجِرُهُ وَإِذَا ابْغَضَ اللَّهُ
عَبْدًا أَحْبَبَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ لِيَقُولُوا لِيُؤْتِمُّهُمْ وَيُؤْتِمَّهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ مَنْ كَانَ أَحَبَّ إِلَى
اللَّهِ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا اغْرَاهُمْ بِهِ حَتَّى قَتَلُوهُ وَمَنْ كَانَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَلَقِيَ مِنَ النَّاسِ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ وَمَنْ كَانَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
مِنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ فَأَغْرَاهُمْ بِهِ حَتَّى قَتَلُوهُ أَنْتَهَى «بحار الانوار، ج ١٥،
ص ٢٠٥، الجزء الثاني من الايمان والكفر»...

وهذه الرواية وامثالها لاتنافى ما ذكره ﷺ في المقام فإن الرواية تدل على ان
الحُبَّ والبُغْضَ مِنَ النَّاسِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى شَخْصٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ لَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِ
الشَّخْصِ يَتَلَيَّقُ بِهِ فَإِنَّ النَّاسَ هَمَجَ الرَّعَاعِ اتَّبَاعَ كُلِّ نَاهِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ إِلَى
آخِرِهِ، كَمَا مَثَلُ ﷺ بِيَحْيَى وَالحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَامِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
وَهَذَا مِمَّا لَا كَلَامَ لِأَحَدٍ فِيهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: فِي الْمَقَامِ فَقَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالْأَوْصَافَ
الْحَمِيدَةَ تَوْجِبُ تَحْمِيدَ النَّاسِ آيَاهُ وَمَحَبَّتَهُمْ لَهُ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْمَنْطِقِ أَنَّ
الْمَوْجِبَةَ الْكَلِّيَّةَ لَا تَنْعَكِسُ كَنْفِيسَهَا أَي مَوْجِبَةٌ كُلِّيَّةٌ بَلْ تَنْعَكِسُ جَزْئِيَّةٌ، فَاذَا قَلْنَا
بِأَنَّ السَّخَاوَةَ أَوْ الشَّجَاعَةَ وَامِثَالَ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْصَافِ تَوْجِبُ حُبَّ النَّاسِ عَلَى
التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى صَاحِبِهَا لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّمَا يُعْظَمُونَ شَخْصاً أَوْ
يُبَجَّلُونَ فَهُوَ لَائِقٌ بِهِ لِصِدْقِ قَوْلِنَا كُلِّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَكَذَبَ كُلُّ حَيَوَانٍ إِنْسَاناً.
مُضَافاً إِلَى أَنَّ قَوْلَ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُشَعَّرٌ بِأَنَّ الْخَيْرَاتِ وَالْمَبْرَاتِ، وَالْأَنْفَاقِ
وَالْعَدَالَةَ وَامِثَالَهَا مَمْدُوحٌ فِي النَّاسِ مَحْبُوبٌ لَهُمْ وَالْمُتَّصِفُ بِهَا لَهُ شَأْنٌ فِي
الْقُلُوبِ وَهَذَا لَا يَنَافِي الرِّوَايَةَ، فَأَنَّهُ نَازِلٌ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ.

وَرَوَى أَيْضاً عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ آبَائِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا
أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا انَادَى مِنْ السَّمَاءِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحَبَّ فَلَاناً

فَأَحْبَبُوهُ فَتَعْبِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا يَلْقَى الْآ حَبِيباً مُحِبِّباً مَذْقاً عِنْدَ النَّاسِ وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ
تَعَالَى عَبْدًا انَادَى مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ الْآ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَبْغَضَ فَلَانًا فَاِبْغَضُوهُ
فَتَعْبِيهِ الْقُلُوبُ وَنَعَى عَنْهُ الْأَزَانَ فَلَاتَلْقَاهُ الْآ بَغِيضاً مُبْغَضاً شَيْطَانًا مَارِدًا،
انتهى «ص ٢٠٥»...

وسياتى فى باب وصاياه عليه السلام: فى هذا الكتاب انه أوصى الى ابنه الحسن
وقال انما يُستدَلُّ على الصّالحين بما يجرى الله لهم على السن عباده فليكن
أحبّ الذّخار اليك ذخيرة العمل الصّالح الى آخره.

الا ترى، انّ الناس يُحبّون الأسخياء والأتقياء والعدول والعلماء وامثال
هؤلاء من الافراد الموصوفين بهذه الصّفات واشباهها وليس لهم اعتناء
بالأغنياء والأشراف بل السّلاطين والحكّام اذا لم يكونوا متّصفين بما يُترقّب
منهم.

أليس لهم انتظار العدالة من السّلطان والعمل من العالم والسّخاوة من الغنى،
وهكذا بل كثيراً ما نشاهد عدم اشتراطهم الإسلام فضلاً عن الأيمان بالنّسبة الى
كثير من الأوصاف الموجودة فى الأفراد فانّ الخلق يُحبّون السّخى ولو كان
كافراً وكذا العادل والشّجاع والعالم وامثال ذلك ويُبغضون البخيل والظّالم
والجاهل ولو كان مؤمناً مسلماً ومن هنا ذهب بعض العلماء انّ الحبّ والبغض
بالنّسبة الى بعض الأوصاف ذاتى من المستقلّات العقليّة وسياتى الكلام منّا فى
هذه المباحث مشروحاً فى محالّها انشاء الله تعالى.

كيف لا والأنسان عبيد الاحسان ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق
والانسان ما لم يتّصف بالكمالات فهو من الأنعام بل هم أضلّ سبيلاً.
وامّا قوله عليه السلام: خَيْرٌ لَهُ مِنْ الْمَالِ يُوْرثُهُ غَيْرُهُ. خير من المال يورثه غيره،
فهو اشارة الى انّ العمل الصّالح مضافاً الى الثّواب فى الآخرة له اثر فى الدّنيا
بحيث انه خير للأولاد من الثّروة والمال كما انا نرى انّ الموصوفين بهذه
الصّفات اذا ماتوا اولادهم ايضاً محبوبون مكرّمون عند الخلق كما روى انّ

الرَّسُولُ ﷺ كَانَ بِالنَّسَبِ إِلَى أَوْلَادِ حَاتِمِ الطَّائِي كَذَلِكَ لَكُنْ حَاتِمٌ مِنَ
الْأَسْخِيَاءِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ كَافِرًا فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَهَكَذَا سَائِرُ النَّاسِ كَانُوا
يُكْرَمُونَهِمْ وَيَعْظَمُونَهِمْ وَيُرْجَحُونَهِمْ عَلَى سَائِرِ الْأَفْرَادِ مِنَ الْأَسَارِيِّ وَلَيْسَ هَذَا
إِلَّا بِبَرَكَةِ السَّخَاوَةِ وَهَكَذَا الْحَالُ فِي سَائِرِ الْأَوْصَافِ.

وَأَمَّا أَوْلَادُ الْأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْأَسْخِيَاءِ مِثْلًا فَلَا وَقَعَ لَهُمْ عِنْدَ
أَبْنَاءِ الزَّمَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ.

وَقَدْ رَوَى أَنَّ حَاتِمَ الطَّائِي قَالَ مَخَاطَبًا لِأَمْرَأَتِهِ مَارِيَةَ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

أَمَارِي أَنْ يَصْبِحَ صَدَائِ لِقْفَرَةٍ

مِنَ الْأَرْضِ لِأَمَاءِ لَدَيَّ وَلَا خَمْرَ

تَرَى أَنْ مَا أَنْفَقْتُ لَمْ يَكُ ضَرْبِي

وَإِنَّ يَدِي مِمَّا بَخَلْتُ بِهِ صِفْرُ

أَمَارِي مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى

أِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهِ الصَّدْرُ

أَمَارِي أَنْ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحِ

وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ

وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا

أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفَرَّ

□ قَوْلُهُ ﷺ: أَلَا لَا يَعْزِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا
بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُضُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ...

كَلِمَةٌ (إِلَّا) لِلتَّنْبِيهِ، وَالْمَعْنَى إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَقْرَبَاءِ مِنْ ذَوِي الْحَاجَاتِ
فَلَا تَسُدُّوهُ بِفَضْلِ مَا لَكُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ لِلْمُمْسِكِ الْبَخِيلِ وَلَا يَضُرُّهُ انْفَاقُهُ
لِكُونِهِ زَائِدًا عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَفَاضِلًا عَلَى مَعِيشَتِهِ وَفِيمَا ذَكَرَهُ ﷺ أَشْعَارُ بَلْ
تَصْرِيحٌ بِالْمُسَاعَدَةِ وَالْأَعَانَةِ بِالنَّسَبِ إِلَى الْأَقْرَبَاءِ فَإِنَّهُمْ أَحَقُّ وَأَلْيَقُ بِهَا مِنْ
غَيْرِهِمْ وَقَدْ وَرَدَتْ فِيهِ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ:

فَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ ﷺ: صَلَاةُ الْأَرْحَامِ تُحَسِّنُ الْخُلُقَ وَتَسْمَحُ
الْكَفَّ وَتَطْيِبُ النَّفْسَ وَتَزِيدُ فِي الرِّزْقِ وَتَنْسِيءُ فِي الْأَجْلِ...

وَعَنْ الصَّادِقِ ﷺ: قَالَ صَلَاةُ الْأَرْحَامِ (صَلَاةُ الرَّحِمِ) وَحُسْنُ الْجَوَارِ
يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْعُمُرِ (فِي الْأَعْمَارِ) الْكَافِي بَابُ صَلَاةِ الْأَرْحَامِ...
وَبِهَذَا الْمَضْمُونِ وَرَدَتْ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ أَنْظَرَ الْكَافِي وَالْوَافِي وَالْبَحَارُ بَابُ صَلَاةِ
الْأَرْحَامِ، وَلِلْبَحْثِ فِيهَا مَقَامٌ آخَرَ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَمَنْ يَقْبِضُ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ
وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدِيٌ كَثِيرَةٌ وَمَنْ تَلِنَ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمُ مِّنْ قَوْمِهِ
الْمَسْوَدَّةَ...

قَالَ السَّيِّدُ (قَدَّه) فِي شَرْحِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ الْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ أَمَّا
يُمسِكُ نَفَعَ يَدٍ وَاحِدَةً فَإِذَا احتَاجَ إِلَى نَصْرَتِهِمْ وَأَضْطَرَّ إِلَى مِرَافِدَتِهِمْ قَعَدُوا عَنْ
نَصْرِهِ وَتَنَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمَنَعَ تَرَافِدِ الْأَيْدِيِ الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهَضَ الْأَقْدَامَ الْجُمَّةَ.
وَمَنْ تَلِنَ حَاشِيَتُهُ إِلَى آخِرِهَا مِنْ يَحْسُنُ خُلُقَهُ وَيَتَوَاضَعُ لِلنَّاسِ يَسْتَدِمُ مِنْ
قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ، لِأَنَّ لِينَ الْجَانِبِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَالتَّوَاضُعَ جَالِبٌ لِلْأُلْفَةِ وَكَاسِبٌ
لِلْمَوَدَّةِ كَمَا إِنَّ التَّكْبُرَ وَخَشُونَةَ الطَّبِيعَةِ بَاعَثُ عَلَى الْأَنْقِطَاعِ وَالْعِدَاوَةِ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، الْآيَةَ.

هَكَذَا قَالُوا فِي شَرْحِ الْعِبَارَاتِ وَقَدْ أَقْتَفِينَا أَثْرَهُمْ فِيمَا ذَكَرُوهُ وَأَكْتَفِينَا بِهِ مَعَ أَنَّ
لِلْكَلامِ فِيهِ مَجَالٌ وَاسِعٌ إِلَّا أَنَّ رِعَايَةَ الْأَخْتِصَارِ أَوْلَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

- ومن خطبة له ﷺ (٤) ٥
- قوله ﷺ: بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ، الی وَمَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ مِنْ ٥
- اللُّغَةُ ٥
- الشرح ٦
- قوله ﷺ: بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ العُلَيَاءَ، وَبِنَا و..... ٦
- قوله ﷺ: وَقِرَ سَمِعَ لَمْ يَفْقَهُ الوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعَى و..... ١٣
- م قوله ﷺ: رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقَهُ الخَفَقَانُ - ١٣
- قوله ﷺ: مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ المُغْتَرِبِينَ، ١٤
- قوله ﷺ: سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ، ١٧
- قوله ﷺ: أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سُنَنِ الحَقِّ فِي جَوَادِ المَضَلَّةِ، ١٩
- قوله ﷺ: حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ. و..... ٢١
- قوله ﷺ: غَرَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي ٢٣
- قوله ﷺ: مَا شَكَّكَتُ فِي الحَقِّ مُذَارِيَّتُهُ، ٢٥
- قوله ﷺ: لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ، أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ و..... ٣١
- قوله ﷺ: أَلْيَوْمَ تَوَافَقْنَا عَلَى سَبِيلِ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، ٣٧
- ومن كلام له ﷺ (٥) ٤٩
- قوله ﷺ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ الله الی فِي الطُّوِيِّ البَعِيدَةِ مَتْنِ ٤٩
- اللُّغَةُ ٤٩
- المعنى ٥٠
- الشرح ٥٠
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُنَنِ النَّجَاةِ ٥١

- قوله ﷺ: وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافِرَةِ، وَضَعُوا تَبِجَانَ الْمُفَاخِرَةِ ٦٠
- قوله ﷺ: أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوْاسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ ٦٢
- قوله ﷺ: هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا ٦٤
- قوله ﷺ: وَلُقْمَةٌ يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا ٦٥
- قوله ﷺ: وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتِ إِنْبَاعِهَا كَالزَّرَاعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ ٦٦
- قوله ﷺ: فَإِنْ أَقْبَلَ يَقُولُوا حَرَّصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتَ ٧١
- قوله ﷺ: هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَا وَالَّتِي وَاللَّهِ لَأَبْنُ أَبِيطَالِبٍ أَنَسُ ٧٢
- قوله ﷺ: بَلِ أَنْدَ مَجْتُ عَلَى مَكُونٍ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ ٧٣
- ومن كلام له ﷺ (٦) ٨٧**
- قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضُّبُعِ: تَنَامُ عَلَى الْيَوْمِ النَّاسِ هَذَا، مَتْنٌ ٨٧
- اللُّغَةُ ٨٧
- المَعْنَى ٨٧
- الشَّرْحُ ٨٨
- قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضُّبُعِ إِلَى قَوْلِهِ ٧: وَ يَخْتَلِّهَا ٨٨
- قوله ﷺ: وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ ٩٣
- قوله ﷺ: الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَ بِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ أَبَدًا ٩٣
- قوله ﷺ: حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأُمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ٩٥
- قوله ﷺ: فَوَاللَّهِ مَا زَلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ ٩٥
- ومن خطبة له ﷺ (٧) ١١٧**
- قوله ﷺ: اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَ، إِلَى الْبَاطِلِ عَلَيَّ لِسَانِهِ مَتْنٌ ١١٧
- اللُّغَةُ ١١٧
- المَعْنَى ١١٧
- الشَّرْحُ ١١٨
- قوله ﷺ: (اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَ). فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ انْحِرَافِهِمْ ١١٨

- قوله ﷺ: وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكًا ١٢٠
- قوله ﷺ: فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ ١٢٠
- قوله ﷺ: وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ ١٢١
- قوله ﷺ: فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِالسِّتِيهِمْ ١٢١
- قوله ﷺ: فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَّلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ..... ١٢١
- ومن كلام له ﷺ (٨) ١٢٣**
- قوله ﷺ: يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ إِلَى فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ مَن ١٢٣
- اللُّغَةُ ١٢٣
- المعنى ١٢٣
- الشرح ١٢٣
- قال ﷺ: فِي جَوَابِ الزَّبِيرِ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ إِلَى آخِرِ ١٢٤
- قوله ﷺ: فَلَيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ ١٢٦
- قوله ﷺ: وَفَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ..... ١٢٦
- ومن كلام له ﷺ (٩) ١٣١**
- قوله ﷺ: وَ قَدْ أَرْعَدُوا وَ أَبْرَقُوا، وَ مَعَ هَذَيْنِ إِلَى حَتَّى تُمَطِّرَ مَن ١٣١
- اللُّغَةُ ١٣١
- المعنى ١٣١
- الشرح ١٣١
- قوله ﷺ: وَ قَدْ أَرْعَدُوا وَ أَبْرَقُوا ١٣١
- قوله ﷺ: وَ لَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ، وَ لَا نُسِيلُ حَتَّى نُمَطِّرَ ١٣٤
- ومن خطبة له ﷺ (١٠) ١٣٧**
- قوله ﷺ: أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، إِلَى وَ لَا يَعُودُونَ إِلَيَّ مَن .. ١٣٧
- اللُّغَةُ ١٣٧
- المعنى ١٣٨

- الشرح ١٣٨
- قوله ﷺ: أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجَلَبَ حَيْلَهُ وَ رَجُلَهُ . ١٤٠
- قوله ﷺ: وَ إِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي، مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَ لَأَلْبَسَ عَلَى .. ١٤٢
- قوله ﷺ: وَ آيُمُ اللَّهِ لَأَفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحَهُ، لَأَيُضِدِرُونَ و..... ١٤٥
- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﷺ (١١)** ١٤٧
- قوله ﷺ: تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُلُ، إِلَى النَّصْرِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَتْن ١٤٧
- اللُّغَةُ ١٤٧
- المعنى ١٤٧
- الشرح ١٤٨
- قوله ﷺ: تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُلُ ١٤٨
- قوله ﷺ: عَضُّ عَلَى نَاجِدِكَ ١٤٨
- قوله ﷺ: أَعْرَبَ اللَّهُ جُمُجُمَتَكَ ١٤٨
- قوله ﷺ: تَدُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ ١٥٠
- قوله ﷺ: أَرَمَ بِيَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ ١٥٠
- قوله ﷺ: وَ غَضُّ بَصْرِكَ، وَ أَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ و..... ١٥٠
- قوله ﷺ: وَ أَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ١٥١
- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (١٢)** ١٥٩
- قوله ﷺ: وَ دِدْتُ أَنَّ أَخِي فَلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا إِلَى بِهِمُ الْأَيْمَانُ مَتْن ١٥٩
- اللُّغَةُ ١٥٩
- المعنى ١٥٩
- الشرح ١٦٠
- قوله ﷺ: فَقَدْ شَهِدْنَا، وَ لَقَدْ شَهِدْنَا اثْبَتَ و..... ١٦٢
- قوله ﷺ: وَ يَقْوَى بِهِمُ الْأَيْمَانُ ١٦٨
- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (١٣)** ١٧٣

- قوله ﷺ: كُتِبَ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْيَوْمِ وَغَرِقَ مَنْ فِي ضَمْنِيهَا مِنْ... ١٧٣
- اللغة..... ١٧٣
- المعنى..... ١٧٤
- الشرح..... ١٧٤
- قوله ﷺ: كُتِبَ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَيْمَةِ..... ١٧٤
- قوله ﷺ: رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ..... ١٨٣
- قوله ﷺ: أَخْلَاقُكُمْ دُقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ..... ١٨٤
- قوله ﷺ: وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ..... ١٨٧
- قوله ﷺ: وَالْمُقِيمَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ..... ١٩٣
- قوله ﷺ: وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ..... ١٩٧
- قوله ﷺ: كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُوجُؤِ سَفِينَةٍ، قَدَبَعَتْ اللَّهُ..... ١٩٨
- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﷺ (١٤)..... ١٩٩
- قوله ﷺ: أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، إِلَى وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ مِنْ... ١٩٩
- اللغة..... ١٩٩
- المعنى..... ١٩٩
- الشرح..... ٢٠٠
- قوله ﷺ: أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ..... ٢٠٠
- قوله ﷺ: خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ..... ٢٠١
- قوله ﷺ: فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لِأَكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ..... ٢٠٢
- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﷺ (١٥)..... ٢٠٧
- قوله ﷺ: وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتَهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ إِلَى عَلَيْهِ أَضِيقُ مِنْ... ٢٠٧
- اللغة..... ٢٠٧
- المعنى..... ٢٠٧
- الشرح..... ٢٠٨

- قوله ﷺ: فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً. الى آخر ما قال، فهو اشارة الى انكار... ٢١٢
- قوله ﷺ: فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقٌ ٢١٢
- ومن خطبة له ﷺ (١٦) ٢١٥
- قوله ﷺ: ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ، وَأَنَا بِهِ إِلَى أَدْبَرِ شَيْءٍ فَأَقْبَلْ مَتْن ٢١٥
- اللغة ٢١٥
- المعنى ٢١٦
- الشرح ٢١٧
- قوله ﷺ: ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ٢١٧
- قوله ﷺ: إِنَّ مَنْ صَرَخَتْ لَهُ الْعَيْبُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ ٢١٧
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَاتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ ٢٢٣
- قوله ﷺ: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبُنَّ بَلْبَةً، وَلَتَغْرِبُنَّ غَرْبَةً ٢٢٦
- قوله ﷺ: لَتُبْلَبُنَّ بَلْبَةً ٢٢٦
- قوله ﷺ: وَلَتَغْرِبُنَّ غَرْبَةً ٢٢٧
- قوله ﷺ: وَلَتَسَاطُنُ سَوَاطِنُ الْقَيْدِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ ٢٢٨
- قوله ﷺ: وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرًا ٢٣١
- قوله ﷺ: وَلَيَقْصُرَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا سَبَقُوا ٢٣٢
- قوله ﷺ: وَاللَّهُ مَا كَتَمْتُ وَشَمَّةً وَلَا كَذِبْتُ كَذِبَةً ٢٣٢
- قوله ﷺ: وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ، ٢٣٢
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا ٢٣٣
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٍّ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ٢٣٩
- قوله ﷺ: حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ فَلَئِنْ أَمَرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا ٢٥٠
- ومن هذه الخطبة ٢٥٥
- قوله ﷺ: شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ، إِلَى لَا يَمُّ لَا يَمُّ إِلَّا نَفْسُهُ مَتْن ٢٥٥
- اللغة ٢٥٥

- المعنى ٢٥٦
- الشرح ٢٥٧
- قوله ﷺ: شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ ٢٥٦
- قوله ﷺ: سَاعَ سَرِيعِ نَجَا ٢٥٦
- قوله ﷺ: وَ طَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ٢٥٦
- قوله ﷺ: وَمِنْهَا مَنْفَذُ السَّنَةِ، فالضمير يرجع الى الطريق الوسطى ٢٥٦
- قوله ﷺ: هَلَكَ مَنْ أَدَّعَى، وَخَابَ مَنْ أَفْتَرَى فيمكن ان يكون المراد ٢٥٦
- قوله ﷺ: مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ، عند جهلة الناس ٢٥٦
- قوله ﷺ: وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا، أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، فقد اشار ٢٥٦
- قوله ﷺ: لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنٌّ أُصْلٍ، يعنى من و ٢٥٧
- قوله ﷺ: وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ، الغرض من هذ الكلام و ٢٥٧
- قوله ﷺ: فَاسْتَبْرُوا فِي بُيُوتِكُمْ قَالُوا فِيهِ اى لكيلا يجتمؤا على ٢٥٧
- قوله ﷺ: وَ اضْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ٢٥٧
- قوله ﷺ: وَالتَّوْبَةُ مِنْ ذُرَائِكُمْ - حتى تتوبوا عن خطاياكم و ٢٥٧
- قوله ﷺ: شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ و ٢٥٧
- قوله ﷺ: سَاعَ سَرِيعِ نَجَا ٢٥٨
- قوله ﷺ: وَ طَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ٢٥٩
- قوله ﷺ: مُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى ٢٥٩
- قوله ﷺ: طَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا - فهو اشارة الى اصحاب اليمين الذينهم .. ٢٦٢
- قوله ﷺ: مُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى فهو اشارة الى اصحاب الشمال و عليه . ٢٦٢
- قوله ﷺ: اليمين و الشمال مَضَلَّةٌ، وَ الطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ ... ٢٦٣
- قوله ﷺ: عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَ آثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السَّنَةِ، و ٢٦٥
- قوله ﷺ: هَلَكَ مَنْ أَدَّعَى، وَخَابَ مَنْ أَفْتَرَى ٢٦٨
- قوله ﷺ: مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ ٢٦٩

- قوله ﷺ: وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ ٢٧١
- قوله ﷺ: لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْحُ أَصْلِ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ .. ٢٧٤
- قوله ﷺ: فَاسْتَتِرُوا فِي بُيُوتِكُمْ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ٢٧٤
- قوله ﷺ: وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ٢٧٥
- قوله ﷺ: وَ التَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ ٢٧٧
- قوله ﷺ: وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ وَ لَا يَلْمُ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ ٣٠٢
- و من كلام له ﷺ (١٧) ٣٠٩**
- قوله ﷺ: إِنْ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ الِى وَ لَأَعْرِفُ مِنَ الْمُتَكْرِمِينَ .. ٣١٠
- اللغة ٣١٠
- المعنى ٣١٠
- الشرح ٣١٣
- قوله ﷺ: إِنْ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ ٣١٣
- قوله ﷺ: رَجُلٌ وَ كَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ٣١٤
- قوله ﷺ: فَهُوَ جَائِرٌ عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ ٣١٤
- قوله ﷺ: مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ ٣١٥
- قوله ﷺ: وَ دُعَاءِ ضَلَالَةٍ ٣١٦
- قوله ﷺ: فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَفْتَنَ بِهِ ٣١٦
- قوله ﷺ: ضَالٌّ عَنِ هَدْيٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، ٣١٩
- قوله ﷺ: مُضِلٌّ لِمَنْ أَقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ٣١٩
- قوله ﷺ: حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ ٣٢٠
- قوله ﷺ: وَ رَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوَضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ ٣٢٧
- قوله ﷺ: عَارٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ ٣٢٨
- قوله ﷺ: عَمٌ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ ٣٢٨
- قوله ﷺ: قَدْ سَمَاءُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ ٣٢٩

- قوله ﷺ: بَكَرَ فَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ٣٣٠
- قوله ﷺ: حَتَّى إِذَا أَرْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ وَ أَكْتَرْتَرٍ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ ٣٣٠
- قوله ﷺ: جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا أَلْتَبَسَ وَ ٣٣٠
- قوله ﷺ: فَأَنْ نَزَلْتُ بِهِ إِحْدَى الْمَبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْوًا رَثًا وَ ٣٣٤
- قوله ﷺ: فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ ٣٤١
- قوله ﷺ: لَا يَذْرَى أَصَابَ أَمْ أَخْطَاءَ. وَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ وَ ٣٤٣
- قوله ﷺ: جَاهِلٌ خَبَاطٌ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَابُ عَشَوَاتٍ ٣٤٥
- قوله ﷺ: لَمْ يَعْضْ عَلَى الْعِلْمِ بِضْرِسٍ قَاطِعٍ ٣٤٥
- قوله ﷺ: يَذْرُؤُ الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ يَذْرَى الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ .. ٣٤٦
- قوله ﷺ: لَأَمْلِي وَ اللَّهُ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ وَ ٣٤٢
- قوله ﷺ: وَ لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ: ٣٧٤
- قوله ﷺ: وَ لَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِنْهُ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ ٣٧٤
- قوله ﷺ: وَ إِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ أَكْتَمْتُمْ بِهِ ٣٧٤
- قوله ﷺ: لَمَّا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ نَفْسِهِ ٣٧٥
- قوله ﷺ: تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءُ وَ تَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ. ٣٧٥
- قوله ﷺ: إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَالًا وَ يَمُوتُونَ ضَلَالًا . ٣٨٠
- قوله ﷺ: لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَى حَقَّ تِلَاوَتِهِ ٣٨٢
- قوله ﷺ: وَ لَا سِلْعَةٌ أَنْفَقَ بَيْنَعَا وَ لَا أَغْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ وَ ٣٨٣
- قوله ﷺ: وَ لَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ .. ٣٨٧
- ٣٩٣ **وَ مِنْ كَلَامِهِ ﷺ (١٨)**
- قوله ﷺ: تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمِ إِلَى الظُّلْمَاتِ إِلَّا بِهِ مَتْنٌ، ٣٩٣
- اللَّغَةُ ٣٩٣
- المعنى ٣٩٤
- الشرح ٣٩٥

- قوله عليه السلام: تَرِدُ عَلَيَّ أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ ٣٩٥
- قوله عليه السلام: ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ أَلِيٍّ مِمَّا الَّذِي ٤٠١
- قوله عليه السلام: وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ، وَنَبِيِّهِمْ وَاحِدٌ ٤٠٢
- قوله عليه السلام: أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ أَمْ ٤٠٣
- قوله عليه السلام: أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى ٤٠٧
- قوله عليه السلام: وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنْبَقُ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ٤١٠
- ومن كلام له عليه السلام (١٩) ٤٢١**
- قَالَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ عَلِيُّ مَنبَرٍ ٤٢١
- قوله عليه السلام: مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّالِي، عَلَيْكَ إِلَى وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ! ٤٢١
- اللُّغَةُ ٤٢١
- المَعْنَى ٤٢١
- قوله عليه السلام: مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّالِي ٤٢٢
- قوله عليه السلام: فَحَائِكِ ابْنِ حَائِكِ! مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ! ٤٢٤
- قوله عليه السلام: مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ ٤٢٦
- قوله عليه السلام: وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى! ٤٣٠
- قوله عليه السلام: فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكٌ ٤٣٣
- ومن كلام له عليه السلام (٢٠) ٤٣٧**
- قوله عليه السلام: فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَيْتُمْ مَا قَدْ عَايَيْنَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ مَتْنٌ ٤٣٧
- اللُّغَةُ ٤٣٧
- المَعْنَى ٤٣٧
- الشَّرْحُ ٤٣٨
- قوله عليه السلام: سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَقَوْلُهُ لَقَدْ بَصُرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ ٤٤٧
- قوله عليه السلام: لَجَزِعْتُمْ وَوَهَلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ٤٤٧
- قوله عليه السلام: وَ لَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، ٤٥٠

- قوله ﷺ: وَ لَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ ٤٥٠
- قوله ﷺ: وَ بِحَقِّ أَقْوَلٍ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ الْعِبْرَ ٤٥١
- ٤٦١ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٢١)**
- قوله ﷺ: فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ إِلَىٰ بَأْوَلِكُمْ آخِرُكُمْ مَتْن ٤٦١
- اللُّغَةُ ٤٦١
- المَعْنَى ٤٦١
- الشَّرْح ٤٦٢
- قوله ﷺ: فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، الْمَوْتَ وَإِنَّمَا جَعَلَهُ ﷺ إمامهم ٤٦٢
- قوله ﷺ: فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ ٤٦٤
- قوله ﷺ: تَخَفُّوْا تَلْحَقُوْا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ ٤٦٩
- ٤٧١ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٢٢)**
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ، إِلَىٰ شُبْهَةٍ مِّنْ دِينِي. مَتْن ... ٤٧١
- اللُّغَةُ ٤٧١
- المَعْنَى ٤٧٢
- الشَّرْح ٤٧٣
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ إِلَىٰ آخِرِ مَا قَالَ ٤٧٣
- قوله ﷺ: لِيَعُودَ الْجُورُ إِلَىٰ أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَىٰ نِصَابِهِ، ٤٧٤
- قوله ﷺ: وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ٤٧٦
- قوله ﷺ: وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِيفًا، ٤٧٧
- قوله ﷺ: وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوْهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوْهُ، ٤٨٠
- قوله ﷺ: فَلَيْنَ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنْصِيبَهُمْ مِنْهُ، ٤٨١
- قوله ﷺ: يَرْتَضِعُونَ أُمَّاً قَدْ فَطَمَتْ، وَيُحْيُونَ بِدَعَاةٍ أَمِيَّتٍ ٤٨٢
- قوله ﷺ: يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي أَمِنْ دَعَا وَالَّذِي مَا أُجِيبُ ٤٨٢
- قوله ﷺ: وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ، ٤٨٢

- قوله ﷺ: فَإِنَّ أَبُو أُعْطِيَتْهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِيًا ٤٨٣
- قوله ﷺ: وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَى أَنْ أُبْرَزَ لِلطَّعَانِ، وَأَنْ ٤٨٣
- قوله ﷺ: وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي ٤٨٣
- ومن خطبة له ﷺ (٢٣) ٤٩٥
- قوله ﷺ: فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى يَسْتَدِيمُ مَنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ مَتْن. ٤٩٦
- اللُّغَةُ ٤٩٦
- المعنى ٤٩٦
- الشرح ٤٩٧
- أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ ٤٩٨
- قوله ﷺ: فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ ٥٠٤
- قوله ﷺ: مَا لَمْ يَغْشَ دَنَائِهِ تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَيُغْرَى ٥٠٥
- قوله ﷺ: فَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ ٥٠٧
- قوله ﷺ: إِنَّ الْأَمَالَ وَالْبَيْنِينَ حَرَتْ الدُّنْيَا وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ٥٠٧
- قوله ﷺ: وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ، وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ ٥١٦
- قوله ﷺ: نَسئَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمَعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ، ٥٢٨
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَامَالٍ عَنْ ٥٣٦
- قوله ﷺ: وَالْمَهُمُ لِشَعْبِهِ وَأَعْطَفُهُمْ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ (ان نزلت به) ٥٣٨
- قوله ﷺ: أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا ٥٤٢
- قوله ﷺ: وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا يَقْبِضُ مِنْهُ ٥٤٣

